تأملات في ألوجود والدين

كامل علي

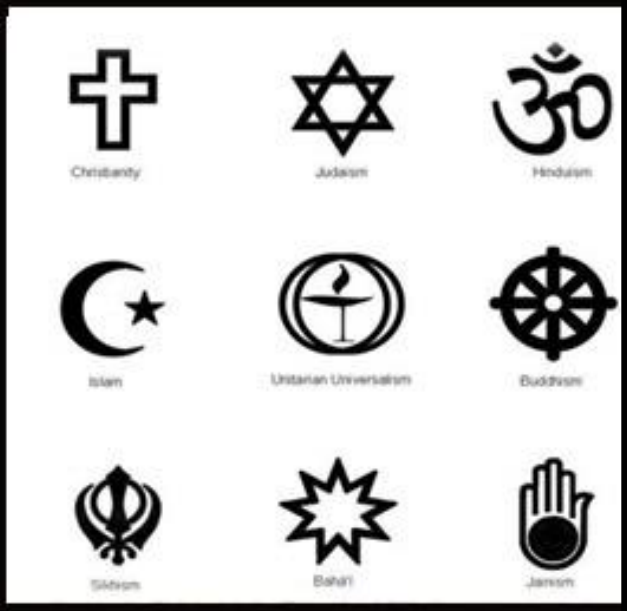

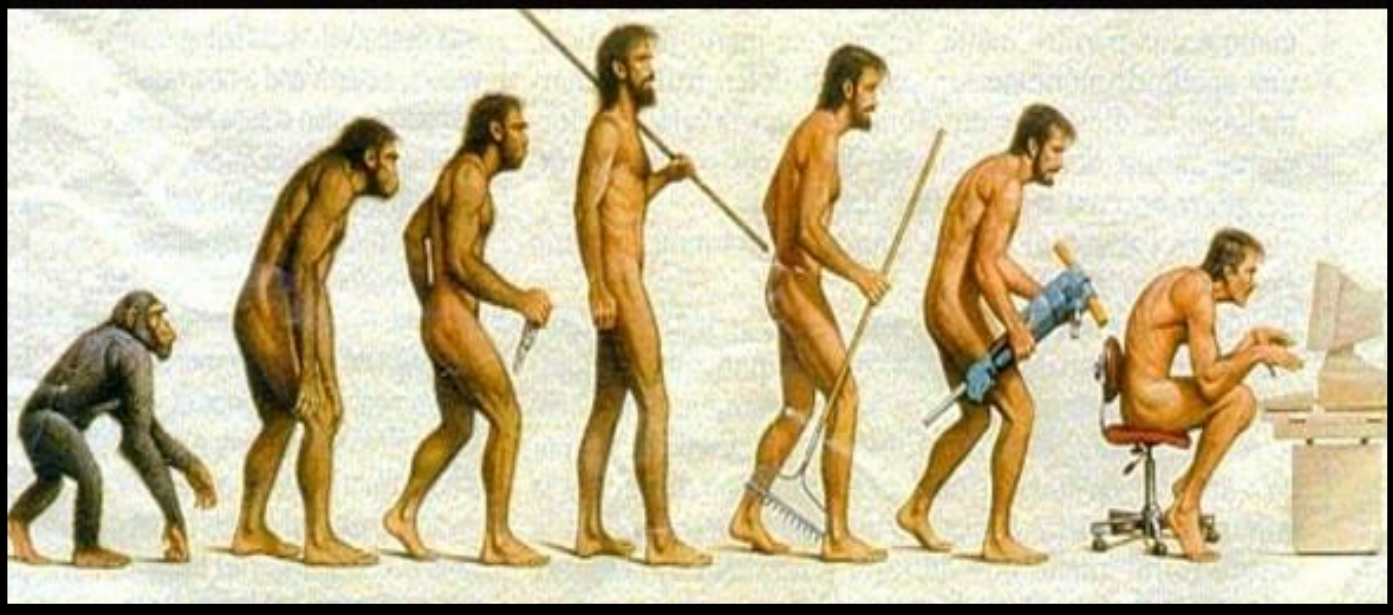

كامل علي

تأملات في ألوجود وألدين

ألفهرس:

1. **ألمقدمة**
2. **ألعدالة ألإلهية**
3. **ألشك وأليقين**
4. **عبادة ألأموات**
5. **النظام الإحيائي**
6. **سحر التماثل**
7. **سحر الطقس**
8. **السحر في القرآن**
9. **ألتصور ألديني**
10. **ألتصور ألعلمي**
11. **ألجينة الفتاكة وملك الموت**
12. **تطور وإنتشار الأديان ونظرية الميمات**
13. **تكهنات بيولوجية لعام 2050 م**
14. **شكوك ألتكوينيين حول نظرية التطور الداروينى**
15. **دين ألإنسان وألألوهية**
16. **ألأرض ألأم**
17. **ألإله ألبعيد**
18. **ألغطس في ألمياه في أساطير ألتكوين**
19. **تانجري (ألإله - ألسماء)**
20. **تجليات كونية... شمس، قمر وأحجار**
21. **ألتجربة ألدينية للحياة**
22. **الملاحدة البدائيون**
23. **مصادر ألدين**

24. المعبودات الدينية

25. طرائق الدين

26. مهمة الدين الخلقية

27. الموت والحياة والخلود

28. ألموت

29. المقدس والمدنس - تقديس المكان

30. لماذا نقد ألأديان ألإبراهيمية؟

31. هل ألأديان عالمية؟

32. بدايات ألأخروية في ألدين أليهودي

33. ألأسينيون في قمران

34. يهودي غامض - يسوع ألناصري

35. قراءة آرامية وسريانية للقرآن

36. بدايات ألإسلام

37. ألرواية ألسريانية للفتوحات ألإسلامية

38. قصّة إيمان أبو بكر ألصدّيق

39. هل كان بعض الصحابة والتابعين لمحمّد يعلمون أنّ القرآن من تأليف محمّد؟

40. حوار صحفي مع ألخالق

41. حوار صحفي مع ألشيطان

42. حوار مع قاريء حول كتاب ثورة ألشك

43. مسنجر بين الجنّة وجهنّم

44. سبارتكوس

45. وظائف الملائكة

46. اسألوا اهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون

47. ألإعجازات ألعلمية ألجديدة للقرآن وألسنة

48. تأملات في آيات ألقرآن

49. لغة ألقرآن

50. بلاغة ألقرآن

51. ألسجع في ألقرآن

52. ألتناقضات في ألقرآن

53. ألأدلة على بشرية ألقرآن

54. مقارنة بين مباديء حقوق الإنسان ومباديء الدين الإسلامي

55. ألتصوف وألنبوة

1

ألمقدمة

" إنّ كل ما في ألكون من جمال لا يستطيع أنْ يكون غفرانا أو إعتذاراً عن أية دمامة يعاني منها أي إنسان، لأنّ ذلك ألجمال لن يستطيع أنْ يجعل دميما واحدا يُشفى من دمامته، أو من شعوره بها، وأنْ يكون عزاءً أو تعويضاً عنها ".... عبدالله ألقصيمي.

يدّعي ألمؤمنون بألأديان ألأبراهيمية (أليهودية وألمسيحية وألإسلام) أنّ هذا الكون الفسيح وما فيه من الكائنات لا يمكن انْ يوجد بهذا النظام الرائع بدون وجود خالق له وأنّ كل ذرّة في هذا الكون العجيب تنطق ولسان حالها تقول هذا من إبداع خالق، ولكنّ التساؤل ألّذي يرد على عقل الانسان هو: إذا كان خالق كرتنا الارضية والكون مُبدِع وقادر على كلِّ شيء، فلِمَ خَلقَ الكوارث الطبيعية كالبراكين والاعاصير والتسونامي والزلازل، ولِمَ خَلَقَ ذوي العاهات؟ ولِمَ يموت الاطفال الرُضّع والصبيان والصبايا بعمر الزهور؟ ولِمَ خلق الله الجراثيم والفيروسات ومرض السرطان؟ هل هناك خطأ في التصميم؟ امْ ماذا؟

المؤمن سيجيبك على هذه التساؤلات بعبارة: (لحكمة يعلمها الله)، او ببعض عبارات التسلّي: (كلّما اشتّدَ مُعاناة المريض قلّت ذنوبه). او (الله يبتلينا ليمتحن ايماننا) ولكن لِمَ يمتحننا إذا كانت كلُّ الامور تجري حسب مشيئته، وإذا كان كلّ شيء مكتوبا مِن البداية في لوح محفوظ؟.

إذا كان ألكون مخلوقا من قبل إله بنظام بديع فلم تنفجر ألنجوم؟ وإذا كان ألكون بنجومه وكواكبه ومجراته مخلوقا من أجل سواد عيون ألإنسان ولا يستطيع ألإنسان الوصول إلى معظمها وإستخدامها لفائدته فلم هذا ألإسراف في ألخلق؟

يقول محمد في قرآنه (لقد خلقنا ألإنسان في أحسن تقويم).... سورة ألتين / 4 ، هل هذا أحسن ما يقدر عليه أللهُ؟

يقول ألمتصوف مالك بن دينار إحتجاجا على أحسن ألتقويم :

" وددت لو أن رزقي حصاة أمصها.... فقد مللت من كثرة ألتردد على ألخلاء " وهذا أحسن نقد للتصميم الذكي، فلو كان الامر بيد المتصوفة لأنشأوا خلقا آخر.

ما ألحكمة من خلق إنسان ذو عاهة، إذا كانت ألحكمة من ذلك ألإبتلاء وألإمتحان فالعذر أقبح من ألذنب.

يقولون بأن هناك غاية من خلق كل ألكائنات ألحية من نبات وحيوان وإنسان، ولا يستطيع ألإنسان أن يمنع نفسه من ألتساؤل، ما ألغاية من خلق ألصرصار؟ بإعتقادي لا يوجد أية فائدة للإنسان من خلق ألصرصار، ولكن ألمسلمون ألّفوا تبريرا حتى لخلق ألصرصار، وإليكم هذا ألتبرير ألطريف:

" يُحكى أنّ درويشا كان يستحم في ألحمام فلاحظ صرصارا أمامه فتقزز من منظره ورفع يده إلى ألسماء مخاطبا ربّه: لم خلقت هذا ألصرصار يا إلهي؟ مرت ألأيام وألشهور وتمرض ألدرويش مرضا مزمنا لم ينفع في علاجه جميع ألأدوية بالرغم من مراجعته لجميع من يعرفه من ألحكماء.

سمع ألدرويش بصيت حكيم في بلدة مجاورة فسافر لطلب ألشفاء منه، وبعد أن فحص ألحكيم ألدرويش قال له:
" لا يوجد علاج لمرضك إلا علاج وحيد وهو أن تلقي بسبعة صراصر في إناء فيه ماء مغلي ثمّ تشربه بعد تبريده ".
طبّق ألدرويش مشورة الحكيم، فشفي بعد عدة أيام من مرضه ألمزمن، فرفع يده إلى ألسماء وقال: أستغفرك يا ربي، ولن أتدخل في شئونك وخلقك مرة أخرى ".
ألمغزى من هذه ألحكاية الطريفة هو أنّ درويشنا كسر القاعدة فنال عقابه،فمحمد ذكر في قرآنه: (يا أيها ألذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم) ..... ألمائدة / 101 .
" لقد صمتت ألآلهة ألمحولة للأشياء، وتخلت عن حكمتها وقوتها ألمذخورة في ألطبيعة، وفي كل شيء. لقد ماتت في عقل ألإنسان ألمتحضر وعلمه، وإن كانت لم تعش يوما واحدا في رغباته، أو في أخلاقه وسلوكه، أو في سلوك أو في رغبات أحد من ألناس، حتى ولا في سلوك أو ضمائر أولئك ألذين كانوا يخشون على كبرياء إيمانهم وعلى أربابهم من ألموت غضبا وغيرة وبكاء لو أنّهم جرؤوا على إتهام ألذباب أو ألفئران بالقذارة أو ألأذى، أو بنقل ألأوبئة ومضايقة ألإنسان، أو بأنّه لا يمكن أن يكون خلقها أبلغ ألقصائد وألصلوات وألفنون في تمجيد ألكون وألإله، والثناء على حكمته ورحمته وعشقه للإنسان.
حتى ولا في سلوك أو ضمائر أولئك ألذين يصدقون بكل حماس أنّ الحشرات هي أفضل وأكبر هدايا مغازلة بين ألإله ألعاشق وبين ألبشر ألمعشوقين ألهاربين من عاشقهم ألعظيم الذي يغازل حبه بإهداء الفئران وألآلام وألأمراض ألمستعصية إليه.

2
ألعدالة ألإلهية

" لو كنت إلها لوجدت في الأعمى الذي يحاول أن يبصر طريقه بعصاه إحتجاجا عليّ أقوى وأقسى من أن تتجمع كل لغات العالم وبلاغاته وأفكاره لتتحول إلى إحتجاج واحد دائم مركز يصوغه كل ما في التاريخ والكون من غضب ضدي " .... عبدألله ألقصيمي.

هل توجد عدالة في الارض؟ سؤال حيّرَ عقل الانسان منذ القِدَم.
حسب ألأديان فإنّ ألله خلق الناس متفاوتين في العقل والثراء والبيئة الاجتماعية الّتي يعيشون فيها، كما أنَّ بعض البشر يُخلقون بعاهات عقليّة او جسديّة، لذا يرِدُ على عقل الانسان تساؤل مُلِحٌّ: أين العدالة في هذا النظام؟
لحل هذه المعضلة تَعِد الشريعة الاسلامية المؤمنين المظلومين في الحياة الدنيا كالفقراء والمصابين بالعاهات البدنية بالتعويض في الآخرة عن الظلم الّذي لحِقَ بهم ، ففي حديث روي عن النبّي محمد أنَّه وصف مشاهداته اثناء الاسراء والمعراج فقال بأنَّ غالبية اهل الجنّة من الفقراء، وقد ذكرَ الشيخ القرضاوي على محطة الجزيرة حديثا نبويا حول البلهاء: (البلهاء غالبية اهل الجنّة)، ومهما يكن صحّة هذه الاحاديث المنسوبة الى النبّي محمّد فإنَّ الشريعة الاسلامية تعد المظلومين بالتعويض في الآخرة.
بعض الشعوب توصَّلت الى حل لهذه المعضلة الفكرية بايجاد فكرة تناسخ الارواح فهم يؤمنون بأنَّ روح الانسان الميّت يعود الى الارض ويدخل في جسم أنسان آخر وتتكرر هذه العملية عدّة مرات.

فكره تناسخ الارواح بدأت فى الشرق الاقصى وخاصة فى العقيدة البوذية والهندوسية التى تؤمن بأن الروح تعود في اشكال اخرى او كمجرد روح بذاتها غير ظاهرة في جسد مرئي واذا حصرنا عدد هذه الفئات التى تضم الملايين من الهندوس والبوذيين فسندرك ان هذه الافكار موجودة فى عالمنا بشكل لا يمكن تجاهله وفكرة التناسخ مضمونها ان الروح بعد وفاة الجسد لا تنتهي وإنما تعود لتعيش في اجساد واماكن وازمنة مختلفة عن تلك التي عاشت فيها من قبل، لذا تشعر الروح فى حياتها الثانية بحنين جارف لمكان لم تره في حياتها من قبل او لاشخاص لم تلتق بهم البتّة.

ألإختلاف هي سنة ألطبيعة، إنّ إختلافنا في بصمات أصابعنا، ووزن أجسامنا، ومقاييس أبعادها وفي قوة الرؤية والسمع، وضعفهما لا يعني أن نتقاتل، أو نتشاتم، أو نتعادى، فكذلك إختلافنا في العقول، والظروف، والتاريخ، والإستجابات الذاتية الذي يعني أننا لا بد أن نختلف في تحديد صفات أوثاننا، وفي أساليب صلواتنا وفي إختيارنا لحماقاتنا ألسماوية والمذهبية – لا يعني أو لا ينبغي أن يعني أن نتقاتل أو نتباغض، أو نتعادى.

توجد قصة مثيرة، وقد تكون غريبة جداً في تقدير كثير من الناس، وقد تُروى للتدليل على قيمة الإختلاف، وعلى ما له من معنى في منطق ألإله وسلوكه، أو في سلوك الطبيعة ومنطقها، أو في تفسير المفسرين للإله والطبيعة.
روى الراوون أو تخيل القصاصون أنّ أبا لهب – ذلك الشريف القرشي الذي رفض الإيمان بالنبي فهجاه القرآن هو وزوجته في سورة ألمسد المشهورة " تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وإمرأته حمالة ألحطب * في جيدها حبل من مسد * " – أستطاع بعد أن مات باسلوب من الأساليب التسلل أن يلقى الله وأن يدخل معه أو ضده في حوار، فيه كل الإثارة والغرابة والقوة والجسارة في مكان تموت فيه كل الجسارات وتصمت كل الكلمات ويهون فيه كل العقل والشموخ.
وقد جرى الحوار بينهما خاطفا عاصفا منتصرا منهزما، كمعركة كونية رهيبة تقع بين الشمس والأرض.
قال أبو لهب:
يا ألهي لماذا اخترت محمداً نبياً ولم تخترني أنا نبيا، ولست أفهم، أنّ في هذا نقضا لحكمتك، أو إستعلاء على قدرتك؟ فرد الله قائلا:
لقد اخترت محمداً لأنّ فيه مزايا ليست فيك، قال أبو لهب:
لقد أجبت بما كنت أرجو وأتوقع أن تجيب به، إذن لقد وقعت أيها الإله العظيم في المأزق الذي أردته لك أو أردته أنت لنفسك. فمن الذي أعطى محمداً تلك المزايا التي جعلتَ منها أيها الكائن العادل سببا لإختياره؟ أليس الذي اعطاه إياها هو أنت يا إلهي الكبير؟
إذن لقد أعطيت محمدا مزية، ثم جزيته عليها بالنبوة، ثم جزيته على النبوة بأن فضلته على العالمين، أما أنا فقد حرمتني من تلك المزية ثم عاقبتني على حرمانك لي بحرمان آخر، أي بأن منعت عني النبوة، وجعلتني كافرا، ثم جعلتني من أهل ألنار.
إنّ إختيار محمد لهذه المحاباة المبتدئة ظلم بقدر ما إختياري لهذا الظلم المبتديء ظلم.
تقول القصة:
وهنا ازداد صوت أبي لهب وحماسه ارتفاعا وفحيحا وحشرجة صاعقة، بينما غمرت الإله الإبتسامات التي فيها كل تعبيرات الشعور بالإقتناع والتواضع والإستحسان والحرج الباحث عن اي اسلوب من أساليب الإستغفار والتراجع الزاخر بالحياء الطيب النبيل.
وقد قال بعد الإفاقة من الصدمة الهائلة بلغة فيها من النبل ما جعل الشموس ترتجف رهبة وحبا وحياء، وفي بعض الروايات أنّ الدموع هنا قد تسللت من قلبه إلى عينيه إلى خديه حتى لقد شعر أبو لهب بالرثاء والإشفاق على خصمه، وبأنّه قد قسا عليه كثيراً:
اسمع يابني، اسمع يا أبا لهب:

لقد صنعتك وصنعت محمدا وصنعت مبتدئا فضائلكما ورذائلكما بلا اي سبب منكما أو فيكما، وقد صنعتكما مختلفين لأنّ الإختلاف غرض من أغراضي وتدبير من تدابيري وضرورة من ضروراتي، فالإختلاف بينكما ليس عقوبة لأحدكما، وتفضيلا للآخر.
لقد خلقت الجنة والنار والحقول المثمرة والصحارى والنهر والبركان والاسد والفأرة، فهل أثيب هذا لأنّي خلقته أفضل وأعاقب ذاك لأنّي خلقته أسوأ أو أقل؟ بل العدل والمنطق أن أفعل العكس، فالذي خلقته أقل مزايا يستحق عطفي وجزائي أكثر من الذي خلقته أفضل أو اقوى أو أعظم مزايا لأنّي قد ضحيت به وقبل التضحية بفدائية صابرة.
فأنت إذن يا أبا لهب جدير بأن تنال من الثواب والإعجاب لدي أكثر مما يجب أن ينال محمد، لأنّ حكمتي قد ضحت بك واختارت أن تجعل منك فدائيا يتعذب لكي يكون عذابه متمما لمنطقي في هذا الكون.
أي ابا لهب، أيها الصديق:
إنّي لن أعذب أحدا لأنّي جعلته مختلفا عن الآخرين أو مخالفا لهم. كما انّي لن اعذبك لأنّي لم اهبك المزايا التي حابيت به محمداً، بل لن أسوي بينكما في المكان عندي، بل سيكون مكانك أعلى وأجمل لأنّك قد تعذبت وظُلِمت في سبيلي، في سبيل تحقيقي لذاتي، فمن العدل أن تنال التعويض.
أما محمد فلم يتعذب عذابك في سبيلي، بل لقد نال المجد والتفضيل بلا سبب منه أو فيه، بل بإرادتي التي لا سبب لها غير إرادتي.
وهنا ضجت الملائكة قائلين: كلا، كلا أيها الرب الطيب، إنّ هذا سيغري بالفساد ويجعل الناس يرفضون الإيمان والإستقامة، إذ لا شيء حينئذٍ يخافونه أو يرجونه بالإستقامة والإيمان.
فرد الله عليهم قائلا – وكأنّه يفشي سره لأول مرة في التاريخ:
أي ملائكتي ومستشاري عرشي الطيبين، وهل الناس يؤمنون أو يفعلون الفضيلة خوفا من العذاب أو بحثا عن الثواب – أو هل يكفرون أو يفسقون رفضا للثواب أو جهلا أو إنكارا للإيمان به؟ إنّ الناس يفعلون هذا أو هذا بحثا عن التلاؤم مع أنفسهم ومع ظروفهم، وخضوعا لظروفهم.
إنّ الإيمان بالعقاب والثواب لن يصنع الناس، وإنّ إنكار الثواب والعقاب لن يهدم الناس، إنّ الناس يفعلون الشيء أو نقيضه كما يحبون ويبغضون، إنّ تصرفاتهم ضرورات أو إستجابات ذاتية.
من المحتوم أن يمل الله الإمتداح المنافق الدائم، وأن يسعد بالحوار ضده، ولعل الذين يمارسون هذا الحوار هم أقرب إلى قلبه من جميع الراكعين بأعضائهم وأفكارهم تحت قدميه.
ليست جميع الاشياء إلا حواراً مستمراً ضد السلوك الآلهي، فكل العبث والآلام والمظالم والأخطاء والتفاهات التي يعيشها كل شيء حوار مستمر ضد هذا السلوك ولكن بلغة أخرى غير لغات الإنسان.
إنّ المريض والبليد والتافه والظالم والمظلوم هم أكثر حواراً ضد منطق الإله وأخلاقه من جميع الزنادقة، بل أكثر حواراً ومعارضة للإله من إبليس الذي رفض السجود حينما أمره الله به!

3
ألشك وأليقين

" إنّ أليقين بحث عن الخضوع لا عن الفضيلة أو الحقيقة، لقد كان اليقين دائما بحثا عن القيد لا عن الرب الطيب "....عبدالله القصيمي ".

عشر سنوات من مرحلة الشباب مرت وأنا مؤمن بالدين الإسلامي إيمانا يقينيا راسخا، أديت خلالها ألصلوات في أوقاتها وصُمتُ شهر رمضان كل سنة وآمنت بأنّ ألإسلام دين ودولة وأنّ ألحاكمية لله، ولكني لم استطع أن أمنع نفسي عن ألشك في بعض عقائد وتشريعات ألدين وبدأت أتساءل وألسؤال كان يتبعه سؤال آخر، فزادت شكوكي وفي ألنهاية أدت إلى إنقلاب فكري وتزعزعَ إيماني، فبدأت أصارح بعض ألأصدقاء ألموثوقين بشكوكي، ثم قررت أن أكتب كل ما يجول في عقلي من ألشكوك.

نشرت أول كتاب لي في ألمواقع ألألكترونية بعنوان " ثورة ألشك " تناولت في هذا ألكتاب معظم ألشكوك التي راودت عقلي في تلك ألمرحلة حول ألأديان وبألاخص ألدين ألإسلامي .

في مؤلفه ألرائع " هذا الكون ما ضميره؟ " يقول عبدالله القصيمي:

"إنّ كائنا ما غير الإنسان لا يمكن أن يشك، وإنّه لشيء مثير أن يوجد شاك أو شكاك في المجتمعات المتخلفة أو المغلقة، إنّ جميع ما لدى أمثال هذه المجتمعات من عقائد وآلهة وقبور ونقائص وتفاهات وآلام يتحول إلى نوع من الأزياء العقلية والتاريخية والأخلاقية التي يخضعون لها جميعا كما تخضع الطبيعة لقوانينها، ويتتابعون عليها، كما تتباع قطع الحجارة المقذوف بها إلى أعماق بئر.

في حديث مشهور للنبي محمد أنّه قال: (نحن أولى بألشك من إبراهيم).

ألنبي إبراهيم وحسب ما جاء في ألقرآن شكّ في قدرة ألله على إحياء ألموتى وطلب من ألله أليقين. تناولت هذه ألأسطورة في كتابي (ثورة ألشك)، تقول ألأسطورة:

كان نمرود وشعبه يعبدون آلهة عديدة وكان لكل إله تمثال، وتذكر القصّة الدينية بانّ ابراهيم لَمْ يَعقِلْ بانْ يكون ربّه هذه التماثيل وبدأ عقله بالبحث عن الإله الحقيقي وأول ما فكّرَ به هو أنَّ الإله هو نجوم السماء ثمّ أستبعد هذه الفكرة لإفول النجوم في النهار ثمّ فكّرَ بانَّ الشمس هو الإله لإنّه اكبر من النجوم ونلاحظ هنا بان بعض النجوم في كوننا الشاسع هي اكبر من شمسنا ولكن علم الفلك لم يكن متقدما في عصر ابراهيم لكي يدرك هذه الحقيقة بالرغم من كونه نبيّا.

بعد ان شاهد ابراهيم مغيب الشمس أستبعد هذه الفكرة ايضا لإن الله لايمكن أن يغيب عند قدوم الليل.

بعد هذا البحث الدؤوب عن الإله ونتيجة للتفكير العميق توصّلَ إلى نتيجة مفادها أنَّ الله هو خالق كلَّ شيء ويجب أن يكون أحدا ويستحق من البشر أن يكون المعبود الوحيد. بعد إستقرار هذا الإعتقاد في مخيّلة ابراهيم خاطب الرب وطلب منه الهداية واليقين. بعد التكلّم مع الرب لم تمحى جميع الشكوك من عقله وخاصة موضوع إحياء الموتى في يوم القيامة من قبل الرب، فطلب من الرب دليلا على قدرته (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال اوَ لَمْ تُؤمِنْ قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا وأعلم أنّ ألله عزيز حكيم)..... سورة البقرة... الاية 260.

طلب الرب من إبراهيم أن يُقطِّع عددا من الطيور إلى اشلاء وينشرها على قمم عدة جبال ففعل، ثمّ أعاد الرب الطيور إلى حالتهم السابقة وأمرهم أن يطيروا إلى مكان وجود ابراهيم.

إنّ طلب إبراهيم نوع من التحدي للإله، أو أسلوب من أساليب مطالبة ألإله بأن يدلل على نفسه. ولم ينكر الإله هذا التحدي أو هذه المطالبة بالتدليل على النفس، بل وجد أنّ هذا شيء مشروع، وذهب يجاوب على التحدي إن كان الموقف تحديا، وعلى المطالبة بالدليل إن كان الموقف موقف مطالبة بالدليل. ولم يقل الله لإبراهيم " أخسأ أيها الزنديق أو أيها المرتاب، إنّ عليك أن تؤمن وتقتنع فقط وإلا قذفت بك إلى أعماق الجحيم."

إذن فالذي لا يطمئن قلبه بالإيمان مثل إبراهيم ويذهب يطالب بما يعطي الإطمئنان مثل فعل إبراهيم لا يكون رديئا أو مخطئا في حكم القرآن. وإذا لم يجد من يصنع له برهان اليقين مثلما صنع الإله لإبراهيم فظل غير مقتنع ولا مطمئن القلب لم يصح الإنكار عليه ولا إتهامه بالضلال والخطأ.

إنّ الشك – على نحو آخر – نوع من الجبرية الفكرية، فهو يهاجم صاحبه ولا يستشيره، يهاجمه مهما حاول إبعاده والهرب منه والإستعانة بكل الآلهة والقديسين والتعاويذ الدينية والروحية للنجاة منه.

كنت عندما يهاجمني الشك أستعين وألوذ بالمعوذتين (سورتي ألفلق والناس) ، ولكن هيهات. إنّ الناس يصابون بالشك إصابة، ولا يجيء إليهم بالدعوة أو الرغبة أو الحب أو بقانون الصداقة.

إنّ الشك أحيانا عِلمٌ بما قد كان وتفوق عليه، فالشاك في هذه الحالة يعلم ما يعلمه الموقنون ويزيد عليهم أنّه يعلم أشياء أخرى جعلته يشك فيما يعلم، والموقنون لا يشكون لأنّهم لا يعلمون هذه الأشياء الأخرى.
إذن فالكثير من الشكوك هي أقوى من اليقين.
إنّ من اقوى القيود على التقدم الإنساني هي المعارف المنتهية، ولأنّ المعارف اللاهوتية معارف منتهية كانت دوما نوعا من القيود القوية على التطور والنمو، وكانت دائما إستهلاكا في حساب البشر وفي حياتهم ولم تكن في وقت من الاوقات إعطاء أو إنتاجا للحياة.
قد يُقال هنا:
أنّه لابد من اليقين إذا لم يكن بد من العمل والبحث عن الإنتصار، إذ إننا لن نعمل أو نعمل أعمالا قوية أو لن نكون أقوياء في عملنا ما لم نصدر عن يقين. وهذا اشتراط قد يبدو قويا ومفهوما جدا، ولكنه مع ذلك ليس إلا وهما.
إنّ الناس لا يعملون لأنّهم يعلمون بل لأنّهم يريدون، ولا يريدون لأنّهم يعلمون بل لأنّهم يحتاجون ويحيون. ليس الذي يدفع الناس إلى الأمر تيقنهم له، بل رغبتهم فيهأ أو إضطرارهم أو ظروفهم المختلفة أو كونهم أحياء، كالحيوانات والحشرات التي تندفع إلى الاشياء دون أن تعلم أو تستيقن شيئا.
إنّ الذي يقع في ظروف تدفعه إلى أن يعمل وإن لم يعرف أو يستيقن شيئا عن النتيجة أو عن قيمة ما يعمل، بل إنّ كل الناس يعملون ضد يقينهم.
لقد جاء في إحتجاج ألإنسان ضد الآلهة والكون والناس ونفسه هذه الكلمات:
"العالِم يشك، والجاهل يستيقن، والعاقل يتروى."
كلمات كأنّها التسفيه الدائم العنيف للآلهة والطغاة والمذاهب والمعلمين المتعاقبين على التاريخ ألذين يسحقون الشك ويُعلِمون اليقين."
العِلم شك، والجهل يقين، والعقل تدبير. إذن أكثر الناس يقينا هم الجهال، وأكثرهم شكا هم العلماء، واكثرهم ترويا هم العقلاء. وليس العاقل هو ألعالِم ولكن كلاهما يشك، وكلاهما لا يستيقن في تعامله مع الآلهة والطبيعة والناس والمذاهب والعقائد.
إنّ الشك بحث عن أسباب التسامح والحب والإعتذار عن الآخرين.
إنّه بحث عن أسباب ألعدل.
إنّه بحث عن الأسباب المسقطة أو المضعفة للتعصب والبغضاء.

4
عبادة ألأموات

" يجيئون لهدم الوثنية فيصبحون أقوى ألأوثان " .... عبدالله القصيمي.

عبادة الأسلاف طريقة ظهرت عند الشعوب البدائية القديمة، تقوم على تبجيل واحترام أفراد العائلة لأسلافهم الموتى. ويعتقد الكثير من الشعوب البدائية والقديمة أن أرواح الموتى يمكن أن تتوسل إلى الآلهة لمباركة أقربائهم الأحياء. لقد عبد اليونان القدماء والرومان أسلافهم، وكانت عبادة الأسلاف أمرًا شائعًا في الصين قبل أن يتسلَّم الشيوعيون زمام الأمور. ولا تزال هذه العبادة شائعة في الهند، واليابان، وأجزاء من إفريقيا.
في الصين نصبت العائلات أعمدة منحوتة صغيرة تُسمَّى ألواح الأسلاف. وتركع العائلة أمام اللوح وتحرق بعض الأوراق أو البخور.

إنّ التحرر من الأمس ومن المقابر مشكلة راسخة في حياة أغلب البشر، والبشر لا يقدرون أو يريدون أن يصنعوا غدهم بكل إحتمالاته وإحتمالاتهم إلا بمقدار ما يستطيعون أن يتحرروا من سلطان أمسهم وتعاليم موتاهم.
كل المجتمعات تناضل للإنتصار على أعدائها وتحرير بلادها وحياتها من كل غاز ومهدِد ومعوِق ولكنها لا تناضل ولا تريد أن تناضل بنفس هذا المستوى والشمول للإنتصار على تعاليم الموتى وعلى حكمهم لعقولها ونظمها وخطاها.
معظم ألمسلمين يقدسون محمد وبعض الصحابة كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب أكثر من تقديسهم لله والعراقي عندما يغضب يسب ألله بلا وجل ولكنه يتجنب مسبة محمد أو علي أو عمر، وعندما يحلف معظم منتسبوا المذهب الشيعي فإنّهم لا يحلفون بالله بل بالعباس أبو رأس الحار (عباس بن علي بن أبي طالب أخا ألحسين) لأنّهم يعتقدون بأنّه سيؤذي ألحالف كذبا (عباس يشوّر عبارة شائعة بين العراقيين بمعنى ينتقم أو يؤذي، ويعتقد العراقيون أنّ اليمين الكاذب "بالعباس" لم يتأخر اثره ولم يتباطئ رده على الكاذب فأثره يكون معجلا وسريعا، ومن هنا سمي "بالحار" وهي لفظة يستعملها اهل العرف العراقي للسرعة في الطلب والانجاز).
وأبرز مثال على تقديس ألمسلمين لمحمد ما حدث من غليان وهمجية بعد نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لمحمد.
حول تقديس الصحابة وتأثيرهم في نشوب النزاعات المذهبية ،يذكر الدكتور علي ألوردي في كتابه مهزلة ألعقل ألبشري هذه ألخاطرة:
"كنت في امريكا ونشب نزاع عنيف بين المسلمين عن علي وعمر وكانت الأعصاب متوترة والضغائن منبوشة فسألني الأمريكي عن علي وعمر، هل يتنافسان الآن على الرئاسة عندكم كما تنافس ترومين وديوي عندنا؟ فقلت: إنهم كانوا في الحجاز قبل 1300سنة والنزاع الحالي حول أيهم أحق بالخلافة، فضحك الأمريكي من هذا الجواب حتى كاد أن يستلقي على قفاه، وضحكت معه ضحكاً فيه معنى البكاء، وشر البلية ما يضحك. "
إنّ التحرر من شيء يهب الحافز والقدرة معا على التحرر الكامل إن كان يوجد تحرر كامل، أما من ألقوا بحرياتهم وكرامتهم في التراب، بين رفات الموتى بحثا عن تعاليمهم، متعبدين لها ولهم، فما أهون عليهم أن يفقدوا كل حرياتهم وكرامتهم دون أن ينتحروا أو يبكوا أو يحزنوا أو يشعروا أنّهم قد فقدوا شيئا يجب ألا يفقدوه.
فالعبودية خليط من العادة والعجز والتقليد والضرورة.
إنَّ ألعبودية ترسخت في لاوعي ألبشرية منذ طفولة ألعقل ألبشري، فإذا تمعنّا في ألعلاقة بين ألإنسان وألله في معظم ألأديان نراه كعلاقة ألسيّد بألعبد ففي سورة ألذاريات ألآيات 55 و 56 و57 نقرأ ((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ* وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ*)) ولكن هل يحتاج ألله إلى عبادتنا أو عبوديتنا له؟ ألجواب طبعا لا، فحسب المنطق فإنَّ الله لو كان محتاجا الى شيء حتّى لو كان هذا ألشيء عبوديتنا له فسيفقد خاصيّة الغنى (الله غني عن العالمين.....حسب القرآن) .
إنَّ ألعبودية ألّتي ترسّخت في لاشعورنا بسبب ألأديان جعلت منّا خرافا في قطيع يسوقه ألحاكم وبألأخص ألحاكم ألديكتاتوري أينما يشاء وكيفما يشاء (أطيعوا ألله والرسول وأُولي ألأمر منكم)....ألآية ألقرآنية .
فالشعب ألعراقي ساقه صدّام حسين وقيادة حزب ألبعث لفترة خمس وثلاثون عاما إلى حتفه بمغامراته ألطائشة.
وأليوم ومنذ ثلاثة عشر من السنين يسوق ألمحتلّون ألأمريكان وصنائعهم من قادة ألأحزاب ألطائفية ألشيعية وألسنية وألأحزاب ألقومية ألعنصرية هذا ألشعب ألمُبتلى ألى ألهاوية ويسرقون خيراته في وضح النهار والفساد أستشرى في ألبلد حتّى أصبحنا في رأس قائمة الدول الفاسدة في ألعالم.
ألتساؤل ألّذي يلحّ على عقل ألإنسان لِمَ لا يثور ألشعب ألعراقي على مستعبديهم؟ ولِمَ يتحمّلون هذه ألنوائب وألفساد وسرقة ثرواتهم أمام أعينهم؟
حسب أعتقادي ألسبب ألرئيسي هو فقدان ألشعب للروحية وألعزم ألّذي كان يتحلّى به ألعبد سبارتكوس وزملائه عندما ثاروا على ديكتاتورية ألأمبراطورية ألرومانية، وبسبب ترسُّخ ألعبودية في لاشعور ألإنسان ألمَتدَيِّن منذ أبتكار ألأديان مِن قبل ألسياسيين وألأنبياء ألسياسيين.

5
النظام الإحيائي

" بالإرتكاز على تعاقب التصورات الثلاثة للعالم ((التصور الإحيائي (الميتولوجي)، والتصور الديني، و ألتصور العلمي)) يُقال أنّ الإحيائية نفسها، بدون أن تكون بعدُ ديناً، تشتمل على الشروط المسبقة لكل الديانات التي سترى النور لاحقا ".... جيمس جورج فريزر.

البشرية عرفت في مسار الزمن، ثلاثة أنظمة عقلية على التوالي، ثلاث تصورات كبرى للعالم:
التصور الإحيائي (الميتولوجي)، والتصور الديني، و ألتصور العلمي. وربما كانت الإحيائية بين جميع هذه الأنظمة أكثرها منطقية وشمولا، النظام الذي يفسر ماهية العالم، بدون أن يترك شيئا قيد الخفاء. والحال أنّ هذا التصور الاول للعالم من قبل البشرية هو بمثابة نظرية سيكولوجية. ولكننا نجاوز هدفنا لو أردنا أن نبين ما بقي قائما من هذه النظرية في حياتنا المعاصرة، سواء أفي شكل منحط هو شكل التطيّر والإيمان بالمعتقدات الباطلة، أم كمضمون حي للغتنا ومعتقداتنا وفلسفتنا.
إنّ الإحيائية نظام عقلي: فهي لا تفسر هذه الظاهرة الجزئية أو تلك فحسب، بل تُفسح المجال أيضا لتصور العالم على أنّه كل واحد وسيع، بدءا من نقطة بعينها.
بالإرتكاز على تعاقب التصورات الثلاثة للعالم يُقال أنّ الإحيائية نفسها، بدون أن تكون بعدُ ديناً، تشتمل على الشروط المسبقة لكل الديانات التي سترى النور لاحقا. ومن الواضح كذلك أنّ الأسطورة تستند إلى عناصر إحيائية، لكن تفاصيل العلاقات القائمة بين الأسطورة والإحيائية لم تُوضح بعد في نقاطها الأساسية.
إنّ الإحيائية، بالمعنى الضيق للكلمة، نظرية التصورات المتصلة بالنفس، وبالمعنى الواسع لهذه أللفظة فهي " نظرية الكائنات الروحية بصفة عامة ". وهناك أيضا ضرب آخر من الإحيائية يُمكن تمييزه بأنّه مذهب حيوية الطبيعة التي نرى نحن أنّها هامدة لا حياة فيها، وبه يرتبط الإعتقاد بروحية الحيوان وبقوة المانا (قوى الطبيعة مجسدة).
إنّ ما أستدعى إبتداع جميع هذه المصطلحات المعرّفة المستفادة بالكيفية الغريبة للغاية التي كانت الشعوب البدائية المعروفة، البائدة أو التي لا تزال موجودة، تتصور بها الطبيعة والعالم. فالعالم يُعمره بحسب هذا التصور عدد غفير من الكائنات الروحية، المضمرة لنية النفع أو الأذى حيال البشر الذين يعزون إلى هذه الأرواح وهؤلاء الجنيين علة كل ما يحدث في الطبيعة ويعتقدون أنّ هذه الكائنات لا تبعث الحياة في الحيوانات والنباتات فحسب، بل كذلك حتى في الاشياء الجامدة الهامدة في الظاهر.
وثمة عنصر ثالث، وربما كان الأهم في " فلسفة الطبيعة " هذه، ولكنه لا يسترعي إنتباهنا كثيرا لأنّه مألوف عندنا، على الرغم من أننا نكاد لا نسلم بوجود الأرواح وعلى الرغم من أننا نفسر اليوم السيرورات الطبيعية بعمل قوي فيزيقية غير شخصية. فالبدائيون يؤمنون ب " إحياء " من النوع نفسه للكائنات البشرية.
وفي تصورهم أنّ الأشخاص البشريين يحتوون على نفوس تستطيع أن تغادر مقامها لتحل في أشخاص آخرين، وهذه النفوس هي مصادر الأنشطة الروحية، وهي مستقلة إلى حد ما عن " الأجسام ". وفي الأزمنة الأولى كان الناس يتصورون النفوس مشابهة غاية الشبه للأفراد ولم يُقيض لها إلا بعد تطور طويل الأمد أن تتجرد من كل عنصر مادي لتكتسب درجة رفيعة جدا من " الروحنة."
يميل أكثر الباحثين الى الأفتراض بأنّ تلك التصورات المتصلة بالنفوس تؤلف النواة البدائية للنظام الإحيائي، وبأنّ الأرواح لا تناظر سوى النفوس التي صارت مستقلة، وبأنّ نفوس الحيوانات والنباتات والأشياء تُتصور على أنّها مشابهة للنفوس البشرية.

كيف أمكن لهذه التصورات الثنوية المسرفة التي على أساسها يقوم النظام الإحيائي أن تتشكل لدى البدائيين ؟ من المفترض أنّ ذلك تم على أساس الملاحظات المستخلصة من مراقبة ظاهرات النوم (والحلم) والموت المشابه له غاية الشبه، وكذلك في أعقاب الجهود المبذولة لتفسير هذه الظاهرات المألوفة غاية الألفة لدى الفرد.
ولابد أنّ مشكلة الموت هي التي قدمت بصورة رئيسية نقطة الإنطلاق لتلك النظرية. ففي نظر البدائي كان دوام الحياة، أو الخلود شيئا طبيعيا تماما. ولم يتكون تصور الموت إلا في زمن آجل، ولم يقبل به البشر إلا بتردد، أما الدور الذي أمكن أن تلعبه في إنشاء النظريات الإحيائية مشاهدات وتجارب أخرى، ومنها على سبيل المثال تلك التي تتصل بالصور التي تظهر في الأحلام، وبالظلال، وبالصور المنعكسة على المرايا، الخ، فقد دارت حوله مناقشات كثيرة لم تثمر حتى الآن عن نتيجة إيجابية.
وأما أن يكون البدائي أستجاب لتأثير الظاهرات التي فرضت نفسها على تفكيره بتكوين تصوراته تلك عن النفوس، فهذه واقعة وجدها الباحثون طبيعية تماما وأبعد ما تكون عن الألغاز. وقد قال فلهلم فونت في مؤلفه (ألأسطورة والدين) بهذا الخصوص أنّ التصورات واحدة عن النفوس تُلتقى لدى الشعوب الأكثر إختلافا وفي العصور الأكثر تنوعا، وإنّ هذه التصورات " هي الحصيلة السيكولوجية المحتومة للوعي المبدع للأساطير وإنّ الإحيائية البدائية ينبغي أن تُعد تعبيرا روحيا عن الحالة الطبيعية للبشرية، بقدر ما يمكن لهذه الحالة أن تقع تحت ملاحظتنا."
وكان هيوم قد كتب في مؤلفه (التاريخ الطبيعي للدين) يقول في تبريره إحياء ما لا حياة فيه: " يُوجد في البشرية ميل عام إلى تصور سائر الكائنات الأخرى على أنّها مشابهة للإنسان وعلى عزو جميع الصفات المألوفة لدى الإنسان والتي هو على وعي باطن بها إلى الاشياء."
إنّه من الخطأ الإعتقاد بأنّ البشر ما دفعهم إلى إبتداع أنظمتهم الكونية الاولى سوى الفضول النظري وحده والظمأ إلى المعرفة وحده. فالحاجة العملية إلى إخضاع العالم لابد أن تكون لعبت دورا في هذه الجهود. لذا لن يُدهشنا أن نعلم أنّ للنظام الإحيائي لازمة لا تنفصل عنه، وتتمثل على وجه التعيين في نظام من الإرشادات المتعلقة بالكيفية التي ينبغي أن يتصرف بها الإنسان كيما يسيطر على البشر والحيوانات والاشياء.
يرى س . رايناخ في مؤلفه (العبادات والاساطير والديانات) أنّ نظام الإرشادات هذا هو نظام القواعد السلوكية المعروف بأسم " السحر والرقية " وهو بمثابة الإستراتجية للإحيائية.
هل نستطيع أن نقيم تمييزا مبدئيا بين الرقية والسحر ؟ أجل، فالرقية تتبدى عندئذ على أنّها في جوهرها فن التأثير على الأرواح، عن طريق معاملتها كما يُعامل الناس في شروط مماثلة، أي بتسكين روعها ومصالحتها وإنتزاع عطفها وترهيبها وتجريدها من قوتها وإخضاعها لإرادة الراقي، وكل ذلك بالوسائل التي ثبت نجعها وفعاليتها في العلاقات مع البشر الأحياء.
لكن السحر شيء مختلف : فهو يضرب صفحا، في الحقيقة عن الأرواح ويعتمد، لا الطريقة السيكولوجية المعتادة بل طرائق خاصة. ومن السهل أن ندرك أنّ السحر يؤلف الجزء الأكثر بدائية وأهمية من التقنية الإحيائية، لأنّه يُدخل في عداد الوسائل المستخدمة للتأثير على الأرواح طرائق سحرية أيضا، فإخافة الروح بالضوضاء والصراخ وسيلة من وسائل الرقية الخالصة، لكن ممارسة الضغط عليه، بالإستحواذ على إسمه تعني إستخدام طريقة سحرية في مواجهته.
ويجد السحر تطبيقه ايضا في الحالات التي لا تكون فيها روحنة الطبيعة قد أُنجزت.
المفروض بالسحر أن يفيد في غايات بالغة التنوع : إخضاع ظاهرات الطبيعة لمشيئة الإنسان، حماية الفرد من الاعداء وألأخطار، وتزويده بالقدرة على إلحاق الأذى بأعدائه. لكن المبدأ الذي يستند إليه الفعل السحري، أو بالاحرى مبدأ السحر من الممكن صوغه صياغة واضحة ودقيقة بالإعتماد على تعريف إ . ب . تايلور وهي:
"أخذ علاقة وهمية بطريق الخطأ محل علاقة فعلية."
إنّ واحدة من أكثر الطرق السحرية إستخداما لإنزال الأذى بعدو من الأعداء صنع صورته أو تمثاله من مواد شتى. ومن الممكن ايضا " تقرير " أنّ هذا الشيء أو ذاك سيمثل صورته. وكل الأذى ألذي ينزل بهذه الصورة يصيب أيضا النموذج المبغوض، ويكفي أن يُتلف جزء ما من الصورة حتى يمرض الجزء المقابل لها في جسم النموذج. وبدلا من إستخدام هذه

التقنية السحرية في تلبية مآرب العداوة الخاصة، يُمكن أن توضع في خدمة الورع والتقوى لحماية الآلهة من ألجن والعفاريت الشريريين وكمثال على ذلك نذكر واحدة من أساطير الحضارة المصرية القديمة:

"في كل ليلة، وحينما يؤوب إله الشمس رع إلى مقامه في الغرب المضطرم، يتحتم عليه أن يخوض صراعا مسعورا ضد جيش من العفاريت الذين ينقضون عليه بقيادة آبيبي، عدوه اللدود. كان يصارعهم طيلة الليل، وكثيرا ما تكون قوى الظلام على قدر كافٍ من القوة لتطلق، حتى في أثناء النهار، سحبا داكنة يدلهم لها أديم السماء الأزرق، فتشل رع عن إرسال نوره.

ولمؤازرة الإله كان يُقام الطقس الإحتفالي التالي في معبده في طيبة في كل مطلع شمس: يصنعون من الشمع صورة لعدوه آبيبي، ألذي يُعطونه شكل تمساح قبيح أو شكل ثعبان ذي عقد كثيرة التعداد، ويكتبون بالحبر أسم العفريت فوق الصورة. ثم تُوضع هذه الصورة بعد إحاطتها بشعر أسود في غمد من البردي يُنقش فوقه الأسم نفسه، ثم يبصق الكاهن فوق الغمد ويشطبه بسكين من الصوان ويرمي به أرضا، ثم يدوس عليه بقدمه اليسرى، ويختتم الإحتفال بإحراق الصورة على نار تُقات بالنباتات.

فإذا ما هلك آبيبي، هلك في إثره العفاريت قاطبة. وإحتفال القداس هذا، ألذي تُلقى فيه بعض الخطب، كان يُقام لا صباحا وظهرا ومساء فحسب، بل كان من الممكن أيضا أن يُكرر في أية ساعة من ساعات اليوم حينما تعصف العاصفة أو حينما يهطل المطر مدرارا أوحينما تحجب وجه السماء سحب سود. كما لو أنّ هذا القصاص أُنزل بهم مباشرة، فكانوا يولون الادبار، ويُعقد إزار النصر من جديد لإله ألشمس."

إنّ حظر التوراة والحظر الوارد في أحاديث نبي الإسلام محمد بن عبدألله رسم صورة أي كائن حي، لم يُمله تحيز مبدئي ضد الفنون التشكيلية، وأنّما كان هدفه الوحيد صرف الناس عن السحر والشرك ألذي كانت الديانتان العبرية والإسلامية تشجبانهما شجبا شديدا.

الأحاديث النبوية حول تحريم التصوير في الإسلام:

النص الأول: روى البخاري ومسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله."

النص الثاني: روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: "إن اصحاب هذه الصور يُعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيو ما خلقتم."

النص الثالث: روى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي زُرعة قال: "دخلتُ مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم، فرأى فيها تصاوير وهي تُبنى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزّ وجلّ: "ومن أظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرّة، أو فليخلقوا حبة، أو فليخلقوا شعيرة."

النص الرابع: روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إني أصوّر هذه الصور فأفْتني فيها، فقال له: ادن مني فدنا، ثم قال: ادن مني فدنا، حتى وضع يده على رأسه وقال: إنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: "كلّ مصوّر في النار، يُجعل له بكل صورة صوّرها نفس فيعذبه في جهنم."

قال ابن عباس: (فإن كنت لا بدّ فاعلاً فصوّر الشجر، وما لا روح فيه).

النص الخامس: روى الشيخان وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب فلم يدخل، قالت: فعرفت في وجهه الكراهية، فقلت يا رسول الله: أتوب إلى الله ورسوله ماذا أذنبت؟ فقال: ما بال هذه النمرقة؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتَوَسّدها، فقال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة.

النص السادس: روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليّ رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألاّ تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته).

النص السابع: (روى الستة عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ في غزاة فأخذت نمطاً فسترته على الباب، فلما قدم ورأى النمط عرفت الكراهة في وجهه، فجذبه حتى هتكه وقال: «إنّ الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين!!» قالت عائشة: فقطعت منه وسادتين وحشوتهما ليفاً، فلم يعب ذلك عليّ).

النص الثامن: روى الشيخان والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اشتكى النبي ﷺ ذكر بعضُ نسائه كنيسةً يقال لها (مارية) وكانت أم سلمة، وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع ﷺ رأسه فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالحُ، بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ خلق الله."
يظهر لنا من النصوص النبوية السابقة، أنّ العلة في تحريم التماثيل والصور، هي (المضاهاة) والمشابهة لخلق الله، كما أن الحكمة أيضاً في تحريم التصوير هي: البعد عن مظاهر الوثنية، وحماية العقيدة من الشرك، وعبادة الأصنام.

6
سحر التماثل

"إذا كان سحر التماثل، أي العمل من خلال الدمى والصور يُمارس عادة لتحقيق هدف شرير وهو التخلص من المشاكسين فإنّه أُستخدم ايضا ليحقق نوايا طيبة مثل مساعدة الاخرين، أي أنّه أُستعمل لتسهيل عملية الولادة وفي مساعدة العاقر على الإنجاب".... جيمس جورج فريزر.

إذا حللنا مباديء الفكر التي يقوم عليها الساحر وجدنا أنّها تنقسم إلى نوعين : ألأول أنّ المنتشابهات تولد المتشابهات أيضا أو أنّ تأثيرا معينا يشبه مسببه، والثاني هو أنّ الأشياء التي يتصل بعضها ببعض يبقى تأثيرها المتبادل مستمرا من بعيد بعد إنقطاع الإتصال المادي بينهما.
ويُطلق على المبدأ الأول أسم قانون التشابه، وعلى الثاني أسم قانون الأتصال أو التجاور، فمن القانون الأول اي قانون التشابه، يستنتج الساحر أنّ بإستطاعته أن يُحدث التأثير الذي يريد من خلال محاكاته وحسب. ومن الثاني يستنتج أنّ ما يفعله بجسم مادي سيحدث التأثير ذاته في الشخص الذي كان الجسم على إتصال به في السابق سواء أكان جزءاً من جسمه أم لا.
السحر نظام زائف من القوانين الطبيعية ودليل خاطيء للتعامل، إنّه علم زائف وفن مبتسر، فإذا نظرنا إليه على أنّه نظام من القوانين الطبيعية، أي بيان بالقواعد التي تحدد تتابع الأحداث في العالم، أمكننا تسميته بالسحر النظري، أما إذا نظرنا إليه على أنّه مجموعة من المباديء التي يطبقها البشر بهدف تحقيق أهدافهم، أمكننا تسميته بالسحر العملي، وفي الوقت ذاته لابد من أن نأخذ في الحسبان أنّ الساحر البدائي لا يعرف من السحر إلا الجانب العملي منه:
فهو لا يقوم بتحليل العمليات العقلية التي تقوم عليها ممارساته ولا يفكر على الإطلاق بالمباديء المجردة التي تدخل في أعماله، فالمنطق بالنسبة إليه، كما هي الحال بالنسبة إلى معظم الرجال، كامن وليس صريحا، فهو يفكر بالطريقة نفسها التي يهضم بها طعامه أي في جهل مطبق بالعمليات الفكرية والفيزيائية الضرورية لهذه العملية أو تلك.
وبإختصار، فإنّ السحر عنده فن على الدوام، وليس علما على الإطلاق، وفكرة العلم في حد ذاتها لا وجود لها في عقله المتخلف.
إنّ المبدأين الكبيرين ما هما إلا تطبيقين مختلفين خاطئين لترابط الأفكار، فالأول هو الترابط بالتماثل، والثاني الترابط بالتجاور.
فالأول يُخطيء في إفتراضه أنّ الأشياء التي تشبه بعضها بعضا متماثلة، في حين أنّ الثاني يُخطي حين يفترض أنّ الأشياء التي كان بعضها متصل ببعض تبقى على إتصال دائم، فسلسلتا التفكير كلتاهما بدائية ومغرقة في البساطة في واقع الامر، ولا يمكن أن يكون الأمر عكس ذلك، على إعتبار أنّهما معروفان بالشكل المادي المحسوس، لا بالشكل المجرد بالنسبة إلى الذكاء الفطري لا عند البدائيين وحسب، بل عند الجهلة والبلهاء في كل مكان.

ويفترض كلا فرعي السحر أنّ الأشياء يؤثر بعضها في بعض من بعيد من خلال تناغم سري، فالنبض ينتقل من واحد إلى الآخر من خلال ما يمكننا أن نتصور أنّه نوع من الاثير غير المرئي ألذي يفترضه العلم لهدف مماثل تماما، ألا وهو تفسير تأثير بعض الأشياء ببعضها ماديا عبر فضاء يُخيل إلينا أنّه فارغ.
ولعل أكثر التطبيقات المعروفة لدينا للمبدأ الذي ينص على أنّ المتشابهات تولد المتشابهات هي محاولة الكثيرين في مختلف العصور إلحاق الأذى بالعدو أو القضاء عليه من خلال أذية صورته أو تدميرها، إعتقادا منهم أنّ الرجل يتألم كما تتألم الصورة، وأنّه حين تتعرض صورة الرجل للتلف فإنّه يفارق الحياة بالتأكيد.
وهكذا نسمع بأنّ الهنود في أمريكا الشمالية يعتقدون أنّه من خلال رسم صورة شخص في الرمال أو الرماد أو الصلصال، أو من خلال إفتراض شيء معين أنّه جسمه ثم طعنه بعصا حادة أو إلحاق أذية أخرى به فإنّهم يلحقون أذية مماثلة بالشخص الذي يمثله، فعلى سبيل المثال إذا أراد أحد الهنود من قبيلة أوهيبواي " من أكبر قبائل الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين في شمال المكسيك " إلحاق الضرر بأحدهم، صنع دمية خشبية صغيرة لعدوه ثم غرز أبرة في رأسها أو قلبها، أو أصابها بسهم لإعتقاده أنّ عدوه سيشعر بألم حاد في جسده في مكان غرز الأبرة في الدمية أو أصابتها بالسهم.
أما إذا كان يريد أن يقتل عدوه لجأ إلى إحراق الدمية أو دفنها في الرمال وهو يتمتم بكلمات معينة. أما هنود البيرو فيصنعون صورا من الدهون الممزوجة بالحبوب لتمثل الشخص الذي يكرهونه أو يخشونه ثم يحرقون الدمية في الطريق الذي يتوقع من الضحية المطلوبة أن تمر فيه، وهذا ما يدعونه بإحراق روحه.
من بقايا هذه الممارسات السحرية التماثلية في عصرنا إحراق الجماهير الغاضبة في التظاهرات لدمية تُمثل ملك أو رئيس جمهورية أو زعيم سياسي أساء إلى جماهير شعب أو أحتل بلدهم كما حصل في العراق بعد إحتلال ألولايات المتحدة الامريكية حيث أحرقت الجماهير المتظاهرة دمية تمثل الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش.
وفي نفس السياق يقوم بعض المتظاهرين بإحراق علم بلد معادي من أجل إلحاق ألأذى بالبلد من خلال رمزه.
من ضمن مناسك الحج في الأسلام يقوم الحجاج في اليوم الرابع: (أول أيام التشريق ، ثاني أيام النحر) في مِنى برمي الجمرات الثلاث في هذا اليوم, وحسب السنّة النبوية يكون البدأ بالجمرة الصغرى, ثم الوسطى, ثم الكبرى (العقبة)، يرمي الحاج بسبع حصيات على أنصاب تُمثل الشياطين، والحكمة في ذلك إهانة الشيطان وإذلاله وإرغامه وإظهار مخالفته، إنّ هذه المناسك هي من بقايا الممارسات السحرية التماثلية.فبالرغم من أنّ الدين مرحلة تالية للسحر نلاحظ بعض التداخل بين المرحلتين، وسنتناول بالتفصيل هذا التداخل في مقالة قادمة بعنوان " السحر في القرآن."
إذا كان سحر التماثل، أي العمل من خلال الدمى والصور يُمارس عادة لتحقيق هدف شرير وهو التخلص من المشاكسين فإنّه أُستخدم ايضا ليحقق نوايا طيبة مثل مساعدة الاخرين، أي أنّه أُستعمل لتسهيل عملية الولادة وفي مساعدة العاقر على الإنجاب.
وهكذا نرى في أنّ العاقر في قبيلة الباتك " مجموعة عرقية تسكن المرتفعات شمالي سومطرة بإندونيسيا " التي ترغب في الإنجاب تصنع دمية من الخشب على هيئة طفل وتحتضنها إعتقادا منها أنّ هذا سيحقق رغبتها.
أدى مبدا التخيّل ذاته المحبب لدى الأطفال بشعوب أخرى إلى إستخدام تمثيل الولادة كشكل من أشكال التبني، وحتى كوسيلة لإرجاع الموتى إلى الحياة، فإذا تظاهرت بأنّك رُزقت بمولود ذكر، و حتى برجل له لحية ليس في عروقه نقطة دم واحدة من دمك، كان ذلك الولد أو الرجل في نظر الفلسفة والقانون البدائيين أبنك فعليا مهما كانت الأهداف والنوايا.
وهكذا يخبرنا ديودوروس أنّ زيوس " يُلقَّب عند الإغريق بـ أب الآلهة والبشر" حين أقنع زوجته الغيورة هيرا بتبني هيركليس أستلقت في السرير وضمت بطلها الضخم إلى صدرها، ثم دفعت به تحت ملابسها وتركته يسقط على الأرض لتحاكي الولادة الحقيقية، ويضيف المؤرخ أنّ البرابرة في زمانه كانوا يتبعون طريقة تبني الأطفال ذاتها.
أما اليوم فيقال إنّها ما زالت تتبع في بلغاريا وعند ألأتراك البوسنيين، فالمرأة التي ترغب في تبني طفل تاخذه وتسحبه أو تدفعه من تحت ملابسها، بعد ذلك يُعد ذلك الطفل كما لو كان طفلها الحقيقي ويرث كامل أملاك ابويه بالتبني.

ولسحر التماثل دور كبير في الإجراءات التي يتخذها الصيادون للحصول على صيد وفير، فبحسب أنّ المتشابهات تولد المتشابهات يقوم الصياد وأصدقاؤه بكثير من الأفعال التي تحاكي النتيجة التي يسعى لتحقيقها، لكنهم من ناحية أخرى يحرصون عل الإبتعاد عن كثير من الأشياء الاخرى لانّها تشبه إلى حد ما اشياء تجلب الهلاك.
ولا يقتصر نظام سحر التماثل على المباديء الإيجابية وحسب، بل يضم أيضا عددا كبيرا جدا من المباديء السلبية، اي النواهي، فهو لا يأمرك بالواجبات، بل يحدد لك النواهي، فالمباديء الإيجابية هي ممارسة السحر، واما السلبية فهي النواهي، فعقيدة النواهي بأكملها، أو جزء منها تبدو في واقع الامر تطبيقا خاصا من السحر التماثلي بقاعدتيه الكبيرتين وهما التشابه والإتصال.
إنّ هذه المباديء السلبية التي نسميها النواهي لا تقل عبثية وسخفا عن المباديء الإيجابية التي ندعوها بالشعوذة، فالامران يمثلان طرفين أو قطبين لفكرة خاطئة مدمرة واحدة.

7
سحر الطقس

"من أهم الأشياء التي تناط بالساحر لمنفعة القبيلة التحكم بالطقس وضمان هطول كميات وافرة من الامطار"....
جيمس جورج فريزر.

من أهم الأشياء الخاصة بالمنفعة العامة التي يمكن إستخدام الساحر من أجل تحقيقها توفير كميات مناسبة من الطعام، فكل العاملين في تأمين الطعام البشري مثل صيادي البر والبحر، والفلاحين يلجؤون إلى أعمال السحر لتحقيق مختلف غاياتهم، لكنهم يفعلون ذلك لمنفعتهم ومنفعة أهليهم الخاصة كأفراد لا كعمال يعملون لتحقيق الصالح العام.
لكن الأمر يختلف حين يقوم السحرة المحترفون بتأدية طقوس السحر بدلا من الصيادين والمزارعين أنفسهم، ففي المجتمعات البدائية حيث تكون وحدة العمل هي القاعدة، وتصنيف المجتمع في طبقات مختلفة لم يبدأ بعد، يقوم كل من الرجال بدور الساحر، فيتمتم بالتعويذات والتراتيل أملاً في جلب الخير له والأذى لأعدائه.
لكن عجز الوسائل التي أتبعها معظم هؤلاء السحرة عن تحقيق أهدافهم يجب ألا يمنعنا من رؤية الاهمية البالغة للمؤسسة ذاتها، فهنا جماعة من الرجال تم إعفاؤهم على الأقل في المراحل البدائية الاولى من ممارسة العمل اليدوي الشاق لكسب قوتهم، ولم يُسمح لهم بالبحث في أساليب الطبيعة السرية فحسب، بل كان هذا متوقعا منهم ويلقون التشجيع على ممارسته، فقد كان من واجبهم وصلب إهتمامهم في الوقت ذاته أن يعرفوا أكثر من غيرهم، وأن يكونوا على إطلاع بكل ما يساعد الإنسان في صراعه المرير مع الطبيعة، ويخفف معاناته ويطيل عمره.
فخصائص الأدوية والمعادن، وأسباب المطر والجفاف والرعد والبرق وتقلبات الفصول وأطوار القمر وحركة الشمس اليومية والسنوية وحركات النجوم وسر الحياة وسر الموت، كل هذه الأشياء أثارت بكل تأكيد فضول هؤلاء الفلاسفة الأوائل وحفزتهم للعثور على حلول للمشكلات التي كانت بلا ريب تلقيها عليهم طلبات زبائنهم الملحة بأكثر صورها العملية.
فالزبائن لم يكونوا ينتظرون منهم فهم عمليات الطبيعة الهائلة وحسب، بل تنظيمها والتحكم بها أيضا لمنفعة الإنسان، وما كان بالإمكان تجنب فشل محاولاتهم الأولى، فالإقتراب البطيء غير المتناهي من الحقيقة ينطوي على الإستمرار في وضع الفرضيات وإختبارها وقبول تلك التي بدا آنذاك تتفق مع الوقائع ورفض الفرضيات الأخرى.

فالآراء حول مسببات الطبيعة التي حملها الساحر البدائي تبدو لنا اليوم بلا شك خاطئة وسخيفة لكنها كانت في أيامها فرضيات مشروعة، مع أنّها لم تثبت نجاحها في إختبار التجربة العملية. كانت السخرية واللوم الجزاء الأوفى لا لأولئك الذين وضعوا تلك النظريات البدائية، بل لأولئك الذين أصروا على التمسك بها بعد ظهور نظريات أفضل منها.
ومن المؤكد أنّ أولئك المشعوذين البدائيين كانوا أكثر الناس حرصا على البحث عن الحقيقة، فالظهور بمظهر العارف الخبير على الأقل كان في مقدمة الأولويات، فخطأ واحد قد يكلفهم حياتهم، وهذا دون شك حملهم على ممارسة الدجل بهدف إخفاء جهلهم، لكن هذا زودهم أيضا باقوى دافع لإستبدال المعرفة المزيفة بالمعرفة الحقيقية، لإنّك إذا أردت التظاهر بمعرفة شيء، فإنّ أفضل طريقة على الإطلاق هي أن تعرفه بالفعل .
فمهما كان رفضنا لخداع السحرة عادلا، وشجبنا للخداع الذي مارسوه على البشرية مبرراً، فإنّ المؤسسة الأصلية لهذه الفئة من الرجال عادت على البشرية بخير غير محدود، فهي لم تكن الأصل الذي أنحدر منه الأطباء والجراحون وحسب، بل الباحثون والمكتشفون في كل فرع من فروع العلوم الطبيعية، فالسحرة بادروا إلى العمل الذي حوّلَه خلفاؤهم منذ ذلك التاريخ إلى مسائل مفيدة وعظيمة في العصور اللاحقة.
أما إذا كانت البدايات هزيلة وضعيفة فهذا بسبب المصاعب الحتمية التي بالطريق إلى المعرفة، لا بسبب العجز الطبيعي أو الدجل المتعمد عند أولئك الرجال أنفسهم.
ومن أهم الأشياء التي تناط بالساحر لمنفعة القبيلة التحكم بالطقس وضمان هطول كميات وافرة من الامطار، فالماء عصب الحياة وكميته تعتمد في معظم البلدان على زخات المطر، فبدون المطر تذبل النباتات ويعاني الإنسان والحيوان من العذاب ومن ثم الموت. لذا كان ساحر المطر في المجتمعات المتخلفة شخصية بالغة الأهمية، وكانت هناك فئة خاصة من السحرة متخصصة في التحكم بكميات الأمطار التي تجود بها السماء.
أما الأساليب التي يحاول بها السحرة ممارسة عملهم فتقوم عادة وليس دائما على مبدأ سحر التماثل، فإذا أرادوا الإستمطار رشوا الماء مقلدين السحب، أما إذا أرادوا إيقاف المطر وجلب الجفاف، أبتعدوا عن الماء ولجؤوا إلى الدفء والنار بهدف تجفيف الرطوبة الزائدة، ولا تقتصر هذه المحاولات على السكان العراة في المناطق الحارة الرطبة مثل أواسط أستراليا وبعض الأجزاء الشرقية والجنوبية من أفريقيا حيث تضرب الشمس بأشعتها اللاهبة الأرض العطشى والمتشققة من الماء والسماء الزرقاء الصافية على مدى أشهر طويلة من السنة، فهؤلاء معروفون أو كانوا معروفين لدى الناس المتحضرين ظاهريا في مناخ أوربا الرطب ايضاً.
فعلى سبيل المثال في قرية على مقربة من دوربات في روسيا يعتلي ثلاثة من الرجال أشجار التنوب في خميلة قديمة مقدسة عند إنحباس المطر، فيضرب أحده بمطرقة على إبريق معدني أو وعاء صغير مقلدا الرعد، والثاني يضرب عود نار بآخر ليتطاير الشرر مقلدا البرق، وأما الثالث، وأسمه " ساحر المطر " فيحمل بضعة أغصان يرش بها الماء من وعاء على جميع الأطراف.
وللإستسقاء، ولوضع نهاية للجفاف، تتوجه النسوة والفتيات في بلوسكا ليلا إلى حدود القرية وهن عاريات فيسكبن الماء على الأرض.
ويصف المقريزي، المؤرخ العربي، طريقة لإيقاف المطر يُقال إنّها أُستخدمت في قبيلة بدوية أسمها القمر في حضرموت حيث يقطعون غصنا من شجرة معينة في الصحراء ويضرمون به النار ثم يرشون الغصن المشتعل بالماء، بعد ذلك تخف حدة المطر تماما مثلما يختفي الماء حين يسقط على الغصن المتوهج.
بعض الأنجميين في ماينبور " ولاية هندية شمالية تقع على الحدود مع ميانمار " يقومون بإحتفال مشابه إلى حد ما لتحقيق الهدف المعاكس، أي لإنتاج المطر، فزعيم القرية يضع غصنا مشتعلا على قبر رجل مات محترقا ثم يطفيء الغصن بالماء وهو يدعو بنزول المطر، وهنا يتعزز إطفاء النار بالماء وهو تقليد للمطر بتأثير الميت الذي سيكون حريصا على هطول المطر لتبريد جسمه المحترق وتخفيف آلامه لأنّه مات محترقا.
وهذه الممارسة سحرية فيما عدا الدعاء فيها فهي ممارسة دينية، وكمثال آخر على تداخل السحر والدين نجده في صلاة الإستسقاءالذي يمارسه المسلمون.

ويتم في صلاة الإستسقاء طلب السقي من الله للبلاد والعباد بالصلاة و الدعاء والاستغفار، وهي مشروعة بسنة ألنبي محمد، فعند قلة الأمطار وانحباسها ،فلا بد للناس أن يستغفروا الله، تصديقا للآيات 10-12 من سورة نوح: " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا."

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (خَرَجَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ يَسْتَسْقِي, فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى اَلسَّمَاءِ تَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ, لَيْسَ بِنَا غِنًى عَنْ سُقْيَاكَ, فَقَالَ: ارْجِعُوا لَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ، أي أنّ سليمان قال للنملة: عودوا إلى مسكنكم ولا داعي لدعاء الله فقد انزل الله المطر بدعائي.
أنّ الغرض من صلاة الإستسقاء هو لتسهيل السيطرة بهذه الصلاة على عقول الناس وتدجينها بأن عدم نزول مطر هو بسبب الذنوب وهكذا حتى يتمكن رجل الدين من السيطرة على عقول الناس، ويستمر المؤمن بالإحساس بالذنب.

8
السحر في القرآن

" وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ".... الآية 102 من سورة البقرة.

يوجد تداخل بين التصورات البشرية الثلاث (التصور الإحيائي "الميتولوجي"، والتصور الديني، و ألتصور العلمي) فالتقسيم المذكور اعلاه ليس حديا أي إما أبيض أو أسود، بل نجد بين هذه المراحل مناطق رمادية أيضا، فعند الإنتقال من الطور السحري (ألإحيائي أو الميتولوجي) إلى الطور الديني نلاحظ هذا التداخل وكذلك فعند الإنتقال من الطور الديني إلى الطور العلمي سنجد ايضا تداخلا بين الدين والعلم، ومن أمثلة ذلك الدين الرائيلي ألتي هي محاولة للتزاوج بين الدين والعلم، وهناك محاولات بائسة لتأويل بعض آيات القرآن وربطها بالإكتشافات العلمية من قبل جماعة ألإعجاز العلمي في القرآن.
في هذا الجزء من البحث سنتطرق إلى موضوع السحر في القرآن كمثال للتداخل بين السحر والدين، وطبعا التداخل واقع بين السحر والدين اليهودي والمسيحي أيضا.
تناولنا كيفية ظهور السحر وتطبيقاته عند الكلام عن التصور الإحيائي (الميتولوجي) وذكرنا أنّ الساحر هو الشخصية المحورية في ذلك التصور، أما الشخصية المحورية في التصور الديني فهو الكاهن أو ألنبي ألذي يدعي بأنّ له إتصال بإله يتلقى عنه الوحي مباشرة أو عن طريق ملاك في حالة النبي وبعض الكهنة، أوشيطان أو تابع من الجن في حالة كهنة آخرين.
عندما تصوّر البشر أن القوى الخارقة للطبيعة لها أثرها في حياة الإنسان عند كل منعطف في الطريق، أصبحت قوة رجال الدين مساوية لقوة الدولة، واصبح الكاهن أو القسيس او النّبي منذ أقدم العصور إلى أحدثها ينافس الجندي المقاتل في سيادة الناس والإمساك بزمامهم، حتى لقد راح الفريقان يتناوبان ذلك، وحسبنا في التمثيل لذلك أن نسوق مصر، ودولة اليهود وأوروبا في العصور الوسطى كأمثلة .

إن الكاهن او القسيس او النّبي لم يخلق الدين خلقاً، لكنه أستخدمه لأغراضه فقط، كما يستخدم السياسي ما للإنسان من دوافع فطرية وعادات؛ فلم تنشأ العقيدة الدينية عن تلفيقات أو ألاعيب كهنوتية، إنما نشأت عن فطرة الإنسان بما فيها من تساؤل لا ينقطع وخوف من الموت وقلق وأمل وشعور بالعزلة؛ نعم إنّ الكاهن او القسيس او النّبي قد أضرّ الناس بإبقائه على الخرافة وباحتكاره لضروب معينة من المعرفة، لكنه مع ذلك عمل على حصر الخرافة في نطاق ضيق، وكثيراً ما كان يحمل الناس على إهمال شأنها، وهو الذي لقّن الناس بداية التعليم والتهذيب، وكان بمثابة المستودع وأداة التوصيل بالنسبة للتراث الثقافي الإنساني المتزايد؛ وكان عزاء للضعيف في استغلال القوي له استغلالاً لم يكن منه محيص؛ كما أصبح الفعل الفعّال الّذي أعان الدين على تغذية الفنون، وتدعيم بناء الأخلاق الإنسانية المترنح وبدعم من القوى العليا؛ فلو لم يجد الناس بينهم كاهناً او قسيسا او نبيّا لخلقوه لأنفسهم خلقاً .

عندما جاهر النبي محمد بدعوته أتهمه قومه بالكهانة والسحر وقالوا بأنّه شاعر مجنون. وكان الناس من قديم الزمان يعتقدون بوجود ارواح غير مرئية، منها طيبة ويستنجدونها ويرجون خيرها، ومنها خبيثة يخافونها ويتقون شرّها. وكذلك العرب كانوا في جاهليتهم يعتقدون بوجود هذه الارواح، ويسمّون الطيبة بالملائكة، ويسمّون الخبيثة منها بالجن والشياطين، وعقيدتهم هذه مشهورة لا تحتاج الى اقامة الدلائل ولا الى ايراد الشواهد، والقرآن اصدق شاهد بها، وقد تفرّع من اعتقادهم بالكهانة، فكان لهم كهّان، وكان الكاهن يخبرهم بالمغيّبات، وكانوا يعتقدون أنّ لكل كاهن تابعا من الجن ياتيه بالخبر من السماء.

فلمّا قام محمّد بدعوتهم الى الاسلام، وهو يريد ان يجمعهم على كلمة واحدة، وينهض بهم نهضة عالميّة كبرى، رأى من اللازم الضروري لنجاح الدعوة ان يُبطل الكهانة، ويجعل خبر السماء مقصورا على الوحي الذي ياتيه به جبريل، لكيلا تقبل العرب إلّا منه ولا تسمع إلّا له.

ولاجل إبطال الكهانة اغلق محمّد ابواب السماء في وجوه الشياطين وملأها حرسا شديدا من الملائكة، وجعل هذه الشهب المتساقطة في الجو رجوما للشياطين تردّهم عن استراق السمع، واخذ الاخبار السماويّة كما هو مذكور في القرآن.

ذُكِرَ السحر في القرآن في الآية 102 من سورة البقرة ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.((

نستنتج من الآية 102 من سورة البقرة أنّ محمدا كان يعتقد بأنّ الشياطين هم الذين كانوا يعلمون الناس السحر وأنّ مصدر ألسحر هما الملكان هاروت وماروت أللذان أرسلهما أله ألى بابل لتعليم البشر السحر.

ورد في تفسير أبن كثيرحول الآية 102 من سورة البقرة مايلي : " قال الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، في مسنده : حدثنا يحيى بن [أبي] بكير ، حدثنا زهير بن محمد ، عن موسى بن جبير ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر : أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : " إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة : أي رب (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة : 30] ، قالوا : ربنا ، نحن أطوع لك من بني آدم . قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض ، فننظر كيف يعملان ؟ قالوا : بربنا ، هاروت وماروت . فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما ، فسألاها نفسها . فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك . فقالا : والله لا نشرك بالله شيئا أبدا . فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله ، فسألاها نفسها . فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي . فقالا لا والله لا نقتله أبدا . ثم ذهبت فرجعت بقدح خمر تحمله ، فسألاها نفسها . فقالت : لا والله حتى تشربا هذا الخمر . فشربا فسكرا ، فوقعا عليها ، وقتلا الصبي . فلما أفاقا قالت المرأة : والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما . فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا " .... انتهى.

إنّ أصل أسطورة هاروت و ماروت فارسية، فهاروت و ماروت أسماء زرادشتية , يلفظان " هاروفتات و امارتات ، و قد وصلت الينا بعد التعديل على الاسمين كُلاً حسب لغته الدارجة ذاك الزمن، فقد ذُكرت هذه الأسطورة و الملاكين في

التلمود بإسم " عزازيل و شمحازي "وانهما هبطا الى الارض بعد ان ركبت فيهما الشهوة، واشتهى احدهما فتاة اسمها اسطير، " وهي افروديت ايضاً في اساطير اليونان و عشتار في الاساطير البابلية " ، ووعدته باعطاء نفسها له إن علّمها الاسم الأعظم الذي يُصعد به الى السماء .. فعلّمها , فخالفت وعدها وتعففت .. فرفعت إلى السماء ووضعها الإله بين النجوم مكافأة لها.

وقد ذكر أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ) قي كتابه فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أنّ هاروت وماروت اسمان أعجميان لا ينصرفان وهما سريانيان.

ووردت قصة هاروت وماروت في القصص الهاجادية والأبوكريفا التي اقتبسها محمد شفهياً عن غير قصد، ظاناً أنها توراتية المنشأ .

ففي كتاب أساطير اليهود والذي جمعه لويس جينزبرج عام 1909 وضم فيه القصص الهاجادية المبعثرة هنا وهناك في الكتب وتحت عنوان (عقاب الملائكة الساقطين The Punishment of the Fallen Angels (كتب مايلي:

"عندما بدأ جيل الطوفان بممارسة الوثنية، حزن الرب بعمق، فنهض الملاكان شمحازي وعزازيل، وقالا: " يا رب العالم، لقد حدث ما توقعناه عندما خُلِقَ العالمُ والإنسان، قائلين: ما هو الإنسان حتى تذكره [المزمور 8: 4] ،فقال الربُّ: "وماذا سيحل بالعالم الآنَ دون الإنسان؟" وعندئذٍ قال الملاكان: "سوف نشغله نحن." فقال الربُّ: "إنني مدركٌ تماماً للعالم، وأعلم أنكم إن سكنتم الأرضَ، سيسيطر عليكم الميلُ الشرير، وستكونون أكثرَ ظلماً من أيِّ إنسانٍ." فجادل الملاكان: "امنحنا فقط إذناً بالسكن بين البشر، وسترى كيف سنقدس اسمك." فخضع الربُّ لرغبتهم، قائلاً: "اهبطا وامكثا بين البشر."

عندما جاء الملاكان إلى الأرض، ونظرا بناتِ البشر في كل نعمتهن وجمالهن، لم يستطيعا مقاومة عاطفتيهما. رأى شمحازي عذراءَ تدعى إستِهَر، وفقد قلبه لها. وعدته أن تسلمه نفسَها إن علمها أولاً الاسم الفائق الوصف. الذي به يُصْعِد نفسَه إلى السماء. فوافق على شرطها. لكنها ما أن علمته، نطقت الاسمَ، وأصعدت نفسَها إلى السماء، دون تنفيذ وعدها للملاك. فقال الربُ: "لأنها قد حفظت نفسها بعيداً عن الخطيئة، سنضعها بين النجوم السبع، لكي لا ينساها البشرُ." ووُضِعَتْ في كوكبة الثريا.

رغم ذلك لم يرتدع شمحازي وعزازيل عن الدخول في علاقات مع بنات البشر، ولأول ابنين وُلِدا. بدأ عزازيل في اختراع الحليّ والجواهر التي بها تغوي النساءُ الرجالَ. لذا أرسلَ الربُّ ميطاطرون ليخبرَ شمحازي أنه قد قرر أن يدمر العالم ويجلب عليه طوفاناً. شرع الملاكُ الساقط في النحيب والحزن على مصير العالم ومصير ابنيه: "إذا انهارَ العالمُ، فماذا سيكون لديهما للأكل، هما اللذان يحتاجان يومياً آلاف الجمال، وآلاف الأحصنة، وآلاف العجول؟."

وورد السحر في سورة الفلق من القرآن " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ 5."

في تفسير الآية 4 من سورة الفلق يذكر المفسّر ابن كثير ما يلي:

"قَالَ الْبُخَارِيّ فِي كِتَاب الطِّبّ مِنْ صَحِيحه : حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد قَالَ سَمِعْت سُفْيَان بْن عُيَيْنَة يَقُول أَوَّل مَنْ حَدَّثَنَا بِهِ اِبْن جُرَيْج يَقُول حَدَّثَنِي آلُ عُرْوَة عَنْ عُرْوَة فَسَأَلْت هِشَامًا عَنْهُ فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة قَالَتْ كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاء وَلَا يَأْتِيهِنَّ قَالَ سُفْيَان وَهَذَا أَشَدّ مَا يَكُون مِنْ السِّحْر إِذَا كَانَ كَذَا فَقَالَ " يَا عَائِشَة أَعَلِمْت أَنَّ اللَّه قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اِسْتَفْتَيْته فِيهِ ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدهمَا عِنْد رَأْسِي وَالْآخَر عِنْد رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي عِنْد رَأْسِي لِلْآخَرِ مَا بَال الرَّجُل ؟ قَالَ مَطْبُوب . قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ لَبِيد بْن أَعْصَم رَجُل مِنْ بَنِي زُرَيْق حَلِيف الْيَهُود كَانَ مُنَافِقًا وَقَالَ وَفِيمَ ؟ قَالَ فِي مُشْط وَمُشَاطَة . وَقَالَ وَأَيْنَ ؟ قَالَ فِي جُفّ طَلْعَة ذَكَر تَحْت رَاعُوفَة فِي بِئْر ذَرْوَان " قَالَتْ فَأَتَى الْبِئْر حَتَّى اِسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ" هَذِهِ الْبِئْر الَّتِي أُرِيتهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَة الْحِنَّاء وَكَأَنَّ نَخْلهَا رُءُوس الشَّيَاطِين " قَالَ فَاسْتُخْرِجَ فَقُلْت أَفَلَا تَنَشَّرْتَ ؟ فَقَالَ " أَمَّا اللَّه فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَه أَنْ أُثِير عَلَى أَحَد مِنْ النَّاس شَرًّا."

حسب الروايات الإسلامية فإنّ أبن مسعود كان يرفض إدراج المعوذتين (سورة الفلق وسورة الناس) في القرآن لأنّهما من ألأدعية وليستا من الوحي وبالرغم من ذلك تم إدراجهما عند جمع عثمان بن عفان ألقرآن.

9
ألتصور ألديني

" إنّ الدين هو التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية، التي تم ترشيدها من خلال قوالب فكرية وطقسية وأدبية ثابتة، تتمتع بطاقة إيحائية عالية بالنسبة للجماعة ".... فراس ألسواح.

تعريف الدين:
هنالك عدة تعريفات للدين وقد أختلف الباحثون في الأديان حول هذه التعريفات وسنتناول أهم هذه التعريفات:
يقول وليم جيمس في بداية كتابه تنوع الخبرة الدينية : " الدين الذي أعنيه في كتابي هو الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهيا."
يقول هربرت سبنسر : " إنّ الأديان على قدر إختلافها في عقائدها المعلنة، تتفق ضمنيا في إيمانها بأنّ وجود الكون هو سر يتطلب التفسير، ولذا فإنّ الدين هو الإعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم."
ويدور تعريف ماكس موللر (1882-1900)، الفيلسوف ومؤرخ الأديان الألماني، حول الفكرة نفسها فيقول في كتابه نحو علم الدين:
"إنّ الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يُمكن تصوره، وقول ما لا يُمكن التعبير عنه، إنّه توق إلى اللانهائي."
وهناك إتجاه في التعريف يقوم على فكرة الألوهة، يقول م. رافيل في كتابه مقدمة في تاريخ الأديان : " إنّ الدين هو إشتراط الحياة الإنسانية بإحساس الإتصال بين العقل الإنساني وعقل خفي يتحكم بالكون، وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة."
ويقول ف. شلرماخر (1768-1834) وهو لاهوتي ودارس اديان : " إنّ الدين هو شعور باللانهائي وإختبار له. وما نعنيه باللانهائي هنا، هو وحدة وتكامل العالم المدرك. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع، وإنّما تنبي عن نفسها للمشاعر الداخلية. وعندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات، فإنّها تخلف في الذهن فكرة أله. وإنّ الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة أله إما إلى المفارقة والتوحيد، أو نوع غير مشخص للالوهة يتسم بوحدة الوجود."
ويرى بعض الباحثين، إنّ فكرة الألوهة إذا أُخذت بمدلولها الضيق فإنّها تترك كثيرا من الأديان خارج دائرة التعريف، وهي الأديان التي تضع في بؤرة معتقدها كائنات روحية من مختلف الأنواع، كارواح الموتى والأرواح الحالة في مظاهر الطبيعة المختلفة، والتي لا تنضوي تحت مفهوم الآلهة المعتاد.
من هنا يرى أدوارد تيلور (1832-1917) وهو مؤسس الأنتروبولوجيا في بريطانيا، أنّ التعريف الاشمل ينبغي أن يستبدل مفهوم الآلهة بمفهوم " الكائنات الروحية " الأكثر عمومية. يقول تيلور في كتابه الحضارة البدائية :
"إنّ المتطلب الاول في الدراسة المنهجية لإديان الشعوب البدائية، هو وضع تعريف بدائي للدين. ذلك أنّ التوكيد على الإيمان بكائن أعلى، من شانه أن يُخرج المعتقدات البدائية من دائرة الدين، لأنّ مثل هذا الإيمان هو مرحلة متطورة من الحياة الدينية. من هنا، فإنّ من الافضل أن نضع حدا أدنى لتعريف يقتصر على الإيمان بكائنات روحية."
والمقصود بالكائنات الروحية عند تيلور، هو كائنات واعية تمتلك قوى وخصائص تفوق ما لدى البشر. ويدخل في عداد هذه الكائنات كل أنواع الأرواح والعفاريت والجن، ألتي تفترض الذهنية البدائية تداخل عالمها بعالم البشر، كما يدخل في عدادها ايضا الآلهة بالمعنى المعتاد للكلمة، فإنّ العلاقة معها تتميز بمحاولة التأثير عليها وإستمالتها للوقوف إلى جانب الإنسان، سواء بالكلمات المناسبة أو الذبائح والتقدمات وما إليها .
وهنا يأتي جيمس فريزر (1854-1941)، الأنتروبولوجي البريطاني المعروف، ليقدم تعريفا مكملا لتعريف تيلور. يقول في كتابه الغصن الذهبي الذي صدر في طبعته المختصرة عام 1922:
"إنّ صياغة تعريف واحد من شأنه إرضاء كل الآراء المتصارعة حول الدين، هو أمر غير ممكن التحقيق. من هنا فإنّ كل ما يستطيعه الباحث هو أن يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة الدين، ثم يعمل على إستخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذي

حدده لها منذ البداية. وعليه فإننا نفهم الدين على أنّه عملية إسترضاء وطلب عون قوى أعلى من الإنسان، يُعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية.
وهذه العملية تنضوي على عنصرين، واحد نظري والآخر تطبيق عملي. فهناك أولا الإعتقاد بقوى عليا، يتلوه محاولات لإسترضاء هذه القوى. ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين، ذلك أنّ الإعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة هو مجرد لاهوت فكري، أما الممارسة المجردة عن أي إعتقاد فليست من الدين في شيء."
في كتابه الاشكال البدائية للحياة الدينية يوجه أميل دوركهايم، الفيلسوف وعالم الإجتماع الفرنسي (1858-1917) نقدا شديدا للتعريف الذي قدمه فريزر، لأنّه يُقصر الدين على الممارسات التي تتضمن توسلا لكائنات ما ورائية تسمو على الإنسان. ويرى دوركهايم أنّ أمثال هذا التعريف تلقى قبولا في الغرب، بسبب مطابقتها من حيث الاساس لمفهوم الدين المسيحي، ولكنها لا تنطبق على أديان عدة واسعة الإنتشار لا تدور معتقداتها حول أرواح أو آلهة من أي نوع، أو أنّ هذه الكائنات لا تلعب فيها إلا دورا ثانويا جدا. فالبوذية مثلا قد شقت لنفسها طريقا مستقلا عن البراهمانية في الهند، إنطلاقا من رفض فكرة الإله، فهي نظام أخلاقي بدون مشرع، وإيمان بدون إله.
إنّ البوذي غير معني إطلاقا بمن خلق العالم وكيف، وجل همه يتركز في الكدح من أجل التحرر وتخليص روحه من سلسلة التقمصات في عالم لا يحمل إلا الألم والشقاء. وهو في كدحه هذا، لا يستعين باي كائن ما ورائي من اي نوع، بل يعتمد على قواه الذاتية وحدها,
أما الآلهة، فليست، في حال وجودها، إلا كائنات أقدر من الإنسان على التحكم في عالم المادة، ولكنها أسيرة مثله في عالم بائس عليها أن يُخلّص نفسها منه.
إنطلاقا من هذا النقد، يرى دوركهايم أنّ أي تعريف للدين يجب أن ينطبق على جميع الديانات، من اكثرها بدائية إلى أكثرها تطورا وتعقيدا.
وبناءً على ذلك يصوغ إميل دوركهايم التعريف التالي:
"الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتى أنواع التحريم. وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى الكنيسة."

تتبدى الظاهرة الدينية في ثلاثة أشكال يُمكن وصفها، إما بالمراقبة المباشرة أو بالإستماع إلى شهادات الأفراد عن خبراتهم الشخصية. وهذه الأشكال هي:

1. الدين الفردي: في قاع الظاهرة الدينية، هنالك خبرة فردية يعانيها الانسان في اعماق نفسه وبمعزل عن تجارب الآخرين. فإذا كان لكل بناء سامق اساس يقوم عليه، فإنّ بناء الدين إنّما يقوم على هذا النوع من الخبرة الدينية الفردية.
2. الدين الجمعي: تتخذ الظاهرة الدينية سمتها الجمعية عندما يأخذ الافراد بنقل خبراتهم المنعزلة الى بعضهم بعضا، في محاولة لتحقيق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة في تجربة عامة، وذلك باستخدام مجازات من واقع اللغة، وخلق رموز تستقطب الانفعالات الدينية المتفرقة في حالة انفعالية مشتركة، وهذا ما يقود الى تكوين المعتقد، وهو حجر الاساس الذي يقوم عليه الدين الجمعي (إضافة الى الطقس والاسطورة). فهنا تتعاون عقول الجماعة، بل وعقول اجيال متلاحقة ضمن هذه الجماعة، على وضع صيغة مرشّدة لتجربتها ويمكن مقارنة العلاقة بين الدين الفردي والدين الجمعي بالعلاقة بين الفرد والمجتمع.
3. المؤسسة الدينية: يختلط مفهوم الدين اليوم بفكرتنا عن المؤسسة الدينية وموقفنا منها، الى درجة تبعث على التشويش، وتؤدي الى نتائج مفجعة في بعض الاحيان.

تعتمد المؤسسة الدينية على تفسير الدين وعلى تسييس الدين واستخدامه اداة ضغط وتسلط، سواء من قبل السلطة الزمنية كالكنيسة الكاثولوكية وعلى رأسها البابا في الفاتيكان، وكالازهر في مصر، وكالحوزة العلمية في النجف وكنظام ولاية

الفقيه في الجمهورية الاسلامية في ايران، أمْ من قبل اية شريحة او فئة تجعل من نفسها قيّما على دين الناس ومرجعا اعلى لتفسيره والعمل بموجبه كالسلفية والوهابية والاخوان المسلمين وحزب الدعوة وداعش (ألدولة ألإسلامية) في العراق وسوريا وجميع الاحزاب الدينية بدون استثناء.
فراس السواح في كتابه دين الإنسان يعرّف الدين كما يلي:
"إنّ الدين ألذي أصفه هنا هو التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية، التي تم ترشيدها من خلال قوالب فكرية وطقسية وأدبية ثابتة، تتمتع بطاقة إيحائية عالية بالنسبة للجماعة."
هذه القوالب التي ترشد الحس الديني وتجعل من الدين ظاهرة جمعية، يُمكن إرجاعها إلى ثلاثة عوامل التي أدعوها بالمكونات الاساسية للدين وهي:

1. ألمعتقد:

هو اول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الإنفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني.

2. الطقس:

تُولّد الخبرة الدينية المباشرة حالة إنفعالية، قد تصل في شدتها حداً يستدعي القيام بسلوك ما من أجل إعادة التوازن إلى النفس والجسد اللذين غيرت التجربة من حالتهما الإعتيادية. ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص الحر كانا من أول اشكال هذا السلوك الإندفاعي الذي تحول تدريجيا إلى طقس مقنن.
كانت الصلاة في المعابد وإنشاد التراتيل فيها هي النموذج الأكثر شيوعاً للطقس المنظم، فإنّ لنا في حلقات الصوفية وما يؤدى فيها من موسيقى إيقاعية ورقص وتواجد، خير مثال على الطقس الحر الذي لا يرتبط بالمعتقدات الجمعية المؤسسة، بل بالخبرة الدينية العميق المباشرة.

3. الاسطورة:

هي حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي. والسلطان الذاتي للأسطورة هنا لا يأتي من اية عوامل خارجة عنها، بل من اسلوب صياغتها وطريقة مخاطبتها للجوانب الإنفعالية وغير العقلانية في الإنسان.
تنشأ الأسطورة عن المعتقد الديني، وتكون أمتدادا طبيعيا له، فهي تعمل على توضيحه وإغنائه، وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الاجيال، كما أنّها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه إلى العواطف والإنفعالات الإنسانية.
ويبدو أنّ المهمة الأساسية للأسطورة هي تزويد فكرة الالوهة بألوان وظلال حية، خصوصا في المعتقدات التي تقوم على تعدد الآلهة.
أما المكونات الثانوية للدين فهي الأخلاق والشرائع، ففي السياقات التاريخية لأديان الإنسان وضمن ظروف إجتماعية وسياسية معينة، تأتي إلى الدين عناصر لم تكن منه إبتداءً، ولم يكن لها شأن في تأصيل بداياته الأولى.
إنّ علاقة الأخلاق بالدين في المجتمعات التقليدية التي لم تتعقد بناها الإجتماعية والسياسية، تقدم لنا برهانا على أنّ الأصل في الأخلاق إستقلالها عن ألدين.

وأخيرا يذكر فراس السواح أنّ المعتقدات كلها على تنوعها ذات وحدة تتبدى على شكل إحساس بانقسام الوجود إلى مستويين، المستوى الطبيعي والمستوى القدسي، وأن المستوى القدسي يرتبط بالمستوى الطبيعي من خلال قوته السارية، ويؤكد أنّ:
" الدين ليس وهما، والمؤمن ليس واهما في إحساسه بوجود قوة أعظم منه تضم الوجود إلى وحدة متكاملة لأن الخبرة الدينية قد ارتكزت عبر الأزمان على تجربة حقيقية صلبة، وعلى شرط معطى للوجود الإنساني."
ولكن ما هي هذه القوة السارية في الكون؟
هي الطاقة التي تسري فيه، وفي الإنسان بما أنه مادة.

10
ألتصور ألعلمي

" النظام الذي أسسه العلم مشتق من المراقبة الدؤوبة والدقيقة للظواهر الطبيعية ذاتها فغزارة النتائج التي توصل إليها العلم وصحتها وإمتيازها معدة جيدا لتوحي إلينا بثقة تامة بسلامة أسلوبه ".... جيمس جورج فريزر.

إنّ آخر التصورات البشرية عن العالم هو ألتصور العلمي، ونحن في هذا القرن نعيش ألتداخل بين التصور الديني والتصور العلمي عن العالم، وهنالك صراع بين هذين التصورين والمؤشرات تدل على إنحسار التصور الديني في مقابل إنتشار التصور العلمي عن العالم، ولكن عمليتا ألإنحسار والإنتشار للضدين تسيران ببطء نتيجة لإنتشار الجهل والامية وعقم التعليم في البيت والمدرسة أللذان يتصفان بالتلقين بدلا من غرس العقلانية والتفكير المنطقي.
إنّ كل تقدم كبير في المعرفة وسع أفق النظام وقلص بالتالي أفق الفوضى الظاهرة في العالم. وحتى الآن نحن على إستعداد لتوقع أن يسهم عمل المعرفة الغزيرة في كل مكان في تقليص الفوضى الظاهرة إلى نظام متناغم حتى في المناطق التي يسود فيها الحظ والإرتباك.
فالعقول المنفتحة التي ما زالت تضغط للتقدم نحو حل أعمق أسرار الكون، ترفض الإعتراف بفعالية النظرية الدينية عن الطبيعة، وترجع إلى وجهة النظر القديمة عن السحر من خلال الإفتراض صراحة، وهو ما كان السحر يفترضه تلميحا، بوجود إنتظام صارم في ترتيب الأحداث الطبيعية التي إذا ما راقبناها بعناية أستطعنا التنبؤ بمسارها بكل تأكيد والتصرف تبعا لذلك، وبإختصار، فإنّ العلم حل محل الدين في تفسير الطبيعة.
لكن بينما يشترك العلم في كثير من الحالات مع السحر، إذ إنّ كليهما يعتمد على الإيمان في النظام مبدءاً يكمن وراء الأشياء جميعها، فإنّ النظام الذي يفترض السحر وجوده مسبقا يختلف كثيرا عن النظام الذي يشكل أساس العلم. لكن الإختلاف ينبع بالطبع من إختلاف الطرائق التي أدت إلى التوصل إلى هذين النظامين.
فالنظام الذي يعتمد عليه السحر ليس سوى إمتداد للنظام الذي تقدم فيه الأفكار ذاتها إلى عقولنا، أما النظام الذي أسسه العلم فمشتق من المراقبة الدؤوبة والدقيقة للظواهر الطبيعية ذاتها. فغزارة النتائج التي توصل إليها العلم وصحتها وإمتيازها معدة جيدا لتوحي إلينا بثقة تامة بسلامة أسلوبه.
وهنا على الأقل، وبعد البحث في الظلام هنا وهناك على مدى عصور طويلة، عثر الإنسان على دليل يرشده للخروج من المتاهة، وهو مفتاح ذهبي يفتح كثيرا من الأقفال في خزانة الطبيعة، وليس ثمة مبالغة في القول بأنّ الامل في تحقيق التقدم في الأمور الاخلاقية والفكرية والمادية في المستقبل رهن بحظوظ العلم، وأنّ كل عقبة تعترض الإكتشافات العلمية هي إثم يُرتكب في حق الإنسانية.

إكتشافات علماء الرعيل الاول التي ساهمت في التقدم العلمي وتغيير تصوراتنا عن العالم:
-كان نيكولاس كوبرنيكوس أحد أعظم علماء عصره، ويعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها في كتابه "حول دوران الأجرام السماوية". وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث الذي ينتمي لعصر النهضة الأوروبية - 1400 إلى 1600 ميلادية.
-اعتنق العالم جوردانو برونو نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض على الرغم من انها كانت محرمة من قبل رجال الدين آنذاك، وذهب إلى أبعد منها بوضعه فرضية أنّ النظام واحد من مجموعة نظم تغطى الكون في صورة نجوم وألوهية ولانهائية الكون. كما افترضت نظريته إن كل من النظم النجمية الأخرى تشتمل على كواكب ومخلوقات عاقلة آخرى، ولذلك تم نفيه ولكنه قام بالعودة بعد وفاة البابا سيكاستاس الخامس وبدأ في تنظيم المحاضرات فلاحقوه وقبضوا

عليه ثم سجنوه لمدة ثماني سنوات. وبعدئذ قطعوا لسانه وأحرقوه بتهمة الكفر. ولكن بعد وفاته شعر الباحثون بقيمة علومه وأبحاثه وإعتبروه شهيداً للعلم، وتعبيرا من الكنيسة عن الندم قاموا بنحت تمثال له وهو يقف بعزة وشموخ.
-العالم جاليلو جاليلي نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة على أسس فيزيائية، فقام أولاً بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، وقام بذلك عن طريق الملاحظة والتجربة، بسبب آراء جاليلو عقدت محاكمة من قبل محاكم التفتيش الرومانية سنة 1632. واتهم غاليليو بالاشتباه بالهرطقة وحكم عليه بالسجن لإرضاء خصومه الثائرين، وفي اليوم التالي خف الحكم إلى الإقامة الجبرية. وتم منعه من مناقشة تلك الموضوعات، وأعلنت المحكمة بأن كتاباته ممنوعة.
-نشر العالم تشارلس داروين كتابه أصل الانواع وكتابه نشأة الإنسان والإنتقاء الجنسي ألمتضمنتان لنظرية تطور الكائنات الحية بالإنتخاب من خلية وحيدة إلى ملايين ألأنواع من الكائنات الحية وعلى قمتها ألإنسان كأعلى طور لتطور الثدييات.
نشر هذه النظريات كانت الضربة القاضية للتصور الديني عن العالم وإدعاء ألأديان الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام) خلق أول إنسان (آدم) من قبل خالق بعد نحته من طين ونفخ روحه فيه.
-تبع جهود هؤلاء العلماء جهود أخرى كإكتشافات العالم السير إسحاق نيوتن، وهو عالم إنجليزي يُعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية، إنّ كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية الذي نشر لأول مرة عام 1687، أحتوى على معظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية. كما قدم نيوتن أيضًا مساهمات هامة في مجال البصريات، وشارك غوتفريد لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل.
صاغ نيوتن قوانين الحركة وقانون الجذب العام التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة التالية. كما أثبت أن حركة الأجسام على الأرض والأجسام السماوية يمكن وصفها وفق نفس مبادئ الحركة والجاذبية. وعن طريق اشتقاق قوانين كبلر من وصفه الرياضي للجاذبية، أزال نيوتن آخر الشكوك حول صلاحية نظرية مركزية الشمس كنموذج للكون.
-ومن العلماء الذين كان لهم دور في تطوير التصور العلمي عن العالم ،العالم سيجموند فرويد وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاواعي وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي، له العديد من المؤلفات، ومن أهم كتبه الفلسفية، تفسير الأحلام وقلق في الحضارة ومستقبل وهم وموسى والتوحيد والطوطم والحرام.
-النظرية النسبية للعالم الفذ البرت أينشتاين غيّرت الكثير من المفاهيم بما يتعلق بالمصطلحات الاساسية في الفيزياء: المكان والزمان والكتلة والطاقة. حيث احدثت نقلة نوعية في الفيزياء النظرية وعلم الفلك في القرن العشرين عند نشرها لأول مرة،.
تبع الرعيل الأول من العلماء هؤلاء، إكتشافات وابحاث علماء آخرون في حقول ألبيولوجيا ومن ضمنها علم الجينات وفك الشفرة الجينية، وفي حقل الفيزياء الحديثة تم إكتشاف نظرية الكوانتم وكذلك إكتشافات العلماء في حقول الكيمياء والرياضيات والفلك.

أنّ تاريخ الفكر تحذرنا من الظن أن النظرية العلمية عن العالم كاملة ونهائية بالضرورة لأنّها أفضل ما صيغ حتى الآن. فعلينا أن نتذكر أنّ في قاعدة التعميمات العلمية، أو بلغة التعبير الدارجة، قوانين الطبيعة ما هي إلا فرضيات أُعدت لتفسير التغير الدائم في الأفكار الذي نعظمه نحن من خلال الأشياء الرنانة التي تُطلق على العالم وعلى الكون. وفي نهاية المطاف نرى أنّ السحر والدين والعلم ليست سوى نظريات فكرية.
وبما أنّ العلم حل محل سابقيه فإنّه ذاته ربما يتخلى عن مكانه في المستقبل لصالح فرضية أكمل قد تكون طريقة مختلفة في النظر إلى الظواهر الطبيعية. إنّ تقدم المعرفة عملية لا نهاية لها من التقدم نحو هدف لا يكف عن الإبتعاد عنا. ولا بأس من السعي الذي لا ينتهي لأنّه سيتمخض عن اشياء عظيمة بالرغم من أننا قد لا نستمتع بها. وفي بحار ستسطع

نجوم في سماء رحالة المستقبل، اكثر تألقا من النجوم التي تسطع علينا اليوم، ولعل أحلام السحر تتحول في يوم من الأيام إلى حقائق العلوم المستيقظة.
لقد أصبح الإنسان في عصرنا قادرا على التنبؤ بإتجاهات الرياح والسحب المتقلبة وتحكم محدود بها، وتمكن من إكتشاف ألأدوية لكثير من الأمراض وألأوبئة ألتي كانت تقضي عل الجنس البشري بالآلاف كالطاعون والكوليرا والسل، لكن ستبقى يداه الضعيفتان عاجزتين عن إعادة السرعة إلى كوكبنا المتباطيء في مساره الفلكي وعن إعادة الحرارة إلى شمسنا المحتضرة وإلى منع التلوث ألبيئي ألذي يهدد الحياة على كوكبنا، واخيرا قد لا نستطيع منع بعض البشر من وضع نهاية مأساوية لهذا الكوكب بتفجير القنابل النووية التي بحوزتهم أو منعهم من نشر وباء فيروسي يفني البشرية نتيجة لتجارب الأسلحة الجرثومية.
وأخيرا يقارن جيمس جورج فريزر في مؤلفه " دراسة في ألسحر وألدين " خيوط السحر والدين والعلم المختلفة التي تتشابك في تاريخ البشر بالشبكات العنكبوتية التي يغطيها الندى فوق حزمة من ألقصب، فحزمة القصب تمثل التصور السحري (ألإحيائي أو الميتولوجي) عن العالم والشبكات العنكبوتية التي فوقها تمثل التصورالديني عن العالم وقطرات الندى فوق الشبكات العنكبوتية تمثل التصور العلمي عن العالم.

11
ألجينة الفتاكة وملك الموت

" لابد من الأشارة إلى أنّ الجينة التي تتسبب بموت صاحبها تُعرف بأسم " الجينة الفتاكة ". أما الجينة شبه الفتاكة، فلها تأثير موهن بعض الشيء بحيث أنّها تجعل الموت الناجم عن أسباب أخرى مرجحا أكثر".... ريتشارد داوكينز.

لماذا تموت جميع الأحياء ومن ضمنها الإنسان بعد عمر معيّن، أي عندما تهرم الأحياء أو يهرم الإنسان؟
ماذا سيحدث لو أختفى ألموت؟
هل سيتمكن ألإنسان من قهر ألموت في ألمستقبل بإستخدام تقنية ألإستنساخ ونقل ألذاكرة إلى ألنسخة ألجديدة؟
حسب معتقدات ألأديان ألأبراهيمية فإنّ يهوه أو ألرب أو ألله فرض ألموت على ألبشرية نتيجة خطيئة آدم، فبعد أكله من ألشجرة ألمحرمة نزع ألإله من آدم خاصية ألخلود وكتب عليه ألموت بعد فترة، وسواء أقصرت هذه ألفترة أو طالت فألنتيجة الحتمية لن تتغير.
حسب معظم ألمعتقدات ألدينية ألإنسان يتكون من مادة (جسد) وروح فعندما يموت ألإنسان ينفصل ألروح عن ألجسد ولكن ألروح يبقى خالدا لأنّه نفخة من روح ألخالق، وسيتم محاسبة ألإنسان في التراث ألإسلامي يوم القيامة أو يوم ألدينونة بعد إندماج ألروح مرة أخرى مع ألجسد.
في ألتراث ألإسلامي لا يقبض ألله أرواح ألبشر بنفسه وبعبارته ألسحرية (كن فيكون) وإنّما يكلّف ملك ألموت (عزرائيل) للقيام بهذه ألمهمّة، وهنا يحق لنا أن نتسائل :
هل يحتاج ألله ألغني عن ألعالمين وألقدير إلى مساعد للقيام بهذه ألمهمّة؟ أم هي من بنات أفكارنا وتصوراتنا وأوهامنا؟
جاء في بعض الآيات القرءانية أنّ الذي يقبض أرواح الناس ملَك واحد ، كما في الآية : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) ... السجدة/11

ولم يثبت في حديث صحيح تسميته بـ "عزرائيل" كما هو مشهور عند كثير من الناس.

وجاء في آيات أخرى أن الناس تتوفاهم ملائكة لا ملَك واحد ، كما في الآية : (إِنَّ الذين تَوَفَّاهُمُ الملائكة ظالمي أَنْفُسِهِمْ) ...النساء / 97
وكما في الآية : (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملائكة يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) ... محمد /27، وكما في الآية : (حتى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الموت تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرّطُونَ) ... الأنعام / 61.
والتساؤل هنا : هل المسؤول عن قبض الأرواح ملك واحد أم عدة ملائكة؟
لحل هذا التعارض والتناقض بين الآيات المذكورة ذكر المفسرون بأنّ الموكل بقبض الأرواح ملك واحد ، إلا أن له أعواناً يعملون بأمره ويعينونه على ذلك.
في كتابه الجينة الأنانية يتطرق عالم الأحياء ريتشارد داوكينز لموضوع الموت، فيقول:
((ما أود تأكيده هو أنّه من المفضل النظر إلى الوحدة الأساسية للإنتقائية الطبيعية ليس بإعتبارها الفصيلة أو المجموعة أو حتى الفرد، وإنّما الوحدة الصغيرة من المادة الجينية التي تستحق أنْ نسميها الجينة.
إنّ الحجر الأساس في حجتي، كان الإفتراض أنّ الجينات خالدة في حين أنّ الأجساد والوحدات الأخرى الأعلى مستوى تبقى مؤقتة.
والجديرذكره أنّ هذه الفرضية ترتكز على حقيقتين إحداهما تتعلق بالتوالد الجنسي والعبور التبادلي، وترتبط الثانية بفناء الفرد.
وهاتان حقيقتان لا يمكن دحضهما. لكن هذا لا يمنعنا من التساؤل عن اسباب كونهما حقيقتين. لمَ نمارس نحن وغيرنا من آلات البقاء التوالد الجنسي؟ ولمَ تمارس صبغياتنا العبور التبادلي؟ ولمَ لا نعيش إلى ألأبد؟
الواقع أنّ السؤال عن السبب الذي يجعلنا نموت عندما يتقدّم بنا العمر يشكّل سؤالا معقدا.
بالإضافة إلى الأسباب الخاصة، جرى إقتراح عدد من الأسباب العامة، فعلى سبيل المثال، تقول إحدى النظريات إنّ الهرم هو تراكم أخطاء مضرة في النسخ وأشكال أخرى من العطب الجيني تطرأ خلال حياة الفرد. وتتوافر نظرية أخرى تُعزى إلى السير بيتر مدوّر وتشكّل مثالا جيدا عن التفكير التطوري فيما يختص بالإنتقائية الجينية.
فمدوّر يدحض أولا الحجج التقليدية من نوع " المسنون يموتون على سبيل الإيثار تجاه أفراد الفصيلة الأخرى، لأنهم إذا بقوا أحياء عندما يتقدم بهم العمر إلى حد يجعلهم عاجزين عن التوالد، فسيجعلون العالم مزدحما من دون جدوى ". وهذه في الواقع حجّة دائرية كما يقول مدوّر، بإعتبار أنّها تفترض مسبقا ما ينبغي لها إثباته، وتحديدا أنّ الحيوانات التي تهرم تصبح عاجزة عن التوالد. أضف أنّ هذا التفسير ساذج يرتكز على الإنتقائية على أساس المجموعة أو الفصيلة،
الواقع أنّ نظرية مدوّر تعتمد على منطق ذكي ويمكننا عرضها على النحو الآتي:
لقد سبق أنْ تساءلنا عن المزايا العامة لأي جينة "جيدة " وقررنا أنّ " الأنانية " تشكّل إحدى هذه المزايا. لكن ميزة أخرى ستمتلكها الجينات الناجحة تتمثل بالنزعة إلى تأجيل موت آلات البقاء أقله إلى ما بعد التوالد. ولاشك في أنّ عددا من أبناء عمّك وأعمام والديك وأخوالهما قد مات في مرحلة الطفولة، إلا أنّ هذا لم يحدث لأي من أسلافك. فالأسلاف بكل بساطة لا يموتون في الصغر.
لابد من الأشارة إلى أنّ الجينة التي تتسبب بموت صاحبها تُعرف بأسم " الجينة الفتاكة ". أما الجينة شبه الفتاكة، فلها تأثير موهن بعض الشيء بحيث أنّها تجعل الموت الناجم عن أسباب أخرى مرجحا أكثر. وإذ تمارس كل جينة أقصى تأثير ممكن على الأجساد في إحدى مراحل الحياة، لا تشكّل الجينات الفتاكة وشبه الفتاكة إستثناء لهذه القاعدة.
الواقع أنّ الجينات بمعظمها تمارس تأثيراتها خلال الحياة فيما تمارس جينات أخرى تأثيراتها في مرحلة الطفولة، وأخرى في مرحلة البلوغ، وأخرى في منتصف العمر، وأخرى في سن الشيخوخة، " تذكّر أنّ دودة القز والفراشة التي تتحول إليها لاحقا، تمتلكان المجموعة نفسها من الجينات."
ومن الجلي أنّ الجينات الفتاكة ستُستبعد من الجمعية الجينية، إنّما من الجلي أيضا أنّ الجينة الفتاكة ذات التأثير المتأخر ستكون أكثر ثباتا في الجمعية الجينية من الجينة الفتاكة ذات التأثير المبكر. فالجينة الفتاكة في جسد مسنّ قد تبقى ناجحة في الجمعية الجينية، شرط ألا تتجلّى تأثيراتها ألا بعد أنْ يتسنّى الوقت للجسد أقله للتوالد.

وبحسب هذه النظرية إذاً، يشكّل وهن الشيخوخة بكل بساطة نتاجا ثانويا لتراكم الجينات الفتّاكة وشبه الفتّاكة ذات التأثير المتأخر التي سُمح لها بالإنزلاق عبر شبكة الإنتقائية الطبيعية فقط لأنّ تأثيراتها تتجلّى في مرحلة متأخرة.
وعلى هامش هذه المسألة، تتمثل إحدى المزايا الجيدة في هذه النظرية بواقع أنّها تفضي بنا إلى تخمينات مثيرة للإهتمام. فعلى سبيل المثال، تجعلنا هذه النظرية نستنتج أننا، إذا أردنا زيادة المعدّل الوسطي لعمر الإنسان، نستطيع أنْ نفعل ذلك عموما بطريقتين. ألأولى، يمكننا أن نحظر التوالد قبل سن محددة، كالعقد الرابع من العمر مثلا. وبعد مرور بضعة قرون على تطبيق هذه القاعدة، يرتفع الحد الأدنى للعمر إلى الخمسين، وهكذا دواليك. ومن الممكن أنْ نتصور إمكانية إطالة عمر الإنسان بهذه الطريقة على مر قرون عدة. لكنني لا أتصور أنّ أحدا يفكّر جديا في إرساء هذه السياسة.
الثانية، يمكننا أنْ نحاول " خداع " الجينات بحيث تعتقد أنّ الجسد الذي توجد فيه أكثر شبابا مما هو في الحقيقة. وهذا عمليا يعني تحديد التغيرات التي تطرأ مع التقدّم في العمر على البيئة الكيميائية الداخلية للجسد. إنّ أيّاً من هذه التغيرات يمكن أنْ يشكّل " ألإشارات " التي " تحفّز" الجينات الفتاكة ذات التأثيرات ألمتأخرة.
وإذ نحاكي الخصائص الكيميائية السطحية لأي جسد فتي، قد نستطيع الحؤول دون تحفيز الجينات الموهنة ذات التأثيرات المتأخرة)).

12
تطور وإنتشار الأديان ونظرية الميمات

" فكرة نار جهنم هي بكل بساطة فكرة أبدية تتكرر ذاتيا بسبب تأثيرها النفسي العميق. وقد أرتبط هذا الميم بميم ألله لأنّ أحدهما يعزز الآخر ويساعد على بقائه في الجمعية الميمية".... ريتشارد داوكينز.

أعتمدَتْ ألأديان السماوية وألأديان والمعتقدات ألأخرى لترسيخ أفكارها ومعتقداتها على ألايحاء، فألأذان وألصلاة المتكررين لخمس مرّات في اليوم وألذِكْر وألصوم وألحج من وسائل تثبيت العقائد والافكار في عقول ألبشر، إنَّ ألايحاء يحدِث تأثيره بواسطة ألبشر ايضا، فألانسان يستطيع نقل أو ترسيخ أفكاره في عقول ألاخرين بألكلام ألمباشر أو ألكتابة، وحسب المعتقدات ألاسلامية فإنَّ ألشياطين وألجِن لها قابلية ألتأثير على عقول ألنّاس فيسمّى ألايحاء حينئذ بألوسوسة ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ*))..... سورة ألنّاس، ونفهم مِنْ هذه السورة أنَّ ألوسوسة يُمكِن أنْ تَحدُث بواسطة ألإنسان أيضا وهنا يكون العامل الحاسم في تحديد ذلك هو نيَّة ألموسْوِس، فإذا كانت نيّته شريرة فعندئذ تسمّى بألوسوسة.
في مؤلفه الجينة الأنانية يتساءل ريتشارد داوكينز قائلا :
(((هل ثمة أسباب مقنعة تجعلنا نفترض بأنّ جنسنا البشري فريد من نوعه؟ أعتقد بأنّ الجواب هو نعم.
الواقع أنّه يُمكن إختصار معظم ما يُعتبر غير إعتيادي في ما يتعلق بالإنسان، بكلمة واحدة هي "الثقافة" وأشير أنني لا أستخدم هذه ألكلمة بمعناها الصلف وإنّما بالمعنى الذي يعتمده رجل علم. والجدير ذكره في هذا الإطار أنّ الإنتقال الثقافي يشبه الإنتقال الجيني من حيث أنّه قد ينشأ كشكل من أشكال التطور، وإنْ كان مقاوما للتغيير في الأساس.
يبدو أنّ اللغة "تتطور" وفقا لأساليب غير جينية ولإيقاع يفوق بسرعة إنتشاره سرعة التطور الجيني. إنّ جنسنا البشري هو الذي يبين ما يمكن التطور الثقافي تحقيقه فعليا. واللغة ليست سوى مثال من أمثلة كثيرة. فالموضة في الملبس والمأكل، والإحتفالات والأعراف، والفن والعمارة، والهندسة والتكنولوجيا، كلها تتطور تأريخيا بطريقة تبدو أشبه بتطور جيني سريع جدا، علما بأنّ لا علاقة لها على الإطلاق بالتطور الجيني. لكن كما هي الحال في التطور الجيني، قد يحدث التغيير بصورة تدريجية.

كما تنتشر الجينات في الجمعية الجينية عبر القفز من جسد إلى آخر بواسطة الحوينات المنوية أو البيوض، تنتشر الميمات "ألميمات تعبير يطلقه ريتشارد داوكينز على كيانات متضاعفة أو مستنسخة ناقلة للثقافة" في الجمعية الميمية عبر القفز من دماغ إلى آخر بواسطة مسار يمكن تسميته بالمعنى الواسع "التقليد".
وكما أوضح زميلي "أن.كاي. هامفري بإيجاز"، " ينبغي النظر إلى الميمات بإعتبارها بُنى حيّة، ليس على مستوى التشبيه فحسب، إنّما ايضا من الناحية التقنية. فعندما تزرع ميما خصبا في عقلي، تتطفل على دماغي وتحوله إلى وسيلة لنقل الميم تماما كما تتطفل جرثومة على الآلية الجينية للخلية المضيفة.
وهذه ليست مجرد طريقة في الحديث فحسب، فميم الإيمان بالحياة بعد الموت على سبيل المثال، يتحقق ماديا ملايين المرات كبنية في الأجهزة العصبية للأفراد من البشر في جميع أنحاء العالم."
ولنأخذ مثالا فكرة أللّه. نحن لا نعرف كيف نشأت هذه الفكرة في الجمعية الميمية. لكنها نشأت على الأرجح عن "تحولات" مستقلة متعددة. إلا أنّها في مختلف الأحوال تبقى فكرة قديمة. لكن كيف يتضاعف هذا الميم؟ هو يتضاعف بالكلمة المكتوبة والمسموعة، متعاونا مع الموسيقى الرائعة والفن الباهر.
والسؤال هو: ما الذي يجعل لهذا الميم هذه القيمة المهمة لجهة البقاء؟ تذكروا أنّ قيمة البقاء هنا لا تعني القيمة بالنسبة إلى الجينة في الجمعية الجينية، وإنّما القيمة بالنسبة إلى الميم في الجمعية الميمية. والمقصود تحديدا السؤال التالي: ما المميز في فكرة أللّه الذي يعطي هذه الفكرة الثبات والمقدرة على إختراق البيئة الثقافية؟
الواقع أنّ قيمة البقاء بالنسبة إلى ميم أللّه في الجمعية الميمية تنشأ عن الإغراء النفسي المهم الذي تنطوي عليه. فهذا الميم يقترح جوابا مقبولا ظاهريا للأسئلة العميقة والمقلقة بشأن الوجود وهو يقترح أيضا أنّ الظلم في هذا العالم قد يصوّب في الحياة الثانية (الثواب والعقاب في ألآخرة بالنسبة للدين الإسلامي.....كامل علي). "فاليد الخالدة" تؤمّن وسادة لمظاهر قصورنا وتبقى فعالة لأنّها خيالية كما الدواء الغفل الذي يصفه الطبيب.
وهذه بعض الأسباب التي تجعل الأجيال المتعاقبة تنسخ فكرة أللّه من الأدمغة الفردية. فاللّه موجود، سواء أكان ميما يتميز بقيمة مهمة للبقاء، أو قوة يسهل نشرها في البيئة التي تؤمّنها الثقافة البشرية.
والآن نتساءل هل أصبح ميم أللّه على سبيل المثال مرتبطا بميمات أخرى، وهل يدعم هذا الإرتباط بقاء كل من الميمات المشاركة؟ ربما يمكننا النظر إلى الكنيسة ببنائها المعماري وطقوسها وقوانينها وتراتيلها وفنونها وتقاليدها المكتوبة بإعتبارها مجموعة ثابتة من الميمات المتعاونة المتكيفة معا.
(كذلك يُمكن إعتبار الجامع بطرازها المعماري وصلوات الجماعة وصلاة الجمعة فيه، والصوم في رمضان والحج مجموعة ثابتة من الميمات المتعاونة المتكيفة معا..... كامل علي).
وأذكر كمثال خاص على ذلك جانبا في العقيدة أثبت فعاليته في تطبيق القوانين الدينية، أقصد تحديدا التهديد بنار جهنم. فالعديد من الأطفال وحتى بعض الراشدين، يعتقدون أنّهم سيلاقون ألواناً من العذاب بعد الموت إنْ هم لم يخضعوا للأوامر الكهنوتية. ولاشك في أنّ هذه تقنية مقيتة للإقناع سبّبت الكثير من الكرب النفسي خلال العصور الوسطى وحتى في أيامنا هذه .
لكنها في الواقع تقنية شديدة الفعالية. وربما خطط لها متعمدا رجل دين مكيافيلي متمرّس في تقنيات التلقين النفسي العميق. لكنني أشك في أنْ يكون لرجال الدين هذا القدرمن الذكاء. والأرجح أن تكون الميمات غير الواعية قد ضمنت بقاءها بفضل تلك المزايا نفسها للقسوة الزائفة التي تحسن الجينات استعراضها. ففكرة نار جهنم هي بكل بساطة فكرة أبدية تتكرر ذاتيا بسبب تأثيرها النفسي العميق. وقد أرتبط هذا الميم بميم أللّه لأنّ أحدهما يعزز الآخر ويساعد على بقائه في الجمعية الميمية.
(ألعقاب في ألجحيم هو ألسبب ألرئيسي لتهافت ألنّاس على ألإيمان بالإسلام، لأنَّ ألعذاب وألرعب ألموصوف في ألقرآن لا يدانيه أفضل أفلام ألرعب ألأمريكية منذ أكتشاف ألسينما، أنظر إلى هذه ألآية ((أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ *إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ *))...سورة ألصّافات ألآية 62- 68، فأصحاب ألجحيم يأكلون مِن شجرة أسمها ألزقّوم وفاكهة هذه ألشجرة تشبه رؤوس ألشياطين .

وكذلك ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))...سورة ألتحريم 16 .
وأخيرا وليس آخرا اقرأ هذه ألآية ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا))...سورة ألنساء ألآية 56..... كامل علي).
وأذكر عضوا آخر في مركب الميمات الدينية هو الإيمان. والمقصود بالإيمان الثقة العمياء بصعوبة الإثبات حتى في ظل غياب أي إثبات. والواقع أنّ ميمة الإيمان تضمن خلودها الذاتي عبر الذريعة اللاواعية لإحباط الإستفسار العقلاني.(لقد ورد في ألقرءان حول ذلك ألآية 101 من سورة المائدة ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ))..... كامل علي).
ولابد من الإشارة إلى أنّ الإيمان الأعمى يبرر أي فعل. فإنْ كان أحد الرجال يؤمن بإله مختلف، أو حتى إنْ كان يعتمد طقوسا مختلفة في عبادة الإله نفسه فقد ينص الإيمان الأعمى على ضرورة موته. (كمثال على ذلك قتل التكفيريون للمخالفين في الدين والمذهب ...كامل علي)، فلميمات الإيمان الأعمى طرائقها الخاصة للإنتشار. وهذا الواقع ينطبق على الإيمان الوطني والسياسي كما ينطبق على الإيمان الأعمى.
صحيح أنني كنت سلبيا بعض الشيء في ما يتعلق بالميمات، إلا أنّ للميمات أيضا وجهها المرح. فعندما نموت، يمكننا أنْ نخلف وراءنا شيئين هما الجينات والميمات. لقد بُنينا كآلات جينية وأُوجدنا لننقل جيناتنا. لكن هذا الجانب منا سيصبح منسيا بعد ثلاثة أجيال. فأبنك أو حتى أبن حفيدك قد يشبهك، ربما في بعض ملامح الوجه أو في موهبته الموسيقية أو لون شعره. لكن مع مرور كل جيل تتناقص مساهمة جيناتك إلى النصف.
ولن يمر وقت طويل قبل أنْ تصبح النسبة زهيدة جدا. فقد تكون جيناتنا خالدة، لكن مجموعة الجينات التي تشكّل كل واحد منا محكومة بالتلاشي. فلا يُفترض بنا أنْ نبحث عن الخلود في التوالد.
لكن إنْ أنت ساهمت في ثقافة العالم، كأن طورت فكرة جيدة أو ألفت لحنا موسيقيا، أو أبتكرت شمعة إشعال، أو كتبت قصيدة، فقد يبقى إنجازك على حاله حتى بعد مرور وقت طويل على ذوبان جيناتك في الجمعية المشتركة.
فكما لاحظ "دجي. سي. ويليامز"، ربما لا يشتمل عالمنا اليوم على جينة حية أو أثنتين من جينات سقراط، ولكن من يكترث؟ فالمركبات الميمية الخاصة بسقراط وليوناردو وكوبرنيكوس وماركوني لا تزال تنتشر بقوة))).

13
تكهنات بيولوجية لعام 2050 م

" عندما يجد مخبروا التحري بقعة دم فإنّهم قد يتمكنون من إنشاء صورة كمبيوتر لوجه المشتبه فيه – أو بدلا من ذلك، حيث إنّ الجينات لا تنضج بالسن، فإنّهم قد يتمكنون من إنشاء سلسلة من الوجوه منذ الطفولة حتى الشيخوخة!" .... ريتشارد داوكينز.

إنّ ثورة الوراثيات الجزيئية هي واحدة من أعظم أنجازات العلم في القرن العشرين، ويعني هذا أنّها من أعظم ما أنجزه قط الجنس البشري .
أين سنذهب بها إذن – أو أين ستذهب هي بنا – في السنوات الخمسين التالية؟
الوراثيات الآن هي تكنولوجيا معلوماتية خالصة. وهذا على وجه الدقة هو السبب في أنّ الجين المضاد للتجمد يُمكن نسخه من سمكة قطبية وإلصاقه داخل ثمرة طماطم.

- في العام 2050 سنكون قادرين على تحديد تتابعات الجينوم الكامل لأحد الأفراد مقابل 100 جنيه إسترليني بالقيمة الحالية (حوالي 160 دولار). وبدلا من مشروع الجينوم البشري، سيكون كل فرد قادرا على تحمّل تكلفة مشروع الجينوم الشخصي الخاص به.

- في العام 2050 سيكون لدى علماء وراثة السكان البيانات النهائية عن التنوع البشري. وسيصبح في ألإمكان إستنباط شجرة لعلاقات أبناء العمومة التي تربط أي شخص في العالم بأي شخص آخر. وهذا أكثر الأحلام جموحا عند علماء التاريخ.
سوف يستخدم هؤلاء العلماء التوزيع الجغرافي للجينات لإعادة بناء الهجرات والغزوات الكبرى عبر القرون، ولمتابعة خط رحلات سفن الفايكنج الطويلة، ولمتابعة القبائل الأمريكية بواسطة جيناتها وهي تهبط من ألاسكا إلى تييرا دلفيجو، ولمتابعة السكسون في مرورهم خلال بريطانيا، ولتوثيق الشتات عند اليهود، بل وحتى لتعيين السلالة الحديثة لسادة حروب النهب مثل جنكيزخان.

- تخبرنا الآن أشعة إكس للصدر عما إذا كان المريض مصابا بسرطان الرئة أو مصابا بالسل. وسيتمكن المرء في 2050 مقابل ثمن صورة أشعة إكس، أن يعرف النص الكامل لكل جين من جيناته. ولن يناول الطبيب لمريضه وصفة طبية يوصى بها لأي شخص متوسط ممن يشكون بشكوى المرض، وإنّما سيناوله وصفة طبية تلائم بالضبط جينوم كل مريض وحده.
ولا ريب أنّ هذا أمر طيّب، ولكن شريط الجينوم الخاص بكل فرد سوف يتنبأ أيضا بدقة منذرا بالنهاية الطبيعية لهذا الفرد. ترى أتكون لدينا الرغبة في معرفة من هذا النوع؟ حتى لو كنا نرغب في ذلك لأنفسنا، هل سنرغب في أن يكون شريط ما لدينا من دنا مقروءا عند الأكتواريين (خبراء التخمين) بشركات التأمين، أو عند محامي قضايا إثبات الأبوة، أو عند الحكومات؟ لن يسعد كل فرد بتوقعات من هذا النوع حتى لو كان يعيش في بلد ديموقراطي معتدل. يتطلب الأمر أن نفكر في أنّ شخصا من طراز هتلر قد يظهر في المستقبل ويسيء إستخدام هذه المعرفة.

- إحدى الفوائد الإضافية التي ربما سيكون التأثير الأعظم لها هو في الولايات المتحدة، هي أنّ المعرفة الكاملة لشجرة الحياة ستجعل من الأصعب أن يكون هناك اي شك في حقيقة التطور. وستصبح الحفريات بالمقارنة غير ذات أهمية في المحاجة، ذلك أنّه سيوجد لدينا مئات من الجينات المنفصلة، في عدد كثير من ألأنواع التي بقيت حية يصل مقداره إلى العدد الذي نستطيع أن نتوصل لتحديد تتابعاته، وكلها تعزز ما يسرده كل واحد منها الشجرة الوحيدة الحقيقية للحياة.
- هناك مقولة ترددت كثيرا بما يكفي لأن تصبح مبتذلة، ولكني أفضل أن أقولها ثانية، وهي: أنّ معرفة جينوم أحد الحيوانات ليست أمرا مماثلا لفهم هذا الحيوان. وسوف أتبع نهج سيدني برينر (1)، وأفكر بلغة من ثلاث خطوات، عن تزايد الصعوبة في "حوسبة" أحد الحيوانات من جينومه.
الخطوة الأولى كانت صعبة ولكنها الآن قد تم حلها تماما. وهي خطوة حوسبة تتابعات الأحماض الأمينية في إحدى البروتينات وذلك من تتابع النيوكليوتيدات (2) بأحد الجينات.
والخطوة الثانية هي حوسبة النمط الثلاثي الأبعاد لثنايا أحد البروتينات وذلك عن طريق التتابع ذي البعد الواحد للأحماض الأمينية. يعتقد الفيزيائيون أنّ هذا أمر يُمكن أداؤه من حيث المبدأ، ولكنه صعب، وكثيرا ما يكون من الأسرع أن نصنع البروتين ثم نرى ما يحدث.
والخطوة الثالثة هي أن نحوسب الجنين النامي من جيناته وتفاعلاتها مع بيئتها – وهي بيئة تتكون في معظمها من جينات أخرى. وهذه هي أصعب خطوة، إلا إنّ علم الأجنة ((وخاصة فيما يتعلق بما تفعله جينات "هوكس" (3) والجينات المماثلة)) يتقدم بمعدل سريع بحيث إنّه بحلول 2050 ستكون هذه الخطوة، فيما يُحتمل، قد تم حلها. وبكلمات أخرى فأنا

أخمن أنّ عالِم الأجنة في عام 2050 سوف يُغذي أحد الكمبيوترات بجينوم حيوان مجهول، وسيحاكي الكمبيوتر عندها تناميا للجنين يصل عند ذروته التوصيف الكامل للحيوان البالغ.
ولا يُعد هذا في حد ذاته إنجازا مفيدا بوجه خاص، لأنّ الجنين الحقيقي سيظل دائما جهاز حوسبة أرخص من من الجهاز الالكتروني.
ولكن هذه المحاكاة سيكون منها طريقة للدلالة على إكتمال فهمنا للأمر. وستكون هناك تطبيقات معينة لهذه التكنولوجيا لها فوائدها.
وكمثل: عندما يجد مخبروا التحري بقعة دم فإنّهم قد يتمكنون من إنشاء صورة كمبيوتر لوجه المشتبه فيه – أو بدلا من ذلك، حيث إنّ الجينات لا تنضج بالسن، فإنّهم قد يتمكنون من إنشاء سلسلة من الوجوه منذ الطفولة حتى الشيخوخة!

- أعتقد أيضا أنّه بحلول 2050 سوف يصبح حلمي عن "الكتاب الجيني للموتى" واقعا متحققا. يبين لنا الإستدلال الدارويني أنّ جينات أحد الأنواع لابد من أنّ فيها ما يشكّل نوعا من التوصيف للبيئات السلفية التي أستطاعت هذه الجينات أن تبقى موجودة عبرها. فالمستودع الجيني لأحد الأنواع هو الصلصال الذي يتشكل بواسطة الإنتخاب الطبيعي.
وكما أوضحت الأمر في "فك نسيج قوس قزح:"

كما تنحت رياح الصحراء جروف الرمال في أشكال خيالية،
وكما تشكل أمواج المحيط الصخور، فإنّ دنا الجمل قد نُحت
بالبقاء في صحارى قديمة، بل وحتى في بحار أكثر قدما،
لينتج عنه الجمال الحديثة. يحدثنا دنا الجمل – لو كنا فحسب
نفهم لغته عن العوالم المتغيرة لأسلاف الجمل. ولو كنا فحسب
نفهم لغة دنا سمك التونة ونجم البحر لوجدنا كلمة "البحر"
مكتوبة في النص. أما الخلد ودود الأرض فهو ينطق
عبارة "ما تحت الأرض".

- أعتقد بحلول 2050 سوف نكون قادرين أن نغذي الكومبيوتر بجينوم حيوان مجهول فيعيد إنشاء شكل الحيوان، بل ويعيد أيضا إنشاء تفاصيل العالم الذي عاش فيه أسلافه (الذين تم إنتخابهم لينتجوا هذا الحيوان)، وسيتضمن ذلك مفترسي هذا السلف أو فرائسه، وطفيلياته أو من يتطفل هو عليهم، وأماكن إيوائه، بل وحتى آماله ومخافه.

- ماذا عن إستخدام طرائق أكثر مباشرة لإعادة الأسلاف، بأسلوب الحديقة الجوارسية (4)؟ لسوء الحظ سنجد أنّه من غير المرجح أن تكون بقايا دنا المحفوظة في الكهرمان (5) في حالة سليمة ولن يستطيع أي من أبناءنا أو أحفادنا أن يستعيدوها. إلا أنّ من المحتمل أنّه ستوجد طرائق قد تمكننا من إستخدام ما سيكون لدينا حتى قبل 2050 من بنوك المعلومات غزيرة لدنا الذي ما زال باقيا في الحياة، وإنّ كان الكثير من هذه الطرائق هو حتى الآن بعيد عن أحلامنا.
وحاليا يجري بالفعل تنفيذ "جينوم الشمبانزي" ومن المؤمل أن يكتمل في زمن هو جزء صغير لا غير من الزمن الذي أستغرقه الجينوم البشري.
أبدى سيدني برينر ملاحظة عارضة في نهاية آخر إبداع له من التنبؤ الألفي في مؤلفه "البيولوجيا النظرية في الألفية الثالثة"، فطرح الإقتراح المذهل التالي :
عندما نعرف جينوم الشمبانزي بالكامل، فإنّه ينبغي عندها أن يصبح في إمكاننا، بواسطة إستخدام المقارانات البيولوجية الذكية والمعقدة مع الجينوم البشري (يختلف الجينومان في نسبة مئوية صغيرة جدا لا غير من حيث حروف دنا فيهما)، أن نعيد إنشاء جينوم السلف المشترك بيننا وبين الشمبانزي.

وهذا الحيوان السلف، ألذي يُزعم أنّه "ألحلقة المفقودة"، قد عاش في أفريقيا منذ ما بين 5 ملايين إلى 8 ملايين سنة. وما أن نتقبل هذه الوثبة الفكرية لبرينر، حتى يصبح من المغري لنا أن نتوسع بهذا الإستدلال إلى كل شيء في هذا المجال، ولست ممن يقاومون إغراء كهذا. وعندما يكتمل "مشروع جينوم الحلقة المفقودة"، ستكون الخطوة التالية هي فيما يُحتمل أن نضع هذا الجينوم جنبا ألى جنب مع الجينوم البشري، لنقارنهما القاعدة الواحدة بالاخرى.
وعندما نصل إلى أن نفصل أوجه الإختلاف بين الأثنين (بالطريقة المتنورة نفسها في علم ألأجنة كما سبق إستخدامها) فإنّ هذا ينبغي أن ينتج عنه وصف عام تقريبي لما يكونه الأسترالو بيثيكوس، وهو الجنس الذي أصبحت "حفرية لوسي" (6) هي الأيقونة التي تمثله .
وبحلول الوقت الذي نستكمل فيه "مشروع جينوم لوسي" ينبغي أن يكون علم الأجنة عندها قد تقدم ألى مستوى يُمكننا معه أن نولج الجينوم الذي أعدنا إنشاءه داخل بويضة بشرية لنغرزها في رحم أمرأة، فتولد لوسي جديدة في ضياء يومنا هذا. ولا ريب أنّ هذا سوف ينشأ عنه أمور تُثير القلق أخلاقيا.

الخلاصة:
بجهود علماء الداروينية الحديثة وبتطور علم الجينات زالت ألشكوك التي كان يُثيرها مناهضوا نظرية ألتطور من التكوينيين (ألمؤمنون بما ورد في سفر التكوين للتوراة وكذلك في ألقرآن حول خلق الله للإنسان ". ومن أهم الشكوك التي كان يثيرها المؤمنون بألأديان ألإبراهيمية (أليهودية والمسيحية والإسلام) عدم إكتشاف الحلقات المفقودة، ولكن إكتشاف حفريات لإسلافنا كحفرية لوسي (من جنس الأستر بيثيكوس والتي عُثر عليها في شرق أفريقيا) وكذلك أكتشاف حفرية هومينيد أخرى تُعد هي الأقدم وأسمها "ساحيلانثروبس تشادنسز" نسبة إلى ساحل أفريقيا وتشاد، فندت هذه الشكوك.
مشكلة معظم مناهضي نظرية ألتطور من التكوينيين هو ضحالة إطلاعهم على تفاصيل نظرية التطور الداروينية وما أستجد من إكتشافات لعلماء ألداروينية الحديثة وخاصة في مجال علم ألجينات، فمن الأسئلة الساذجة ألتي يطرحها مناهضوا نظرية ألتطور من التكوينيين هي :
إذا كان الإنسان تطوّر من القرد، لماذا لا نرى القرود الآن تتطوّر إلى بشر؟
البشر والقرود والحمير هم فقط أنسباء متباعدين من الناحية البيولوجية. البشر لم يتطوّروا من القرود بل من جدّ مشترك نطلق عليه اسم "القردة العظمى" لكنه لم يكن لا قرداً ولا بشرياً بالمعنى العلمي للكلمة، وعاش منذ ملايين السنين في الماضي .
في الواقع، خلال السبعة ملايين سنة الماضية تطوّرت العديد من الفصائل الأخرى التي تشبه البشر؛ بعض الأمثلة تشمل هومو آبيليس Homo habilis (الإنسان الماهر)، وهومو أيريكتوس Homo erectus (الإنسان المنتصب) وهومو نياندرثالينسيس (إنسان النيادرتال). كل هذه الفصائل انقرضت خلال فترات مختلفة وبقيت فصيلتنا نحن فقط المعروفة علمياً باسم Homo Sapiens (الإنسان العاقل) لتشارك الكوكب مع بقيّة المخلوقات

الهوامش:
(1) سيدني برينر: عالم فائز بجائزة نوبل.
(2) النيوكليوتيد: وحدة كيميائية في تركيب دنا.
(3) جينات هوكس HOX: جينات في الثدييات تحدد الموقع النسبي للخلايا والأنسجة عل طول المحور الأمامي الخلفي للجنين، فتحدد موضع الفقرات والضلوع والعضلات والجهاز العصبي.... الخ.
(4) الحديقة الجوارسية: فيلم امريكي مشهور من أفلام الخيال العلمي يُعاد فيه تكوين الديناصورات من بقايا دنا الخاص بها.
(5) الكهرمان: راتنج متحجر من الأشجار الصنوبرية المنقرضة في بعض مناطق الغابات الصنوبرية العالمية وتحجرت وتشكلت قبل الآف السنين.

(6) حفرية لوسي: حفرية أنثى إنسان بدائي (هومينيد) من جنس الأستر بيثيكوس عُثر عليها في شرق أفريقيا، وأُعتبرت عند إكتشافها من أقدم حفريات الهومينيد. إلا أنّه قد عُثر مؤخرا على حفرية هومينيد أخرى تُعد هي الأقدم وأسمها "ساحيلانثروبس تشادنسز" نسبة إلى ساحل أفريقيا وتشاد.

14
شكوك ألتكوينيين حول نظرية التطور الداروينى

" التطوّر تغيّر عشوائي زائد انتقاء غير عشوائي".... ريتشارد داوكنز

- هناك الكثير من الثغرات في السجّلات الأحفورية مما يجعل إثبات نظرية التطوّر مستحيلاً:

في الواقع العكس هو الصحيح. هنالك الكثير من الأحافير الوسيطة. الأركيوبتركس على سبيل المثال هو المثال الأقدم على الطيور الأحفورية التي تمتلك هيكل زواحف وكسوة ريش في نفس الوقت. اليوم هنالك بعض الأدلة على أن بعض الديناصورات كانت تمتلك شعراً وكسوة أيضاً (بعض الديناصورات هو سلف الطيور).

الترابسيد (نوع من الكائنات سابق على الديناصورات) هم الحلقة الوسيطة بين الزواحف والثدييات، التيتكاليك هو نوع منقرض من السمك ذات الزعانف المزدوجة التي تشكّل الحلقة الوسيطة نحو البرمائيات، هنالك الآن على الأقل ست أحافير مرحليّة تظهر تطوّر الحيتان، وفي ما يتعلّق بالبشر هناك على الأقل دزينة من الأحافير المرحليّة منذ تفرّع السلالات البشرية من سلالات القردة العظمى منذ ستة مليون عام.

وبالنظر إلى أنه من النادر أن تتحوّل نبتة أو حيوان ميت إلى مستحجرات أحفورية، من المذهل أن يكون لدينا هذا الكمّ من المستحجرات المتوافرة بين أيدينا. فأولاً على الحيوان أن ينجو من أنياب المفترسين، ثم عليه أن يُدفن في ظروف نادرة جداً لتسمح له بالتحوّل إلى مستحجرة بدل التحلّل، ثم على القوى الجيولوجية أن تخرج تلك المستحجرة بطريقة ما إلى السطح لكي يكون بالإمكان اكتشافها بعد ملايين السنين من قبل حفنة قليلة من علماء الأحفوريّات.

- إذا كان التطور حدث على مدار ملايين السنين، لماذا لا يظهر السجلّ الأحفوري تطوّرات تدريجيّة؟

التغيّرات المفاجئة في السجلّ الأحفوري لا تدلّ على غياب التدرّج بل هي دليل على أطوار التشكّل. الفصائل الحيّة تكون مستقرّة لفترات طويلة وتترك بالتالي الكثير من المستحجرات في الأرض خلال هذه الفترة. التغيّر من فصيلة إلى أخرى يحدث بسرعة نسبياً (بالمقاييس الجيولوجيّة التي تمتدّ لمئات ملايين السنين) في عمليّة معروفة باسم التوازن الدقيق punctuated equilibrium.
فصيلة واحدة يمكن أن تمهّد الطريق لفصيلة أخرى حين تنفصل مجموعة "مؤسَّسة" وتصبح منعزلة عن المجموعة الأساسية. طالما بقيت هذه المجموعة التأسيسيّة صغيرة ومنعزلة، يمكن أن تختبر تغيّر سريع نسبياً (خاصة أن المجموعات الكبيرة مستقرّة من الناحية الجينيّة). التغيّرات الأكثر أهميّة تحصل بسرعة لدرجة أنه لا يوجد سوى القليل من الأحافير لتسجيلها.
لكن ما أن تحصل عمليّة التحوّل إلى فصيلة جديدة، يحافظ الأفراد على ميزاتهم لفترة طويلة، تاركين ورائهم العديد من الأحافير المحفوظة جيداً. بعد ملايين السنين يصبح لدينا سجلّ أحفوري يوثّق المرحلتين، المرحلة الأولى والمرحلة الثانية، لكننا نادراً ما نحصل على مستحجرات من المرحلة الانتقالية بينهما لأن التغيّرات الأساسية تحصل في الفترات

القصيرة بين توازن وآخر. وبذلك يوثّق السجّل الأحفوري بشكل أساسي فترات طويلة من الاستقرار وتغيّرات شبه مفاجئة في البنية البيولوجية للكائنات الحيّة.

- لم ير أحد التطوّر يحدث بعينيه:

التطوّر هو علم تاريخي مثبت بواقع أنه هنالك العديد من الأدلّة المستقلّة في ميادين علميّة مختلفة تجتمع عند هذه الخلاصة. البيانات المتوافرة من علوم الجيولوجيا، علم المتحجّرات، علم النبات، علم الحيوان، الجغرافيا البيولوجية، علم التشريح والفيزيولوجيا المقارنة، علم الجينات، البيولوجيا الجزيئيّة، البيولوجيا التطوّرية، علم الأجنّة، الجينات الجماعيّة، تسلسل الجينوم والعديد من العلوم الأخرى كلها تشير إلى خلاصة أن الحياة تطوّرت.
الخلقيون (اللذين يؤمنون بفرضيّة الخلق الدينيّة) يطالبون بـ"دليل أحفوري واحد على التطوّر"، لكن التطوّر لا يُبرهن عليه من خلال مستحجرة واحدة. التطوّر تبرهنه العديد من الأحافير، إلى جانب المقارنات الجينية بين الفصائل، والمقارنات التشريحية والفيزيولوجية بين الكائنات والعديد من الأبحاث العلميّة الأخرى. في الواقع يمكننا أن نرى التطوّر يحدث مخبرياً، خاصة في الكائنات الحية التي تخضع لضغوط بيئية كبيرة وتكون ذات أمد قصير في الحياة ووتيرة سريعة في التكاثر. هكذا حصلنا على معرفتنا حول كيفيّة تطوّر الفيروسات والبكتيريا التي تشكّل جزءً حيوياً جداً من العلوم الطبيّة.

- العلم يزعم بأن التطوّر يحصل بالصدفة والحظّ:

الإنتقاء الطبيعي ليس عشوائياً ولا يعمل عبر الصدفة. الإنتقاء الطبيعي يحافظ على المكتسبات (الفيزيولوجيّة) ويتخلّص من الأخطاء. لكي نفهم ذلك، فلنتخيّل قرداً يعمل على الآلة الطابعة. لكي يقوم القرد بطباعة الحروف الـ 13 الأولى من رواية هاملت بالصدفة، يتطلّب ذلك القيام بـ 26^{13} محاولة على الأقل من أجل النجاح؛ مجموع هذا الرقم هو مساوٍ لـ 16 ضعف مجموع الثواني منذ ولادة النظام الشمسي حتى اليوم. أما إن كان لدينا القدرة على حفظ الحرف الصحيح والتخلّص من الحرف الخاطىء، كما تفعل عمليّة الانتقاء الطبيعي، يمكن النجاح في ذلك عبر 335 محاولة فقط.
ريتشارد داوكنز يعرّف التطوّر بأنه "تغيّر عشوائي زائد انتقاء غير عشوائي". الإنتقاء المتراكم للمزايا الأفضل في الفصائل الحيّة هو ما يقود التطوّر. تطوّر العين من بقعة حسّاسة واحدة في خلية يتيمة لتصبح فيما بعد العين المعقّدة المكوّنة من آلاف الخلايا التي نعرفها اليوم لم يحصل بالصدفة بل حصل من خلال آلاف الخطوات الوسيطة التي تراكمت فوق بعضها البعض لأن كل واحدة منها جعلت العين أفضل وأكثر فعاليّة. العديد من هذه الخطوات لا تزال تحصل حولنا في الطبيعة.

- فقط يمكن لمصمّم ذكي أن يصنع شيئاً معقداً مثل العين:

بنية العين البشرية تظهر بأنها مصمّمة في الواقع بشكل غير ذكي أبداً. هي مبنيّة بالمقلوب ومعكوسة ويجب على فوتونات الضوء أن تنتقل عبر القرنيّة، العدسة، السائل المائي، شرايين الدم، الخلايا المعقودة، خلايا الأماكرين، الخلايا الأفقيّة والخلايا الثنائية القطبيّة قبل أن تصل إلى المخاريط والأطراف التي تحوّل الإشارات الضوئية إلى نبضات عصبيّة، التي بدورها تذهب إلى القشرة البصرية في مؤخرة الدماغ لتحويلها إلى صورة يمكن لنا فهمها.
إن كنا نريد للرؤية أن تكون ممتازة، لماذا سيقوم مصمّم ذكي ببناء العين بطريقة مقلوبة ومعكوسة ومعقدة كهذه؟ هذا "التصميم" يمكن فهم أسباب وجوده فقط إن كان الانتقاء الطبيعي بنى العين من خلال المواد المتوافرة سابقاً وبالتحديد بناءً على الخلايا الموروثة من الكائنات العضوية السابقة. العين تثبت بأن وجودها تمّ عن طريق التطوّر من بنية سابقة وليس عن طريق التصميم الذكي من الصفر.

- **التطوّر هو مجرد نظرية وهي غير مثبتة علمياً:**

كل فروع العلوم ترتكز على نظريات ترتكز بدورها على فرضيات قابلة للإختبار وتشرح جزءً كبيراً ومتنوعاً من الحقائق عن العالم. يمكن اعتبار نظرية ما أنها مثبتة أو متينة إن كانت تستطيع التنبؤ بظواهر جديدة يمكن مشاهدتها واختبارها للتأكد من صحّتها. الوقائع التي تتوافر لنا هي المعلومات الأكيدة التي نعرفها عن العالم والنظريات هي الأفكار التي تفسّر وتشرح تلك الوقائع. العقائد والفرائض التي لا يمكن وضعها تحت الاختبار ليست جزءًا من العلم.
نظريّة التطوّر تستوفي كافة شروط العلم الدقيق:
1– هي ترتكز على القوانين الطبيعية.
2– تشرح الوجود وفقاً للقوانين الطبيعية.
3– قابلة للاختبار في عالم الأدلّة التجريبيّة.
4– خلاصاتها مؤقتة وقابلة للتطوّر.
5– يمكن تحدّيها والبرهنة على خلل فيها باستعمال الطريقة العلميّة.
الطريقة الوحيدة لإثبات خطأ نظرية التطوّر هو عبر إيجاد مستحجرات أحفورية لثدييات تعود لنفس الزمن الجيولوجي للتريلوبيات أو إيجاد مستحجرات بشرية تعود لزمن الديناصورات. لم يتم يوماً إيجاد أي أدلة من هذا القبيل وكل السجلّ الأحفوري يظهر بأنه هنالك فصائل مختلفة من الكائنات في كل زمن جيولوجي.

- **حسناً، يمكن أن نقبل بتطوّر النباتات والحيوانات لكن ليس البشر. الأدلة حول تطوّر البشر حتى الآن اتضح أنها مزيفة أو غير حقيقيّة:**

في سعيهم للتشكيك بنظريّة التطور، يتجاهل الخلقيون كل الأدلة الأحفورية المتوافرة حول السلالات البشرية السابقة وينتقون أمثلة وخدع وأخطاء، معتقدين أنها تظهر العلم بمظهر الضعيف. لكن هذا يدل على سوء فهم هائل لطبيعة العلم الذي يتقدم باستمرار عبر الاستفادة من أخطائه ومن نجاحاته على السواء. القدرة على البناء التراكمي هي الطريقة التي يتقدّم بها العلم. القدرة على تصحيح النظريات التي تتيحها الطريقة العلميّة هي واحدة من أقوى مزايا العلم.
الخدع المزيّفة مثل "رجل بيلتدون" (جمجمة مزيفة صنعها أحد العلماء واعتقدها بعض العلماء لفترة على أنها الرابط المفقود بين البشر والقردة العظمى)، والأخطاء الصادقة مثل "رجل نيبراسكا" (هيكل عظمي لحيوان منقرض اعتقده العلماء في العشرينات على أنه يعود لإحدى السلالات البشرية) تمّ مع الوقت تصحيحها. في الواقع لم يكن الخلقيون هم من فضح هذه الأخطاء بل العلماء هم اللذين قاموا بذلك. الخلقيون اكتفوا بالقراءة عن هذه الأخطاء ثم ادّعوا أنهم اكتشفوها.

- **إن كان التطوّر حصل في الماضي فلماذا لا نراه يحصل اليوم؟**

التطوّر يحصل على امتداد فترات طويلة جداً من الزمن تمتدّ لعشرات أو مئات ملايين السنين وبالتالي لا يمكن ملاحظة التغيّرات الكبيرة في التركيبة الجينية لأي فصيلة حيّة إلا بعد إنقضاء فترة طويلة جداً تفوق عمر السلالة البشرية نفسها. لكن التطوّر يحصل باستمرار ويمكن مشاهدته في أكثر من مجال؛ التطوّر الذي تعيشه البكتيريا والفيروسات هو مثال سبق وأعطيناه. بالإضافة إلى ذلك هنالك بعض التطوّرات المهمّة التي يمكن ملاحظتها منذ الآن.
هنالك دراسة في جامعة ويسكونسن تظهر بأن حجم الدماغ البشري تقلّص قليلاً خلال الـ 20 ألف عام الأخيرة بمقدار 13,50 سنتمتر مكعب. والعلماء اليوم يتساءلون ما إذا كان ذلك يعني زيادة في كفاءة الدماغ الذي بات يحتاج لوزن أقلّ للقيام بنفس المهمّات المعقدّة، أو ما إذا كان ذلك يعني تقلّصاً في بعض أنواع الذكاء التي لم نعد نحتاج لها مثل تلك التي كنّا نستعملها لصيد الطرائد والهروب من المفترسين في زمن ما قبل التاريخ.

- القانون الثاني للديناميكا الحرارية يبرهن بأن التطوّر مستحيل:

القانون الثاني للديناميكا الحرارية، الذي يقول أن كل نظام فيزيائي يخسر الطاقة باستمرار على شكل حرارة، ينطبق فقط على الأنظمة المغلقة والمنعزلة. بما أن الأرض تحصل على كميّة ثابتة من الطاقة من الشمس، تنخفض الأنتروبيا (الخسارة الحرارية) ويزيد مستوى التعقيد في أشكال الحياة. بالتالي الأرض ليست نظاماً مغلقاً والحياة يمكن أن تتطوّر عليها من دون خرق القوانين الطبيعية. طالما أن الشمس تحترق وترسل إلينا الطاقة، يمكن للحياة أن تزدهر وتتطوّر. حين تتوقّف الشمس عن الاحتراق، تأخذ الانتروبيا مجراها وتموت الحياة على الأرض.

- لا يمكن لنظريّة التطوّر أن تفسّر وجود الأخلاق:

معظم الحيوانات الأساسية تمتلك حدّ أدنى مّما يمكن أن نسميه الشعور الأخلاقي؛ خاصة فصائل الثدييات. القردة، الأسود والغزلان مثلاً كلها تمتلك منظومات سلوكيّة تقوم على مساعدة بعضها البعض وحماية الأضعف في فصيلتها.
بدورنا كبشر، طوّرنا شعور عميق بالخطأ والصواب بهدف زيادة ومكافأة التبادل والتعاون ولمعاقبة الأنانية الزائدة والتصرّفات الفردية على حساب الجماعة؛ هذا الشعور الفطري بالخطأ والصواب يحسّن فرص وأسلوب عيش فصيلتنا. التطوّر خلق فينا المشاعر الأخلاقية التي تنبّهنا بأن الكذب، الغشّ، الخيانة والسرقة هي أمور خاطئة لأنها تدمّر الثقة في العلاقات الإنسانية التي تعتمد على قول الحقيقة، الصدق والاحترام. لن يكون من الممكن لأي فصيل حيواني أن يعيش من دون حسّ أخلاقي. المجتمعات البشرية مبنيّة على الطبيعة البشرية التي تدرك الخطأ والصواب بالفطرة.

15
دين ألإنسان وألألوهية

" فمن أين جئنا، وأين نقيم، والى أين نحن ذاهبون؟ أيا مَن يعرف "براهمان" نبّئنا مَن ذا أمرَ بنا فإذا نحن هاهنا أحياء.. أهو الزمان أم الطبيعة أم الضرورة أم المصادفة أم عناصر الجو، ذلك الّذي كان سبباً في وجودنا، أم السبب هو من يُسمّى "بوروشا"- الروح الأعلى؟"..... أسفار اليوبانشاد.

من فوائد أسفار الفيدا ألهندية لنا أن تعرض علينا الدين وهو في طريق التكوين، فنرى مولده ونموه وموت الآلهة والعقائد، ونرى ذلك بادئين من النزعة الروحانية البدائية حتى نبلغ وحدة الوجود الفلسفية، بادئين بالخرافة في "فيدا أثارفاً" (أي سفر السحر) ومنتهين إلى الوحدانية الجليلة كما ذكرت في أسفار "يوبانشاد".
ألمؤمن بألأديان بعد أن يتخلى عن إيمانه يمر بمرحلة أللادينية ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن إيمانه بوجود إله بسهولة، لذلك نجد بينهم من يؤمن بإله منزه مناقض للإله ألإسلامي أو المسيحي أو أليهودي.
وقسم آخر يكون لا أدريا، واللاادرية توجه فلسفي يقول أنّ القيمة الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة و لا يمكن لأحد تحديدها وانّ قضايا وجود الله أو الذات الإلهية بالنسبة لمعتنقي هذه الفلسفة موضوع غامض كليا ولا يمكن تحديده في الحياة الطبيعية للإنسان. ومن اشهر الفلاسفة اللاادريين الفيلسوف الصيني كونفشيوس.
وبعض أللادينين يكونون ربوبيين وهوإتجاه فلسفي يرى أنّ الخالق خلق الوجود وأعطاه قوانينه ثم تركه تسير حسب النواميس الّتي وضعها .

ألقسم ألأكبر من اللادينيين يتحولون إلى ألإلحاد، وهو الاعتقاد بعدم وجود خالق واعي للكون والمخلوقات حسب الفهم الديني، ويَعتَبِر المُلحدون المادّة والكون ازليا والدين وهما من تخيّل الانسان. يعتبر الملحدون الايمان بوجود الخالق غير مُثبت وانّ التصديق به هو نمط من الايمان الشخصي لا يستند على ادلّة ولهذا يُمكن رفضه بدون دليل. لايوجد تعاند بين الالحاد والدين فالبوذيون يؤمنون بالدين ولكنّهم لا يؤمنون بالاله.

هنالك شريحة من ألناس ومنهم بعض المتصوفة تؤمن بعقيدة وحدة الوجود وهي مذهب فلسفي يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرون الله صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

وهي فكرة قديمة أعاد إحيائها بعض المتصوفين المسلمين من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني والذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفلسفة الرواقيين. وناد بوحدة الوجود بعض فلاسفة الغرب من أمثال سبينوزا وهيغيل.

فلسفة أسفار يوبانشاد:

موضوع أسفار اليوبانشاد هو كلّ السر في هذا العالم الذي عزّ على الإنسان فهمه، "فمن أين جئنا، وأين نقيم، والى أين نحن ذاهبون؟ أيا مَن يعرف "براهمان" نبّئنا مَن ذا أمرَ بنا فإذا نحن هاهنا أحياء.. أهو الزمان أم الطبيعة أم الضرورة أم المصادفة أم عناصر الجو، ذلك الّذي كان سبباً في وجودنا، أم السبب هو من يُسمّى "بوروشا"- الروح الأعلى؟

المقاطع التالية تختصرألعقيدة ألبرهمية:

براهما :

إذا ظنَّ القاتل المخضّب بدماء قتيله أنّه القاتل
أو إذا ظنَّ القتيل أنّه قتيل
فليسا يدريان ما اصطنع من خفي الأساليب
فأحفظها لديَّ، ثمّ أنشرها، ثمّ أُعيدها
البعيد والمنسي هو إليّ قريب
والظل والضوء عندي سواء
والآلهة الخفية تظهر لي
وشهرة الإنسان بخيره أو بشرّه عندي سواء
إنّهم يُخطئون الحساب الّذين يُخرجونني من الحساب
إنّهم إذا طيّروني عن نفوسهم فأنا الجناحان
إنّهم إنْ شكّوا في وجودي فأنا الشكُّ والشاك معاً
وأنا الترنيمة الّتي بها البراهمي يتغنّى .

فراس ألسواح وألقوة السارية :

في مؤلفه الرائع "دين ألإنسان" يذكر فراس السواح أنّ المعتقدات كلها على تنوعها ذات وحدة تتبدى على شكل إحساس بانقسام الوجود إلى مستويين، المستوى الطبيعي والمستوى القدسي، وأن المستوى القدسي يرتبط بالمستوى الطبيعي من خلال قوته السارية، ويؤكد أنّ :

"الدين ليس وهما ، والمؤمن ليس واهما في إحساسه بوجود قوة أعظم منه تضم الوجود إلى وحدة متكاملة. لأن الخبرة الدينية قد ارتكزت عبر الأزمان على تجربة حقيقية صلبة، وعلى شرط معطى للوجود الإنساني."

ولكن ما هي هذه القوة السارية في الكون؟

هي الطاقة التي تسري فيه، وفي الإنسان بما أنه مادة.

لتوضيح ذلك يختم فراس السواح كتابه ببحث معقد في الفيزياء الحديثة والنظرية الكمية، هدف هذا البحث هو إيجاد صيغة علاقة الإنسان بالكون، حيث يتوصل إلى أن الوعي جزء من المادة غير منفصل عنها، وبالتالي كان الإنسان يشعر ومنذ البداية باتحاده مع الكون، أي مع المادة، وهذا الاتحاد هو القوة السارية التي كان يشعر بها الإنسان القديم.

ويبقى التساؤل ألأزلي وهو:
هل المادة تسبق الوعي أم ألوعي سابق للمادة؟
فإذا آمنّا بأنّ المادة تسبق الوعي نستبعد وجود إله عاقل خلق ألكون.
وإنْ آمنّا بأنّ ألوعي سابق للمادة فهذا يعني بأنّنا نؤمن بوجود إله عاقل خلق ألكون.

16
ألأرض ألأم

" أزحف نحو أمك الارض ".... ألريح فيدا (ألفصل العاشر-18).

إسموهالا (نبي هندي من قبيلة أوماتيا) يرفض ألعمل في ألأرض، يقول "أنت ترتكب إثما عندما تجرح أو تقطع أو تمزق، أو تخدش بألأعمال ألزراعية، ألأرض، أمنا ألمشتركة". ويضيف "أنت تطلب مني أن اقوم بفلاحة ألأرض. هل تريدني أن آخذ سكينا وأغرسها في أحشاء أمي؟
وماذا بعد، عندما أواجه ألموت لن تعيدني إلى رحمها. هل تريدني أن أضربها بألمر وأن أنزع عنها ألحجارة؟ وهل تريدني أن أتوجه إليها، فأقطع وأبتر وأجدع، وأكشط أللحم حتى ألعظم؟
لكني بذلك ألفعل، لن أستطيع ألولوج إلى بدنها من أجل أن تكون لي ولادة ثانية إلى حياة جديدة. تطلب مني أن أجتث ألكلأ وألعلف وأن أبيعها لكي أصير من ألأثرياء، على شاكلة ألبيض. هلا تقول لي كيف أجرؤ على قص شعرها ألطويل؟".
هذه ألكلمات قالها "إسموهالا" في بداية ألقرن العشرين، لكن أصداءها تعود إلى عهد قديم. إنّ ألإنفعال ألذي نشعر به عند سماعها يعود، خصوصا إلى دلالتها، بعفوية وببساطة لا مثيل لهما، على ألصورة ألأولية ألقديمة للأرض- ألأم، والتي نجدها في كل مكان من العالم ألقديم، تحت أشكال وبدائل لا تعد ولا تحصى.
ترى ماذا تقول لنا ألكلمات ألتي أتى على ذكرها النبي الهندي إسموهالا؟
لقد أستنكر ألعمل في الحقول ورفضه، لأنّه أبى أن يجرح جسد أمه. ألحجارة تماثل عظام ألأرض- ألام. كذلك تماثل ألتربة أللحم الذي يكسو جسدها. أمّا ألنبات فهو بمثابة ألشعر وألضفائر.
إنّ تشبيه أعضاء ألجسم بموجودات في ألطبيعة أو بمناطق من ألكون، وألقول بصورة كائن إلهي بحجم إنسان كوني، إنّما نعثر عليها عند شعوب أخرى، وتحت اشكال مختلفة.
يتناول ألأمر، أحيانا عملاقا قديما من ألأوائل يحمل، في ألآن عينه، خصائص ألذكر وألأنثى، أو يتناول، ولو نادرا، فحلا كونيا.
يمكن تقديم تفسير للجمع بين جنس الذكر وألأنثى ولكن صورة ألأرض بوصفها إمرأة وبوصفها أمّا شائع أكثر في ألأساطير، إنّها ألأرض- ألأم ألمعروفة في ديانات ألبلدان الواقعة على سواحل ألبحر ألمتوسط، ألارض ألتي أنجبت ألكائنات كلها.

لم يذكر إسموهالا كيف تمت ولادة البشر من ألأم الارضية. غير أنّ أساطير السكان ألأصليين لأمريكا تشير إلى كيفية حصول تلك الولادة، عند ألبدء في ذلك ألزمان ألقديم. نقول:
عاش أوائل البشر، حقبة من الزمان في أحشاء أمهم: اعني في أعماق ألأرض. هناك في بطن ألأرض كانت لهم حياة نصف بشرية. كانوا، إلى حد ما، أجنة لم تبلغ درجة ألإكتمال ألتام.
بحسب بعض الهنود، كان للأجداد الذين عاشوا تحت الارض، في ماضي الأزمنة، شكل بشري. ويقول بعضهم ألآخر: كان لهم على ألأغلب، مظهر ألحيوانات.
هنالك أساطير هندية أخرى تتحدث عن زمن قديم كانت فيه ألأرض تلد ألبشر، تماما مثلما تنتج القصب وألاشجار في أيامنا.
وهنالك أعتقاد حظي، فيما مضى، بأنتشار عالمي، يقول أنّ ألبشر هم من مواليد ألأرض، يقال عن ألإنسان في لغات عديدة إنّه " المولود من الارض ".
هنالك إحساس غامض بأرتباط ألمرء بألأرض ألتي ولد فيها، أرتباطا روحيا، صوفيا. إذن ألأمر لايتناول، فقط، عاطفة دنيوية بعيدة عن القداسة، عاطفة حب للوطن أو لبلد ينتمي إليه ألإنسان.
مما لاشك فيه إنّ هذه الذكرى ألغامضة لما قبل ألوجود الراهن الذي عاشه المرء في احضان الارض، كان لها نتائج هامة للغاية. لقد اوجدت عند الإنسان شعورا بالقرابة الكونية مع الوسط المحيط.
عند الممات تنشأ عند المرء رغبة قوية في إعادة لقاء ألارض- ألأم، وفي أن يدفن فيها: اعني في التراب الذي أتى منه، وقد صرنا، الآن على علم بدلالته ألعميقة. من هنا، يتولد الخوف، عند المرء من دفن رفاته في مكان آخر، ومن هنا يتولد الفرح من إعادة إلتحاقه بتراب وطنه عن طريق الدفن: فرح جرى التعبير عنه، احيانا من خلال الكتابات على المدافن ألرومانية منها:
"هنا ولد وهنا رقد" و " رغب في العودة إلى حيث كانت ولادته". هكذا يقتضي ألأنتماء إلى ألارض إنتماء تاما، إتباع دورة كاملة تبدأ مع الولادة وتنتهي مع الوفاة. وعند الممات يكون من الضروري العودة إلى الأم.
تقول ألريج فيدا (ألفصل العاشر-18) : " أزحف نحو أمك الارض ".

ألجدير بألذكر، إضافة للأساطير ألقديمة واساطير وادي ألرافدين فإنّ ألقرآن يذكر بأنّ اصل ألكائنات وألإنسان مخلوق من ألتراب وإلى ألتراب يعود بعد ألموت (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)..... سورة طه، الآية- 55 .
إنّ الحقيقة التي كشف عنها "داروين" وألمتعلقة بالظهور ألخاص بألإنسان قد غيرت إلى ألأبد كيف ننظر إلى نوعنا ألحي في ظل ألتاريخ ألطبيعي. وأنتهت إلى ألأبد صلاحيات ألتفسيرات ألخاصة بألثبات لأرسطوطاليس أو ألتأليه (ألإيمان بوجود إله أو آلهة) لتوما ألأكويني، أو ألازدواجية لديكارت (مبدأ أنّ ألإنسان عبارة عن إزدواج روح وجسد لرينيه ديكارت)، وألأسطورة الخاصة بألخلق، التي يتمسك بها ألمتدينون ألمؤمنون بالخلق وألمتعصبون للتوراة، قد تمّ إحلالها بالحقيقة ألخاصة بألنشوء وألأكثر من ذلك فإنّ علم دراسة ألإنسان يعلمنا أنّ المعتقدات وألممارسات ألدينية نفسها قد تطورت منذ ألفجر الخاص بألأنواع البشرية العاقلة، وحتى ألأخلاق والمعنويات والقيم فإنّه يتم ألنظر إليها حاليا في نطاق ألإطار العلمي ألخاص بالتطور الإنساني.

17
الإله ألبعيد

"الإله نزام في ألأعلى، وألإنسان في ألأدنى".
ألإله هو إله، وألإنسان هو إنسان
كل في محله، كل في منزله.... نشيد شعوب ألفانج.

إنّ تاريخ ألكائنات ألعليا ذات ألبنية ألسماوية ذو أهمية رئيسية بألنسبة لمن يريد فهم ألتاريخ ألديني للبشرية في مجملها.
إنّ ألآلهة ألسامية ذات ألبنية ألسماوية تهدف إلى زوال ألعقيدة، إنّها تتباعد عن ألبشر وتنعزل في ألسماء وتصبح آلهة مفارقة، فهذه ألآلهة بعد أن خلقت ألكون وألحياة وألإنسان تشعر "كما يقال" بنوع من ألتعب كما لو أنّ ألمشروع ألضخم لعملية ألخلق أستنفذ طاقاتها، إنّها تنسحب للسماء تاركة على ألأرض أبنها أو خالقا لإكمال تصنيع ألخليقة.
وشيئا فشيئا يؤخذ مكانها بصور إلهية أخرى... فإله ألعاصفة ما يزال يحافظ على بنية سماوية، ولكنه ليس كائنا خالقا أعلى: إنّه ليس سوى مخصّب للأرض وأحيانا مساعدا للأرض ألأم.
إنّ ألكائن ألأعلى من بنية سماوية لا يحافظ على محلّه ألراجح سوى لدى ألشعوب ألرعوية، وهو يحصل على مركز وحيد في ألديانات ذات ألإتجاه ألتوحيدي (آهورا- مازدا في ألديانة ألزرداشتية) أو في ألديانات ألتوحيدية (يهوه في ألديانة أليهودية) و (ألله في ألدين ألإسلامي).

إنّ ظاهرة " بُعد " ألإله ألأعلى سبق لها أن تأكدت على مستويات قديمة من ألثقافة، فلدى ألأستراليين من قبيلة كولين، خلق ألكائن ألأعلى بوندجيل ألعالم وألحيوانات وألأشجار وألإنسان، ولكنه بعد أن وهب أبنه ألسلطة على ألأرض، وأبنته ألسلطة على ألسماء، أنسحب بوندجيل من ألعالم وأقام على ألغيوم "كسيّد": في يده سيف كبير.
وبولوغا ألكائن ألأعلى للأندامنيين أنعزل بعد أن تم له خلق ألعالم وألإنسان ألأول.
إنّ تباعد ألإله يرافقه ألغياب ألشبه ألكامل للعبادة كألتضحية وألصلاة وعمل ألخير، وبألكاد تبقى بعض ألأعراف ألدينية ألتي مازالت تعيش ذكرى ألإله بولوغا : وعلى سبيل ألمثال " ألصمت ألمقدّس" للصيادين ألذين يدخلون ألقرية بعد صيد ناجح.
ويجري ألأمر كذلك لدى أكثرية ألشعوب ألافريقية:
فألإله ألسماوي ألأكبر وألكائن ألأعلى خالق وكلي ألقدرة ولا يلعب دور ذات دلالة له في ألحياة ألدينية للقبيلة، إنّه بعيد جدا أو طيّب جدا لتكون له حاجة للعبادة، وهكذا فإنّ أولورون "مالك ألسماء" عند شعوب أليورباس، بعد أن بدأ خلق ألعالم، أناط عناية إكماله وإدارته بإله أدنى، "أوبتالا" وأنسحب بعدئذ نهائيا عن ألقضايا ألأرضية وألبشرية، وليس له معابد، أو تماثيل ولا كهنة ومع ذلك فيتم ألدعاء أليه وألأستعانة به في أثناء ألكوارث.
إنّ نديامبي ألإله للهريوروس بإنعزاله في ألسماء ترك ألبشرية للآلهة ألأدنى منه.
" لماذا نقدّم إليه ألأضحيات ؟ يصرّح أحد ألمواطنين، ليس لنا ما نخافه منه، لأنّه على عكس أرواح موتانا لا يفعل لنا أي شر".
وألكائن ألأعلى للتومباكاس أكبر جدا من أن يشغل نفسه بألقضايا ألعادية للبشر.
ويقول ألبانتو: " إنّ ألإله بعد أن خلق ألإنسان لم يشغل به نفسه مطلقا ". ويؤكد ألنيقريل : " إنّ ألإله قد أبتعد عنا "
وتلّخص شعوب ألفانج في براري أفريقيا ألأستوائية فلسفتها ألدينية في ألنشيد ألآتي:
ألإله نزام في ألأعلى، وألإنسان في ألأدنى
ألإله هو إله، وألإنسان هو إنسان
كل في محله، كل في منزله.

في هذه ألديانات ألبدائية، يبدو ألكائن ألسماوي ألأعلى قد فقد تحيينه ألديني، وأنّه غائب عن ألعبادة، وتظهر لنا ألأسطورة أنّه ينعزل عن ألبشر أكثر فأكثر، إلى أن يصبح إلاها مفارقا، وغالبا ما يعاد تذكّره ويدعى في آخر ألمطاف عندما لا تنفع ألدعوات للأرباب وألربات ألأخرى وألأجداد وألشياطين في دفع إحدى ألكوارث.
وكما يعبّر ألأوراوون: لقد حاولنا كل شيء، ولكنك أنت موجود عندنا لإغاثتنا. ويضحون له بديك أبيض هاتفين:
" أيها ألإله: أنت خالقنا! كن رحيما بنا ".

18
ألغطس في ألمياه في أساطير ألتكوين

" سومبال- بوركان (إسم ألإله) يقف على ألمحيط ألبدئي ويراقب طائرا مائيا ويطلب إليه أن يغوص في ألأعماق، ومن ألطين ألذي ينقله ألطير من ألأعماق يصنع ألأرض".... اسطورة بورياتية للشعوب ألتركية.

إنّ أسطورة ألنشكونية ألمعروفة أكثر بين شعوب آسيا ألوسطى وألشمالية هي أسطورة منتشرة عالميا تقريبا، مع أنّها تحت مظاهر متباينة إلى حد ما. وإنّ قدمها وأنتشارها ألبارز خارج آسيا قد تأكد في ألهند ألآرية وما قبل ألآرية وفي جنوب شرق آسيا وفي أمريكا ألشمالية.
إنّ ألتغييرات ألمتعددة ألتي تلقتها ألأسطورة عبر ألعصور جعلت من هذه ألأسطورة واحدة من أكثر ألمسائل تشويقا بألنسبة لمؤرخ ألاديان.
لكي نبرز ألخصائص ألمميزة للترجمات ألآسيوية ألوسطى للأسطورة وكذلك ألترجمات لأوربا ألشرقية، نبرز بدئيا ما يمكن إفتراضه بأنّه ألأشكال ألأولى للأسطورة، فألمشهد دائما هو ذاته:
ألمياه ألكبرى قبل ألخلق (نلاحظ وجود ألمياه ألأولى قبل ألخلق في ألأساطير ألبابلية وأليهودية وألإسلامية):
"في تلك ألأزمان ألأولى. لم يكن سوى المياه"..... أسطورة بابلية.
"في ألبدء خلق أله ألسموات وألأرض وكانت ألأرض خربة وخالية وعلى وجه ألغمر ظلمة وروح أله يرّف على وجه المياه".....ألتوراة-سفر ألتكوين-1.
"وهو ألذي خلق ألسموات وألأرض في ستة أيام وكان عرشه على ألماء".....ألقرآن - سورة هود، ألآية-7.).
إنّ ألسيناريو في هذه ألأسطورة ألمتضمنة ألغطس في ألمياه أثناء ألخلق يتضمن مفارقات:

1- ألإله، تحت شكل حيوان يغطس في عمق أللجة بهدف إستخراج قليل من ألطين أو ألطمى ليصنع ألعالم.
2- أو أنّه يرسل حيوانا برمائيا (طائر مائي).
3- أو يُغطِس كائنا (أحيانا خلد ألماء)،ألذي كان يجهل حتى ذلك ألحين ألوجود وألذي يتضح ضده فيما بعد.

وفي ألهندوسية " إله كبير- براجاباتي- براهمان، فيشنو- ممسوخا بشكل خنزير بري، ينزل في اعماق المياه ويرفع ألأرض (في ألعقيدة ألرائيلية يتم تفجير قاع ألمحيطات بقنابل ذرية من قبل كائنات قادمة من ألفضاء لغرض تكوين أليابسة والقارات).
وألجدير بألذكر عدم وجود تعارض بين ألحيوانات ألغاطسة والخالق في ألآساطير ما قبل ألآرية وألأساطير في أميركا ألشمالية.

في اسطورة بورياتية للشعوب ألتركية نجد سومبال- بوركان (إسم ألإله) واقفا على ألمحيط ألبدئي ويراقب طائرا مائيا ويطلب إليه أن يغوص في ألأعماق، ومن ألطين ألذي ينقله ألطير من ألأعماق يصنع ألأرض.
وحسب روايات أخرى مختلفة، يصنع بوركان ألإنسان فيما بعد ودائما من ألطين.
وفي أسطورة لدى ألتتار أنّ لبيد (بجع أبيض) يغطس بناء على أمر ألإله ويحمل له قليلا من ألتراب في منقاره، ومن هذا ألتراب صنع ألإله ألارض مسطحة وزلقة، يقوم ألشيطان بعد وصوله بصنع ألمسنقعات.
حسب اساطير تتار ألألطاي، في ألبدء حيث لم يكن يوجد سوى ألماء، سبح ألإله وألإنسان سوية تحت شكل أوزات سوداء فأرسله ألإله ليبحث عن ألطمي ولكن ألإنسان أحتفظ بقليل منه في فمه، وعندما أخذت ألأرض في ألنمو، بدا ألطمي ينتفخ فأضطر لبصقه وبهذا تولدت ألمستنقعات. فقال له ألإله:
لقد أذنبت وسيكون أتباعك أشرار أمّا أتباعي فسيكونون أنقياء، وسيرون ألشمس والنور وسأدعى كوربيستان (= اوهرمازد)، وأنت ستكون إيرليك، وهذه ألأسطورة تروي أيضا خلق ألإنسان، فإيرليك خان يطلب ألمزيد من ألتراب ألذي يستطيع تنظيمه بألعصى، فيضرب ألارض وتظهر ألحيوانات ألضارة، وأخيرا يرسله ألإله تحت ألأرض، إنّ ألعداوة بين إيرليك وألإله لا تشير بألضرورة إلى مفهوم ثنائي (إله وشيطان) وفي نقوش صخرية نلاحظ بأنّ إيرليك هو إله ألموت.
إنّ ألتوليفة في هذه ألأسطورة مع ألأفكار ألإيرانية واضحة، ولكن ألسيناريو للغاطس ألنشكوني قد حوفظ عليها بكاملها تقريبا،إنّ ألتماهي بين ألإنسان وسيد ألجحيم (إيرليك خان) تفسر في ألواقع أنّ ألإنسان ألأول (ألجد ألأسطوري)، كان كذلك ألرجل ألأول وأنّ ألجد ألأسطوري كان أيضا أول ميّت (وهذه اسطورة مؤكد عليها بشكل واسع في ألعالم).
إنّ ألغطس ألنشكوني قد تأكد لدى ألفنلنديين ألأغريين ولدى ألسلاف ألغربيين وفي أوربا ألشرقية.
تبرز ألاساطير حول خلق ألإنسان ألدور ألمحزن للعدو أو ألضد- فكما في كثير من ألميتولوجيات، يخلق ألله ألإنسان من ألطين وينفخ فيه ألروح (كما في ألأساطير أليهودية وألمسيحية وألإسلامية)، ولكن ألسيناريو في آسيا ألوسطى وألشمالية، يتطلب مشهدا مأساويا:
فبعد أن صنع أجساد ألبشر ألأوائل، ترك ألإله كلبا لحمايتها وصعد للسماء من أجل أن يفتش لها عن روح، وأثناء غيابه يحضر إيرليك (إله ألموت) ويعرض على ألكلب (ألذي كان عاريا حتى تلك ألللحظة) جزة صوف، فيما إذا دعاه يقترب من ألبشر وفعلا يقبل ألكلب ألعرض ويقترب إيرليك من ألبشر ويلوث بلعابه أجسادهم.
ويعتقد ألبوريات أنّه بدون توسيخ شولم (ألضد) أو إيرليك أجساد ألبشر فإنّ ألبشرية لم تكن تعرف ألأمراض والموت (يمكن مقارنة توسيخ إيرليك أجساد ألبشر بلعابه بحكاية إغواء ألشيطان ألإنسان ليعصي أمر ألخالق بـالأكل من ألشجرة ألمحرمة في ألأسطورة ألتوراتية ، فالنتيجة متشابهة وهي فقدان خاصية ألخلود).
وحسب مجموعة روايات آلتية، فإنّ إيرليك، مستفيدا من غياب ألإله ومضللا ألكلب، أحيا ألأجساد البشرية.
وألمقصود في هذه الحالة ألأخيرة إعفاء أو حل ألاله من وجود ألأمراض وموت ألأنسان وكذلك إعفاءه من شقاوة ألروح ألبشرية وتحميل هذه ألأتهامات على عاتق إله ألموت، وكما يحصل لدى ألمؤمنين بألديانات الأبراهيمية حيث يكون إبليس شماعة لتعليق جميع شرور ألبشر وتبرئة ألله منها.

19
تانجري (ألإله - ألسماء)

" تانجري ألذي رفع والدي ألخان، تانجري ألذي أعطى ألأمبراطورية، هذا ألتانجري أقامني أنا كخان" .... نقوش ألأورخون (نقوش منحوتة على نصب من ألحجر).

إنّ ألعالم بكامله هو بيت أللّه، فلماذا إذن تعيين مكان خاص لكي يحج ألناس إليه؟ ..... جنكيزخان أثناء مناقشته ألشهيرة مع إمام بخارى.

من بين كل آلهة ألشعوب ألآلتية ألأكثر أهمية وألمعروف بشكل أفضل هو بألتأكيد (تانجري) عند ألمغول وألكلموكوس، و(تينجري) عند ألبوريات و(تانجيرا) عند ألتاتار و(تينجي) عند ألبلطيق، ولفظ تانجري أي (تانري) كما يلفظه ألأتراك في تركيا ألذي يدل على إله وسماء ينتمي للمفردات أللغوية ألتركية وألمنغولية ألموجودة منذ ماقبل تأريخ آسيا ومعروف منذ أكثر من ألفي سنة،
هذا أللفظ تمّ أستعماله عبر ألقارة ألآسيوية بكاملها من حدود ألصين إلى جنوب روسيا، ومن كامتشاتكا ألى بحر مرمرة، لقد أستخدمه "ألوثنيون" ألآلتيون لتعيين آلهتهم وربهم ألأعلى.
إنّ كلمة تانجري مستعملة لتعبّر عن ألإله، بصفته إلاها سماويا، فقد تأكد لدى ألهوينغ- نو في ألقرن ألثاني ق. م أنّ ألنصوص تظهر وكأنّه "سام" (أوزا) و"أبيض وأسود" (كوك) و"خالد" (مونجكا) و"متمتع بألقوة" (كيوك).
لقد دون في واحد من من ألنقوش ألباليوتوركية للأورخون (القرن ألسابع- ألثامن) مايلي:
"عندما صنعت ألسماء ألزرقاء في ألعلى، وألأرض ألمظلمة في ألأسفل تم صنع أبناء ألإنسان (=ألبشرية) بين ألأثنين"، ويمكن تفسير ألفصل بين ألسماء وألأرض كعمل نشكوني ولكنه لا يوجد سوى إشارات للنشكونية بمعنى ألكلمة، صانعها هو تانجري، غير أنّ تاتار ألأكطاي وألياكوت يشيرون إلى إلههم "كخالق"، وحسب ألبوريات فإنّ ألألهة (تينجري) خلقت ألإنسان، وإنّ ألإنسان عاش سعيدا حتى ألفترة ألتي نشرت فيها ألأرواح ألشريرة ألمرض وألموت على ألأرض.
في ألمعتقدات ألدينية ألشعبية للمونغول أنّ تانجري خلق ألكل (ألنار، أللبن...ألخ) ولكنه لا يتعلق بنشكونية بمعنى ألكلمة.
وعلى كل حال، فإنّ ألنظام ألكوني، وبألتالي تنظيم ألعالم وألمجتمع، ومصير ألبشرية يتعلق جميعه بتانجري، وبألنتيجة فإنّ على كل ملك أن يتلّقى تنصيبه من ألسماء، ويقرأ في نقوش ألأورخون (نقوش منحوتة على نصب من ألحجر):

" تانجري ألذي رفع والدي ألخان، تانجري ألذي أعطى ألأمبراطورية، هذا ألتانجري أقامني أنا كخان (ذات ألمعتقد تأكد في فترة ألمونغول "كان خانا بقوة وسلطة ألسماء ألخالدة"). وعليه فإنّ ألخان هو أبن ألسماء حسب ألنموذج ألصيني.
إنّ ألملك هو مبعوث أو ممثل ألسماء – ألإله، وعبادة تانجري مدعومة في كل عظمتها وفي كل كمالها من قبل ألملك " وعندما تسود ألفوضى، وعندما تتفرق ألقبائل، وعندما لا توجد أمبراطورية (كما في ايامنا) فإنّ تانجري يصبح إلها مفارقا ويترك مكانه لآلهة سماوية ثانوية أو يتفجر إلى أجزاء (تعدد التانجري).
عندما لا يوجد حاكم بعد، فإنّ ألسماء- ألإله سيتم نسيانه ببطء وتتقوى ألعبادة ألشعبية لتتجه وتأخذ ألمكان ألأول (يعرف ألمونغول 99 تينجري، وألأكثرية منها، لها أسماء ووظائف محددة).
إنّ ألتحول من إله سماوي وحاكم إلى إله مفارق ظاهرة مؤكدة عالميا، وفي حالة تانجري فإنّ تعدده أو إبداله بآلهة أخرى يبدو أنّه قد تبعه تفجر ألأمبراطورية، غير أنّ هذه ألعملية تحققت في مالا يحصى من ألنصوص ألتاريخية.
ليس للتانجري معابد ومن ألمشكوك فيه أن يكون قد أبرز بشكل تمثال، وفي مناقشة جنكيزخان ألشهيرة مع إمام بخارى قال له:
" إنّ ألعالم بكامله هو بيت أللّه، فلماذا إذن تعيين مكان خاص (على سبيل ألمثال- مكّة) لكي يحج ألناس إليه ؟".
وكما في أي مكان آخر فأنّ ألإله ألسماوي للآلتيين هو كلي ألقدرة، ويقول ألمونغول عندما يحلفون:
" لتعلم ألسماء..." كان ألرؤساء ألمحاربون يصعدون لقمة ألجبال (صورة مميزة لمركز ألعالم) لكي يصلّون للإله، أو يعتزلون قبل ألغزوات في خيامهم أحيانا لثلاثة أيام، كما فعل جنكيزخان، بينما كان الجيش يدعو ألسماء.
كان تانجري يظهر عدم رضاه بعلامات كونية:
مذنبات، مجاعات، طوفانات. وكانت توجّه إليه ألصلوات (على سبيل ألمثال لدى ألمونغول وألبلطيار ...ألخ) وكان يُضحى إليه بأحصنة وثيران وخراف، وقد تأكدت ألأضحية ألسماوية عالميا، وبخاصة في حالات ألمصائب وألكوارث

ألطبيعية، غير أنّ في آسيا ألوسطى وألشمالية، كما في أي مكان آخر، فإنّ تعدد ألتانجري، متبوع بتمثيلها بآلهة أخرى (ألعاصفة، ألخصب ألكوني ...ألخ).
إنّ بيوك أوكان (ألكبير جدا) قد أبدل في ألألتاي بتانجري كيزكان (ألرحيم في ألسماء) وإليه تقدم ألأضحية بحصان.
يميز ألتباعد وألسلبية آلهة سماوية أخرى، وهكذا فإنّ ألبوغا (سماء) (عالم) للطنجوز لا يتلقى عبادة، فهو كلي ألقدرة، ولكنه لايتدخل في الأعمال البشرية، إنّه لا يعاقب حتى ألمذنبين فأورون آيتوجون للياقوت يسكن السماء ألسابعة، ويدير كل شيء ولكنه لا يفعل سوى ألخير أي لا يعاقب أبدا.

20
تجليات كونية... شمس، قمر وأحجار

"من مظاهر ألقداسة ألطبيعية والتجليات ألكونية ألرموز، وألمدلول ألديني للحجارة وألدور ألديني للحيوانات وكذلك العبادات ألشمسية والقمرية".... ميرسيا إلياد.

لكل واحدة من هذه المجموعات تجليات كونية تكشف بنية خاصة لقداسة ألطبيعة، أو بدقة أكثر، تكشف نموذجا لمقدّس معبّر عنه بطريقة خاصة من وجوده في ألكون، ويكفي على سبيل ألمثال تحليل ألقيم ألدينية ألمختلفة ألمعترف بها للحجارة، كي نفهم ما للحجارة من قابلية لإظهاره للناس بصفتها مقدسات:
إنّها تكشف للبشر ألقوة وألصلابة وألأستمرارية.
فألتجلي ألحجري هو تجلي وجودي بإمتياز:
فقبل كل شيء يبقى ألحجر دائما ذاته، لا يتغير أبدا، وهو يؤذي ألإنسان إذا ضرب به لأنّ له قوّة وقابلية لمقاومة ألكسر وصفة ألإطلاقية للكائن.
إنّ ألطريقة ألمميزة لوجود ألحجر ألمدركة بفضل تجربة دينية تكشف للإنسان ماهية وجود ألمطلق خارج ألزمن (كمثال تقديس ألحجر ألأسود ألموجود في جدار ألكعبة من قبل ألعرب قبل ألإسلام وبعده).
إنّ تثليث ألأم ألكبرى (عشتار أو إله ألقمر) لجزيرة العرب هو ألذي أدى إلى إنقسامها إلى ثلاثة هنّ أللات وألعزى ومناة، أللواتي كن أعلى آلهة ألعرب شأنا، وكان أسمهن يذكر أثناء الطواف حول الكعبة في تهليلة معروفة يقول مطلعها:
" أللات والعزى ومناة ألثالثة ألأخرى، فإنّهن ألغرانيق ألعلى وإنّ شفاعتهن لترتجى " وقد ذكر ألقرآن ألكريم في تعريضه بألمعتقد الجاهلي ألشطر ألأول من هذه التهليلة، وفي رواية أخرى تم نسخ ألشطر ألثاني بحجة تدخل الشيطان في مسار ألوحي (أعتمد ألكاتب ألأيراني سلمان رشدي على هذه ألرواية في كتابة روايته " ألآيات ألشيطانية " وبسبب نشر هذه الرواية فقد أفتى ألإمام ألخميني بقتله).
لقد عبدت الأم القمرية من خلال رمز الكتلة الحجرية. فالصخر ألذي هو رمز ألأرض هو في الوقت نفسه رمز القمر. وكان لون ألحجر ألذي تعبد فيه عشتار يعكس طورها ألمنير أو طورها المظلم، فألأم الكبرى لجزيرة ألعرب كان لها أكثر من حجر مقدّس، من ذلك الحجر الأسود للآلهة مناة ألذي كانت تعظمه العرب وخصوصا ألأوس والخزرج ولم تزل على ذلك حتى خرج ألرسول من ألمدينة عام ألفتح وبعث عليا فهدم الحجر،
وكان للات حجر مربع أبيض في الطائف هدمه ألمغيرة بن شعبة.

من مظاهر ألقداسة ألطبيعية ألأخرى ألعبادات ألقمرية، فنتيجة للتقييمات ألدينية للقمر وإدراك ألإنسان للإيقاعات ألقمرية وبفضل ألظواهر ألقمرية، أي "ولادته" و "موته" و"قيامته" شعر ألبشر في آن واحد بطريقة تكوّنهم ألخاص في ألكون

وبأملهم بإستمرارية ألحياة أو إعادة ألولادة (عقيدة تناسخ ألأرواح في ألهندوسية وألبوذية، وعقيدة بعث ألأموات يوم ألقيامة في ألدين ألإسلامي).
بفضل ألرمزية ألقمرية توصل ألإنسان ألمتدين لتقريب مجموعات من ألوقائع ألمتباعدة بدون علاقة ظاهرة بينها وأخيرا إدخالها في نسق أو نظام واحد، فبفضل ألرمزية ألقمرية أمكن وضع وقائع متغايرة في علاقة وفي تضامن مثل:
ألولادة، ألمصير، ألموت، ولا يسوغ أن ننسى ما يكشفه ألقمر للإنسان ألمتدين، فليس ألموت متصلا بألللاذوبان في ألحياة فحسب، وإنّما أيضا ليس ألموت نهائيا أو أنّه متبوع دائما بولادة جديدة (ألبعث وألقيامة).
فألقمر يقيّم دينيا ألمصير ألكوني ويوّفق ألإنسان مع ألموت.
وعلى ألعكس من هذا فألشمس تكشف طريقة أخرى للوجود:
إنّها لا تساهم بألمصير، فهي دوما في حركة، وتبقى لا متغيرة، وشكلها نفسه دوما، فألتجلي الشمسي يترجم ألقيم ألدينية للإستقلالية وألقوة وألسيادة وألذكاء، ولهذا نشهد في بعض ألثقافات عملية تشميس ألكائنات ألعليا.
إنّ عدد كبير من ألميتولوجيات ألبطولية ذو بنية شمسية، فالبطل ألممثل بالشمس يصارع ضد ألظلمات وينزل إلى مملكة ألموت ويخرج ظافرا.
ليست ألظلمات، كما في ألميتولوجيات القمرية واحدة من طرائق تكوّن ألالوهة وإنّما ترمز إلى كل ماليس بإله، إذن إلى الضد بإمتياز. إنّ ألظلمات غير مقيّمة كمظهر ضروري للحياة الكونية، ففي منظور دين شمسي تعارض ألظلمات ألحياة، في ألأشكال وألعقل.
إنّ التجليات ألمنيرة للآلهة الشمسية تصبح في بعض الثقافات العلامة على ألذكاء وقد أنتهى ذلك بتمثيل شمس وعقل لدرجة أنّ أللاهوتيات ألشمسية وألتوفيقية لنهاية العصور القديمة تحولت إلى فلسفة عقلانية:
ألشمس معلنة عقلا للدنيا، وقد وحّد ماكروب في ألشمس كل آلهة العالم اليوناني- ألشرقي، من أبولون وجوبيتر حتى أوزيريس وحوريس وأدونيس (أنظر ساتورنالات-فصل 1-17-23).
إنّ ألقمر من رموز إله ألخصب ألرافديني عشتار، وإنّ حياة وموت اله الخصب (عشتار وفيما بعد تموز) كانت امورا موحية بأمل غامض وبعيد بإمكانية الخلاص من سيطرة الموت كما تخلَّصَ منها اله الخصب، فكان تعلّق قلوب العباد بهذا ألمخلّص ألحياتي تعبيرا عن النزوع الإنساني الأبدي نحو الخلود. ولم يكن ظهوره في ضمير البشر إلّا مظهرا من مظاهر صراع الظاهرتين الكونيتين في داخل الإنسان وخارجه، صراع الموت والحياة.
إنّ نمو الديانات البعلية (ديانات الخصب) واكتسابها غلبة شعبية على الديانات الايلية (ديانات الآلهة السماوية البعيدة) هو حالة تالية في تطور الدين والاسطورة، وحالة وسط تحتوي على شيء من التوازن بين الحياة والموت.
امّا المرحلة الثالثة فتمثّل عن حق مرحلة انتصار الحياة على الموت في الدين والاسطورة. فما حصل لإله الخصب مرة سيحصل لكل عباده المخلصين ممن سيدخلون في ديانته، ويلتحقون به من دون بقية ألآلهة. قال السيد المسيح:
(من آمن بي وإن مات فسيحيا). فتحولت ديانة الخصب الى ديانة سرية وتحوّل مخلّصها الارضي الحياتي الى مخلّص روحي باسطا سيطرته من عالم الحياة الى عالم الموت ايضا، مقدما لعباده خلاصا لروحهم من سطوة العالم الاسفل.
لقد بلغ الانتصار على الموت قمته في المسيحية التي اعطت الإنسان بعثا كاملا غير منقوص، حيث يعود الجسد سيرته الاولى بكل تفاصيله واجزائه.
لعل أقتران ألمرأة بألقمر له مايبرره في نظر ألإنسان ألقديم، فكلاهما ينتميان إلى ألمبدأ ألسالب في ألطبيعة والكون، ذلك المبدأ الذي أطلق عليه ألفكر ألصيني ألقديم أسم أل "ين" ويقابله أل "يانغ" ألمبدأ ألموجب ألذي ينتمي إليه كل من ألشمس وألذكر.
من تفاعل هاتين ألقوتين ألمتكافئتين تستمر حركة ألعالم ومكوناته، ألتي تتداخل فيها ألقوتان فتتعادلان أحيانا، وتغلب أحدهما أحيانا أخرى، دون أن تلغي ألواحدة نظيرتها، ففي قبة ألسماء يسود أليانغ وفي ألأرض ألين. في ألماء يسود ألين وفي ألنار يسود أليانغ.
في المرأة يسود ألين وفي ألرجل يسود أليانغ، فألين هو ألعتم، ألظل، الرطوبة، ألغموض. واليانغ هو ألنور ألساطع، ألحرارة، ألجفاف، ألقوة، ألإنجاز، ألوضوح.

كما يحكم ألقمر حياة ألمرأة، فإنّ ألرجل يحكم حياته إيقاع ألشمس، وكما كانت ألأديان ألقمرية أمومية فألأديان ألشمسية كانت ومازالت ذكورية.
فالدين أليهودي دين شمسي ذكوري، وألدين ألمسيحي دين قمري أمومي جاء كرد فعل لقسوة ألدين اليهودي (مريم =ألأم الكبرى=عشتار وألمسيح = تموز) مع تأثيرات ديانة ميثرا ألفارسية ألتي شاعت عبادته في ألعالم أليوناني ألروماني بعد ألميلاد.
لقد كافح الدين ألمسيحي كفاحا مريرا ضد الديانات الرسمية للامبراطورية الرومانية ولكن كفاحه الاقوى والامر كان كفاحا صامتا لا عراك فيه ولا دماء ضد الديانات السرية، ولعل اقوى تلك الديانات التي نازعت المسيحية فترة طويلة من الزمن على الفوز بقلوب الناس كانت ديانة (ميثرا) الشديدة الشبه بالمسيحية والواسعة الانتشار في شتى انحاء الامبراطورية الرومانية.
هذا التشابه الغريب بين الديانتين اذهل المسيحيين انفسهم فاعتبروه من صنع شيطان رجيم. وكان الميثرويون يتهمون المسيحيين باقتفاء اثرهم واقتباس معتقداتهم، والمسيحيون بدورهم يردون الاتهام بمثله.
ولعل اثرا من ذلك العراك الطويل ما زال ماثلا حتى ايامنا هذه وهذه بعض الامثلة:

1- العالم المسيحي يحتفل بميلاد المسيح يوم 25 كانون الاول وهو يوم الانقلاب الشتوي حيث تصل الشمس الى آخر مدى لها في الميلان عن كبد السماء، وحيث يصل النهار آخر اشواطه في القصر ويبدا بعد ذلك بالامتداد على حساب الليل. هذا اليوم بالذات أُعتبر دوما في الديانات الشمسية عيد ميلاد للشمس فيه تتجدد قوتها وتستعيد عزمها لمقارعة قوى الظلام..

لقد اقترنت عبادة ادونيس في سورية واوزوريس في مصر في فترات متأخرة بالشمس. فالسوريون ليلة 25 كانون الاول كانوا يحتفلون بمولد ادونيس فيجتمعون في المعابد ويصرخون عند منتصف الليل: (لقد انجبت العذراء ابنا والنور ينتشر) والمقصود بالعذراء طبعا هو آلهة الشرق الكبرى عشتار او عستاروت التي يدعوها الساميون بالسيدة السماوية او ملكة السماوات، فالعذراء لقبها والعذرية جوهرها رغم كونها آلهة الحب، لانها معطاء دون ان تنقص.

2- عيد الفصح يعطينا مثلا آخر على تبني المسيحية للمناسبات والاعياد الخاصة بديانات الاسرار. فعيد الفصح هو عيد قيامة المسيح من بين الاموات بعد ما عاناه في يوم الجمعة الحزينة على درب الالام وقد تبنت الكنيسة يوم 25 آذار عيدا للفصح، وبذلك يكون بعث المسيح هو بعث ربيعي، شأنه في ذلك شأن آلهة الخصب القديمة والمخلّصين الاوائل وخصوصا اودونيس وآليس الذي كان يحتفل عُبّاده بقيامته فيما بين يوم 24 و 25 آذار.

وبعيدا عن هذين العيدين الرئيسيين فاننا نجد اعيادا وثنية اخرى قد حُورت وأُسبغت عليها الصفة المسيحية، فعيد الآلهة ديانا قد اصبح عيد صعود السيدة العذراء، وعيد الاموات قد اصبح عيد القديسين.
أمّا الام الكبرى او القوة الاخصابية الكونية المتمثلة بآلهة الحب العذراء فقد حلّت محلها السيدة مريم العذراء التي دُعيت بسيدة السماوات وهو اللقب الرئيسي للآلهة عشتار.
وليس الصليب نفسه كرمز للسيد المسيح بالرمز الجديد في عالم الديانات القديمة، فقد اقترن الصليب بعدد من آلهة الخصب الشرقية القديمة، فهو رمز ألإله (أندارا) أحد اشكال الإله بعل او حدد، والصليب ايضا رمز الآلهة الفينيقية (بارات) آلهة مدينة بيروت، وأحد اشكال آلهة الخصب عشتار او عشتروت.
إنّ شكل الصليب هو الاصطلاح الدال على الخصب في اللغة السومرية.

أمّا ألدين ألإسلامي فهو دين شمسي ذكوري وربيبة لليهودية مع تأثيرات ألدين ألقمري ألأمومي لعرب ألجزيرة العربية (كمثال رمز ألهلال ألمنصوب في قمة منائر وقباب ألجوامع).
مع أنهيار ألثقافات ألأمومية وصعود الثقافات ألذكرية، غلبت الشمس القمر، وتوطدت ألديانات الشمسية السماوية، وراح آلهة الشمس وآلهة السماء ألسامية يبنون أمجادهم بعد معارك حاسمة مع سيدة العتم وأبنها ألثور.

فقتل مردوخ ألأم تعامة في صورة تنين رهيب، ومثله أندارا في ألهند ألذي أرتفع على أشلاء تنينه أيضا، وزيوس في الغرب ألذي قتل ألتنين طيفون أبن ألأرض، وميترا ألفارسي ألذي شاعت عبادته في ألعالم أليوناني ألروماني بعد ألميلاد والذي قتل ألثور ألسماوي فأحلّ نور ألشمس محل ضوء ألقمر.

21
ألتجربة ألدينية للحياة

"عندئذ صرخوا إلى ألرب وقالوا قد أثمنا لأننا تركنا ألرب وعبدنا ألبعليم وألعشتاروت، فأنقذنا ألآن من أيدي أعدائنا فنعبدك".... (صموئيل- ألملوك ألأول 1-1012).

إنّ "ألتباعد ألإلاهي" يعبّر في ألواقع عن ألمنفعة ألمتزايدة للإنسان نتيجة لإكتشافاته ألدينية ألخاصة وإكتشافاته ألثقافية وألإقتصادية.

إنّ ألإنسان ألبدائي أبتعد عن ألإله ألسماوي بسبب ألإفراط في إهتمامه بتقديسات ألحياة وكذلك بسبب إكتشافه ألخصب ألأرضي وحينما بدأ بألمشاركة بتجارب دينية محسوسة أكثر وجسدية أكثر إضافة لمشاركته في تجارب تهتكية، زاد أبتعاده عن ألإله ألسماوي وألإله ألمفارق.

لقد حوّل إكتشاف ألزراعة جذريا إقتصاد ألإنسان ألبدائي وليس هذا فحسب وإنّما قبل كل شيء بنيته للمقدّس، فتدخل في ألعبة قوى دينية اخرى:

ألجنس، وألخصب، وأسطورة ألمرأة وألأرض وقوى دينية أخرى.

نتيجة لهذا ألتطور أصبحت ألتجربة ألدينية أكثر مادية وأكثر أختلاطا حميميا بألحياة، فألربات ألكبرى – ألأمهات- وألآلهة ألقوية أو جنيات ألخصب أصبحن أكثر ديناميكية وأكثر قبولا لدى ألبشر بديلا للإله ألخالق.

ولكن في حالة ألتعاسة ألقصوى وخاصة في حالة وقوع ألكارثة ألآتية من ألسماء كالجفاف وألعاصفة وألأوبئة كان يتم ألرجوع إلى ألكائن ألأعلى وتقدّم إليه ألتضرعات، وهذه ألحالة غير محصورة بالشعوب ألبدائية، ففي كل مرة كان ألعبرانيون ألقدامى يعيشون عصرا من السلام والرخاء ألإقتصادي، كانوا يبتعدون عن يهوه ويتقربون من من أتباع بعل وعشتار ألذين كانوا يعيشون في جوارهم، وكانت ألكوارث ألتاريخية وحدها تجبرهم للعودة إلى يهوه:

"عندئذ صرخوا إلى ألرب وقالوا قد أثمنا لأننا تركنا ألرب وعبدنا ألبعليم وألعشتاروت، فأنقذنا ألآن من أيدي أعدائنا فنعبدك".....(صموئيل- ألملوك ألأول 1-1012).

إنّ ألعبرانيين عادوا إلى يهوه على أثر ألكوارث ألتاريخية وألهلاك ألوشيك ألمحكوم بالتاريخ، وكذلك كان ألبدائيون يذكرون كائناتهم ألعليا في حالات ألكوارث ألكونية.

إنّ عبدة ألآلهة ألتي تمجّد وتوسّع الحياة وألحياة ألكونية (نبات، زراعة، قطعان ألماشية) وكذلك ألحياة البشرية، أكانوا عبرانيين أم بدائيين قد كان لديهم شعور بأنّ كل هذه ألربات ألكبرى، وكل ألأرباب الزراعية كانت غير قادرة على إنقاذهم وغير قادرة على ضمان ألوجود لهم في ألفترات ألحرجة.

إنّ هذه ألأرباب وألربّات لم تكن تستطيع سوى إعادة إنتاج الحياة وإنمائها، وما هو اكثر من ذلك لم تكن تستطيع ملأ هذه الوظيفة إلّا أثناء فترة طبيعية، فهذه ألآلهة كانت تحكم بإعجاب ألإيقاعات ألكونية وكانت تبدو غير قادرة على إنقاذ ألكون أو ألمجتمع ألبشري في فترة أزمته (أزمة تاريخية لدى ألعبرانيين).

إنّ ألآلهة ألمختلفة ألتي حلّت محل ألكائنات السماوية ألعليا جمعت ألقوى ألمحسوسة ألأكثر ألقا مثل قوى ألحياة وخصصت نفسها في ألأنسال وأضاعت ألقدرات ألأكثر براعة ونبلا وروحانية للتي كانت من صفات ألآلهة ألخالقة.

بإكتشاف قداسة ألحياة، أستسلم ألإنسان لإكتشافه ألخاص وأنجرف نحوه:

لقد ترك ألإنسان نفسه للتقديسات الحياتية وأبتعد بنفسه عن ألقداسة ألممنوحة للآلهة ألخالقة ألتي تحولت إلى آلهة مبتعدة أو مفارقة,

نتيجة لهذا ألتحول لا يستطيع ألإنسان منع نفسه من ألتساؤل:

هل كان ألإنسان صائبا في قراره هذا؟.

22

الملاحدة البدائيون

"قال هندي من قبيلة "أبيبون" ما عساه أن يحير عالماً من علماء الميتافيزيقا، إذ قال في لهجة كونفوشية "إن آباءنا وأجدادنا كانت تغنيهم هذه الأرض وحدها، لا يرجون شيئاً سوى أن يُنبت لهم السهل كلأ ويفجر لهم ماء لتَطعمَ جيادُهم وتشرب؛ إنهم لم يشغلوا أنفسهم أبداً بما يجري في السماء، وبمن ذا عسى أن يكون خالق النجوم وحاكمها".

إذا عرفنا الدين بأنه عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة. فلابد لنا منذ البداية أن نلاحظ أن بعض الشعوب- فيما يبدو- ليس لهم ديانة على الإطلاق فبعض قبائل الأقزام في أفريقيا لم يكن لهم عقيدة أو شعائر دينية يقيمونها بحيث يراها المشاهدون؛ ولم يكن لهم طوطم ولا أصنام ولا آلهة؛ وكانوا يدفنون موتاهم بغير احتفال، فإذا ما فرغوا من دفنهم لم يبدُ عليهم ما يدل على إنهم يهتمون لأمرهم بعد ذلك إطلاقاً، بل أعوزتهم حتى الخرافة، ذلك لو أخذنا بأقوال الرحالة فلم نظن بأقوالهم الإسراف الذي يعز على التصديق؛ وأما أقزام "الكامرون" فلم يعترفوا إلا بآلهة الشر وحدها، ولم يحاولوا قط إرضاء هؤلاء الآلهة على أساس أن المحاولة في هذه السبيل عبث لا يجدي؛ وقبيلة "فيذا" في سيلان اعترفت باحتمال وجود الآلهة وخلود الروح، لكنهم لم يجاوزوا ذلك الحد بحيث يؤدون الصلاة أو يقدمون القرابين؛ وسأل أحدهم سائلٌ عن الله فأجاب في حيرة فيلسوف حديث: "أيكون على صخرة أم على تل من تلال النمل الأبيض أم على شجرة؟ إني لم أر قط إلهاً!"؛ وهنود أمريكا الشمالية تصوروا إلها لكنهم لم يعبدوه، وظنوا- كما ظن أبيقور- أنه أبعد من أن يُعنى بأمورهم، وقال هندي من قبيلة "أبيبون" ما عساه أن يحير عالماً من علماء الميتافيزيقا، إذ قال في لهجة كونفوشية "إن آباءنا وأجدادنا كانت تغنيهم هذه الأرض وحدها، لا يرجون شيئاً سوى أن يُنبت لهم السهل كلأ ويفجر لهم ماء لتَطعمَ جيادُهم وتشرب؛ إنهم لم يشغلوا أنفسهم أبداً بما يجري في السماء، وبمن ذا عسى أن يكون خالق النجوم وحاكمها"، ولما كان الإسكيمو يُسألون من ذا صنع السماوات والأرض، كانوا يجيبون دائماً بقولهم "لسنا ندري"، وسئل رجل من "الزولو": "إذا رأيت الشمس تشرق وتغيب، وإذا رأيت الشجر ينمو، فهل تعرف من خالقها ومن حاكمها؟" أجاب في بساطة بقوله

"كلا، فنحن نراها، لكننا لا نستطيع أن نعلم أنىّ جاءت، ويظهر أنها جاءت من تلقاء أنفسها ."على أن هذه حالات نادرة الوقوع، ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعاً اعتقاداً سليما؛ وهذه، في رأي الفيلسوف، حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية، فهو لا يكفيه أن يعلم عن الديانات كلها أنها مليئة باللغو الباطل، لأنه معني قبل ذلك بالمشكلة في ذاتها، أعني مشكلة العقيدة الدينية من حيث قِدمَ ظهورها ودوام وجودها، فما أساس هذه التقوى التي لا يمحوها شئ من صدر الإنسان.

23

مصادر الدين

الخوف - الدهشة - الأحلام - النفس – الروحانية

"لا يوقظنَّ أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً؛ لأنه من أصعب الأمور علاجا أن تضل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها" .... كتاب يوبانشاد.

الخوف- كما قال لوكريشس- أول أمهات الآلهة، وخصوصاً الخوف من الموت، فقد كانت الحياة البدائية محاطة بمئات الأخطار، وقلما جاءتها المنيَّةُ عن طريق الشيخوخة الطبيعية، فقبل أن تدب الشيخوخة في الأجسام بزمن طويل، كانت كثرة الناس تقضي بعامل من عوامل الاعتداء العنيف أو بمرض غريب يفتك بها فتكا، ومن هنا لم يصدق الإنسان البدائي أن الموت ظاهرة طبيعية وعزاه إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة، ففي أساطير سكان بريطانيا الجديدة الأصليين، جاء الموت نتيجة خطأ أخطأته الآلهة، فقد قال الإله الخير كامبيناتا" إلى أخيه الأحمق"كورفوفا": "اهبط إلى الناس وقل لهم يسلخوا جلودهم حتى يتخلصوا من الموت، ثم أنبئ الثعابين أن موتها منذ اليوم أمر محتوم" فخلط "كورفوفا" بين شطري الرسالة بحيث بلغ سر الخلود للثعابين، وقضاء الموت للإنسان؛ وهكذا ظن كثير من القبائل أن الموت مرجعه إلى تقلص الجلد، وأن الإنسان يخلد لو استطاع أن يبدل بجلده جلداً آخر .

وتعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنه كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان أهم ما تعلقت به دهشتهم وما استوقف أنظارهم بسره العجيب هما الجنس والأحلام، ثم الأثر الغريب الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان؛ لقد بهت الإنسان البدائي لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعا شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة؛ لقد دفن موتاه بيديه ليحول دون عودتهم؟ لقد دفن مع الموتى ألوان الطعام وسائر الحاجات حتى لا يعود الميت من جديد فيصبّ عليه لعنته، بل كان أحيانا يترك للميت الدار التي جاءه فيها الموت، وينتقل هو إلى دار أخرى، وفي بعض البلدان كان الإنسان البدائي يُخرج الجثة من الدار خلال ثقب في الحائط، لا من بابها، ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة، لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدا .

مثل هذه الأحداث التي كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفَس أو حياة دفينة في جوفه، يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض والنوم والموت؛ جاء في كتاب من كتب "يوبانشاد" في الهند القديمة: "لا يوقظنَّ

أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً؛ لأنه من أصعب الأمور علاجا أن تضل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها" وليست الروح بقاصرة على الإنسان وحده، بل إن لكل شئ روحاً، والعالم الخارجي ليس مواتاً ولا خلواً من الإحساس، لكنه كائن حي دافق الحياة. ولو لم يكن الأمر كذلك- هكذا ظن الفلاسفة القدامى- لكان العالم مليئاً بالأحداث التي يستحيل تعليلها، مثل حركة الشمس، أو البرق الذي يصعق الأحياء، أو تهامس الشجر، وهكذا تصور الناس الأشياء والحوادث مشخصة قبل أن يتصوروها جوامد أو مجردة؛ وبعبارة أخرى سبقت الديانة الفلسفة؛ وهذه الروحانية في النظر إلى الأشياء هي ما في الدين من شعر، وما في الشعر من دين؛ وقد نشاهدها في أبسط صورها، في عيني الكلب الدهِشتَين إذ يرقب بهما ورقة حملته الريح أمامه، فربما ظن إزاءها أن لها روحا تحركها من باطنها، وهذا الشعور نفسه هو الذي تصادفه في أعلى درجاته عند الشاعر فيما ينظم من قصيد؛ ففي رأي الإنسان البدائي- وفي رأي الشعراء في كل العصور- أن الجبال والأنهار والصخور والأشجار والنجوم والشمس والقمر والسماء، كلها أشياء مقدسة لأنها العلامات الخارجية المرئية للنفوس الباطنية الخفية؛ وكذلك الحال مع اليونان الأقدمين إذ جعلوا السماء هي الإله "أورانوس"، والقمر هو الإله "سلين"، والأرض هي الإلهة "جى"، والبحر هو الإله "بوزيدن"، وأما الإله "بان" ففي كل أرجاء الغابات في وقت واحد؛ والغابات في رأي الجرمان الأقدمين كانت في أول أمرها عامرة بالجن والشياطين والسحرة والمَرَدة والأقزام وعرائس الجن وإنك لتلمس هذه الكائنات الجنية مبثوثة في موسيقى "فاجنر" وفي مسرحيات "إبسِن"الشعرية؛ والفلاح الساذج في إيرلندة لا يزال يؤمن بوجود الجنيات، ويستحيل أن يُعترف بشاعر أو كاتب مسرحي على أنه من رجال النهضة الأدبية هناك إلا إذا أدخل الجنيات في أدبه، وإن في هذه النظرة الروحانية لحكمةً وجمالاً، فمن الخير الذي يشرح الصدور أن تعامل الأشياء معاملتك للأحياء.

والنفس الحساسة- كما يقول أرهف الكتاب المعاصرين حساسية- ترى كأنما :"الطبيعة أخذت تتبدى في هيئة مجموعات كبرى من كائنات حية مستقل بعضها عن بعض؛ بعضها مرئي وبعضها خفي، لكنها جميعاً من طبيعة العقل، ثم هي جميعاً من طبيعة المادة، وهي كذلك جميعاً تمزج في أنفسها بين العقل والمادة فتكون بذلك سر الوجود العميق... إن العالم ملئ بالآلهة! فمن كل كوكب ومن كل صخرة ينبثق وجود يثيرنا بنوع من الإحساس الذي ندرك به كثرة ما هنالك من قوى شبيهة بقوى الآلهة، فمنها القوي ومنها الضعيف، ومنها الجليل ومنها الضئيل، تتحرك كلها بين السماء والأرض لتحقق غاياتها التي كتمتها في أجوافها سراً".

24

المعبودات الدينية

الشمس - النجوم - الأرض - الجنس - الحيوان - الطوطمية - الانتقال إلى مرحلة الآلهة البشرية - عبادة الأشباح - عبادة الأسلاف

" تكاد لا تجد حيواناً في الطبيعة كلها- من الجُعل (الجعران) المصري إلى الفيل عند الهندوس- لم يكن في بلد ما موضع عبادة باعتباره إلها".

لما كان لكل شيء روح، أو إله خفي، إذن فالمعبودات الدينية لا تقع تحت الحصر، وهي تقع في ستة أقسام: ما هو سماوي، وما هو ارضي، وما هو جنسي، وما هو حيواني، وما هو بشري، يوما هو إلهي؛ وبالطبع لن يتاح لنا قط أن نعلم أي الأشياء في هذا العالم الفسيح كان أول معبود للإنسان؛ وربما كان القمر بين المعبودات الأولى؛ فكما أننا اليوم نتحدث في أغانينا الشعبية عن "الرجل الذي يسكن القمر" كذلك صورت الأساطير الأولى القمر رجلا شجاعا أغوى النساء وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر؛ ولقد كان القمر إلها محببا للنساء، عَبدَنَه لأنه حاميهن بين الآلهة؛ وكذلك اتخذ القمر الشاحبُ مقياسا للزمن، فهو في ظنهم يهيمن على الجو، ويُنزل من السماء المطر والثلج، حتى الضفادع تضرع للقمر بالدعاء لينزل لها المطر .

ولسنا ندري متى حلت الشمس محل القمر سيدة على دولة السماء، عند الديانة البدائية؛ وربما حدث ذلك حين حلت الزراعة محل الصيد، فكان سير الشمس محدداً لفصول البذر وفصول الحصاد، وأدرك الإنسان أن حرارة الشمس هي العلة الرئيسية فيما تدره عليه الأرض من خيرات؛ عندئذ انقلبت الأرض في أعين البدائيين آلهة تخصبها الأشعة الحارة، وعبد الناس الشمس العظيمة لأنها بمثابة الوالد الذي نفخ الحياة في كل شيء حي ومن هذه البداية الساذجة هبطت عبادة الشمس إلى العقائد الوثنية عند الأقدمين ولم يكن كثير من الآلهة فيما بعد سوى تشخيص للشمس وتجسيد لها؛ ألم يَقضِ اليونان على أناكسجوراس بالنفي لأنه استباح لنفسه أن يذهب بالظن مذهبا مؤداه أن الشمس ليست إلها، بل هي كرة من النار تقرب في حجمها من"بلبونيز"؟ وكذلك استبقت العصور الوسطى بقية من عبادة الشمس في الهالات التي كان الناس يصورونها حول رؤوس القديسين، وإمبراطور اليابان في أيامنا هذه معدود عند معظم شعبه بأنه تجسيد لإله الشمس، الحق أنك لا تكاد تجد خرافة من خرافات العصر القديم إلا ولها لون من الحياة القائمة بيننا اليوم؛ إن المدنية صنيعةُ أقلية من الناس أقاموا بناءها في أناة واستمدوا جوهرها من حياة الترف؛ أما سواد الناس وغمارهم فلا يكاد يتغير منهم شئ كلما مرت بهم ألف عام .

وكل نجم شأنه شأن الشمس والقمر، يحتوي إلهاً وهو بذاته إله، ويتحرك بأمر روح كامن في جوفه؛ وهذه الأرواح في ظل المسيحية أصبحت ملائكة تَهدي سواء السبيل، أو إن شئت فقل أصبحت لأفلاك السماء قادةً تسلك بها في مسالكها، حتى "كبلر" لم يبلغ من النظرة العلمية مبلغا يحمله على إنكارها؛ والسماء نفسها كانت إلهاً عظيما، تقام لها العبادة في تبتل لأنها هي التي تنزل الغيث أو تحبسه؛ وكثير من القبائل البدائية يستعمل كلمة "الله" لتعني "السماء" ولفظ الله عند "اللوباري" و "الدنكا" معناها المطر، وكذلك كانت السماء عند المنغوليين هي الإله الأعظم، وكذلك الحال في الصين، وفي الهند الفيدية أيضاً، معنى كلمة الله هو "السماء الوالدة"، والله عند اليونان هو زيوس أو السماء "مرغمة السحاب" وهو "أهورا" عند الفرس، أي السماء الزرقاء .

ولا نزال في أيامنا هذه نضرع إلى "السماء" أن تقينا الشرور، ومعظم الأساطير الأولى تدور حول محور واحد، وهو الخصب الذي نتج عن تزاوج الأرض والسماء .

لأن الأرض هي الأخرى كانت إلها، وكل مظهر رئيسي من مظاهرها كان يقوم على أمره إله؛ فللشجر أرواح كما لبني الإنسان سواء بسواء، وقطعُ الشجرة معناه قتل صريح؛ وكان الهنود في أمريكا الشمالية أحياناً يعزون هزيمتهم وانحلالهم إلى أن البيض قد قطعوا الأشجار التي كانت أرواحها تقي "الحُمرَ" من الأذى؛ وفي جزر "مولقا" كانوا يعتبرون الأشجار أيام الإزهار حوامل أجنة، فلا يجيزون إلى جوارها ارتفاع الصوت أو إشعال النار أو غير ذلك من عوامل الاضطراب حتى لا يفسدوا على الأشجار الحبليات سكونها، وإلا لجاز أن تسقط ثمارها قبل نضجها كما تجهض المرأة إن ألم بها الفزع، وكذلك في "أبوينا Aboyna "لا يؤذن بالأصوات العالية على مقربة من الأرز إذا ما أزهرت سنابله خشية أن يصيبه الإجهاض فينقلب أعواداً من القش العقيم و"الفال" القدماء عبدوا أشجار غابات معينة كانت لديهم مقدسة، وكذلك القساوسة "الدرديون Druid "في إنجلترا مجدوا دِبْقَ أشجار البلوط، الذي لا يزال يوحي إلينا بشعيرة من الشعائر المحببة إلى نفوسنا؛ وأقدم عقيدة دينية في آسيا- مما تستطيع أن تتعقبه إلى أصوله التاريخية- هي تقديس الأشجار وينابيع الماء والأنهار والجبال فكثير من الجبال كان أماكن مقدسة، اتخذتها الآلهة مقراً ترسل منه ما شاءت من صواعق؛ وأما الزلازل فليست سوى آلهة ضجروا أو ضاقوا صدراً فهزوا أكتافهم ويعلل أهل "فيجي" الزلازل بأن إله الأرض يتقلب في نومه؛ وإذا ما زلزلت الأرض عند قبيلة "ساموا" أخذوا يقرضون الأرض بأسنانهم ويبتهلون إلى الإله "مافوِي " Mafuieأن يسكن خشية أن تتمزق الأرض كلها إرباً إرباً؛ والأرض عند الناس في شتى النواحي المعمورة تقريباً هي "الأم الكبرى" فاللغة الإنجليزية التي كثيراً ما تكون بمثابة الرواسب التي تجمعت فيها العقائد البدائية أو اللاشعورية، تشير حتى اليوم بصلة القربى بين المادة والأمومة (مادة معناها Matter والأم معناها (Mother وليس "إشترَ" و"سبيل" و"دميتر" و"سيريز" و"أفروديت" و"فينَس" و"فْرِيبا" إلا صوراً متأخرة نسبياً لإلهات الأرض الأوليات اللائى خلعن من خصوبتهن خصوبة على الأرض فأخرجت من جوفها الخيرات؛ وما رواه الناس عن ولادة هؤلاء الإلهات وزواجهن وعن موتهن وعودتهن منتصرات إلى الحياة، إن هو إلا رموز أو تعليل لظهور النبات ثم جفافه، والتجديد الملحوظ الذي يطرأ على حياة النبات حيناً بعد حين؛ وهذه الإلهات تدل بأنوثتهن على أن الإنسان البدائي قد ربط بين الزراعة والمرأة؛ فلما أصبحت الزراعة هي الصورة السائدة في الحياة الإنسانية، كانت إلالهات النبات هي سيدة الإلهات جميعاً؛ ومعظم الأرباب في العصر القديم كان من النساء، ثم حل محلهن الآلهة الذكور، حين ظهرت الأسرة الأبوية فوق الأرض ظافرة .

وكما يرى العقل البدائي فيما يقول من شعر عميق سراً إلهيا في نمو الشجرة، كذلك يرى يداً إلهية في حمل الجنين أو ولادته؛ إن "الهمجي" لا يعرف شيئاً عن البويضة والجرثومة المنوية، لكنه يرى الأعضاء الظاهرة أمام عينيه، التي تشترك معاً في هذه العملية فيؤلهها، فهي كذلك تكمن فيجوفها الأرواح ولا بد من عبادتها، أليست هذه القُوى الخلاقة العجيبة في سرها، أعجب الكائنات جميعاً؟ ففيها تظهر معجزة الخصوبة والنمو أوضح مما تظهر في تربة الأرض نفسها؛ وإذن فلا بد أن تكون اقرب ما تجسد فيه الآلهة قوتها، وتوشك الشعوب البدائية جميعاً أن تعبُدَ الجنس على صورة من الصور أو شعيرة من الشعائر؛ ولم يكن أدناها، بل أعلاها مدنية، هو الذي عبر عن هذه العبادة تعبيراً كاملا؛ وسنرى هذه العبادة في مصر والهند وبابل وآشور واليونان والرومان؛ كان الناس يجلون الوظيفة الجنسية والجانب الجنسي من آلهتهم البدائية إجلالا عظيما لا لأنهم يرون في ذلك شيئاً من الفاحشة بل لأنهم يرتبطون ارتباطاً وجدانياً بالخصوبة في المرأة وفي الأرض؛ ولذلك عبدوا بعض الحيوان كالعجل والثعبان لآن لهما- فيما يظهر- القوة الإلهية في الإنسال، أو قُل إنهما يرمزان لتلك القوة فلا شك أن الثعبان في قصة عدن رمز جنسي يمثل العلاقة الجنسية باعتبارها أساس الشر كله، ويوحي بأن اليقظة الجنسية هي بداية الخير والشر، وربما يشير كذلك إلى علاقة أصبحت مضرب الأمثال بين سذاجة العقل ونعيم الفردوس .

وتكاد لا تجد حيواناً في الطبيعة كلها- من الجُعل (الجعران) المصري إلى الفيل عند الهندوس- لم يكن في بلد ما موضع عبادة باعتباره إلها: فهنود "أوجبوا Ojibwa "أطلقوا اسم "طوطم" على حيوانهم الخاص الذي يعبدونه، وعلى العشيرة التي تعبده، وعلى كل عضو من تلك العشيرة؛ ثم جاء علماء الأجناس البشرية فأخذوا هذه الكلمة وجعلوها اسما على مذهب "الطوطمة" الذي يدل دلالة غامضة على أية عبادة لشيء معين- وعادة يكون الشيء المعبود حيواناً أو نباتاً- تتخذه جماعة ما موضع عبادتها؛ ولقد وجدنا أنواعاً مختلفة من الطواطم في أصقاع من الأرض ليس بينها رابطة ظاهرة، من قبائل الهنود في شمالي أمريكا، إلى أهل أفريقيا وقبيلة "درافيد Daraviians "في الهند، وقبائل استراليا؛ ولقد أعان الطوطم باعتباره شعاراً دينياً. على توحيد القبيلة التي ظن أعضاؤها أنهم مرتبطون معاً برباطه، أو هبطوا جميعاً من سلالته؛ فقبيلة "إراكو" تعتقد أنهم سلالة التزاوج بين النساء وبين الدببة والذئاب والغزلان، وأصبح الطوطم- باعتباره شعاراً أو رمزاً- علامة مفيدة تدل على ما بين البدائيين من قُربى، وتميزهم بعضهم من بعض، ثم أخذ على مر الزمن يتطور في صور عَلمانية فكان منه التمائم والشارات، كهذا الذي تتخذه الأمم من شعارات لها كالأسد أو النسر، أو الأيل الذي تتخذه الجمعيات التي تعمل على الإخاء بين الناس، أو هذه الحيوانات الخرساء التي تصطنعها الأحزاب السياسية عندنا اليوم، لتمثيل رسوخ الفيلة أو صخب البغال؛ وكانت الحمامة والسمكة والحَمل، في رمزية العقيدة المسيحية إبان نشوئها، بقايا القديم في تمجيد الطواطم؛ بل إن الخنزير الوضيع كان يوماً طوطما لليهود السابقين للتاريخ؛ وفي معظم الحالات كان الطوطم محرماً لا يجوز لمسه؛ ويجوز أكله في بعض الظروف، على أن يكون ذلك من قبيل الشعائر الدينية، فهو بذلك يرمز إلى أكل الإنسان لله أكلا تعبديا ، وقبيلة "غالا" في الحبشة تأكل السمكة التي تعبدها في احتفال ديني رصين، ويقول أبناؤها: "إننا نشعر بالروح تتحرك فينا إذ نحن نأكلها"؛ وما كان أشد دهشة المبشرين الأطهار، إذ هم يبشرون بالإنجيل لقبيلة "غالا" أن وجدوا بين هؤلاء السذج شعيرة شديدة الشبه بالقُداس عند المسيحيين .

ويجوز أن قد كان الخوف أساس الطوطمة، كما هو أساس كثير من العبادات، وذلك بأن يكون الإنسان قد عَبَدَ الحيوان لقوته، فلم يَرَ بُدّاً من استرضائه، فلما أن طهر الصيدُ الغابة من وحشها، ومهد الطريق للطمأنينة تتوفر في الحياة الزراعية، قَلّت عبادة الحيوان ولو أنها لم تزُل تمام الزوال؛ وربما استمدت الآلهة البشرية الأولى طبعها من الآلهة الحيوانية البشرية لها بديلا؛ والانتقال من أولئك إلى هؤلاء واضح في القصص المشهورة التي تروى لنا تحول الصورة الإلهية، والتي تراها في"أوفد" الشاعر، وفي كل شاعر من قبيلة من تراهم في لغات الأرض جميعاً، فتصف لنا تلك القصص كيف كانت الآلهة، أو كيف صارت حيوانية الصورة، وبعدئذ ظلت صفات الحيوان لاحقة بالآلهة لا تبرحها، كما تظل رائحة الاصطبل لاحقة بمكانه حتى بعد تحويله قصراً ريفياً منفيا؛ حتى في "هومر" الذي كان قد بلغ من الرقي مبلغاً بعيداً، ترى الإلهة "جلوكوبس أثيني" لها عينا بومة، و "هيري بوبس" لها عينا بقرة؛ والآلهة أو الغيلان في مصر وبابل، بوجوهها الإنسانية وأجسادها الحيوانية تبين مرحلة الانتقال نفسها، وتعترف بالحقيقة عينها، وهي أن كثيراً من الآلهة البشرية كانت يوماً آلهة حيوانية .

ومع ذلك فمعظم الآلهة البشرية قد كانوا- فيما يظهر- عند البداية رجالا من الموتى ضخموا بفعل الخيال؛ فظهور الموتى في الأحلام كان وحده كافياً للتمكين من عبادتهم، لأن العبادة إن لم تكن وليدة الخوف، فهي على الأقل زميلته؛ وخصوصاً من كانوا أقوياء إبان حياتهم، فألقوا الخوف في نفوس الناس؛ هؤلاء يرجح جداً أن يُعبدوا بعد موتهم، ولذلك تجد الكلمة التي معناها "إله" عند كثير من الشعوب البدائية، معناها في الحقيقة "رجل ميت"؛ وحتى اليوم، ترى كلمة "Spirit" في الإنجليزية وكلمة "Geist" في الألمانية معناهما إما روح وإما شبح؛ وكان اليونان يتبركون بموتاهم على نحو ما يتبرك المسيحيون بالقديسين؛ ولقد بلغت العقيدة في استمرار حياة الموتى- وهي عقيدة تولدت في بدايتها من الأحلام- مبلغاً عظيما حتى جعل البدائيون أحياناً يرسلون الرسائل لموتاهم بمعنى الكلمة الحرفي الدقيق؛ ففي قبيلة من القبائل، إذا ما أراد الرئيس أن يبعث بخطاب لميت، أسمعه لعبدٍ ثم قطع رأس العبد ليؤدي الرسالة، فإذا نسى الرئيس شيئاً كان يريد ذكره في الخطاب، أرسل عبداً آخر بنفس الطريقة ليكون "حاشية" للخطاب الأول .

ثم تدرجت عبادة الأشباح حتى أصبحت عبادة للأسلاف؛ فقد بات الناس يخافون موتاهم جميعا ويعملون على استرضائهم خشية أن يُنزلوا لعناتهم على الأحياء فيجلبوا لهم الشقاء؛ وكأنما كانت هذه العبادة للأسلاف مهيأة على نحو يجعلها ملائمة لتدعيم المجتمع من حيث سلطانه ودوامه، وللتمكين من روح المحافظة على القديم والاحتفاظ بالنظام؛ حتى لقد شاعت شيوعاً سريعاً في كل أرجاء المعمورة فازدهرت في مصر واليونان وروما، ولا تزال قائمة ومستولية على النفوس بقوة في اليابان والصين الآن؛ وإن كثيراً من الشعوب ليعبدون أسلافهم دون أن يكون لديهم إله ؛ ولقد عمل هذا الاتجاه على ربط أواصر الأسرة ربطاً وثيقاً؛ على الرغم من كراهة الخلف لهذا النظام وكذلك كان لكثير من المجتمعات البدائية بمثابة إطار خفي ينتظم الأفراد في مجموعة متماسكة؛ وكما أن القهر أنهى إلى أن يكون ضميراً، فكذلك الخوف تطور حتى أصبح حُبّاً؛ فشعائر عبادة الناس لأسلافهم، التي يرجح أنها كانت وليدة الخوف في أول الأمر، قد أثارت في القلوب بعدئذ شعور الرهبة، ثم تطور أخيراً إلى ورع وتقوى؛ وكذلك ترى الاتجاه في الآلهة أن يبدأوا في صورة الغيلان المفترسة ثم ينتهون في صورة الآباء الذين يحبون أبناءهم؛ وهكذا يتحول الصنم المعبود على مر الزمن إلى مثل أعلى منشود، كلما عملت زيادة الاطمئنان والأمن والشعور الخلقي لدى العابدين على الحد من وحشية آلهتهم كما تصوروها أولا، وتحوير ملامحهم تحويراً يلائم الطور الجديد؛ إن البطء في سير المدنية ليتمثل في تأخر المرحلة التي أحس فيها الناس بحب آلهتهم.إن فكرة إله بشري لم تظهر في مراحل التطور الطويلة إلا أخيراً؛ وقد برزت في صورة واضحة بعد اجتيازها لمراحل كثيرة أخرجتها من تصور الإنسان لمحيط خضم أو لحشد كبير من الأرواح والأشباح تحيط بكل شيء وتعمر كل شيء؛ ثم انتقل الإنسان من خوفه وعبادته لأرواح غامضة المعالم مبهمة الحدود، إلى تمجيد القوى السماوية والنباتية والجنسية، ثم إلى خشوعه للحيوان وعبادته للأسلاف، والأرجح أن تكون فكرة الإنسان عن الله بأنه "أب" قد تفرعت عن عبادة الأسلاف، لأن معناها في الأصل هو أن الناس قد هبطوا من الآلهة بأجسامهم، لا بأرواحهم فقط ولذا لا تجد في اللاهوت البدائي حداً فاصلا متميزاً من حيث النوع بين الآلهة والناس؛ فعند اليونان الأقدمين- مثلا- كان الأسلاف آلهة والآلهة أسلافا؛ وتلت ذلك خطوة أخرى في التطور، حين ميَّزَ الناس من بين هؤلاء الأسلاف الخليط رجال ونساء بعينهم، كان لهم امتياز خاص دون سائر الأسلاف، فأسبغوا عليهم لونا أوضح من الربوبية الصريحة؛ وبهذا أصبح أعلام الملوك آلهة حتى قبل موتهم أحياناً؛ لكننا إذا ما بلغنا من التطور هذه المرحلة فقد بلغنا المدنية التي دونّها التاريخ.

25

طرائق الدين

السحر - طقوس الزراعة - أعياد الإباحة - أساطير الإله المبعوث - السحر والخرافة - السحر والعلم – الكهنة

" ليس سواد الناس في العصر الحاضر بأرقى من السحر البدائي في تخريفهم".

لما تصور الإنسان البدائي عالما من الأرواح يجهل طبيعتها وغاياتها، فقد عمل على استرضائها واجتلابها في صفه لمعونته ومن هنا كانت إضافته إلى الروحانية التي هي جوهر للديانة البدائية، سحرا هو بمثابة الروح من شعائر العبادة البدائية؛ فقد تصور البولينيزيون خضما حقيقيا مليئا بقوة السحر وأطلقوا عليه اسم "مانا" وكان الساحر في رأيهم إنما يُقطر لهم قطرات ضئيلة من هذا المورد الذي لا ينتهي،

والذي يستمد منه قدرته على السحر؛ وكان ما يسمى "بالسحر التمثيلي" هو أول الطرائق التي كسب بها الإنسان بأداء أشباه الأفعال التي يريد من الآلهة أن يؤدوها له، كأنه بذلك يغريهم بتقليده، فمثلا إذا أراد الناس أن يستنزلوا المطر، صَبَ الساحر ماء على الأرض، والأفضل أن يصبه من أعلى الشجرة؛ ويحكى عن قبيلة الكفير أنها حين تَهددَها الجفافُ، طلبوا إلى مبشر أن يذهب إلى الحقول ويفتح مظلته؛ وفي سومطره، تصنع المرأة العقيم صورة طفل تضعها على حجرها راجية أن يجيئها بعد ذلك الجنين؛ وفي "أرخبيل بابار" تصنع المرأة- إذا ما أرادت لنفسها الأمومة- عروسا من قطن أحمر، وتقوم بحركات إرضاعها، وتقول صيغة سحرية معلومة؛ ثم تبعث إلى القرية بمن يشيع أنها حملت، فيجيء أصدقاؤها لتهنئتها؛ الحق أنه لا يستطيع أن يرفض تحقيق هذا الخيال إلا واقع عنيد؛ وفي قبيلة "دياك" في بورنيو، إذا أراد الساحر أن يخفف آلام امرأة تضع، يقوم هو نفسه بحركات الوضع على سبيل التمثيل، لعله بذلك يوحي بقوة سحره إلى الجنين أن يظهر، وأحيانا يدحرج الساحر حجرا على بطنه ثم يسقطه على الأرض، أملا أن يقلده الجنين المستعصي فتسهل ولادته؛ وفي العصور الوسطى كانوا يسحرون الشخص بأن يغرزوا الدبابيس في تمثال من الشمع يمثل صورته وهنود بيرو يحرقون الناس ممثلين في دُماهم، ويطلقون على هذا اسم إحراق الروح، وليس سواد الناس في العصر الحاضر بأرقى من هذا السحر البدائي في تخريفهم .

كانت طرائق الإيحاء بالتمثيل تُستخدم بصفة خاصة لإخصاب التربة، فأرباب العلم في زولو يشوون الأعضاء التناسلية للرجل إذا مات في عنفوانه، ثم يطحنونها ويسحقونها رماداً يذر فوق الحقول؛ وبعض الشعوب تختار للربيع ملكاً وملكة من بين رجالها ونسائها، وتزوجهما في حفل علني، لعل التربة تصغي إلى الحفل ومغزاه فتسرع إلى أزهار النبات؛ بل إنهم في بعض البلدان يضيفون إلى مثل ذلك الحفل أن يقوم العروسان فعلا بعملية التزاوج علنا، حتى لا يتركوا للطبيعة- على الرغم من أنها ليست سوى طين بارد جامد- عذراً بأنها لم تفهم الواجب الذي طلبَ إليها أداؤه؛ وفي جاوة، يتصل الفلاحون وزوجاتهم اتصالا جنسياً في حقول الأرز ليضمنوا خصوبة إنتاجها ذلك لأن البدائيين لم يفهموا نمو النبات بلغة النتروجين، بل فهموه- بالطبع دون أن يعلموا أن للنبات ذكوراً وإناثاً- على نفس الأساس الذي كانوا يعللون به إثمار المرأة؛ ثم أليس في استعمالنا لكلمات مثل إثمار للطبيعة وللمرأة معاً، ما يذكرنا بعقيدتهم تلك وما تنطوي عليه من شعر؟

وتقام أعياد يختلط فيها الجنسان اختلاطاً بغير ضابط، وهي في معظم الحالات إنما تقام في فصل البذر، بمثابة أمر يوقف القوانين الخلقية حيناً وهي تذكر الناس بما كان في علاقاتهم الجنسية في أيامهم الماضية من حرية نسبية والغاية من هذه الأعياد إخصاب زوجات مَن بهم عقم من الرجال من جهة، وإيحاء للأرض في فصل الربيع بأن تخرج عن تحفظها الذي لازمته أيام الشتاء، لتتقبل ما بذروهُ فيها من بذور، وتهيئ نفسها لإخراج نتاج طيب من القوت، وتقام هذه الأعياد عند عدد كبير من الشعوب الفطرية، وخصوصاً بين أهل كامرون في الكونغو، والكفير، والهوتنتوت، والبانتو، وفي ذلك يقول "هـ. رولي H. Rowley "وهو من رجال الدين في بانتو :

"إن أعياد الحصاد شبيهة في خصائصها بأعياد "باخوس" (عند اليونان)... فأنه يستحيل على إنسان أن يشاهدها دون أن يأخذه الخجل... فهم لا يكتفون في هذه الإباحة الجنسية الكاملة بضمَّ من تنصّر حديثاً، بل لا يكتفون بضمَّ من طالَ أمد تنصره، لكنهم يغرون أي زائر وقفَ ليشاهد حفلهم بالانغماس معهم في إباحتهم؛ عندئذ لا يحول الناس حائل دون الانغماس في الدعارة، وهم لا ينظرون إلى الزنا نظرة فيها أثر من معنى البشاعة، بسبب الظروف التي تحيط بهم حينئذ، بل أنهم لا يسمحون لرجل حضر الاحتفال أن يضاجع زوجته ."

وتظهر أعياد كهذه في عصور المدنية التي دونّها التاريخ، فاحتفالات "باخي" عند اليونان، وأشباهها في روما وفي فرنسا إبان العصور الوسطى وفي إنجلترا وسائر الاحتفالات التهريجية التي نشاهدها في عصرنا، كل هذه من قبيل الأعياد الإباحية القديمة .

على أن شعائر الزراعة هذه تتخذ في بعض البلاد هنا وهناك صورة أقل ظرفاً مما ذكرنا- كما هي الحال عند البونيين Pawness وعند هنود جوايا كيل؛ فرجل يضحى به في وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه- وفيما بعد خفت

الصورة بعض الشيء، فاكتفوا بذبح الحيوان قرباناً-؛ حتى إذا ما حلّ موسم الحصاد فسّروه بأنه بعث للرجل الذي مات ضحيةً، فكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة؛ ومن هذا الأصل نشأت الأسطورة التي تروى في ألف صورة مختلفة كيف يموت الله في سبيل شعبه، ثم يعود إلى الحياة بعدئذ ظافراً؛ وعمل الشعر على زخرفة السحر حتى حوله ضرباً من اللاهوت، واختلطت الأساطير تروى عن الشمس بشعائر الزراعة اختلاطاً فيه تناسق وانسجام، بحيث أصبحت الأسطورة التي تروى عن موت الإله وعودة ولادته، لا يقتصر مدلولها على موت الشتاء وعودة الحياة إلى الأرض في الربيع بل جاوزت ذلك إلى الانقلابين الآخرين: الصيفي والخريفي، وما يعقب ذلك من قصر النهار وطوله؛ ذلك لان حلول الليل لم يكن إلا جزءاً من هذه المأساة؛ فإله الشمس يموت كل يوم مرة ويولد كل يوم مرة، فكل غروب له بمثابة الاستشهاد على الصليب، وكل شروق هو بعث له ونشور .

والظاهر أن التضحية بالإنسان- التي ذكرنا من شتى صنوفها مثلاً واحداً- قد أخذ بها الإنسان في كل الشعوب تقريباً، فتظهر ها هنا يوماً وهنالك يوماً، فقد وجدنا في جزيرة كارولينا في خليج المكسيك تمثالاً كبيراً معدنياً أجوف لإله مكسيكي قديم، فوجدنا فيه رفات كائنات بشرية، لا شك أنها ماتت بالحرق قرباناً لله، وكلنا يسمع عن "مُلُخْ" الذي كان الفينيقيون والقرطاجنيون، وغيرهما من الشعوب السامية حيناً بعد حين، يقدمون له القرابين من بني الإنسان؛ ولقد شهد عصرنا الحاضر هذه العادة قائمة في روديسيا وربما كان منشأ هذه العادة أكل البدائيين للحوم البشر، فظنوا أن الآلهة تستمرئ من الطعام ما يستمرئون؛ ولما كانت العقيدة الدينية أبطأ تغيراً من سائر العقائد، ثم لمّا كانت الشعائر الدينية أبطأ تغيراً من العقائد نفسها، فقد امتنع الإنسان عن أكله للحم الإنسان، وبقى التقليد قائماً بالنسبة للآلهة؛ ومع ذلك فقد تغيرت حتى هذه الشعائر الدينية بفضل تطور الأخلاق، بحيث طفق الآلهة يقلدون عبادهم في الزيادة من اصطناع الرقّة، واستسلموا للوضع الجديد فقبلوا لحم الحيوان طعاماً بدل لحم الإنسان، فَضُحّى بغزال بدل التضحية بافجينيا (في أساطير اليونان) كما ضُحّى بكبش بدل التضحية بابن إبراهيم؛ ومضى الزمان في تقدمه، فحرمت الآلهة حتى هذا الحيوان، لأن الكهنة آثروا أنفسهم بالطعام الشهي، وأخذوا يأكلون كل ما يمكن أكله من الضحية المقدمة، ثم يهبون الآلهة على مذبح القربان أمعاء الضحية وعظامها .

ولما كان الإنسان الأول يؤمن بأن قوة ما يأكله تنتقل إليه، فقد كان من الطبيعي أن ترد على خاطره فكرة أكل الإله؛ ففي كثير من الحالات كان يأكل لحم الإله البشري ويشرب دمه، ذلك الإله الذي عبده وسمّنه استعداداً للتضحية به؛ لكن الطعام كثرت موارده وضمن الإنسان اطراده، فانتهى ذلك إلى زيادة الرحمة في فؤاده، ولذلك استبدل بالتضحية الإلهية رموزاً على هيئتها، واقتنع بأكلها، ففي المكسيك القديمة، كان يصنع تمثال لله من الغلال والحبوب والخضر، يعجن بدماء صبيان يضحّى بهم لهذه الغاية، ثم يأكلونه على أنه بديل ديني لأكل الله نفسه؛ وأشباه هذه الاحتفالات الدينية وجدناها بكثرة في القبائل البدائية، وكانت العادة أن يطلب إلى الناس أن يصوموا عن الطعام فترة قبل أكل التمثال المقدس، وكان الكاهن ساعتئذ يقول بعض العبارات السحرية ليحول بها التمثال المأكول إلى إله حقيقي .

ولئن بدأ السحر بالخرافة فإنه ينتهي بالعلوم، فألوف من أغرب العقائد جاءت نتيجة للفكرة الروحانية القديمة، ثم نشأ عنها صلوات وطقوس عجيبة؛ فقبيلة "كوكى Kukis "كانت تلهب حماسة أبنائها في القتال بزعمها لهم أن الأعداء القتلى سيكونون لهم عبيداً في الحياة الآخرة؛ ولكنك من ناحية أخرى ترى الرجل من قبيلة "بانتو Bantu "إذا قتل عدواً له، حلق رأس نفسه، وطلى نفسه بروث الماعز، ليمنع روح الميت من العودة إليه والفتك به، وتكاد الشعوب البدائية كلها تجمع على فعل اللعنات وشر "العين الحاسدة" فلم يشك الأستراليون الأصليون في أن اللعنة ينطق بها الساحر القوي، تقضي على حياة اللعين وإن يكن منه على بعد مائة ميل؛ وبدأت العقيدة في السحر في أوائل مراحل التاريخ الإنساني، ولم تَزل عن الإنسان قط زوالا تاما؛ وعبادة الأصنام وغيرها مما يكون له قوة سحرية كالتمائم، أرسخ في القِدَم من السحر نفسه وأثبت منه جذوراً في النفوس؛ ولما كانت التمائم تُحَددُ لها مناطق القوة، بمعنى أن يكون لكل تميمة أثر في ناحية معينة دون غيرها، فإنك ترى بعض الشعوب تُثقِل أنفسها بأحمال منها لكي يكونوا على أهبة الاستعداد لكلما عسى أن تفجأهم به الأيام والأحجية إن هي إلا صورة متأخرة في الظهور، ومَثل من الأمثلة التي تعاصرنا، من الأصنام أو ما

إليها من ذوات القوة السحرية، فنصف سكان أوروبا يلبسون المُدليَات والتمائم ليستمدوا بواسطتها وقاية و معونة من وراء الطبيعة؛ إن تاريخ المَدنية ليعلمنا في كل خطوة من خطوات سيره، كم تبلغ قشرةُ الحضارة من الرقة والوهن، وكيف تقوم المدنية على شفا جُرُف هارٍ فوق قمة بركان لا يخمد سعيره، من وحشية بدائية وخرافة وجهل مكبوت، إن المدنية العصرية ليست سوى غطاء وضع وضعاً على قمة العصور الوسطى، ولا تزال تلك العصور ولن تزال باقية .

ولا يسع الفيلسوف إلا أن يَقبَل راضياً هذا الفقر من الإنسان إلى معونة مما فوق الطبيعة تبعث في نفسه الطمأنينة؛ ويجد لنفسه العزاء في علمه بأن الأدب المسرحي والعلوم تنشأ عن السحر، كما ينشأ الشعر عن مذهب الروحانية؛ فقد بين لنا "فريزر -Frazer "في شيء من المبالغة لا نستغربه من مبدع موهوب- أن أمجاد العلم تمتد بجذورها إلى سخافات السحر؛ لأنه كلما أخفق الساحر في سحره استفاد من إخفاقه هذا استكشافاً لقانون من قوانين الطبيعة، يستعين بفعله على مساعدة القوى الطبيعية في إحداث ما يريد أن يحدثه من ظواهر؛ ثم أخذت الوسائل الطبيعية تسود وترجح كفتها شيئاً فشيئاً، ولو أن الساحر كان دائماً يخفي هذه الوسائل الطبيعية ليحتفظ بمكانته عند الناس، ما استطاع إلى إخفائها من سبيل، بأن يعزو الظاهرة التي أحدثها للسحر الذي استمده من القوى الخارقة للطبيعة- وهذا شبيه جداً بأهل هذا العصر حين يعزون الشفاء الطبيعي لوَصفَات وعقاقير سحرية؛ وعلى هذا النحو كان السحر هو الذي أنشأ لنا الطبيب والصيدلي، وعالم المعادن، وعالم الفلك .

لكن الطريق أقصر بين الفلكي والساحر منها في سائر ضروب العلماء؛ ذلك لأنه لما تعددت طقوس الدين وتعقدت، لم يَعد الرجل العادي يقدر على استيعابها جميعاً، والإلمام بها جميعاً ومن هنا نشأت طبقة خاصة أنفقت معظم وقتها في مهام الدين ومحافله؛ وأصبح الكاهن باعتباره ساحراً، بما له من قدرة على الذهول الروحي وتلقي الوحي وتوجيه الدعاء المستجاب، أقر بصلة بإرادة الأرواح أو الآلهة بحيث يستطيع تحويل تلك الإرادة إلى ما فيه نفع الإنسان؛ ولما كان هذا الضرب من العلم والمهارة هو في رأي البدائيين أهم ضروب العلم والمهارة جميعاً، ثم لما تصوروا أن القوى الخارقة للطبيعة لها أثرها في حياة الإنسان عند كل منعطف في الطريق، فقد أصبحت قوة رجال الدين مساوية لقوة الدولة؛ وجعل الكاهن أو القسيس منذ أقدم العصور إلى أحدثها ينافس الجندي المقاتل في سيادة الناس والإمساك بزمامهم، حتى لقد راح الفريقان يتناوبان ذلك، وحسبنا في التمثيل لذلك أن نسوق مصر، ودولة اليهود وأوروبا في العصور الوسطى أمثلة.إن الكاهن لم يخلق الدين خلقاً، لكن أستخدمه لأغراضه فقط، كما يستخدم السياسي ما للإنسان من دوافع فطرية وعادات؛ فلم تنشأ العقيدة الدينية عن تلفيقات أو ألاعيب كهنوتية، إنما نشأت عن فطرة الإنسان بما فيها من تساؤل لا ينقطع وخوف وقلق وأمل وشعور بالعزلة؛ نعم إن الكاهن قد أضر الناس بإبقائه على الخرافة وباحتكاره لضروب معينة من المعرفة، لكنه مع ذلك عمل على حصر الخرافة في نطاق ضيق، وكثيراً ما كان يحمل الناس على إهمال شأنها، وهو الذي لقن الناس بداية التعليم والتهذيب، وكان بمثابة المستودع وأداة التوصيل بالنسبة للتراث الثقافي الإنساني المتزايد؛ وكان عزاء للضعيف في استغلال القوى له استغلالاً ؛ كما أصبح الفعل الفعال الذي أعان الدين على تغذية الفنون، وتدعيم بناء الأخلاق الإنسانية المترنح بدعامة من القوة العليا؛ فلو لم يجد الناس بينهم كاهناً لخلقوه لأنفسهم خلقاً.

26

مهمة الدين الخلقية

الدين والحكومات - المحرمات الجنسية - تأخر الدين - التحول العلماني

"إن الوظيفة الخلقية للدين هي أن يحافظ على القيم القائمة، أكثر مما يخلق قيماً جديدة".

الدين دعامة الأخلاق بوسيلتين أساسيتين هما الأساطير والمحرمات؛ فالأساطير هي التي تخلق العقيدة فيما وراء الطبيعة، ثم يكون من شأن هذه العقيدة أن تضمن بقاء أنواع من السلوك يريد المجتمع (أو يريد الكهنة) بقاءها؛ فما يرجوه الفرد في السماء من ثواب وما يخشاه لديها من عقاب يضطره اضطراراً أن يذعن للقيود التي يفرضها عليه سادته أو جماعته؛ فالإنسان ليس بطبعه مطيعاً رقيقاً طاهراً وليس شيء كالخوف من الآلهة - وذلك بعد القهر الذي خضع له الفرد قديماً فأنشأ في نفسه الضمير - أخضع الإنسان لهذه الفضائل التي لا تتفق وطبيعته إخضاعها مطرداً صامتاً؛ فأنظمة الملكية والزواج تتوقف إلى حد ما على العقوبات الدينية وهي تميل إلى فقدان قوتها في العصور التي يسود فيها الشك الديني؛ بل الحكومة نفسها التي هي أهم أداة اجتماعية اصطنعها الإنسان، وأبعد أداة عن طبيعة الإنسان، كثيرا ما استعانت بالتقوى وبالكاهن، كما فعل أذكياء الهراطقة مثل نابليون وموسوليني اللذين لم يلبثا أن كشفا عن هذه الحقيقة؛ ومن هنا كان ثمة "ميل إلى قيام دولة دينية كلما نشأت الدساتير"؛ فلئن كانت قوة الرئيس البدائي تستمد الزيادة من السحر والعرافة، وكمثال فإن الحكومة الامريكية نفسها تستمد بعض القوة من اعترافها السنوي "بإله المهاجرين ."

وأطلق أهل "بولنيزيا" كلمة "تابو" (ومعناها التحريم) على ما يحرمه الدين؛ فلما تقدمت المجتمعات البدائية بعض الشيء، اصطنعت هذه الحُرُمات الدينية مكان القوانين المدنية؛ وكانت صيغة التحريم عادةً سالبة: فبعض الأفعال وبعض الأشياء أعلن عنها أنها "مقدسة" أو "نجسة" وكان اللفظان في الواقع يعنيان نذيراً واحداً، وهو أن تلك الأفعال أو الأشياء لا يجوز لمسها؛ "فتابوت العهد" مثلاً كان محرماً، ويُروى عن "عُزّى" أنه سقط صعقاً عند لمَسِه لمنعِه من السقوط؛ ويؤكد لنا "ديودورس" عن المصريين القدماء أنهم أكلوا بعضهم بعضاً إبان المجاعة، فذلك آثر عندهم من الاعتداء على تحريم أكل الحيوان الذي اتخذته القبيلة طوطماً لها؛ وإنك لتجد في معظم الجماعات البدائية عدداً كبيرا جداً من هذه المحرمات، فكلمات معينة وأسماء معينة ما كان لها قط أن تُنطق، وأيام معينة وفصول معينة كانت من المحرمات بمعنى أن القتل لم يكن يؤذن به خلالها؛ وكل معرفة البدائيين بحقائق الغذاء وبعض جهلها بتلك الحقائق، كان سبيلها إليهم تحريمات معينة أقامها الناس على ألوان الطعام، فهُم لم يلقنوا مبادئ الصحة عن طريق العلم أو عن طريق الطب العَلماني بقدر ما لقنوها عن طريق الدين .

وكانت المرأة أهم ما اتجه إليه التحريم عند البدائيين فآلاف الخرافات نشأت عن المرأة لتجعلها، آناً بعد آن، مُحرمَة اللمس، خطرةً، "نجسة"؛ إن مُنشئ الأساطير في أنحاء العالم لم يكونوا أزواجاً موفقين، لأنهم متفقون جميعاً على أن المرأة أساس الشر كله، فلم يقتصر هذا الرأي على الديانتين اليهودية والمسيحية، بل جاوزهما إلى مئات من الأساطير الوثنية؛ وأدق التحريمات البدائية كان خاصاً بالمرأة إبان حيضها، فكل من لَمسها أو كل ما لمسها في هذه الفترة فَقَدَ فضيلته إن كان إنساناً، وضاعت فائدته إن كان غير ذلك؛ فحرمَّ "الماكوزى Macusi "من أهل غيانة البريطانية على نسائهم أن يستحممن إبان حيضهن خشية أن يُسَممن الماء، كما حرموا عليهن الذهاب إلى الغابة في مثل هذه الفترات، حتى لا تعضَّهن الثعابين غراماً بهن؛ حتى الولادة كانت عندهم نجسة، وكان على الأم بعدها أن تطهر نفسها في كثير جداً من الطقوس الدينية؛ والعلاقة الجنسية حرام في معظم القبائل البدائية، ليس فقط إبان فترات الحيض، بل كذلك أثناء

الحمل والرضاعة، ولعل هذه التحريمات قد أنشأها النساء أنفسهن بما لهن من إدراك سليم وما يبغين لأنفسهن من وقاية وراحة، لكن الأصول سرعان ما تُنسى، وتنظر المرأة فإذا هي "مشوبة" وإذا هي "نجسة"؛ وانتهى بها الأمر إلى أن توافق الرجل على وجهة نظره، وراحت تشعر بالعار في حيضها، بل في حملها؛ ومن التحريمات وأمثالها نشأ الحياء ونشأ الشعور بالخطيئة، والنظر إلى العلاقة الجنسية على أنها نجاسة، وكذلك نشأ التقشف وعزوبة الرهبان ونشأ إخضاع النساء .

ليس الدين أساس الأخلاق، لكنه عون لها، فقد يمكن تصور الأخلاق بغير دين، وليس الأمر النادر أن تتطور الأخلاق في طريقها إلى التقدم بينما يبقى الدين لا يأبه لها، أو يقاومها مقاومة عنيدة؛ ففي الجماعات الأولى، وفي بعض الجماعات المتأخرة، كانت الأخلاق فيما يظهر على أتم استقلال عن الدين، وفي مثل هذه الحالة لا يُعنى الدين بقواعد السلوك، بل يُعنى بالسحر والطقوس وتقديم القرابين، والرجل الطيب عندئذ هو من يؤدي محافل الدين أداء المطيع، ويمدها بماله في ولاء وإخلاص؛ والدين بصفة عامة لا يَرعى الخير المطلق (إذ ليس هناك خير مطلق)، بل يرعى معايير السلوك التي وطدت نفسها بحكم الظروف الاقتصادية والاجتماعية؛ وهو كالقانون يلتفت إلى الماضي ليستمد منه أحكامه، وهو قمين أن يتخلف في الطريق كلما تغيرت الظروف وتغيرت معها الأخلاق؛ فقد تعلم الإغريق مع الزمن أن يمقتوا مضاجعة المحارم، مع أن أساطيرهم كانت ما تزال تمجد الآلهة الذين يفعلون ذلك، والمسيحيون يصطنعون نظام الزوجة الواحدة بينما إنجيلهم يُحلل تعدد الزوجات؛ وامتنع الرق امتناعاً تاماً بينما المتدينون كانوا يدافعون عن قيامه بشواهد من الإنجيل لا تُنقض؛ وفي يومنا هذا نرى الكنيسة تقاتل قتال الأبطال لتقيم تشريعاً خلقياً قضت عليه الثورة الصناعية قضاء مبرماً لا شك فيه؛ فالعوامل الأرضية هي التي تسود آخر الأمر، والأخلاق توائم بين نفسها وبين المستحدثات الاقتصادية شيئاً فشيئاً، ثم يتحرك الدين كارهاً فيوفق بين نفسه وبين الأخلاق الجديدة ؛ إن الوظيفة الخلقية للدين هي أن يحافظ على القيم القائمة، أكثر مما يخلق قيماً جديدة .

ومن هنا كان من علامات المراحل العليا في كل مدنية أن يحدث التجاذب بين الدين والمجتمع؛ يبدأ الدين بمَدَد من السحر يقدمه للناس في حيرتهم وارتباكهم؛ ثم يصعد إلى قمة مجده بمَدَد من وحدة الأخلاق والعقيدة يقدمها للناس فتجيء هذه الوحدة معُينة أكبر العون للسياسة والفن؛ ثم ينتهي بقتال يفنى فيه فناء المنتحر دفاعاً عن قضية الماضي الخاسرة؛ ذلك لأنه كلما تقدمت المعرفة أو تغيرت تغيراً متصلاً، اصطدمت بالأساطير واللاهوت اللذين يتغيران تغيراً بطيئاً بطئاً لا يُحتمَل؛ وعندئذ يشعر الناس برقابة رجال الدين على الفنون والآداب كأنها أغلال ثقيلة وحائل ذميم، ويتخذ التاريخ الفكري في مثل هذه المرحلة صيغة النزاع بين العلم والدين"؛ والأنظمة التي تبدأ في أيدي رجال الدين، مثل القانون والعقاب، والتربية والأخلاق، والزواج والطلاق، تميل نحو الإفلات من رقابة الدين لتصبح أنظمة دنيوية، حتى ليعدها الدين أحياناً خارجة عليه، والطبقات المستنيرة تطرح وراء ظهورها اللاهوت القديم، ثم- بعد شيء من التردد- تطرح معه التشريع الخلقي؛ عندئذ تصبح الفلسفة والأدب مناهضة لرجال الدين، وترتفع حركة التحرير إلى عبادة العقل عبادة المتفاني، تكبو فيما يشبه الشلل الذي تسببّه خيبةُ الأمل إزاء كل عقيدة وكل فكرة؛ ويتدهور السلوك الإنساني إذا ما سُلِبَ دعائِمَه الدينيةَ، فينقلب ضرباً من الفوضى الأبيقورية؛ بل إن الحياة نفسها، وقد حَرَمتها ما فيها من إيمان يبعث العزاء في النفوس، تصبح عبئاً ثقيلا للفقير الشاعر بفقره، وللغني الذي مَلَّ غناه آن معاً، وفي النهاية ينحدر المجتمع وتنحدر معه عقيدته الدينية نحو السقوط معاً في ميتة واحدة كأنهما الجسد والروح، على أنه سرعان ما تنشأ أسطورة أخرى بين الناس إذ هم ينوؤون تحت هذا العبء الفادح، أسطورة تَصبّ الأمل الإنساني في قالب جديد، وتمد الجهد الإنساني بحماسة جديدة، ثم تبنى مدنية جديدة بعد أن تنقضي قرون في حالة من الفوضى.

27

الموت والحياة والخلود

" إنّ انكار الموت الذي نحسبه من تقاليد هذه الحضارة ليس سوى شيء نشأ مع الشعوب البدائية الاولى"....
سيجموند فرويد.

لم يكن الانسان البدائي، وهو يرمق جثة عدوه المطروحة في الجوار، يرهق ذهنه بالتفكير في لغز الموت والحياة، لكنه كان يزهو بما حقق من إنتصار. ولم يكن يثيره لغز الموت، ولكنه كان يرفض تقبّل موت العزيز، وتتضارب ازاءه مشاعره، فهو من جهة يحبه ويعتبره جزءا من نفسه، ومن جهة اخرى كان انسانا مغايرا ليس جزءا منه وهو ما يكرهه فيه.

وهذا التقارب في المشاعر هو الذي كان يطلق طاقة البحث فيه، وهو نفسه الذي اولد علم النفس، فالإنسان لم يعد في إستطاعته ان يستبعد الموت من تفكيره لإنه ذاق اساه في موت احبائه، لكنه مع ذلك لم يستسلم تماما امامه، ورفض ان يعترف به بشكل كامل، لانه كان مايزال يتصور انه هو نفسه مقدر عليه الموت، ولذلك فقد تحايل على فكرة الموت واقنع نفسه بموقف متوسط، فقد تقبّل الموت كحقيقة، واقر بحقيقة موته هو نفسه، لكنه رفض ان يعترف بأن الموت نهاية الحياة.

مع انه ما كان ينبغي ان ينتهي إلى هذه النهاية، لان عدم الإقرار بانه نهاية الحياة معناه انه ليس نهاية حياة لعدوه مثلما هو هو ليس نهاية الحياة له هو نفسه.

وعلى اي حال فقد تصوّر ان الميت تخرج من جسده اشباح، واختلط الاسى على الفقيد العزيز بالراحة لموته بإعتبار ان الفقيد لم يكن بتمامه امتدادا له، فقد ظل به جزء يستعصي عليه دمجه فيه، جزء مغاير له اجنبي عنه، وهذا الجزء الغريب عليه هو الذي شرح صدره لموته، وملأه ذلك إحساسا بالذنب، وجعله الإحساس بالذنب يتصور روح الميت التي غادرت جسده روحا شريرة، وتخيلها عفريتا مرعبا.

ولم يكن يعتقد في اول الامر ان الميت تخرج منه روح واحدة، ولم يكن امامه ازاء ما يلمسه من تغييرات قد استحدثها الموت إلا ان يؤمن ان الإنسان جسد وروح، وقدمت له مخيلته تفسيرا لكل ما يحدث.

ولانه يذكر المتوفي وسيظل يذكره ، صارت الذكرى الابدية اساس تصوره لانماط الحياة الاخرى بعد الموت، فتخيلها حياة ابدية تتجاوز الموت، ولكنه لم يجهد ذهنه في اول الامر فيما يحتمل ان تكون عليه هذه الحياة، وظل يحفظ لها في نفسه تقديرا خاصا، ثم جاءت الاديان المختلفة من بعد لتصور هذه الحياة الاخرى في صورة اكثر إغراء، وقارنتها بالحياة الدنيا، ووصفتها بانها الاصدق، وان الحياة الدنيا حياة زائفة مآلها الفناء.

وكان طبيعيا لنظرة ترد هذه الحياة الى عالم اسبق عليها ان تتصور الحياة تعود الى الاجسام بعد الموت، وان الاجسام تقوم يوم القيامة، وغاية هذه النظرة ان تفقد الموت معناه كنهاية للحياة.

ومن ثم نرى ان انكار الموت الذي نحسبه من تقاليد هذه الحضارة ليس سوى شيء نشأ مع الشعوب البدائية الاولى.

هناك تطوّر متسلسل في عقائد ما بعد ألموت ونظرة ألإنسان إلى ألعالم ألعلوي وألعالم ألأسفل، وهنالك تشابه ملحوظ بين الحضارات ألرافدينية ألثلاث في هذا المجال، فألرافدينيون لم يؤمنوا بوجود ألثواب والعقاب في ألعالم ألأسفل فهناك يتساوى ألصالح والطالح ولكن مع وجود بعض ألفروقات في ألموقع والمعاملة حسب موقع ألميّت في ألحياة فألملوك مثلا لهم أماكن خاصة في ألجحيم ألرافديني، ولكنّ ألجميع في ألعالم ألأسفل يكونون في حالة شبحية.

لا يوجد في عقائد ما بعد الموت ألرافديني ثنائية ألجنّة وألجحيم، ولا ثنائية ألثواب وألعقاب، في ألاساطير ألرافدينية نلاحظ بأنّ إله ألخصب (أنانا أو عشتار) أو أبنها (تمّوز أو ديموزي) يؤسر أو يُختطف من قبل آلهة ألعالم ألأسفل ويبقى هنالك لفترة معينّة ثمّ يصعد ألى ألأعلى، هذا ألتناوب له علاقة بألمواسم ألزراعية من خريف وصيف وربيع وخريف، فألإنسان ألرافديني كان همّه ألأول طعامه ألأساسي ألقمح ودورة حياته فبعد موسم ألحصاد كانت تقام ألمآتم ألتي ترمز ألى جفاف ألأرض وموت ألهة ألخصب ونزولها الى ألعالم ألأسفل، أمّا في موسع ألربيع فكانت ألأحتفالات تتسم بطابع ألسعادة وألفرح لقيام آلهة ألخصب من ألموت وتحرره من ألعالم الأسفل.

عقائد ما بعد الموت والعالم الاخر في التوراة هي امتداد لعقائد السومريين والبابليين. فعالم الموتى هو عالم سفلي تذهب اليه ارواح الموتى جميعا دون تمييز.فنجد فيه القديسين والناس العاديين معا. وليست عملية الموت الّا مرحلة تقود الفرد من حالة الى اخرى من احوال الوجود، عن طريق مفارقة الروح للجسد.

انّ الارواح تكون متساوية في مصيرها كما هو الامر في ثقافة وادي الرافدين: فلا بعث هناك ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب، بل وجود ثقيل راكد، واستمرار لا فرح فيه ولا نشوة.

عقائد ما بعد الموت الزرداشتية احدثت انقلابا فكريا في المعتقدات الدينية ونلاحظ تأثيراته في الديانات الابراهيمية (اليهودية والمسيحية والاسلام)، فلأول مرة يتعرّف الفكر الانساني على مبدأ الثواب والعقاب في ألآخرة ويطفو إلى ألسطح ثنائية ألجنّة وألجحيم.

في مسيرة المسيحية الاولى في القرون الثلاث بعد الميلاد، حيث ارتبطت بكونها فرقة يهودية جديدة، تخبّط الفكر اللاهوتي قبل ان يتوصل لقرار حاسم في البعث وخلود الروح وشمولية الثواب والعقاب، فكانت فكرة خلود الروح تقتصر على المؤمنين الذين اتّحدوا بالمسيح فأعطيت لهم به الحياة، شأنها في ذلك شأن ديانات الاسرار التي كانت شائعة في الامبراطورية الرومانية في تلك الآونة كالاورفية وغيرها، حيث كان الالتصاق بمخلّص هو (ديونيسيوس أوغيره) شرط للخلاص وللحياة الجديدة.

وأخيرا فإنّ عقائد ما بعد الموت في الدين الاسلامي وصلت إلى مرحلة ألنضج بتأثير العقائد الزرداشتية و التاثيرات المسيحية فظهرت العقائد بصورة أوضح وبتفاصيل مضافة عجيبة عليها، كعقيدة عذاب ألقبر ومرحلة البرزخ، وكذلك عقيدة الثواب الذي ينتظر المؤمنين الصالحين في الجنّة والعقاب الذي ينتظر الكفار الطالحين في الجحيم.

إن دين ألإنسان بدأ بعبادة ألأنثى (ألأم ألكبرى) في ألعصر ألبيالوتي(قبل ميلاد المسيح بعشرة آلاف سنة) فكانت هي رمز ألخصب وألعطاء وألذي أرتبط في خيال الإنسان ألقديم بعطاء ألأرض بعد أكتشاف ألإنسان الزراعة وإنشائه ألقرى ألزراعية، ولكن بعد أنشائه ألمدن ألحضرية وألدولة وحكم ألمجتمعات ألحضرية من قبل ألملوك قام ألذكور بإنقلاب على ألأديان ألأمومية، فظهرت إلى ألوجود الآلهة ألذكور وألأديان ألذكورية كأليهودية وربيبتها ألإسلام.

28

ألموت

"إنّ كل نتاج الفكر البشري من ادب وفن ودين ناشيء عن هذا اللغز المحيّر ..... لغز الموت، فالانسان منذ الخليقة بحث عن وسيلة للخلود، ولكن هيهات، فالّذين سيتذكرونه هم انفسهم فانون. إنّ الطبيعة صامتة صمتا ابديا ولا تُبالي بنا، وهذا الصمت واللامبالاة اللانهائية هو الّذي يُفزعنا ويجعل اغانينا حزينة، وبسبب جحود وصمت هذا الكون لجأ الانسان الى المعابد والكنائس والمساجد منذ القدم، لأنّ الانسان لا يحتمل العيش منسيا يذكره منسيون مثله، وبسبب هذا الصمت والسكون السرمدي نلوذ بالفن ونبحث عن الله والحق والعدل والجمال.

إنّ الإنسان في الحياة كالمدعو إلى وليمة دسمة ولكنّ الطعام الّذي يتناوله في هذه الوليمة كلّه مسموم، ومع هذا يأكله ويستمر في الاكل حتّى النهاية".... مصطفى محمود.

ألموت هو ألحقيقة ألتي حيّرت عقل ألإنسان، فنهاية كل شيء موت...ألآلهة، ألأجرام ألسماوية، ألكواكب ألسيارة، ألنباتات ، ألحيوانات ،ألبشر جميعها مآلها ألفناء.

ألشيخوخة وألأمراض ألتي تصيب ألكائنات ألحية وألكوارث ألطبيعية كالفيضانات والزلازل وأنفجارات ألبراكين وإصطدام ألنيازك بألأرض من جملة أدوات ألموت. في ألتراث ألإسلامي لا يقبض ألله أرواح ألبشر بعبارته ألسحرية (كن فيكون) وإنّما يكلّف ملك ألموت (عزرائيل) للقيام بهذه ألمهمّة، وهنا يحق لنا أن نتسائل:

هل يحتاج ألله ألغني عن ألعالمين وألقدير إلى مساعد للقيام بهذه ألمهمّة؟ أم هي من بنت أفكارنا وتصوراتنا وأوهامنا.

ألموت لغز لم يتمكن ألإنسان من فك طلاسمه لحد ألآن ووقف ألعقل ألإنساني أمامه حائرا.

لماذا ألموت قدر جميع ألكائنات؟

ماذا سيحدث لو أختفى ألموت؟

أسئلة تتبعها أجوبة وكل جواب يؤدي إلى أسئلة أخرى.

والتساؤل ألأهم هو :

هل يُمكن أن يعود ألإنسان إلى ألحياة مرة أخرى ؟

قد يتمكن ألإنسان من قهر ألموت في ألمستقبل بإستخدام تقنية ألإستنساخ ونقل ألذاكرة إلى ألنسخة ألجديدة؟

ولكن لا أعتقد بوجود طريقة أخرى لذلك.

نصف جيناتنا التي تنشيء أجسامنا وأدمغتنا قد تنتقل إلى أولادنا وربعها تنتقل إلى أحفادنا وبإستمرار هذه العملية تنتقل جميع جيناتنا وتتوزع في أجساد أخرى وقسم من هذه الجينات تطرأعليها طفرة وتكون مغايرة للأصل، لذا ألسؤال هو :

ما هو إحتمال تجمع جيناتنا البالغة عددها أكثر من 25000 جينة مرة أخرى لتكوين أجسادنا؟

لنفترض حدوث هذا، كيف يمكن أن يرجع وعينا ألينا مرة أخرى؟

لرجوع نفس الوعي إلى نسختنا الجديدة هنالك طريقتان، الأولى هي نقل ذاكرتنا المحفوظة بطريقة ما إلى دماغنا، والثانية هي أن نعيش منذ طفولتنا في نفس ظروف معيشتنا السابقة مكانيا وزمانيا مع نفس الوالدين والأقرباء والأصدقاء وهذا محال.

حسب معتقدات ألأديان ألأبراهيمية فإنّ ألرب أو ألله فرض ألموت على ألبشرية نتيجة خطيئة آدم، فبعد أكله من ألشجرة ألمحرمة نزع ألإله من آدم خاصية ألخلود وكتب عليه ألموت بعد فترة، وسواء أقصرت هذه ألفترة أو طالت فألنتيجة الحتمية لن تتغير.

حسب معظم ألمعتقدات ألدينية ألإنسان يتكون من مادة (جسد) وروح فعندما يموت ألإنسان ينفصل ألروح عن ألجسد ولكن ألروح يبقى خالدا لأنّه نفخة من روح ألخالق، وسيتم محاسبة ألأنسان في ألتراث ألإسلامي يوم القيامة أو يوم ألدينونة بعد إندماج ألروح مرة أخرى مع ألجسد.

بلغ الانتصار على الموت قمته في المسيحية التي اعطت الإنسان بعثا كاملا غير منقوص، حيث يعود الجسد سيرته الاولى بكل تفاصيله واجزائه.

في مسيرة المسيحية الاولى في القرون الثلاث بعد الميلاد، حيث ارتبطت بكونها فرقة يهودية جديدة، تخبّط الفكر اللاهوتي قبل ان يتوصل لقرار حاسم في البعث وخلود الروح وشمولية الثواب والعقاب، فكانت فكرة خلود الروح تقتصر على المؤمنين الذين اتّحدوا بالمسيح فأعطيت لهم به الحياة، شأنها في ذلك شأن ديانات الاسرار التي كانت شائعة في الامبراطورية الرومانية في تلك الآونة كالاورفية وغيرها، حيث كان الالتصاق بمخلّص هو (ديونيسيوس أوغيره) شرط للخلاص وللحياة الجديدة.

في الدين اليهودي عالم الموتى هو عالم سفلي تذهب اليه ارواح الموتى جميعا دون تمييز.فنجد فيه القديسين والناس العاديين معا. وليست عملية الموت الّا مرحلة تقود الفرد من حالة الى اخرى من احوال الوجود، عن طريق مفارقة الروح للجسد، فالارواح تكون متساوية في مصيرها كما هو الامر في ثقافة وادي الرافدين فلا بعث هناك ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب، بل وجود ثقيل راكد، واستمرار لا فرح فيه ولا نشوة.

تختلف معتقدات ألهندوسية وألبوذية عن ألأديان ألأبراهيمية في مصير ألروح بعد موت الإنسان، فهم يؤمنون بعقيدة تناسخ الارواح فروح الانسان الميّت يعود الى الارض ويدخل في جسم أنسان آخر وتتكرر هذه العملية عدّة مرات (عقيدة ألكارما).

الإيمان بحقيقة التناسخ أو تقمّص الروح في أجساد متتالية، له في الهند قوّة وشمول بحيث يعتنقه كلّ هندوسي على أنّه بديهية أو فرض لا بدّ من التسليم بصحته، ولا يكاد يكلّف نفسه عناء التدليل عليه، فتعاقب الأجيال هناك تعاقباً سريعاً متلاحقاً بسبب قُصر الأعمار وكثرة النسل، يوحي إلى الإنسان إيحاء لا يستطيع أنْ يفر منه، بأنّ القوة الحيوية تنتقل من جسد إلى جسد أو بأنّ الروح تحل بدناً بعد بدن، إذا عبّرنا عن الأمر بعبارة لاهوتيه، ولقد طافت الفكرة برأس بوذا مع مرُّ الهواء في أنفاسه، فهذا الهواء الّذي يدخل شهيقاً ويخرج زفيراً هو الحقيقة الواحدة الّتي لم يشك فيها قط على ما يبدو، إنّه سلّم تسليماً بعجلة التناسخ في دورانها وبقانون "كارما" وتفكيره كلّه إنّما يدور حول سبيل الفرار من هذه العجلة الدوارة، كيف يُمكِن للإنسان أنْ يحقق لنفسه النرفانا في هذه الحياة الدنيا، والفناء التام في الحياة الآخرة.

امّا طبقة الشودرا او طبقة الخدم وهم طائفة من بعض شعوب جنوب اسيا فإنَّهم يؤمنون أيضا بعقيدة تناسخ الارواح، وحسب عقيدتهم فإنَّ الارواح لها دورة حياتية تتناسخ فيها وتنتقل من جسد الى اخر يُحدده عمل الروح في الجسد الّذي حَلَّت بهِ، فالخيّر لا يرتقي، امّا الشرير فانّه ينتقل الى جسد في نفس المستوى إلى انْ يصل الى مرحلة الخلود حيث يتّحد مع ذاته وفي هذه المرحلة يُعطى فرصة تلو الاخرى لكي يتعرّف على ربّه في اكثر من دورة حياة.

إنَّ الشودرا لا يؤمنون بالبعث لذلك لا اهمية لفعل الخير والشر لديهم طالما قام بالواجب المشروط عليه وهو الزواج والانجاب.

إنّ ألإيمان بخلود ألروح بعد ألموت نشأ في عقل ألإنسان من رغبته في ألخلود ومن إحساسه بعدم وجود العدالة في عالمنا، فالذين يعتقدون بيوم ألقيامة يأملون أن تتحقق ألعدالة في حياة اخرى يقتص ألخالق فيها من الظالم ويتمتع المحروم في حياة ألدنيا بمتع لا حصر لها في ألآخرة.

إنَّ المخلوقات من بشر وحيوان ونبات حين تموت تتحلل أجسامها في التراب او الماء الى العناصر المكوِّنَة للطبيعة من فسفور ونايتروجين وكربون وأوكسجين وهيدروجين الى اخر العناصر المكونِة لجسم الاحياء، إنَّ هذه العناصر تعود بشكل او اخر فتكوِّن اجسادا اخرى للبشر والحيوانات والنباتات فكل هذه المخلوقات تقتات بعضها على البعض وهذه العملية تشكّل دورة الحياة في الارض.

في سفر الجامعة من ألتوراة نجد بأنّ القوى العمياء هي المسيطرة على شيئول (ألعالم ألسفلي) ويحدّثنا عن ضرورة تزوّد الانسان بما يستطيع من هذه الحياة لأنّ بعدها يأتي ألنسيان، فنقرأ في الاصحاح التاسع كلمات تشبه الى حد بعيد كلمات فتاة الحانة الى جلجامش:

(اذهب كُل خبزك بفرح وأشرب خمرك بقلب طيّب.. لتكن ثيابك في كلّ حين بيضاء.. ألتذ عيشا مع المرأة ألتي أحببتها.. لان ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس. كلّ ما تجده يدك لتفعله فأفعله بقوّتك لأنّه ليس من عمل ولا اختراع ولا حكمة في الهاوية التي انت ذاهب اليها).

29

المقدس والمدنس - تقديس المكان

" إنّ المكان غير متجانس، بالنسبة للإنسان المتدين، إنّه يمثل إنقطاعات وإنكسارات : يوجد أجزاء من المكان مختلفة نوعيا عن بعضها" .... ميرسيا إلياد.

" لا تقترب من هنا، قال الرب إلى موسى، أخلع نعليك من رجليك، لأنّ المكان ألذي توجد فيه هو أرض مقدسة " (خروج 5:3). فيوجد إذن حيّز مقدس، وبالتالي "قوي" ذي مدلول، ويوجد أمكنة اخرى غير مكرسة وبالتالي بدون بنية وبدون قوام، وبعبارة اخرى : عديمة الشكل وأكثر من هذا أيضا : إنّ إنعدام التجانس المكاني هذا بالنسبة للإنسان المتدين يُترجَم بتجربة تعارض بين المكان المقدس، الذي هو حقيقي وحده، والموجود حقيقة، وكل الباقي من الامكنة هي إمتداد بلا شكل محدد ويحيط بالمكان المقدس.

المعبد والكنيست والكنيسة والجامع هي اماكن تشكل فتحة صوب الأعلى وتضمن التواصل مع عالم الآلهة، فعندما رأى يعقوب في الحلم في فزان السلم الذي يلامس السماء وعليه كانت الملائكة تصعد وتهبط سمع الرب وهو في القمة يقول :

" أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق .. فأستيقظ يعقوب من نومه وقال إن الرب لفي هذا الموضع وأنا لم أعلم فخاف وقال ما أهون هذا الوضع ما هذا إلا بيت الله هذا باب السماء ثم بكر يعقوب في الغداة وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه نصبا وصب على رأسه دهنا. وسمى ذلك الموضع بيت إيل وكان إسم المدينة أولا لوز " (تكوين 28-12-19).

إن الرمزية المحتواة في العبارة " باب السماء " غنية ومعقدة : فالتجلي في حلم يعقوب كرس مكانا مفتوحا صوب الأعلى، أي متصلا مع السماء. وهنالك أمثلة أخرى، فالكعبة المقدسة بالنسبة للمسلمين هو أول بيت بني للإتصال بالله، وبعبارة أخرى لعبادة أله.

حسب التراث الإسلامي أُسري بالنبي محمد من مكة إلى القدس التي كانت منطلق العروج إلى السماء من المكان الذي توجد فيه اليوم قبة الصخرة بالقرب من المسجد الأقصى والتي تُعتبر من الأماكن المقدسة في الإسلام. ، فالمعراج هو صعود الإنسان من عالم المادة إلى عالم السماء والروح.

يندر أن يتساءل أحد لماذا وصف ذلك الشيء بالحلال والمقدس وذلك الشيء بالحرام والمدنس ؟

ولماذا أُعتبِر هذا المكان وهذا الجبل وذلك الحجر مقدسا في حين دُمِغ غيره أو دُمِغت ظاهرة طبيعية بكونها مجردة من القداسة؟

يدلنا التاريخ القديم ان العرب كغيرهم من الشعوب بل ربما اكثر من غيرهم قد ادخلوا صفة القداسة على كثير من الأشياء ونزعوها عن الكثير .. ويذكر في هذا الصدد ان عمر بن الخطاب قطع الشجرة التي حدثت تحتها بيعة الرضوان في غزوة الحديبية ، مخافة ان يعبدها العرب وأنّه لم يتقبل عادة تقبيل الحجر الأسود نفسيا وقال قولته المشهورة : " إنِّي لأَعْلَمُ أَنَّك حَجَرٌ , لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ , وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُك مَا قَبَّلْتُك ".

وتسرد كتب التاريخ ايضا كيف أقام العرب مقامات ومزارات لإحتفالاتهم وأضفوا عليها صفات التقديس وأحاطوها بالكثير من الأساطير والخرافات،كما أضفى العرب على أماكنهم المقدسة صفة وجودها في مركز الدنيا، وأسبغوا على بعض الحجارة صفة سماوية أو أدعوا بإنّها جاءت من عالم آخر كمجيء الحجر الأسود من الجنة.

الفكر العربي كغيره من فكر شعوب أخرى أضفى صفة القداسة على التكون القدسي للعالم والكون والإنسان وركن على محاور قدسية متعددة تتجاور مع أشياء غيرها منزوعة عنها صفة القداسة، وقد خاض الفقه الإسلامي كثيرا في هذا الميدان وخاصة فيما بحثه في دائرتي الحلال والحرام ألذي أصبح الإنسان محاطا ضمن دائرتيهما تبعا لموروثات تتحكم في وجوده من المهد إلى اللحد.

ما زلنا في كل يوم نسمع ونرى على ساحة الثقافة والإعلام والتربية تجاور عالمين مفتوحين أمام الإنسان المسلم بدءاً من البيت والمدرسة ونطاق العمل وحتى الموت، وهذان العالمان هما عالم التاريخ واللا تاريخ. العالم الدنيوي والمقدس، وعالم الحلال والحرام، ونرى الإنسان مقسما بين هذه الثنائية المتحكمة وقلما يستطيع الخيار فيها بشكل قاطع نظرا للتحكم القاهر في سلوكه وفكره بحيث أستمرأها وأصبح يعيش إزدواجية رهيبة تنعكس في سلوكه وفي بنيته الثقافية وتكوينه الإجتماعي والسياسي، وقد يصل الأمر إلى حالة محزنة ترى الإنسان فيها وكأنه طبقات يمارس في بعضها الحلال وبعضها الحرام ويمارس شعائر القداسة دون أن تمنعه عن إقتراف الدناسة.

ومما لاريب فيه أنّ ما يُشاهد من هذه الأحوال البائسة وما يُلاحظ من خلل وفساد في كيان هذا المجتمع وأفراده على مستويات كثيرة، ينهل كله من معين الأنماط الثقافية والتقديسات المكانية والزمانية وعكسها التي كثيرا ما ساهمت في تفاقم الأدواء الإجتماعية التي لم يجرؤ أحد على إستعمال المبضع الحاد في إستئصال عللها.

من المقامات المقدسة التي أقامها العرب قبل الإسلام الكعبة التي أعتبرها العرب أول مكان خُصِص لعبادة الله.

أسطورة آدم وبناء الكعبة :

في السيرة النبوية لأبن إسحاق نجد عدة أحاديث أسطورية حول بناء الكعبة منها :

" ثنا أحمد قال : حدثني أبي قال : ثنا جرير بن عبدالحميد عن منصور عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو قال : خُلق البيت قبل الأرض بألفي عام، ثم دحيت الأرض منه ".

" ثنا يونس عن سعيد بن ميسرة البكري قال : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال : كان موضع البيت في زمن آدم شبرا أو أكثر، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم، ثم حج آدم فأستقبلته الملائكة، فقالوا، يا آدم من أين جئت؟ قال حججت البيت، قالوا، قد حجته الملائكة قبلك ".

" ثنا أحمد: ثنا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أُهبِطَ آدم بالهند، فقال : يا رب ما لي لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها في الجنة؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم، فأنطلقْ فابنِ لي بيتا فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون، فأنطلقَ حتى أتى مكة فبنى البيت، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهارا وعمارة، وما بين خطاه مفاوز، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة ".

نستنتج من هذه الاساطير ما يلي :

أولا : أنّ الله خلق البيت قبل الأرض بألفي عام ولا نعلم مكان البيت قبل خلق الأرض، وبما أنّ خلق الأرض حسب القرآن كان قبل خلق السموات، نستنتج أنّه لم يوجد مكان سابق للبيت لأنّ السماء أثناء خلق الأرض كانت دخانا:

" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ(10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(12) " سورة فصلت .

ثانيا : نستنتج من الحديث الثاني أنّ قطعة ألأرض التي خصصها الله في زمن آدم لبناء البيت كانت مساحتها شبرا واحدا أو أكثر ولم يكن هناك بناء على هذه القطعة ، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم، ثم حج آدم فأستقبلته الملائكة.

ثالثا : بنى آدم البيت، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهارا وعمارة، وما بين خطاه مفاوز، أي لم يكن هناك حاجة لضرب جبريل بجناحه لإستخراج ماء زمزم ليروي إسماعيل عطشه لوجود الأنهار في مكة بعد أن ترك النبي إبراهيم زوجته هاجر وأبنه إسماعيل في وادي غير ذي زرع حسب ألأسطورة الإسلامية :

"رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"..... الآية (37) من سورة إبراهيم.

إضافة لتقديس الكعبة التي بناها ألنبي إبراهيم وأبنه إسماعيل حسب الأسطورة الإسلامية، يقدس المسلمون الحجر الأسود الموضوع في أحد أركان الكعبة " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..... الآية (127) من سورة البقرة.

يذكر أبن إسحاق في السيرة النبوية حول اسطورة الحجر الاسود ما يلي :

" ثنا أحمد : ثنا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال : خرج آدم من الجنة معه حجر في يده وورق في الكف الأخرى، فبث الورق في الهند فمنه ما ترون من الطيب، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يُستضاء بها، فلما بنى إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل:

أئتني بحجر من الجبل، فقال : غير هذا، فرده مرارا لا يرضى بما يأتيه، فذهب مرة، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذي أخرج به آدم من الجنة فوضعه، فلما جاءه إسماعيل قال : من جاء بهذا؟ قال : من هو أنشط منك ".

" ثنا أحمد : ثنا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أنّ رسول الله (ص) قال : كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فأسود من مسحهم إياه ".

" وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر : والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق ".

رواه الترمذي وقال حديث حسن وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما قال الشيخ الألباني صحيح (صحيح الترغيب والترهيب وكذا أيضا في صحيح الجامع).

إضافة للكعبة هنالك أضرحة عديدة يسبغ عليها المسلمون صفة القدسية كضريح النبي محمد وضريح علي بن أبي طالب وأضرحة أولاده وأحفاده وكذلك أضرحة الشيوخ والأولياء وبعض صحابة النبي محمد.

لا يقتصر تقديس الأماكن والأضرحة على المسلمين فللمسيحيين واليهود والبوذيين والهندوس أماكنهم المقدسة.

ختاما نقول أنّ مفهوما المقدس والمدنس هما من إختراع الإنسان عبر ثقافاته وتطوره الحضاري، وعندما نتبين معالم الحدود لكثير من الأمور التي تفرض وجودها تحت عنوان مقدس نجد أنّ أصلها تنبع من ميثولوجيا (أساطير) أبتكرها الإنسان عبر تاريخه الطويل، وجعلها قيدا على فكره وحريته كما جعلها أداة قمع وقهر وإستغلال.

30

لماذا نقد ألأديان ألإبراهيمية

"يجب تقييم الأديان كمرحلة مرّت بها ألحضارة الانسانية بإيجابياتها وسلبياتها، وألأديان بنت بيئتها وحقبتها ولا يتوجب إضفاء ألقداسة عليها وعلى رموزها ومحاولة تطبيق تشريعاتها ألّتي لا تتلائم مع تطوّر ألعقل الانساني وألحضارة ألانسانية".

لماذا نقد ألأديان ألإبراهيمية (أليهودية وألمسيحية وألإسلام)؟

سؤال يطرحه ألمؤمنون بألأديان وكذلك منتسبوا ألأديان بألوراثة، وردود أفعالهم متفاوتة بين ألتطرّف وألعتاب.

ألمعاتِب يتسائل: كيف تجيزون لأنفسكم أيُّها ألعلمانيون جرح مشاعر ألدينيين وأعدادهم تُقدَّر بألمليارات؟

ألأعتراض على هذا ألسؤال يكون بسؤالين، ألسؤال ألأوّل هل جميع هذه ألمليارات مِن ألبشر (حسب ألأحصائيات هنالك 1.57 مليار مسلم ومليارات مسيحي و14 مليون يهودي من إجمالي سكّان ألعالم ألبالغ عددهم 6.8 مليار نسمة) كلّهم

مقتنعون بأنّ الله حقّا أوحى بدين إلى إنسان؟ ألجواب ألمنطقي كلّا فبين هؤلاء مليارات من أللادينيين وألعلمانيين وألملحدين وألبوذيين وألهندوس وألربوبيين وألوثنيين.

ألسؤال ألثاني: هل كثرة عدد ألدينيين تعني أنهم على حق؟ ألجواب كلّا أيضا، ولنضرب مثلا من ألتاريخ على ذلك، ألمسيحيون كأفراد متدينين وكمعتقد للكنيسة كانوا يؤمنون بأنَّ ألشمس تدور حول ألأرض وأنَّ ألأرض ثابتة وهو مركز ألكون، ولكنَّ ألعلماء نيكولاس كوبرنيكوس ومن ثم العالم جوردانو برونو والعالم جاليلو جاليلي أثبتوا ألعكس أي أنَّ ألأرض هو ألّذي يدور حول ألشمس وأنَّ في ألكون مليارات من ألنجوم والكواكب، وألأرض ليست إلّا كذرة رمل في هذه ألصحراء ألشاسعة، وبعبارة أخرى فإنَّ كثرة ألمؤمنين بعقيدة أوفكر مُعيّن لا تعني بألضرورة أنَّ هذه ألعقيدة أوهذا ألفكر يعكس ألحقيقة.

بعد إعلان ألعالم جوردانو برونو تأييده لنظرية كوبرنيكوس في مجال علم الفلك ، وأنّ الأرض مجرد كوكب يدور حول الشمس تم حرقه حيا بقرار من الكنيسة الكاثولوكية، وكذلك إعتبرت أفكار جاليليو المؤيدة لنظريات العالم كوبرنيكوس بأنها بدعة وفي البداية وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، ولكن في وقت لاحق سمحت له أن يعيش في منزله في توسكانا تحت الإقامة الجبرية.

بدأ ألمتنوّرون ورجال ألعلم منذ ذلك أليوم إلى يومنا هذا كفاحا مريرا ضد ألدين وخرافاتها وكانت نتيجة هذا ألصراع ألطويل أنتصار ألفكر ألعلمي على ألمعتقدات ألدينية بخرافاتها وأساطيرها وأباليسها وشياطينها وجِنِّها وألّتي كانت حجر عثرة في طريق ألتقدّم ألعلمي وألحضاري، فكانت ثمرة هذا ألإنتصار هذا ألتقدّم ألعلمي وألحضاري ألمتسارع للدول وألشعوب ألّتي تخلَّصت من سيطرة ألكهنة وألكاردينالات وألبابوات.

ما أحوج ألعالم ألإسلامي إلى ثورة تنويرية وعَلمانية مماثلة للتخلّص مِن سيطرة شيوخ ألدين وآياته ومن تدخلهم في ألسياسة وفي كلِّ صغيرة وكبيرة من شؤون ألحكم وألدنيا.

إنَّ هؤلاء وعاظ للسلاطين ويأولون ألآيات وألأحاديث بما يتلائم مع مصالحهم ومصالح ألحكّام ألفاسدين وما يحدث في ألعراق مثل صارخ على ذلك، فأموال ألزكاة وألخمس لا رقيب على أوجه صرفها وقصور رجال ألدين والحكام ألفاسدين ألمتّكئين على فتاوي رجال ألدين ملأت أرض ألوطن وأراضي ألدول ألغربية.

إنَّ رجال ألدين ألقابعين في سراديب ألنجف وشيوخ أهل ألسنّة وألجماعة أصبحوا ظهيرا للحكّام ألفاسدين ألّذين يحمون كلّ مرتشي وسارق من بطانتهم لخيرات ألشعب ألعراقي ألّذي يفتقر إلى أبسط ألخدمات من ماء صافي وكهرباء، وألبطالة بين ألشباب سجّلت أرقاما قياسية في ألوطن ألمنكوب بهؤلاء ألحكام ألفاسدين ورجال ألدين ألّذين يؤازرونهم في ألحق وألباطل.

ألمؤمن ألغير ألمتطرف يواجه ألعَلماني ألّذي ينتقد ألأديان بكم هائل من مقالات ألإعجاز ألعلمي لآيات ألقرآن وهي محاولات للي ذراع ألآيات وتأويلها حسب ألمكتشفات ألعلمية، وأتحدّى جميع هؤلاء ألمتعالمين أنْ يخترعوا أختراعا جديدا أو يكتشفوا حقيقة علمية جديدة بنبش ألآيات ألقرآنية.

أمّا ألمتطرفون ألإسلاميون وألمنتمون إلى ألمذهب ألوهابي وكذلك ألمؤمنون بمذهب ولاية ألفقيه فيحللون دماء ألمنتقدين للدين كما فعل ألخميني بإصداره فتوى بقتل ألكاتب سلمان رشدي وكما قتلوا ألكاتب ألمصري فرج فودة بناء على فتوى للدكتور عمر عبد الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية بقتل المرتد.

توران دورسون (1934 – 1990) Turan Dursun باحث وكاتب إسلامي تركي ومفتي سابق لتركيا. انتقدت أعماله بشدة الإسلام ومؤسسيه.

عمل كباحث في الأديان قبل أن يتحول للإلحاد أثناء دراسته لتاريخ الأديان التوحيدية. كتب دورسون عددًا من الكتب الدينية التي تضمنت تفسيرا لنصوص إسلامية، منتقدًا تلك النصوص مما عرّضه للتهديد من قبل الأصوليين.

أُغتيلَ دورسون في 4 سبتمبر 1990، خارج منزله في اسطنبول، بعد هذا الحادث، بيعت عشرات آلاف النسخ من كتبه في تركيا.

قال دورسون:

" إذا كان هناك إله، فهو حتما ليس إله محمد، أشخاص كثيرون جداً لا يمكنهم عيش طفولتهم بشكل صحيح بسببه (محمد)، أشخاص كثيرون جداً يعانون من كوارثه.

وقائمة ضحايا ألتطرف ألإسلمي تطول.

هنالك حقيقة تغيب عن عقول ألمسلمين وهي أنَّ ألمبدأ ألوهابي هو ألّذي يُمثّل ألأسلام ألحقيقي لأنّهم يُطبّقون تشريعات قتل ألمخالف ألواردة في آية ألسيف (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)..سورة ألتوبة، ألآية 5 ، فهذه ألآية نَسَخَتْ ألعديد من ألآيات ألقرآنية، فبعد أنْ اصبح ساعد المؤمنين قويا، نزلت آية السيف ألّتي نَسخَت جميع ألآيات ألّتي نَزلتْ قبلها وألّتي كانت تأمر ألمسلمين بدعوة النّاس الى ألاسلام باللين والحكمة اي باتباع اسلوب الاقناع ، ففي بداية ألدعوة ألأسلامية وعندما كان المسلمون قلّة وضعفاء في مكّة نزلت آيات عديدة تأمر ألمسلمين بدعوة النّاس الى الايمان بالدين الجديد باللين والموعظة الحسنة (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) سورة ألنحل ،ألآية 125.

إنَّ ألمملكة ألعربية ألسعودية بحكامها ألمتخلفين سرطان جسم ألعالم ألإسلامي وهي تستخدم دولارات ألبترول لنشر ألفكر ألسلفي ألإرهابي في ألعالم، وألسرطان ألآخر هو ألجمهورية ألإسلامية ألإيرانية ألّتي تحاول تصدير ثورتها ألمتخلفة إلى بلدان وشعوب ألمنطقة.

إنّ ألأديان لا يُمكن أنْ تصمد أمام أية دراسة متعمقة في نصوصها ألمتناقضة فيما بينها وأمام المكتشفات ألعلمية ولكنّ ألمشكلة هي في عقولنا وفي لا شعورنا ألّذي ترسّخت فيه هذه ألعقائد منذ ألطفولة عن طريق ألتلقين والإيحاء، فالمتديّن كألمنوَم مغناطيسيا لا يستطيع ألفكاك من أسر معتقداته بسهولة ولا سبيل للتخلّص مِن أسر هذه ألمعتقدات إلّا بإلغاء دروس ألدين من مناهج ألدراسة وتشريع دستور عَلماني يفصل ألدين عن ألدولة.

إنَّ أفضل طريقة للوصول إلى أليقين هو ألشك وطرح ألأسئلة ومحاولة ألتوصّل إلى إجابات عقلية ومنطقية للأشكالات وألتناقضات ألموجودة في ألأديان.

بعد هذه ألمقدمّة لنحاول ألإجابة على ألسؤال: لماذا نقد ألأديان ألإبراهيمية؟

عندما يُريد ألإنسان بناء مشروع حديث ومفيد على أنقاض خرائب يتوجب عليه هدم وإزالة هذه ألخرائب أولا وهذا بالضبط ما يحاول ألعَلمانيون فعله لأنَّ ألخرائب ستكون حجر عثرة أمام ألبناء ألجديد. العلمانيون او المتنورون يحاولون بناء دولة حديثة على أسسس علمية، الدولة ألمنشودة ترتكز على مبدأ أساسي هو فصل ألدين عن ألدولة، وهذا ألمبدأ سيحقق لمنتسبي جميع ألطوائف والاديان حرية ممارسة عباداتهم وطقوسهم ألدينية، فألعَلمانية هي أفضل الحلول لضمان الحرية للجميع بألإضافة إلى تطبيق ألديموقراطية ونظام تعدد ألأحزاب ألسياسية وفصل ألسلطات ألقضائية وألتشريعية وألتنفيذية وجعل ألقوّات ألمسلحة من جيش وشرطة وقوات ألأمن خاليا من ألتحزّبات ألسياسية وألمليشيات ألتابعة للأحزاب ألسياسية وخاصة لبلد كالعراق ألّذي يضم العديد من الاديان والطوائف والقوميات.

ختاما نقول يجب تقييم الأديان كمرحلة مرّت بها ألحضارة الانسانية بإيجابياتها وسلبياتها، وألأديان بنت بيئتها وحقبتها ولا يتوجب إضفاء ألقداسة عليها وعلى رموزها ومحاولة تطبيق تشريعاتها ألّتي لا تتلائم مع تطوّر ألعقل الانساني وألحضارة ألانسانية، فليؤمن كلّ مَن يشاء بدينه ويمارس طقوسه بحرية ولكن لايُجبر ألآخرين بالقوّة على إتّباع عقيدته ولا يبخس حقوق الآخرين ولا ينظر إليهم بنظرة دونية فألكل سواسية أمام ألقانون ولا فضل لمسلم على مسيحي أو يهودي ولا فضل لسنّي على شيعي ولا بروتستانتي على كاثوليكي أو أرثودوكسي وألعكس صحيح، فليكن أولوياتنا ألإنسانية وألمواطنة، وكفى ما عانيناه من ألتعصّب ألديني وألقومي ألعنصري.

لقد آن الأوان بل تأخر كثيرا للحاق بركب ألحضارة والعلم ولنبدأ بترسيخ ألمباديء ألإنسانية وألمواطنة في عقول أطفالنا وفي أُسرنا وفي مدارسنا وفي جامعاتنا ومحلات عملنا ولنبدأ بأنفسنا.

يقول ألفيلسوف ألصيني كونفشيوس ((إنَّ العالم في حرب لأنَّ الدول ألّتي يتألف منها فاسدة الحكم؛ والسبب في فساد حكمها أنَّ الشرائع الوضعية (وأنا أضيف ألتشريعات ألدينية) مهما كثرت لا تستطيع أنْ تحل محل النظام الاجتماعي الطبيعي ألّذي تُهيئه الأسرة. والأسرة مختلة عاجزة عن تهيئة هذا النظام الاجتماعي الطبيعي، لأنَّ الناس ينسون أنَّهم لا يستطيعون تنظيم أسرهم من غير أنْ يُقوّموا نفوسهم وهم يعجزون عن أنْ يقوموا أنفسهم لأنهم لَمْ يُطهّروا قلوبهم أي أنَّهم لَمْ يُطهّروا نفوسهم مِنْ الشهوات الفاسدة الدنيئة؛ وقلوبهم غير طاهرة لأنَّهم غير مخلصين في تفكيرهم، لا يقدّرون الحقائق قدرها ويُخفون طبائعهم بدل أنْ يكشفوا عنها؛ وهم لا يخلصون في تفكيرهم لأنَّ أهواءهم تُشوّه الحقائق وتُحدد لهم النتائج بدل أنْ يعملوا على توسيع معارفهم إلى أقصى حد مستطاع ببحث طبائع الأشياء بحثاً منزّهاً عن الأهواء. فليسع الناس إلى المعارف المنزّهة عن الهوى يُخلِصوا في تفكيرهم، وعندما يُخلِصون في تفكيرهم تتطهر قلوبهم من الشهوات الفاسدة؛ وعندما تتطهر قلوبهم على هذه الصورة تصلح نفوسهم؛ وعندما تصلح نفوسهم تصلح مِنْ نفسها أحوال أُسَرِهم؛ وليس ألّذي تُصلَح به هذه الأُسَر هي المواعظ ألّتي تحثُّ على الفضيلة أو العقاب الشديد الرادع، بل ألّذي يُصلِحها هو ما للقدوة الحسنة مِنْ قوّة صامتة؛ وعندما تُنظَّم شئون الأُسرَة عن طريق المعرفة والإخلاص والقدوة الصالحة، يتهيأ للبلاد مِنْ تلقاء نفسه نظام اجتماعي يتيسَّر معه قيام حُكم صالح.

وعندما تُحافظ الدولة على الهدوء في أرضها والعدالة في جميع أرجائها يسود السلام العالَم بأجمعه ويسعد جميع من فيه))

هذه أقوال حكيمة لفيلسوف قضى حياته يتأمّل ويدرس طبائع ألإنسان ويدعو إلى إصلاح ألأخلاق وألمجتمع بإصلاح لبنتها ألفرد ثمَّ ألاسرة وهي قواعد ذهبية لمن يروم ألإصلاح بعيدا عن تشريعات ألأديان ألّتي لَمْ نحصد منها غير ألإختلاف وألصراع ألدموي عبر تاريخ ألإنسانية.

فلنعمل من أجل تطبيق هذه ألمباديء ألذهبية، ومن أجل إصلاح حكوماتنا ألفاسدة لنتظاهر ونعتصم ونحتج ونعلن ألعصيان المدني ونطالب بألإصلاح ألجذري للمجتمع ونطالب بحقوقنا ألّتي تغتصبها زمرة من ألسياسيين باعوا ضمائرهم فأرتشوا وسرقوا موارد هذا ألوطن ألمنكوب، فالشعب ألعراقي ألصابر يتلظّى من قسوة ألطبيعة وألمحتّل وألحكّام فلا خدمات ولا بُنى تحتية والبطالة والجهل والمرض يفتك بالمواطنين بلا تفريق بين طفل وشاب وشيخ ورجل وأمرأة ولا بين مسلم أومسيحي أويهودي أو أيزيدي ولا بين شيعي أو سنّي أو كاثولوكي أو أرثودكسي أو بروتستانتي ولا بين متديّن أو علماني.

31

هل ألأديان عالمية؟

" إنّ لكلّ دين إيجابيته وسلبياته، وإذا اعتبرنا هذه الاديان مرحلّة تاريخية مرّت بها الانسانية بإيجابياتها وسلبياتها ولم نحاول إضفاء القدسية على هذه الاديان ومؤسسيها، ولم نحاول اجبار الآخرين على اعتناقها فسَنُجنِّب الانسانية الحروب والويلات وسنعيش بسلام مع اخواننا في الانسانية".

في كتابه مهزلة العقل البشري يذكر الدكتور علي الوردي مايلي:

(كنت ذات يوم في مجلس ضمّ جماعة من رجال ألدين. وقد أجمع هؤلاء الرجال أثناء ألحديث على أنّ سكان ألأرض كلهم ملزمون بأن يبحثوا عن ألدين ألصحيح فإذا وجدوه أعتنقوه حالا.

فكل إنسان في نظر هؤلاء مجبور أن يترك أعماله ويذهب سائحا في ألأرض ليبحث عن دين ألحق.

قلت لهم: لماذا لم تسيحوا أنتم في ألأرض للسعي وراء الحق؟

قالوا وهم مندهشون لهذا ألسؤال ألسخيف:

إننا لا نحتاج إلى ألسعي وراء الحق لأنّ الحق عندنا.

إنّهم يتخيلون أنّهم وحدهم أصحاب الحق من دون الناس.

ونسوا أنّ كل ذي دين يؤمن بدينه كما يؤمنون هم بدينهم فأينما توجهت في أنحاء الأرض وجدت ألناس فرحين بعقائدهم مطمئنين إليها.

ويريدون من الأمم الأخرى أن تاتي إليهم لتأخذ منهم دين ألحق الذي لا حق سواه).

ألتساؤل ألذي يطرح نفسه هو:

هل ألأديان عالمية؟ وبعبارة أخرى هل يصلح دين معين لكل البشر وفي كل ألأزمان؟

واحدة من الشكوك ألتي راودتني في مرحلة ألشباب وعندما كنت مؤمنا بالدين ألأسلامي هي:

إذا كان محمد يدّعي بأنّ ألدين الذي أوحي إليه يخاطب جميع البشر على الكرة الأرضية، كيف سيؤمن به سكان ألأسكيمو وسكان مجاهل ألأمازون؟

لم أكن أتصوّر أنَّ ألله يُعذّب ألنّاس الذين لم يدخلوا في ألإسلام، لأنه ليس مِن ألعدالة أنْ يدخل ألجنّة إنسان ولِد في ألمملكة ألعربية ألسعودية وتربّى على مباديْ ألدين ألإسلامي منذ نعومة أظفاره، ويعاقب إنسان ولِد في ألأسكيمو أو في مجاهل غابات ألأمازون وألّذي لَمْ يسمع طوال حياته عن شيء إسمه ألقرآن أو ألإسلام أو محمّد، صحيح أنّ ألقرآن يذكر بأنَّ ألله لا يُعذّب حتى يبعث رسولا ، ولكن ما ذنب ملايين مِن ألبشر مِن ألهنود ألحمر والصينيين وألقبائل ألبدائية في مجاهل أفريقيا وألامازون وأستراليا في حاضر ألأيام وماضيها ومستقبلها ألذين لم يُسلموا قبل دعوة محمد وبعده، ألا يتناقض هذا مع ألعدالة ألإلاهية؟ وما مصير هؤلاء ألذين لم يسمعوا عن وجود نبي إسمه محمد ولم يؤمنوا به لهذا السبب أو مصير

ألناس الذين عاشوا وماتوا قبل بعثة محمد؟ هل سيدخلهم أللہ إلى ألجنة أم مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير أم سينتظرون في ألأعراف حتى يتخذ أللہ قراره بشأنهم يوم الحساب؟

شاركت في ألثمانينات أثناء حكم ألرئيس صدّام حسين في لجنة شكّلتها وزارة ألثقافة وألاعلام ألعراقية للتحضير لمسابقة نصب تذكاري يُخلّد شهداء معارك الخليج ألأولى (ألقادسية ألثانية) وهي المعارك التي دارت بين العراق وإيران والتي دامت لثمان سنوات، وكان معي في أللجنة مثقفون عراقيون وأديب لبناني معروف ودار نقاش بيننا حول سبب كون جميع ألأنبياء مِن ألشرق ألأوسط، فذكر أحد ألحاضرين بأنَّ سبب أختيار أللہ للأنبياء مِن ألشرق ألاوسط حصرا لكون هذه ألمنطقة منبع ألحضارات في تلك ألحقبة مِن ألزمن.

قلتُ له معترضا ولكن في نفس تلك ألفترة ألزمنية مِن تاريخ ألإنسانية كانت هناك حضارات في أمريكا ألجنوبية كحضارة ألأزتك وحضارة ألمايا؟

فسكت ألأخ ولم ينبس ببنت شفة، إنَّ ألسبب ألمنطقي هو أنَّ جميع ألأديان ألأرضية وألسماوية هو من تأليف ألبشر وقد أقتبس أللاحقون مِن ألسابقين مع أجراء بعض التعديلات ألّتي تناسب ألمجتمع ألّذي ظهر فيه ألدين ألجديد زمانيا ومكانيا.

وأول ألأديان الإبراهمية التي نشأت في الشرق الأوسط كان الدين اليهودي، وهي ألعنها، وأسطورة النبي إبراهيم هي ألعن هذه الأساطير لأنّ جميع الأساطير التي تبعتها كالمسيحية والإسلام نتجت من هذه البذرة الملعونة.

الايمان يُعطي الانسان الجاهل او الغير الواعي الطمأنينة وراحة البال ويعطيه وهما بوجود حياة أخرى بعد ألموت سيتمتع في تلك ألحياة بما حرّم منه في الحياة الدنيا ووهما بأنّ ألخالق سيقتص هناك ممن ظلمه وأساء إليه في ألدنيا كما أنّ الإيمان يعطيه متانة للوقوف منتصبا أمام عاديات الزمن،إضافة إلى انّ شريحة الجهلاء لا يمكن انْ تستقيم حالها بدون الايمان بوجود الثواب والعقاب في حياة اخرى بعد الموت.

ولكنّ الايمان بالأديان له سلبيات عديدة فهو سبب رئيسي للحروب وويلاتها،حروب بين الاديان المختلفة كحروب الفتح الاسلامي والحروب الصليبية والحروب بين اليهود والمسلمين في فلسطين والحروب الداخلية بين المذاهب المختلفة للدين الواحد كالحروب بين البروتستانت والكاثوليك في الماضي وبين الشيعة والسنّة في ألماضي والحاضر وفي العراق بالذات وقد تقع حرب المذاهب بين الدول السنيّة والشيعية.

ولا ننسى العمليات الانتحارية ألّتي يقوم بها المتطرفون الاسلاميون وألّتي حصدت وتحصد وستحصد المئات من الارواح البريئة للاطفال والنساء والرجال اضافة الى الخسائر الماديّة، وكذلك المجازر ألّتي نفذها المتطرفون الاسلاميون في الجزائر.

كانت الاديان سببا في ترسيخ الرق والسبي باشكالها واحتقار المرأة وهدر الاموال الطائلة والوقت في الطقوس الدينية كالصلاة وبناء الجوامع والكنائس والمعابد والاضرحة والحج والعمرة، فلو صُرفت هذه الاموال لتخفيف معاناة الانسان، فكم يتيم سترجع البسمة الى شفاهه وكم مريض سينسى آلامه وكم من العجزة سيجد مأوى يرتاح فيها من غدر الزمن والاحبّة والقائمة تطول، فحسب المنطق والاديان فإنَّ الله موجود في كلّ مكان (اقرب اليكم من حبل الوريد.... الآية القرآنية) و (أينما تُولّوا وجوهكم فثمّة وجه الله.... الآية القرانية)، فالمؤمِن يستطيع انْ يتعبّد الله في ايّ مكان مِن كرتنا الارضية، فما الحاجة الى هذا البذخ في بناء دور العبادة؟

بعد دراسة العقائد الانسانية المختلفة ومِن ضمنها، التوراة والانجيل والقرآن توصّلت الى قناعة مفادها أنَّ جميع هذه العقائد والاديان هي من تأليف مؤسسيها وهي تناسب الاقوام ألّتي ظهرت بينهم زمانيا ومكانيا.

إنّ لكلّ دين إيجابيته وسلبياته، وإذا اعتبرنا هذه الاديان مرحلّة تاريخية مرّت بها الانسانية بإيجابياتها وسلبياتها ولم نحاول إضفاء القدسية على هذه الاديان ومؤسسيها، ولم نحاول اجبار الآخرين على اعتناقها فسَنُجنِّب الانسانية الحروب والويلات وسنعيش بسلام مع اخواننا في الانسانية.

لقد اثبتت التجارب الإنسانية أنَّ العَلمانية وفصل الدين عن الدولة هي احسن الخيارات امام الانسان للعيش بسلام في عالمنا، لذا فمن الافضل للانسانية أنْ يكون كلُّ إنسان حُرّاً في إختيار عقيدته ولا يحاول فرضها على ألآخرين بألقوّة أو بألإرغام، فإذا آمَنْتَ بحَجَرٍ فلا تَضرِب به الآخرين.

32

بدايات ألأخروية في ألدين أليهودي

" إنّ محنة ألنفي هي أضحية، بفضلها مُحيت ذنوب إسرائيل".... أشعيا ألثاني.

إنّ ألفصول 40-55 من كتاب أشعيا، تشكّل مؤلفا على حدة ومعروف تحت إسم (أشعيا ألثاني) وهذا ألنص حُرِرَ في ألسنوات ألاخيرة من ألنفي البابلي، من قبل كاتب مجهول.

وهذه ألفصول تتناقض بقوّة مع نبؤات أخرى، بتفاؤلها وأيضا بتفسيرها ألجريء للتاريخ ألمعاصر، فألملك ألكبير قورش أداة ليهوه ألذي يُهيء لخراب بابل، وإنّ أولئك ألذين أعتقدوا بعظمة ألآلهة ألبابلية سرعان ما يختلط ألأمر عليهم لأنّ هذه ألآلهة مجرد أصنام غير ذات حول وعاجزة، ويهوه وحده هو ألإله:

"هكذا قال ألرب ملك إسرائيل وفاديه رب ألجنود، أنا ألأول وأنا ألآخر ولا إله غيري" (44-6 وكذلك 45-8-22)، "إنني إله لا مثيل له، إله لا شبه له" (46:9).

والجمل السابقة تتعلق بتأكيد أكثر جذرية لوحدانية نموذجية، نظرا لأنّ وجود لآلهة أخرى قد نُفيَ.

فألخليقة كما هو ألتاريخ أيضا، هو إذن كألنفي وألتحرير وكلها من عمل يهوه، إنّ تحرير ألمنفيين قد تمّ تفسيره بخروج جديد (الخروج الأول هو الخروج من مصر بقيادة النبي موسى)، ولكنه يتعلق هذه ألمرة بعودة ظافرة، وألخروج ألجديد لن يكون سريعا:

" إنّكم لا بعجلة تخرجون ولا كمن يهرب تسيرون بل أمامكم يسير ألرب والذي جمعكم هو إله إسرائيل" (52:12).

وبعض ألشعوب ألأخرى سيلتزمون بألأفتداء ألذي يتم ألوعد به:

"توجهوا إليّ، فأخلصوا يا جميع أقاصي ألارض فإنّي أنا أله وليس آخر" (45:22). ومع ذلك فإنّ إسرائيل سيتمتع دوما بوضعه ألمتميّز، وهو أنّه ألشعب ألسائد.

إنّ سقوط أورشليم، وإنهيار مملكة جودا وألنفي، كانت جميعها ألأحكام ألإلهية ألمعلنة من قبل كبار ألأنبياء، وألآن أكتمل ألعقاب، ويهوه جدد ألحلف، وفي هذه ألمرة سيكون ألحلف أبديا (55:3)، وألأفتداء لا رجعة فيه (45: 17 : 5 :6) لأنّه " في سورة غضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبرأفة أبدية، أرحمك قال فاديك ألرب" (54 :8).

إنّ ألأسرى ألمنفيين، وقد حُرِروا من قبل الرب يهوه سيرجعون إلى صهيون (51-11).

إنّ كاتب أشعيا ألثاني يعتبر هو أوّل نبي أخروي يهودي، فهو يعلن في ألواقع عن فجر عهد جديد، إنّ نبوءة أشعيا ألثانية تمثّل تدشين عصر جديد كتأريخ مأساوي، متضمنا سلسلة من ألأعمال ألمعجزة ألمحددة من قبل ألرب:

1- خراب بابل من قبل يهوه بواسطة أداته قورش أو بواسطة إسرائيل.

2- فداء إسرائيل، أي تحرير ألمنفيين وأجتياز ألصحراء وألوصول للقدس وتجميع كل أولئك الذين كانوا مشتتين في العالم ورجوع يهوه لصهيون.

3- تحوّل ألبلاد بواسطة أعادة ألبناء وتعدد ألجماعات وتكاثرها لا بل وحتى حصول تغيرات على بإسلوب فردوسي.

4- إهتداء ألأمم بيهوه ورفضها لآلهتها.

أنّ هذا ألسيناريو ألأخروي سيعاد أخذه وتطويره من قبل ألأنبياء ألمتأخرين، ولكن أحدا منهم لم ينجح في مساواة ألقدرة ألرؤية وألعمق ألروحاني لأشعيا ألثاني.

ثمة أربعة قصائد مسماة أغاني ألخادم تعبّر بطريقة أصولية ومأساوية عن آلام ألشعب أليهودي ومن ألمرجّح أنّ خادما ليهوه (أبيهيدياهيفه) يشخّص ألنخبة أليهودية ألمنفية، وإنّ آلامه أعتبرت كتكفير عن ذنوب ألشعب برمته، فقد تقبّل هذا ألخادم ليهوه كل ألمصائب:

"لقد أدرت ظهري لأولئك ألذين ضربوني.. ولم أبعد وجهي عن ألإهانات وألبصاق" (50-6).

إنّ محنة ألنفي حسب أشعيا ألثاني هي أضحية، بفضلها مُحيت ذنوب إسرائيل.

إنّ ألعهد ألجديد وألتفسير ألمسيحي رأيا في (ألخادم ليهوه) ألمقدمة لمجيء المسيح وقد شجّع عدد من ألمشاهد هذا ألتفسير لأنّ:

"يهوه أسقط على نفسه جرائمنا كلنا"، و"كخروف يقاد إلى ألسلخ"، و"لا يفتح فمه من أجل ذنوبنا"، و" لقد ضرب حتى ألموت" (53: 61-8).

وأكثر من هذا أيضا:

سيجعل يهوه من (خادمه) نور ألأمم، ومن أجل أن يدرك سلامي (أقطار ألأرض).. (49: 6).

إنّ هذه ألنصوص تصنّف من بين قمم ألفكر ألديني ألعبري، فإعلان ألسلام ألشامل عبر محن (خادم يهوه) تبشّر بالمسيحية.

نلاحظ مما سبق أعلاه ما يلي :

1- أنّ يهوه أستخدم ألملك ألكبير قورش كأداة لعقاب ألبابليين أعداء ألشعب أليهودي على عكس تصرفات يهوه في ألأجزاء ألأولى من ألتوراة، حيث أنّ يهوه كان يعاقب شعب إسرائيل مباشرة عندما كانوا يذنبون.

هنالك أسلوبان مختلفان للثواب وألعقاب في اليهودية وألإسلام، ألأسلوب ألمباشر كأنْ يُنزل ألله صاعقة مِنْ ألسماء على ألعاصي أوألمُذنِب فيُحرقه بعد أقترافه ألمعصية في ألحياة ألدنيا وكما حدث لبعض أليهود عندما عصوا أو خالفوا موسى وربَّه ((يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا)) سورة ألنساء، ألآية 153، وقد عاقب ألله أيضا بعض ألأقوام ألبائدة بصورة مباشرة كقوم فرعون ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ))...سورة ألأعراف، ألآية 133، وقوم عاد وثمود ((فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ))...سورة فُصِّلت، ألآية 13، وقوم نوح ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ))...سورة ألعنكبوت، ألآية 14، فلمْ يُمهِل ألله هؤلاء حتّى يوم ألقيامة.

كما نلاحظ أنَّ ألله لَمْ يَستخدِم هذه ألأساليب ألمباشرة للعقاب في حقبة ألدعوة ألأسلامية بألرغم مِنْ طَلَبْ ألمُشركين مِنْ ألله أنْ يُمطِرَ عليهم حجارة مِنْ ألسَّماء لكي يُصدّقوا بأنَّ محمّدا نبيٌّ يوحى إليهِ ((وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ *)) سورة ألأنفال، ألآية 31- 33.

وكمثال على ألثواب ألمُباشِر فنلاحظ أنَّ ألربَّ كافأ أليهود لإطاعتهم موسى بألمنِّ وألسلوى وأنقذهم مِنْ فرعون وجنوده بشق ألبَحْر بواسطة عصا موسى ألسحرية.

أمّا ألاسلوب ألغير ألمباشر للثواب وألعقاب في ألأديان ألأبراهيمية فهو ألوعد بألجنّة كثواب وبالجحيم كعقاب. إنَّ ألثواب في ألدين ألأسلامي يكون مؤجلّا إلى يوم ألقيامة ويتحقق بإدخال ألمؤمنين إلى جنّات عدْنٍ تجري مِنْ تحتها ألأنهار خالدين فيها أبدا، وهنالك مُغريات أُخرى في ألجنّة كأنهار ألخمر وألبَن وألعسل وقصور وظلال وحوريات جميلات يستطيع ألمؤمِن مُمارسة ألجنس معهنَّ أنّى يشاء، كما يوعَد ألمؤمِن بألخدمة مِنْ قِبل غلمان ذو حُسن وجمال فائق ((وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا))...سورة ألإنسان، ألآية 19.

2- ظهور نغمة جديدة أواشارة لعالمية ألدين أليهودي (إهتداء ألأمم بيهوه ورفضها لآلهتها) على عكس ألتوكيدات ألسابقة في ألتوراة (شعب ألله ألمختار).

3- بأعتقادي أنّ قصائد ألمسماة أغاني ألخادم قد أثّر في أفكار ألمسيح أو كتبة ألأناجيل ((إنّ ألعهد ألجديد وألتفسير ألمسيحي رأيا في (ألخادم ليهوه) ألمقدمة للمسيح وقد شجّع عدد من ألمشاهد هذا ألتفسير لأنّ "يهوه أسقط على نفسه جرائمنا كلنا"، و"كخروف يقاد إلى ألسلخ"، و"لا يفتح فمه من أجل ذنوبنا"، و" لقد ضرب حتى ألموت" (53: 61-8). أكثر من هذا أيضا:

سيجعل يهوه من (خادمه) نور ألأمم، ومن أجل أن يدرك سلامي (أقطار ألأرض).. (49: 6).

إنّ هذه ألنصوص تصنّف من بين قمم ألفكر ألديني ألعبري، فإعلان ألسلام ألشامل عبر محن (خادم يهوه) تبشّر بالمسيحية)).

33

ألأسينيون في قمران

" حسب نظرية ألأسينيين، إنّ ألعالم هو حقل لمعركة بين روحين خلقهما ألرب منذ ألبدء"

أثناء ألحرب، في بداية صيف 68 م ، هاجمت فصيلة عسكرية تابعة لفاسباسيان دير قمران ودمرته، وهذا الدير كان قائما في وسط ألصحراء على ضفاف ألبحر ألميت. ومن ألمحتمل، أنّ ألمدافعين عنه قد ذَبِحوا، ولكنهم وهم على شفير ألكارثة كان لديهم ألوقت لإخفاء عدد معتبر من ألكتابات في آنية كبيرة من ألفخار.

وقد جدد أكتشاف هذه ألجرار في عام 1947 و 1951 معرفتنا بحركات تنبؤية يهودية وبأصول مسيحية. وفي ألواقع، أنّ ألباحثين قد شابهوا في ألحماسة ألرهبانية للبحر ألميت ألمذهب ألغامض للأسينيين ألمعروف حتى ذلك ألحين فقط بألمعلومات ألشحيحة ألتي جاء بها فلافيوس جوزيف وفيلون وبلين لي جون.

إنّ ألتناقض بين مجموعتي ألوثائق - محفوظات قمران - وشهادة ألمؤلفين ألتقليديين (المقصود مؤلفي الأناجيل الرسمية)، تفسر من جهة بألإعلام غير ألكافي للمؤلفين ألتقليديين ومن جهة أخرى تفسر ألتعقيد لهذا ألمذهب ألرؤوي، إنّ جماعة قمران لا تمثل ألأسينية في مجملها، ويظهر مؤكدا أنّه كان يوجد بؤر أدنويات أسينية في مقاطعات أخرى من فلسطين.

من بين ألمخطوطات ألتي حلت ألغازها وكتبت حتى ألآن يوجد، إلى جانب شروح بعض أسفار العهد ألقديم رسائل أصلية واكثرها اهمية هي "لفيفة حرب أبناء ألنور ضد أبناء ألظلمات". و"رسالة ألأنتظام" و "مزامير ألشكر" و "ألتقرير حول حبقوق".

بالأستعانة بهذه الوثائق ألجديدة، يمكن إعادة تكوين تاريخ ألمذهب في خطوطه ألعريضة. فقد كان ألحكماء ألهاسيديم ألمتصفين بألحمية ألدينية الذين كان لهم دور في حرب ألمكابيين هم أسلاف هذه الجماعة.

إنّ مؤسس جماعة قمران ألمسمى من قبل تلامذته "معلم ألعدالة" كان كاهنا صدوقيا، منتميا إذن للطبقة ألكهنوتية ألشرعية وأصوليا متطرفا. وعندما تم إعلان سمعان (134- 142 ق.م) "أميرا وكبيرا للكهنة للابد" وتحولت مهمة الكهانة الكبرى بما لا رجعة فيه من ألصدوقيين إلى ألهسمونيين، ترك "معلم ألعدالة" أورشليم مع جماعة من المؤمنين وألتجأ إلى صحراء يهودا، ومن ألمحتمل، أنّ " الكاهن ألشرير" ألملعون في النصوص القمرانية سيكون سمعان، فقد كان مضطهِداً "لمعلم العدالة" في منفاه وتوجه لمهاجمة قمران، ثم اغتيل من قبل حاكم جرس yericho (مكابيين 16:11).

إنّ ظروف موت "معلم ألعدالة" غير معلومة، وقد قدسه تلامذته والمؤمنون به كرسول للرب. وكموسى تماما جعل الحلف القديم ممكنا، وقد جدد هذا الحلف "معلم العدالة"، وبتاسيسه للجماعة الأخروية لقمران أصبح مقدمة للعهد المسيحاني.

ومنذ إشهار ألنصوص ألأولى، لاحظ ألإخصائيون مشابهات ذات دلالة بين ألمفاهيم وألممارسات ألأسينية وألمفاهيم وألممارسات المسيحية البدائية.

وبفضل هذه ألوثائق ألجديدة يعرف ألآن ألوسط ألتاريخي وألروحي لمذهب رؤوي يهودي، فألموازيات ألأسينية توضح بعض ألمظاهر لنبؤة يسوع ولعدد من العبارات ألشائع إستعمالها من قبل مؤلفي ألعهد الجديد، ولكنه يوجد ايضا فوارق ليست قليلة ألأهمية.

إنّ جماعة قمران كانت رهبانية متشددة، وإنّ ألمسيحيين ألأوائل عاشوا في ألعالم، وشكلوا جماعة إرسالية، وقد كان المذهبان رؤويان ومسيحانيان كذلك فألأسينيون كالمسيحيين تماما، أعتبروا أنفسهم كشعب العهد الجديد ومسيحيين، ولكنهم أنتظروا نبيا أخرويا (ألذي كان في العهد الجديد قد سبق مجيئه في شخص يوحنا ألمعمدان):

ألمسيح ألكاهن ألذي يقدسهم وألمسيح ألملكي ألذي سيقود إسرائيل في ألحرب ضد المشركين، حرب قرر ألإله نفسه ألنصر فيها.

إنّ "لفيفة حرب أبناء ألنور ضد ابناء ألظلمات" تشكل في الواقع، مخطط معركة لهذا ألإنقلاب ألأخروي.

إنّ تعبئة لمدة ست سنوات سيتبعها تسع وعشرون سنة من ألحرب. وإن جيش أبناء ألنور سيكون مشكلا من ثمانية وعشرين ألف مقاتل مشاة وستين الف فارس، معززين بعدد ضخم من الملائكة. وكان ألمسيحيون ايضا يأملون بمجيء ثان ظافر للمسيح، كقاض، وفادي للعالم، ولكنهم بإتباع تعليمات المسيح، لم يشاركوا بايديولوجيا الحرب ألمقدسة.

بألنسبة للأسينيين كما هو بالنسبة للمسيحيين، سيظهر ألمسيح في نهاية ألأزمنة وسيحصل على عرش أبدي، وفي المذهبين ألمسيحانيين تتواجد ألأركان ألكهنوتية ألملكية وألنبؤية متحدة. ومع ذلك، فإنّ مفهوم مسيح سابق ألوجود، في أدب قمران (آدم ألثاني، أبن ألإنسان) لم يتأكد وأكثر من هذا أنّ المسيح لم يصبح بعد ألفادي ألسماوي، وألصورتان ألمسيحيتان لم تتوحدا كما في الدراسة المسيحية للكنيسة البدائية.

إنّ معلم العدالة بصفته شخصية أخروية قد افتتح ألعصر ألجديد، لقد وصفه تلامذته برتبة مسيحانية:

رتبة معلم يكشف المعنى الحقيقي ألباطني للكتابات المقدسة، وألذي أضافة إلى ذلك موهوب بقدرات نبؤية. ويُفهم من بعض ألنصوص، أنّ ألمعلم سيقوم بنهاية ألأيام، ولكن البروفيسور بر. كروس ألخبير في هذا ألشأن يقول:

"إذا كان ألأسينيون أنتظروا عودة معلمهم كمسيح كهنوتي، فإنهم عّبروا عن أملهم بطريقة غير مباشرة إلى حد كبير، ألأمر الذي يتناقض مع التأكيد ألذي طور معه ألعهد الجديد هذه الفكرة.

إنّ ألتنظيم والمنظومات ألشعائرية للمذهبين ألرؤيين تبرز جميعها مشابهات مدهشة.

في قمران كان العماد المساري ألذي يضم ألتلميذ الجديد في ألجماعة، متبوعا بتطهيرات شعائرية سنوية، وتماما مثل "كسر ألخبز" بالنسبة للمسيحيين، فإنّ وجهتهم كانت مفهومة من قبل ألأسينيين كمقدمة لمأدبة مسيحانية،

كان اعضاء جماعة قمران يمتنعون عن ألزواج لأنّهم كانوا يعتبرون أنفسهم جميعا جنودا في الحرب المقدسة، ولم يكن ذلك يتعلق بتنسك حقيقي، وإنّما بتنسك مؤقت مفروض لقرب ألآخرة.

بعد خراب قمران وتشتت ألاسينيين اعاد بعض الناجين، على ألأرجح، جمع ألبؤر المسيحية في فلسطين، وعلى كل حال، فإنّ ألتقاليد ألرؤوية وألباطنية للأسينيين أُعتُمِدت في مسيحية القرنين الاولين، وشجعت بعض الأتجاهات ألغنوصية (العرفانية).

حسب نظرية ألأسينيين، إنّ ألعالم هو حقل لمعركة بين روحين خلقهما ألرب منذ ألبدء:

روح ألحقيقة (ألمسماة أيضا بأمير ألنور وملاك الحقيقة) وروح ألشر أو ألفساد، وهذا ألأخير ليس شيئا سوى بيليال " أمير ألظلمات" أو الشيطان. وتجري الحرب بين هذين ألروحين وجيوشهما ألروحية وكذلك بين ألبشر وفي قلب كل "أبن للنور" (ألنظام ألجديد 4: 23-26) ويُعتبَر ألسيناريو ألأخروي ألأسيني قريب من بعض ألنصوص أليوحنية.

ويذكر موجز ألنظام (3:17 -23) أنّ أبناء ألعدالة رغم كونهم تحت قيادة أمير ألنور، يقعون أحيانا في ألخطأ، مدفوعين بملاك ألظلمات، وعلى مايبدو، فإنّ أول رسالة ليوحنا تتكلم عن "أبناء ألله" و "أبناء ألشيطان" وتحرض ألمؤمنين أن لا يضلوا بألشيطان (31:7:10) ولكن في حين أنّ ألأسينيين هم في أنتظار ألحرب ألأخروية، ففي ألأدب أليوحني، رغم واقعة ألصراع، فإنّ ألأزمة تم تجاوزها، لأنّ يسوع ألمسيح أنتصر على ألشر.

إنّ نصوص قمران تسمح لنا بفهم مصدر ألفارقليط: فحسب علم ألهيئة فهو متضامن مع شخصية من ألبلاط ألسماوي ليهوه بخاصة ألملاك أو ألمبعوث ألألهي. غير أنّ ألتأثيرات ألإيرانية (ألزرداشتية)، وفي ألمقام ألأول منها ألثنائية ألدينية وألملائكية، حولت ألملاكين من بلاط يهوه كتجسيد للمبدأين المتعارضين: خير/ شر، أو حقيقة/ كذب، أو نور/ ظلمة.

إنّ ألأسينيين، كذلك مؤلف ألمجموعة أليوحنية، تقاسما هذا اللاهوت وهذه ألأخروية ألفلسفيتين ألتوفيقيتين ألمتأثرتين بقوة بألثنائية ألإيرانية.

بألرغم من ألمشابهات ألعديدة فإنّ ألأسينية وألمسيحية تمدان جذورهما في ألنبؤة للعهد ألقديم.

لقد كان ألأسينيون يسندون ويدعمون ألأنفصالية ألأكليروسية، ولكن ألمسيحيون كانوا يجتهدون على ألعكس منهم لضم كل الطبقات ألأجتماعية، كما أنّ ألأسينيين كانوا يستثنون من مأدبتهم ألمسيحانية كل أولئك ألذين كانوا غير نظيفين والمشوهين طبيعيا أو روحيا.

أما بالنسبة للمسيحيين فإنّ واحدة من الملكوت كانت بحق ألشفاء للمعاقين (العميان ألذين يرون، والخرسان ألذين يتكلمون ....إلى آخره..) وكذلك قيامة ألأموات.

واخيرا فإنّ قيامة يسوع وهبة ألروح ألقدس والحرية ألروحية ألتي تتابعت لإنتظام ألشريعة، تشكل ألحدث المركزي الذي يميز هاتين ألجماعتين ألمسيحانيتين.

34

يهودي غامض - يسوع ألناصري

"حان ألوقت وأقترب ملكوت ألله... فتوبوا وآمنوا بألبشارة"

في سنة 32 أو 33 ميلادية كان شاب فاريسي يدعى شاول ألذي كان متميزا بألحماس في أضطهاده للمسيحيين في طريقه من أورشليم إلى دمشق، وفجأة جلله نور آت من ألسماء وقد سطع حوله، فسقط على ألأرض، وسمع صوتا يقول له:

شاول، شاول. لماذا تضطهدني؟

فقال: من أنت يارب؟

قال: أنا يسوع ألذي أنت تضطهده، قم وأدخل ألمدينة فسيقال لك ما يجب عليك أن تفعل.

رفقاء شاول وقفوا مبهوتين يسمعون ألصوت ولا يرون أحدا.

نهض شاول عن ألأرض وهو لا يبصر شيئا بالرغم من أنّ عينيه كانتا منفتحتين.

أصدقاء شاول أقتادوه ودخلوا به دمشق، ولبث ثلاثة أيام مكفوف ألبصر لا يأكل ولا يشرب.

كان في دمشق تلميذ يدعى (حنينا) ناداه ألرب أثناء ألرؤيا قائلا:

يا حنينا.

قال حنينا: لبيك يارب.

قال الرب:إذهب إلى شاول.

مضى حنينا إلى شاول ودخل بيته ووضع يديه على شاول وقال:

ياأخي شاول، إنّ ألرب أرسلني وهو يسوع ألذي تراءى لك في ألطريق ألتي قدمت منه، لقد أرسلني لتبصر وتمتليء من ألروح ألقدس.

فتساقط عندئذ من عينيه ألقشور، فابصر وقام فأعتمد ثم تناول طعاما فعادت إليه قواه .... (أعمال ألرسل 9، 3-5، 19-19- 12: 4-21 و 29: 12-20). إنّ كاتب ألأعمال يروي أيضا مرتين أللقاء مع ألمسيح ألمبعوث على طريق دمشق.

هذا ما جرى بعد عامين أو ثلاثة من الصلب. (يجهل ألتاريخ ألدقيق لموت يسوع: فيمكن أن يكون قد حصل في 30 أو 33 ميلادية. وبألنتيجة، فإنّ إهتداء بولس يمكن تحديده على ألأكثر في 32 ميلادية أو فيما بعد في 36 ميلادية).

إنّ ألإيمان بألمسيح ألمبعوث يشكّل ألعنصر ألأساسي في ألمسيحية وبخاصة مسيحية ألقديس بولس (في الرسالة ألأولى للكورنثيين "15-1-2" يذكر بولس قائمة كل أولئك ألذين يظهر ألمسيح لهم مبعوثا). وهذه ألواقعة ذات أهمية قصوى، لأنّ رسائل بولس تشكّل ألوثائق ألأولى ألتي تروي تاريخ ألجماعة ألمسيحية.

وعليه فإنّ ألرسائل جميعها مشحونة بحماسة منقطعة النظير: تأكيد ألبعث، إذن ألخلاص بألمسيح.

من ألأهمية إبراز واقعة أخرى:

ألزمن ألقصير – بضع سنوات- الذي يفصل ألتجربة ألوجدية لبولس عن ألحدث الذي كشف إرشاد ألمسيح، ففي سنة 15 من إمارة تيبير (في 28-29 ق.م)، بدأ ناسك (يوحنا ألمعمدان) يجوب أقليم ألأردن معلنا تعميدا للتوبة ومن أجل حط ألذنوب (لوقا 3:1) وقد وصفه ألمؤرخ فلافيوس جوزيف برجل شريف كان يحض أليهود لممارسة ألفضيلة وألعدالة وألرحمة.

وبألفعل كان نبيا حقيقيا ضد ألتراتبيات ألسياسية وألدينية أليهودية.

إنّ يوحنا ألمعمدان ألرئيس لمذهب ألفي، أعلن قرب قيام ألمملكة ولكن دون أن يدّعي بأنّه "مسيح"، وكان لدعوته نجاح بارز، وكان يسوع ألذي ينحدر من ألناصرية في ألجليل من بين ألألوف من ألأشخاص ألذين سارعوا من كل فلسطين ليتلقوا ألتعميدعلى يديه.

وحسب التقليد ألمسيحي، فإنّ يوحنا المعمدان عرف بأنّ يسوع ألناصري هو ألمسيح، ونحن نجهل ألسبب ألذي من أجله عمّد ألمسيح، إلّا أنّه من ألمؤكد أنّ ألتعميد كشف له ألكرامة ألمسيحانية، وفي ألأناجيل يُذكَر بأنّ سر هذا ألكشف قد تُرجِم بصورة روح ألله ألنازلة كألحمامة والصوت ألآتي من ألسماوات وألقائل:

"هذا هو أبني الحبيب ألذي عنه رضيت" (متى 3:16 ومرقص 1:11 ولوقا 3:22).

وينسحب يسوع إلى ألصحراء حالا بعد ألتعميد، وألأناجيل تؤكد أنّه "أقتيد للصحراء بألروح" لكي يُجرَّب من قبل ألشيطان (مرقص 11:12 ومتى 1:4-10 ولوقا 1:4-3).

إنّ الصفة ألأسطورية لهذه ألتجارب واضحة، ولكن رمزيتها تكشف ألبنية ألمميزة للأخروية المسيحية. ومورفولوجيا (تشكّليا) فإنّ ألسيناريو مشكّل من سلسلة من ألأمتحانات ألمسارية (ألتنسيبية) مشابهة لتجارب غوتاما بوذا، فيسوع يصوم أربعين يوما واربعين ليلة وألشيطان يجربه.

طلب ألشيطان اليه بدئيا معجزات : "مر أن تتحول هذه الحجارة إلى خبز" ويقوده إلى قمة معبد أورشليم ويقول له: " إذا كنت أبنا للرب، ألق بنفسك إلى ألاسفل" ثم يقدم له السلطة ألمطلقة: "كل ممالك ألعالم مع أمجادها" وبعبارة اخرى، يقدم له الشيطان ألقوة لإبادة ألإمبراطورية ألرومانية "(ألإنتصار ألعسكري لليهود ألمعلن من قبل ألرائين) شريطة أن يركع يسوع امامه.

وبالتأكيد أنّ سيناريو ألإغراءات قد أدخل فيما بعد في ألتقاليد الخرافية ألمجموعة في ألأناجيل بعد سقوط ألعصيان ألمسلح لسنة 66-70 ميلادية أي بعد خراب ألمعبد من قبل ألرومان، ولكن في ألأفق ألرمزي ألذي تطورت فيه ألكنيسة، فالإغراءات مثلت مسبقا معجزات يسوع (لأنّه بعد قليل من الزمن سيغيّر يسوع ألماء إلى خمر وسيكثر ألخبز) كما مثلت ألإغراءات إنتصار المسيحية (فألأمبراطورية ألرومانية لم تخرّب بعصيان مسلح ولكنّها أنتهت لتصبح مسيحية).

وتماما كيوحنا ألمعمدان مارس يسوع التعميد خلال بعض ألوقت وعلى ألأرجح بنجاح أكثر من يوحنا ولكنه بعد أن عرف أنّ ألنبي يوحنا ألمعمدان قد أوقف من قبل هيرودوت ترك جودا إلى بلدته ألأصلية.

ويفسر ألمؤرخ فلفيوس جوزيف تصرّف هيرودوت بالخوف: لقد خاف هيرودوت من تاثير يوحنا ألمعمدان على ألجماهير وتدبير عصيان، ومهما كان من أمر فإنّ حبس المعمدان فجّر نبؤة يسوع، فمنذ وصوله إلى ألجليل، أعلن يسوع ألإنجيل، أي الخبر الطيب "حان ألوقت وأقترب ملكوت أللّه... فتوبوا وآمنوا بألبشارة" (البشارة التي أتى بها يسوع من عند الرب لخلاص الناس ((هكذا يعرّفها شراح ألأناجيل)).

إنّ ألرسالة تعبّر عن ألأمل ألأخروي ألذي، مع قليل من ألإستثناءات، كان قد ساد ألتدين أليهودي منذ أكثر من قرن. وحسب ألأنبياء، وحسب يوحنا المعمدان، تنبأ المسيح بقرب تحول ألعالم: وهذا هو ألجوهري في تنبؤه.

أخذ يسوع بألتبشير وألتعليم محاطا بتلامذته في ألكنس وفي ألهواء ألطلق متوجها بألأخص إلى ألمتواضعين وإلى ألفقراء، وكان يستعمل ألوسائل ألإرشادية ألتقليدية مستندا إلى التاريخ ألمقدس وإلى ألشخصيات ألتوراتية ألأكثر شعبية ممتاحا من مستودع لا تعيه ألذاكرة من الصور وألرموز، ومستعملا بخاصة أللغة ألمصورة بألأمثال.

كالعديد من ألرجال "ألإلهيين" ألآخرين للعالم ألهللنستي، كان يسوع طبيبا وصانع معجزات، شاف من كل الأمراض ومساعدا ومواسيا من به مس من الشيطان، وقد أصبح مشتبها فيه بالسحر على اثر بعض ألمعجزات، وتلك جريمة كان يعاقب عليها بألموت.

" كان يطرد شيطانا أخرس، فلما خرج ألشيطان تكلم ألأخرس فأعجب ألجموع، على أنّ أناسا منهم قالوا: إنّه بيعل زبول سيد ألشياطين يطرد ألشياطين، وطلب منه آخرون آية من السماء ليحرجوه، فالشهرة بالراقي وصانع ألمعجزات لم تنس من قبل اليهود، وهنالك تقليد من القرن ألأول أو ألثاني يشير إلى يشو ألذي طبق ألسحر وضلل إسرائيل.

ولم تتاخر نبؤة يسوع عن إثارة قلق ألجماعتين ذات التاثير السياسي وألديني، ألفريسيين والصدوقيين. كانت الجماعة ألأولى غاضبة للحريات ألتي أتخذها ألناصري تجاه ألتوراة، أمّا بألنسبة للصدوقيين، فكانوا قلقين تجنبا للإضطرابات ألقابلة للإنفجار على أثر كل دعاية مسيحانية.

وفي الواقع أنّ مملكة ألرب ألمبشر بها من قبل يسوع كانت تعيد إلى ألذاكرة، بألنسبة إلى بعضهم، ألتعصب ألديني وألتصلب ألسياسي للزلوطيين، فهؤلاء كانوا قد رفضوا ألأعتراف بسلطة ألرومان لأنّه بألنسبة إليهم "أنّ ألإله وحده كان ألحاكم والسيد".

لقد كان على ألأقل واحد من أثني عشر من ألحواريين وهو سمعان الغيور أحد ألزيلوط القدامى (مرقص 3: 15). وقرر لوقا أنّ أحد ألتلامذة قال بعد ألصلب:

"وكنا نرجو أنّه هو – سمعان الغيور- ألذي سيفتدي إسرائيل".

إنّ واحدا من ألمشاهد ألأكثر أستعراضية وألأكثر غموضا وألمروية في ألأناجيل توضح سوء ألتفاهم بشأن مملكة معلنة من قبل يسوع، فبعد أن وعظ يسوع شطرا من اليوم، علم أنّ أل 5000 شخص ألذين أتبعوه على شطآن بحيرة طبرية قد فقدوا الطعام، عندئذ أجلسهم وزاد بأعجوبة بعض ألأرغفة من الخبز وبعض ألسمك فاكلوا جميعهم (يوحنا: 6: 11)، ويتعلق هذا بطقس قديم جدا، تعيد ترجمته إلى ألأذهان تأكيد وإحياء ألتضامن الصوفي للجماعة، وفي هذه الحالة فإنّ ألوجبة ألمشتركة يمكن لها أن تدل على ألإستباق ألرمزي للأخروية، ولأنّ لوقا (9: 11) يؤكد أنّ يسوع أتى ليتكلم لهم عن مملكة ألرب.

غير أنّ ألجمهور ألمذهول بهذه المعجزة الجديدة لم يفهم دلالتها العميقة ورأى في يسوع "ألنبي ألملك" ألمُنتظَر بحماس ألذي سيحرر إسرائيل " وعلم يسوع أنّهم يهمون بإختطافه ليقيموه ملكا، فانصرف وعاد وحده إلى الجبل (يوحنا 6: 15) عندئذ فرّق الجماعة، وانسحب مع تلامذته في زورق وأجتاز بحيرة طبرية.

إنّ سوء ألتفاهم يمكن له أن يفسر بعصيان مُجهَض. وفي كل حال، فإنّ يسوع قد تُرِك من قِبَل الجمهور، وحسب يوحنا (6: 66 - 67) أنّ ألأثني عشر وحدهم بقوا مخلصين له، وإنّ يسوع قرر ألأحتفال معهم بعيد ألفصح في 30 أو 33 ميلادية في أورشليم.

لقد أُثير نقاش طويل – ومازال يُثار – حول الهدف لهذه ألمهمة. فمن ألمحتمل، أنّ يسوع أراد إعلان رسالته في وسط ديني لإسرائيل بهدف إقحام جواب حاسم في معنى أو آخر. وعندما كان بالقرب من أورشليم فإنّ ألناس " تصوروا أنّ عرش ألرب سيظهر في ذات ألللحظة " (لوقا 19: 11) لقد دخل يسوع إلى المدينة كملك مسيحاني (مرقص 11: 9- 10).

طرد ألبائعين وألشارين من ألهيكل ووعظ الشعب (11: 15). وفي ألصباح دخل مجددا إلى ألمعبد وأخذ يروي لهم مَثَل ألكرامين القتلة الذين بعد أنْ قتلوا ألخدم ألمُرسلين من قبل معلمهم قتلوا أبن صاحب الكرم، وتساءل : فماذا يفعل رب الكرم؟ وأستنتج يسوع، إنّه يأتي ويُهلِك ألكرامين ويعطي ألكرم لآخرين(مرقص 12: 9).

وبألنسبة للكهنة وألكتبة فإنّ دلالة ألمثل كانت واضحة:

ألأنبياء قد أُضطِهدوا وآخر مُرسَل (يوحنا المعمدان) ، أوشك أن يُقتَل. وحسب يسوع أنّ إسرائيل كانت تمثل دوما كرمة الرب، ولكن سلطتها الدينية كانت مُدانة، وأنّ إسرائيل ألجديدة سيكون لها رؤساء آخرون، وأكثر من ذلك فإنّ يسوع كان قد جعلهم يُدرِكون أنّه هو الوريث للكرمة، (ألأبن الحبيب) للمعلم- وهذا إعلان مسيحاني يمكن له أنْ يُثير ألإنتقامات ألدموية للمالك، وعليه، وكما يقول الحبر الاكبر قيافا: " أنتم لا تدركون شيئا، ولا تفطنون أنّه خير لكم أن يموت رجل واحد من ألشعب ولا تهلك ألأمة باسرها " (يوحنا 11: 5). لقد توجب التدخل بسرعة دون تنبيه أنصار يسوع والتوقف يجب أن يحصل خلال ألليل بسرية.

في فجر الفصح دشن يسوع آخر وجبة مع تلامذته، وهذه الوليمة الكاملة للأصدقاء، ستصبح ألشعيرة ألمركزية للمسيحية:

سر ألقربان المقدس.

" بعد التسبيحات ذهبوا إلى جبل الزيتون" (متي 26: 30) ومن هذه ألليلة المؤثرة حفظ التقليد ذكرى حدثين لازما ضمائر المسيحيين، فقد خاطب يسوع بطرس قائلا: " الحق أقول لك: في هذه ألليلة قبل أن يصيح الديك، تنكرني ثلاث مرات" (متي 26:34) ومرقص (14: 26- 31). وعليه فإنّ يسوع كان يرى في بطرس تلميذه ألأكثر ثباتا، ذلك الذي يجب أن يدعم الجماعة من المؤمنين.

وبالتاكيد إنّ إنكار بطرس لم يفعل سوى التاكيد على سرعة عطب البشرية، ومع ذلك فإنّ مثل هذا ألتصرف لم يُلغِ أبدا ألجدارة وألفضائل أللدنية لبطرس وإنّ دلالة هذا ألحدث المعقد واضحة:

في بنية ألخلاص لا تحسب أبدا ألفضائل البشرية وكذلك ألآثام، وألذي يهم، هو التوبة وعدم إضاعة ألأمل.

إنّ جزءا كبيرا من تاريخ ألمسيحية سيكون من الصعب تبريره دون سابقة بطرس: فإنكاره وتوبته (متي 26: 74) اصبحتا بنوع ما ألنموذج ألمثالي بالنسبة لكل حياة مسيحية.

وليس أقل مثالية هو المشهد التالي الذي يجري في ضيعة يقال لها جتشمانية:

يصحب يسوع معه بطرس وتلميذين آخرين وقال لهم: " نفسي حزينة حتى الموت. أمكثوا هنا وأسهروا معي ". (متي 26: 38) ثم أبتعد قليلا وسقط على وجهه يصلي ويقول: " يأأبت إن أمكن ألأمر، فلتبتعد عني هذه ألكأس، ولكن لا كما انا اشاء، بل كما أنت تشاء" (26: 39).

ولكنه عندما رجع، وجد تلامذته على وشك أن يناموا فقال لبطرس:

" اهكذا لم تقووا على السهر معي ساعة واحدة: اسهروا وصلوا لئلا تقعوا في التجربة. ألروح مندفع وأما الجسد فضعيف " (26: 40) وامرهم يسوع مجددا بالسهر والصلاة، ولكن عبثا، فبعد رجوعه "وجدهم مجددا على أهبة النوم، لأنّ اعينهم كانت مثقلة" (26: 41. ومرقص 14: 32-42 ولوقا 22: 40-46)، وعليه، فمعلوم منذ مغامرة جلجامش أنّ ألإنتصار على النعاس، وألبقاء متيقظا، يشكل ألتجربة المسارية (ألتنسيبية) ألأكثر قسوة، لأنها ترمي لتحويل الشرط ألمادي، وترمي لإنتصار "الخلود"، فحسب ألأسطورة الرافدينية، فإنّ أوتنابشتيم يسأل جلجامش: " بالنسبة لك، من هو من ألآلهة سيضمك لجماعته لكي تحصل على الحياة التي تبحث عنها"؟

إن تتمة خطاب أوتنابشتم كانت غير متوقعة:

"أذهب، وحاول أن لا تنام خلال ستة ايام وسبع ليال"

بالتأكيد إنّ ذلك يتعلق بأكبر تجربة مسارة (لتلقين السر)، فألأنتصار على النوم والبقاء في حالة يقظة يعادل تحولا عن الشرط البشري.

إنّ أوتنابشتيم كان عارفا أنّ الآلهة لن تمنحه ألخلود فأقترح على جلجامش ألأنتصار على ألآلهة بواسطة مسارة (مقاومة ألنوم وألبقاء متيقظا).

وفي جتشمانية، بدت "اليقظة المسارية"- مع أنّها كانت محددة ببضع ساعات- إنّها فوق الطاقات البشرية. وهذه ألخيبة ستصبح ايضا، نموذجا مثاليا بالنسبة لأكثر ألمسيحيين.

بعد وقت قصير أُوقِف يسوع من قبل حرس ألكاهن ألأكبر ألمدعم على ألأرجح بجنود رومان. ومن ألصعب ألتحديد بدقة نتيجة ألأحداث، وألأناجيل تقرر حكمين منفصلين، لأنّه قد سُئِل يسوع من قبل كبير ألكهنة:

" أأنت ألمسيح، أبن ألمبارك؟ " فقال يسوع:

" أنا هو. وسوف ترون أبن ألإنسان جالسا عن يمين القدير وآتيا في غمام " (مرقص 14: 61-62 .متي 26: 57-69، لوقا 22: 64-66 :17).

لقد كان عقاب ألتجديف حينذاك ألرجم، ولكنه من غير ألمتيقن أنّه في عهد ألسنهودريين كان لكبير ألكهنة ألحق بتطبيق ألعقوبة ألرئيسية. وعلى كل حال، فإنّ يسوع قد حوكم بعدئذ من قبل بونس بيلاطس حاكم يهودية متهما بألتمرد وسئل يسوع :

" أأنت ملك أليهود؟ ثم أدين بألموت بطريقة ألصلب، وهي عقوبة رومانية نموذجية، وكذلك كان مواجها بسخرية (مرتديا معطفا أرجوانيا وتاجا من ألشوك) وحياه ألجنود:

" سلاما، ملك أليهود ". وقد صلب يسوع بين لصين مع هذه ألعبارة- LESTES = خليع – وكان يُشير عادة إلى ألمتمردين " وهكذا فأنّ نص ألتنفيذ ليسوع كان بوضوح قمع ألتمرد أليهودي ضد ألحكومة ألرومانية وأنصارهم في يهودا، فكل إعلان عن مجيء مملكة الرب تقتضي في أعين سلطات أورشليم إحياء مملكة يهودية.

وألجدير بألذكر بأنّ كلوسير يذكر أنّ ألتقليد ألربيني يقرر أنّ يسوع قد حوكم من قبل ألسلطات أليهودية وأدين بأن يشنق صباح ألفصح.

نتيجة القرار بعقوبة ألمسيح تشتت ألمؤمنون، وبعد زمن قصير من ألتوقيف أنكره تلميذه ألمفضل بطرس، ثلاث مرات.

من ألمؤكد أنّ نبوءة يسوع، وربما حتى إسمه، كان من ألممكن أن يطمسها ألنسيان، ماعدا مشهد متفرد وغير مفهوم خارج ألدين:

قيامة ألمُعذَب، فألسنة ألمنقولة من قبل بولس وبألأناجيل تضفي أهمية حاسمة لقبر فارغ ولعدد من ظهورات يسوع ألمنبعث حيا.

ومهما كانت طبيعة هذه ألتجارب، فإنها تشكل ألمصدر وألأساس للمسيحية، فألإيمان بيسوع ألمسيح ألمبعوث حولت قبضة من ألهاربين ألمثبطي الهمة إلى جماعة من ألناس ألمصممين وألواثقين بأنهم لن يُغلَبوا.

ويمكن ألقول تقريبا أنّ ألأحبار عرفوا، هم أيضا ألتجربة ألمسارية للقنوط وألموت ألروحي قبل أنْ يولدوا لحياة جديدة وأن يصبحوا ألمبعوثين ألأول للإنجيل.

في هذا ألبحث تطرقنا إلى رأي أحد مؤرخي ألأديان حول حياة ودعوة وموت يسوع الناصري (ألمسيح) ولتكملة هذا ألبحث نتطرق إلى رأي ألدين ألإسلامي وبعبارة أخرى رأي ألنبي محمد في ألمسيح وكما ورد في ألقرآن:

فحسب ألقرآن فإنّ مريم ألعذراء حملت بعيسى وذلك بعد أن نفخ ألروح (جبريل) في جيبها وأن عيسى ليس أبن أله وليس ثالث ثلاثة وأنّما خلقه أله كما خلق آدم.

وكذلك يرى محمد بانّ عيسى لم يصلب وإنّما تهيأ للناس ذلك.

في سورة مريم ألآيات 16-35 وردَت قصّة ولادة عيسى أبن مريم في آيات مسجوعة ومِن أروع ما قرأتُ مِن ألسجع : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35))).

إنَّ هذه ألآيات واضحة وتعكس عقيدة ألإسلام في ولادة عيسى أبن مريم، وتخالِف هذه ألعقيدة ألعقيدة ألمسيحية فألقرآن يقول إنَّ عيسى أبن مريم ليس أبن أله وإنّما هو عبده ونبيُّه وأنَّ خلق عيسى كمثل خلق آدم ولكنْ بأسلوب مُختلف ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))... سورة آل عمران، ألآية 59، فآدم خُلق مِن غير أب وأم ولكنّ عيسى خُلق بنفخ ألروح في جيب درع مريم بواسطة ألملَك جبريل ((وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)) سورة ألتحريم، ألآية 12 وألآية ((وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ))... سورة ألأنبياء، ألآية 91.

في تفسير الجلالين للآية 91 من سورة ألأنبياء ورد مايلي: (وَاُذْكُر فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ "اَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجهَا" حَفِظَتْهُ مِنْ أَنْ يُنَال "فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحنَا" أَيْ جِبْرِيل حَيْثُ نَفَخَ فِي جَيْب دِرْعهَا فَحَمَلَتْ بِعِيسَى "وَجَعَلْنَاهَا وَابْنهَا آيَة لِلْعَالَمِينَ" الْإِنْس وَالْجِنّ وَالْمَلَائِكَة حَيْثُ وَلَدَتْهُ مِنْ غَيْر فَحْل)...أنتهى.

حسب بعض ألأحاديث ألمنقولة عن ألنبّي محمّد يعتقد بعض ألمسلمين أنَّ ألمسيح سيعود ألى ألأرض قبل يوم ألقيامة وينشر ألعدل في أرجاء ألمعمورة ويحارب ألدجّال ألأعور ألّذي يمتلك قدرات خارقة يستخدمها لإفساد عقول ألبشر ويحاول إبعادهم عن ألإيمان بألله. كما يعتقد بعض ألطوائف مِن ألمسلمين أستنادا على أحاديث مرويّة عن ألنبيّ محمّد أيضا أنَّ ألمهدي ألمنتظر (ألأمام ألثاني عشر) وهو احد احفاد الامام علي بن ابي طالب ،سيرجع الى ألأرض قبل قيام ألساعة لنفس ألمُهمَّة.

اخيرا نتطرق إلى أحد ألعقائد ألغريبة حول حياة ودعوة المسيح:

عقيدة ألدين الرائيلي:

في الفصل الرابع من كتاب الرائيليين (الرسالة) وتحت عنوان جدوى المسيح يتناول رائيل ولادة وحياة المسيح وتحت العناوين ألتالية:

الحمل – التدريب – الانسانيات المتوازية – معجزات علمية – استحقاق الميراث.

يقول رائيل في كتابه ألرسالة حول ولادة عيسى بن مريم ما يلي:

" كان على المسيح ان ينشر في جميع انحاء العالم حقيقة الكتابات المقدّسة لتكون دليلا للانسانية كلها عندما يُظهر العلم الحقيقة لكل الناس.

فقرر الخالقون ان يجعلوا امرأة تلد طفلا وان يكون اباه احد الخالقين لكي يرث الطفل بعض القدرات التخاطرية التي تنقص الانسان.

[(...) أنّها حبلى من الروح القدس.] (متي 2-2).

طبعا خطيب المرأة المختارة التي هي مريم لم يستوعب ما حصل:

[ظهر له ملاك الرب] (متي 1-18).

احد الخالقين جاء ليشرح له انّ مريم تنتظر طفلا وأنّ اباه هو ألله.

جاء كل الانبياء الذين هم على صلة بالخالقين لرؤية الولد الربّاني وكان احد الصحون الطائرة للخالقين يرشدهم في طريقهم:

[رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له] (متي 2-2)

[وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتّى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه] (متي 2-9).

وكان الخالقون يحمون هذا الصبي:

[(...) ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم خذ الطفل وأمّه واهرب الى مصر واقم فيها، حتّى اقول لك متى تعود، لأنّ هيرودس سيبحث عن الطفل ليقتله] (متي 2-13).

وكان الملك لا يود ان يظهر هذا (الطفل- الملك) القادم من الشعب الذي تحت سيطرته والذي بشّر بظهوره (الانبياء). وعند موت هيرودس طلب الخالقون من يوسف ان يعود الى اسرائيل:

[ولمّا مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم، وهو في مصر وقال له:

قم خذ الطفل وامّه وارجع الى ارض اسرائيل. لانّ الذين ارادوا ان يقتلوه ماتوا] (متي 2-19،20).

حول تدريب المسيح وتعرّفه على اباه يذكر رائيل مايلي:

عندما بلغ سن الرشد اخذ الخالقون المسيح إلى كوكب الخالقين للجنس البشري بطريقة الإستنساخ من اجل الكشف عن هويته، وليقدموا له اباه، ومن اجل الكشف له عن مهمته، ولتدريبه على عدة تقنيات علمية.

[(...) وانفتحت السماوات له، ورأى روح الله يهبط كأنّه حمامة وينزل عليه. وقال صوت من السماء: هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيت. وقاد الروح القدس يسوع الى البرية ليجرّبه ابليس] (متي 3-16،17 و 4-1).

ابليس (ألشيطان) هذا الخالق الذي تكلمنا عنه سابقا والذي هو واثق من انّ الانسان لن يأتي منه شيء حسن (الشيطان) هذا المرتاب الذي يُساند من طرف المعارضين لحكومتنا في الكوكب البعيد. أخضع ابليس المسيح لعدة اختبارات من اجل ان يرى ما اذا كان ذكاؤه ايجابيا. واذا ما كان يحترم ويحب خالقيه. ولمّا تاكدوا من انهم يمكن ان يضعوا ثقتهم في المسيح تركوه يعود وان يؤدي مهمته.

ومن اجل ان يسانده الجزء الاكبر من قومه جاء ب(معجزات). في الحقيقة كان يطبّق التعليمات العلمية التي لقنها الخالقون له.

[(...) فجاؤوا له بجميع المصابين باوجاع وامراض متنوعة:... فشفاهم] (متي 4-24).

[هنيئا للمساكين في الروح] (متي5-3).

هذه العبارة التي تُرجمت ظلما ب: سعداء هم الفقراء عقليا. امّا المعنى الاصلي كان:(اذا كان للفقراء ذكاء فهم سعداء)، المعنى جد مختلف.

وقال لرسله عليكم ان تنشروا الحقيقة عبر العالم:

في الصلاة التي تُدعى ابانا ذُكرت الحقيقة حرفيا:

[ليأتي ملكوتك لتكن مشيئتك في الارض كما في السماء] (متي 6-10).

في السماء على كوكب الخالدين تمكن العلماء من الحكم، كما تمكنوا من خلق مخلوقات ذكية، على الارض سيحدث نفس الشيء، وسيحمل المشعل من اجل الاستمرارية.

رُددت هذه الصلاة عدة مرات دون ان يُفهم معناها الحقيقي، والان نشرح بكل وضوح [في الارض كما في السماء].

من بين ما تلقاه المسيح من تعليم، قدرته على الاقناع بفضل نوع من التنويم المغناطيسي والتخاطر الجماعي:[ولمّا اتم يسوع هذا الكلام، تعجبت الجموع من تعليمه، لانّه كان يُعلمهم مثل من له سلطان، لا مثل معلمي الشريعة] (متي 7-28،29).

وبقي يشفي المرضى بفضل اعانة الخالقين الذين كانوا يُرسلون اشعة مركّزة عن بُعد [(...) ودنا منه ابرص،(...) فمدّ يسوع يده ولمسه وقال: اريد فاطهر. فطهر من برصه في الحال] (متي 8-2،3).

ونفس الشيء بالنسبة للمشلولين عملية عن بُعد بفضل شعاع مركّز كالليزر لكنه لا يحرق الّا في نقطة معينة داخل الجسم] (...) قم وامشي(...) فقام] (متي 9-5،7).

وبعيدا في سفر متي صرّح يسوع بمهمته [(...) وما جئت لادعو الصالحين بل الخاطئين] (متي 9-13).

لم ياتي الى شعب اسرائيل الذي يعلم بوجود الخالقين، لكن من اجل نشر هذه الحقيقة عبر العالم.

وبعيدا حدثت (معجزات) اخرى تشبه ما سبق، وكلّها ذات اساس طبّي. في ايامنا هذه زرع القلب او عضو من الاعضاء، اشفاء مبرص او اي نوع من الامراض، اخراج من الغيبوبة بفضل تطبيب مميز، كلّ هذه عند شعوب بدائية تنعت بمعجزات، في تلك الفترة كان الانسان مثلهم والخالقون مثل اناس من احدى الدول المتحضرة لكن اكثر تطورا علميا شيئا ما.

وبعيدا نرى اشارة الى الخالقين ومن بينهم يوجد الاب الحقيقي ليسوع: [من اعترف بي امام الناس، اعترف به امام ابي الذي في السموات] (متي 10-32).

[امام ابي في السماوات] المعنى هنا واضح لا يتعلق الامر باله غير ملموس وروحي انّه[في السماوات] طبعا هذا لا يُفهم من طرف مخلوقات يعتقدون انّ النجوم مُعلّقة في قبة زرقاء كجهاز تنوير لطيف والكل يدور حول مركز الكون: الارض.

الآن مع ظهور الرحلات الفضائية والتعرّف على مدى شساعة الكون اصبحت الكتابات واضحة وبطريقة جد مختلفة.

في هذا الفصل من كتاب الرسالة وهو كتاب يطرح عقيدة الرائيليين يطرح كلود فوريلهون (رائيل) فكرا مختلفا عن العقيدة المسيحية والعقيدة الاسلامية حول ولادة عيسى ونبوته، فهو يدّعي بأنّ احد الخالقين (احد سكّان الكوكب الذين خلقوا الجنس البشري عن طريق الهندسة الوراثية) تزوج مع احدى فتيات المخلوقات الارضية (مريم بنت عمران في العقيدة المسيحية والعقيدة الاسلامية) وانجبت هذه الفتاة المسيح ، والهدف من هذه العملية ليشرح المسيح حقيقة ما حدث في الكرة الارضية اي خلق الانسان من قبل الكائنات الفضائية، في كتاب الرسالة وتحت عنوان (الانسانيات المتوازية) يذكر النبي رائيل بان الهدف من خلق الجنس البشري في الارض هو للحفاظ على هذا الجنس البشري من الانقراض في حالة تعرّض كوكب الايلوهيم (الخالقين) لكارثة كونية تُبيد سكانه عن بكرة ابيه لأنّ الكائنات القادمة من كوكب الخالقين هم بشر مثلنا.

35

قراءة آرامية وسريانية للقرآن

" ورد في تفاسير القرآن ان ابن عباس (حبر الأمة) سُئل عن الحرفان طه اللتان وردتا في بداية سورة طه هل هما اسم للنبي محمد ، فقال مجيبا : إنها كلمة سريانية".

ألسريانية والحروف المقطعة في ألقرآن:

في كتابي ثورة ألشك كتبت مايلي:

الدارس للقرآن لايستطيع من فهم معظم آياته انْ لَمْ يطّلع على اسباب نزول هذه الآيات وإنْ لم يعرف الناسخ والمنسوخ من القرآن، كما انّ بعض الكلمات المُستخدَمة في القرآن لا علاقة لها باللغة العربية وهي مقتبسة من لغات اخرى وبعض الكلمات غامضة اختلف المُفسّرون في اضفاء المعاني لها فأوّلها كلّ مفسّر حسب قناعته وقسم منهم وقع في حيص بيص. إنّ سبب استعمال بعض الحروف والكلمات الغامضة في بداية بعض السوَر مثل (ق) و (ن) و (كهيعص) و (ألم) هو محاولة لأضفاء الغموض على القرآن وهذا الاسلوب كان يستخدمه الكهّان في عصر محمّد لأضفاء أهميّة على كلامهم او لأجل جلب الانتباه اليه.

أطلعت في الآونة الأخيرة على فيديو في الشبكة العنكبوتية يطرح فيه السيد لؤي شريف رأيا جديدا في تفسير معاني الحروف المقطعة في القرآن، وخلاصته أنّ هذه الحروف لها معاني في اللغة السريانية واليكم التفاصيل:

- (ألم) معناه صمتا فتكون الآية (ألم ذلك ألكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)،(صمتا ذلك ألكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين). وهذا الاسلوب كان يستخدمه الكهّان في عصر محمّد لأضفاء أهميّة على كلامهم او لأجل جلب الانتباه اليه كما ذكرت في المقدمة. ويذكر ألسيد لؤي بأنّ النبي داوود استخدم هذه الكلمة.
- (ألر) معناه تأمّل، تبّصر، فتكون ألآية (ألر * تلك آيات ألكتاب)، (تبّصر * تلك آيات ألكتاب).
- (طه) معناه يا رجل، فتكون ألآية (طه * ما أنزلنا عليك ألقرآن لتشقى)،(يا رجل * ما أنزلنا عليك ألقرآن لتشقى).
- (كهيعص) معناه هكذا يعظ، فتكون ألآية (كهيعص * ذكر رحمة ربك زكريا)، (هكذا يعظ * ذكر رحمة ربك زكريا).

قراءة آرامية وسريانية للقرآن:

مقدمة:

صدر في العام 2000 م كتاب للمستشرق الالماني (كريستوف لوكسنبرغ) يعرض فيه قراءة جديدة للمقاطع الغامضة الواردة في القرآن الكريم بعنوان " قراءة أرامية وسريانية - مساهمة في تفسير لغة القرآن " (دار الكتاب العربي - برلين 2000).

لمّا تعذر على اهل اللسان إيضاح ما غمض في لغة القرآن مع قوله بالنزول بلسان عربي مبين، ذهب المفسرون إلى ان هذا الغموض يعود إلى لغة قريش معللين إعتقادهم بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم)..... سورة ابراهيم، الآية 4 .

انطلاقا من هذا الإشكال يتمحور البحث الجديد حول واقع اللغة ، وبألأخص لغة الكتابة التي كانت منتشرة في منطقة الشرق العربي في الفترة التي دون فيها القرآن الكريم.

هذه اللغة هي الآرامية ، وقد نعتها الإغريق منذ عصر ما قبل الميلاد بالسريانية نسبة إلى مملكة آشور في بلاد مابين النهرين وسوريا الطبيعية ، وتنتمي اقدم نقوش آرامية اكتشفت حتى الآن إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

وقد عُرف الآراميون الذين اعتنقوا النصرانية بالسريان تمييزا عن ابناء امتهم الوثنيين بحيث اضحى لقب الآرامي مرادفا للوثني. والطبري لا يذكر في تفسيره الآرامية بل السريانية.

وما رفع من شأن اللغة السريانية ترجمة الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) منذ القرن الثاني الميلادي وربما قبله إلى سريانية الرهى ، وهي اللغة الآرامية المحكية في منطقة الرهى (وهي اورفا الحالية) الواقعة في شمال غرب بلاد مابين النهرين (اورفا مدينة واقعة في جنوب شرق الجمهورية التركية).

ومع تنصّر الملك أبجر الخامس ، ملك الرهى ، في اواخر القرن الثاني الميلادي وإنتشار النصرانية على يد السريان إنطلاقا من سوريا وبلاد الرافدين ، اصبحت السريانية بفضل ذلك لغة الكتابة ليس في سوريا وبلاد ما بين الرافدين فحسب ، بل تجاوزتها إلى مناطق مجاورة ، منها بلاد فارس وشبه الجزيرة العربية.

وقد ورد في حديث نبوي شريف ان النبي طلب من زيد بن ثابت الذهاب إلى بلاد الشام لتعلم السريانية ، كذلك ورد في تفاسير القرآن ان ابن عباس (حبر الأمة) سُئل عن الحرفان طه اللتان وردتا في بداية سورة طه هل هما اسم للنبي محمد ، فقال مجيبا : إنها كلمة سريانية ، مما يبين لنا اهمية اللغة السريانية (المسيحية) في العصر الذي نشأ فيه القرآن الكريم وما بعده ، إذ نعلم من تأريخ الادب العربي اللاحق ان للسريان حظا وافرا في تطوير اللغة العربية الكتابية بما انجزوه من ترجمات من السريانية واليونانية إلى العربية في العصر العباسي ، فأضحت اللغة العربية بعد السريانية لغة الآداب والفلسفة والعلوم.

والمعروف ان الآرامية القديمة بدأ تدوينها بحسب النقوش المكتشفة منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وان الملوك الفرس اتخذوها لغة دواوينهم واستعملوا الخط الآرامي لكتابة الفارسية الوسطى (البهلوية) كما اتخذها بنو إسرائيل بعد سبيهم إلى بابل لغة لهم فدوّنوا بها جزءا من كتبهم المقدسة منه كتاب النبي دانيال وتراجمها.

وليست السريانية إلّا إمتدادا للآرامية القديمة بطابعها المسيحي بعد الميلاد وباتت اللغة الرسمية إلى جانب العربية في العصر الاموي حتى عهد عبدالملك بن مروان (685-705 م) ، مما يبين الإتصال الوثيق الرابط بين العربية والسريانية حتى عصر ما بعد الفتوحات.

تأسيسا على هذه الخلفية التاريخية المسلم بها ينطلق لوكسنبرغ في بحثه اللغوي من عصر يسبق وضع قواعد اللغة العربية على يد سيبويه (المتوفي في سنة 795 م) بحوالي مائة وخمسين عاما معتبرا ان اللسان العربي الذي انزل به القرآن يختلف عن العربية التي وضع اسسها مجموعة من النحويين الاعاجم والعرب.

ويشكك المؤلف بكفاءة هؤلاء النحويين وبالأخص الأعاجم منهم ، الذين يجهلون " اللسان " الذي انزل به القرآن ، مستندا بذلك إلى صاحب " جامع البيان عن تأويل القرآن " ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (839 – 923 م) الذي ادرك الطابع الخاص المميز للغة القرآن ، إذ ناشد " أهل اللسان الذين لهم علم باللسان الذي نزل به القرآن .... والذين هم اوضحهم برهانا فيما ترجم وبيّن من ذلك ... " ، ان يتفضلوا بتفسير ما تيسر لهم من قبل علمهم ، ومضيفا إلى ذلك : " كائنا من كان ذلك المتأول والمفسّر ".

يشير لوكسنبرغ إلى ان القرآن هو اول كتاب دوّن باللغة العربية لعدم وجود اي اثر تاريخي لمخطوط سابق ما خلا بعض النقوش النبطية القريبة من العربية. وكان الخط العربي في بداياته كنظيره النبطي مجردا من النقاط والحركات. يشهد على ذلك العديد من المخطوطات القرآنية وغيرها المحفوظة في المتاحف شرقا وغربا ، وآخرها تلك التي اكتشفت في اوائل السبعينات تحت سقف جامع صنعاء الكبير.

وهناك إجماع على ان النقاط المميزة لإثنين وعشرين حرفا من حروف الابجدية العربية قد اضيفت إلى النص القرآني في وقت لاحق ، إلّا ان هناك غموضا حول الزمن الذي تم فيه التنقيط. لكن الملاحظ ان الطبري (القرن التاسع / العاشر ميلادي) قد اعتمد في تفسيره إجمالا على النص الحالي المنقوط.

يؤكد مؤلف الكتاب (قراءة آرامية وسريانية للقرآن) انه وضع جانبا كل النظريات السابقة الصادرة عن مستشرقين او عرب في محاولاتهم العديدة لتفسير القرآن إنطلاقا من عربية سيبويه وما بعده التي ليست بعربية القرآن ، مستندا فقط إلى علم اللسان الذي يقضي بقراءة النص وفهمه في إطاره الزمني مجردا من المؤثرات اللاحقة.

ولإن المفسرين اعتمدوا على النقل الشفهي اللاحق دون المبالاة باللغة طبقا لإطارها التاريخي ، وقعوا في الخطأ ونتج عن ذلك ما يعرف ب " المقاطع الغامضة " ، وهناك نصوص اخرى في القرآن غير مشكوك في صحة فهمها العربي حتى الآن ، بيّن البحث انه ينبغي إعادة قراءتها على ضوء علم اللغة الموضوعي. وقد سلك لوكسنبرغ في بحثه هذا منهجية تتلخص بخطة تدريجية قوامها خمسة هي:

1) يراجع لوكسنبرغ في خطوة اولى تفسير الطبري تقديرا منه بأن التقليد الإسلامي بما احتفظ بالشرح الصحيح دون ان يأبه به المفسرون داعما ذلك بألأدلة اللغوية. وإلّا فيلجأ في خطوة ثانية إلى موسوعة لسان العرب لإبن منظور (1232 – 1311 م) ربما يعثر فيه على الشرح المناسب ، سيما وأن الطبري لم يرجع في تفسيره إلى اي قاموس عربي وكان معتمدا على النقل الشفهي دون سواه ولو انه استشهد في بعض الحالات بالشعر العربي مع بعده عن لغة القرآن وكثيرا ما يؤدي هذا التحقيق إلى نتيجة إيجابية.

2) فإن لم يكن ذلك ، عمد لوكسنبرغ إلى قراءة الرسم القرآني قراءة سريانية أعطت النص في عدد من الحالات معناه المنطقي.

3) وإن لم يكن ذلك ، باشر لوكسنبرغ في محاولة اولى بتغيير نقط الحروف التي ربما وضعت عن عدم إلمام المحقق العربي بمفهوم نص القرآن في قراءته العربية. وقد ادت هذه الخطوة في حالات غير قليلة إلى نتائج إيجابية.

4) وإن لم يكن ذلك ، شرع الباحث في محاولة ثانية بتغيير نقاط الحروف بهدف إيجاد مصدر لقراءة سريانية ، وقد ادت هذه المحاولة في حالات عديدة إلى قراءة تعيد للنص معناه الحقيقي.

5) وإن فشلت جميع هذه المحاولات وكان التعبير كتابة وقراءة عربيا لاشك فيه وإنما دون ان يعطي معنى مناسبا للنص ، لجأ الباحث حينذاك إلى محاولة قصوى تكمن في ترجمة التعبير العربي إلى السريانية لإقتباس مفهوم هذا التعبير من معاني مرادفه السرياني. وقد بين البحث بأن هذه الخطوة تتجاوز الخطوات الاربع السابقة اهمية ، إذ كثيرا ما يعطي مفهوم التعبير السرياني النص القرآني العربي الغامض معناه المنطقي الجلي.

وفي سياق تطبيقه اللغوي المفصل لهذه المنهجية تطرّق لوكسنبرغ لبعض التعابير وألآيات القرآنية معتمدا في ذلك بإنتظام على المراجع العلمية عربية كانت أم سريانية ، نعرض منها نموذجا مبسطا لكل من الخطوات المذكورة أعلاه:

أ) من جملة الآيات غير المشكوك في فهمها إلى يومنا هذا الآية 64 من سورة الإسراء. وموضوع هذه الآية أنّه تعالى طرد إبليس من الجنة لرفضه السجود لآدم ، فإستأذن منه إبليس أن يسمح له عز وجل أن يجرّب الناس إلى يوم الدين ، فأذن له تعالى وأردف بقوله ما يلي :

(وأستفزز من أستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في ألأموال وألأولاد وعدهم وما يعدهم ألشيطن إلّا غرورا).

شرح الطبري هذه الآية بألمفهوم التالي : (أستفزز) بعنى أفزع بصوتك ، مع أنّ هذا المفهوم يناقض المفهوم القرآني القائل بأنّ إبليس (يوسوس في صدور الناس) (سورة الناس ،ألآية... 5).

ويشير لوكسنبرغ إلى ان لسان العرب يشرح أستفزه بمعنى ختله حتى اوقعه في مهلكة ، وهو المفهوم الصحيح لهذا التعبير المطابق للمفهوم القرآني.

ويشرح الطبري (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) بمعنى الهجوم على الناس بجلبة لتخويفهم بالخيالة والمشاة ، وهذا المفهوم يخالف ايضا المعنى القرآني. فيقرأ لوكسنبرغ إعتمادا على اللسان (أخلب) عوضا عن (أجلب) بمعنى إحتل أو أنصب عليهم.

ولمّا تعسّر الإحتيال على الناس بالهجوم عليهم بجلبة بالخيالة يرى لوكسنبرغ أنّه من الانسب قراءة بحبلك (بمعنى حبالك أو حيلك) بدلا من (خيلك) ودجلك بدلا من (ورجلك) ، مما يتوافق وألمنطق القرآني.

أمّا (وشاركهم بألأموال وألأولاد) فيعجب أهل التفسير من سماحة تعالى لإبليس بمشاركة الناس بألأموال والاولاد مع علمهم بأنّه عز جلاله هو الذي يرزقهم إياهم ، فيرى الطبري الحل بشرحه هذا المقطع بمعنى مشاركة إبليس الناس بمال الحرام وأولاد الزنى ، بينما يشير لوكسنبرغ إلى ان مصدر (سرك) بالسريانية مشتق من الشرك وألأشراك بالعربية والمقصود منه مصدر شرك بمعنى أغرى ، مستشهدا لذلك بالحديث النبوي الشريف القائل (أعوذ بك من شر الشيطان وشركه) (شركه في الحديث جاء بمعنى فخه).

والمفهوم القرآني ان إبليس يغري الناس بوعده الكاذب إياهم بالمال والبنين وليس بمشاركته إياهم بهم ، ويتضح هذا المفهوم من نهاية الآية : (وعدهم وما يعدهم الشيطن إلّا غرورا). (أنظر كتاب لوكسنبرغ ص 216 – 220).

وتعطي هذه ألآية لوحدها خمسة أمثلة نموذجية عن نقاط المنهج رقم 1 و 2 و 3 ألمذكورة أعلاه.

ب) مثالا عن المنهج رقم 2 هناك كلمة بسيطة عجز المفسرون شرقا وغربا عن شرحها حتى الآن وردت في سورة المدّثر الآية 51 وهي (قسورة) ، ومفهومها من نص الآيات 49 – 51:

(ما لهم عن التذكرة معرضين / كأنهم حمر مستنفرة / فرت من قسورة).

أجمع المفسرون العرب على أن هذه الكلمة حبشية الأصل لبعدها عن العربية وقدّروا بأنه لابد أن المقصود منها ألأسد لفرار الحمر (اي الحمير) منه ، بعد أن تبين لأحد المفسرين بأن ألأسد يقال له بألسريانية (أريا) ، مما يدل على أن بعضهم كان له إلمام بألسريانية. ثم جاء المفسرون الغربيون فبحثوا في أصل هذا التعبير ولم يجدوا له إشتقاقا من ألحبشية ، فاستنتجوا بأن معنى ألأسد أقرب ما يمكن إشتقاقه من اصل قسر العربي الذي يعني أرغم وأجبر ، وأن المعنى الحقيقي لهذا التعبير ما زال غامضا.

إلّا أن الرسم القرآني يشير إلى إسم فاعل سرياني على وزن (فعولا) (بقراءة فاعولا) المشتق من الوزن العربي فعول وفاعول. والكلمة هي في الواقع سريانية ألأصل ويمكن إشتقاقها من أصل قسر وقصر كما تثبته لنا القواميس السريانية ، فنجد هذا التعبير بقلب السين والواو بكتابة (قوسرا).

و (قوصرا) وهي كتابة سريانية لا تختلف لفظا عن كتابة (قوسره) و (قوصرة) في غيرها من اللهجات الآرامية. ويذكر لسان العرب بأن أهل البصرة يقولون للمرذول إبن قوصرة.

(والأصح قوصرة او قوصرا لفظا والقاصر او الفاشل معنى) ناسبا إلى إبن دريد قوله: لا أحسبه عربيا ولو نطقوا به قديما ، مما يثبت مجددا إختلاط اللغتين العربية والسريانية سابقا.

والرسم القرآني قسورة أصح سريانيا ويلفظ قاسورا (بلفظ الواو بالإمالة نحو الواو) وليس قسورة بتشكيل مصحف القاهرة. أما المعنى بشهادة المراجع السريانية فهو (ألحمار الهرم الذي لا يستطيع الحمل) والمراد بالتعبير القرآني أن هناك احتمالين لفرار الحمر المستنفرة:

1) إما الهرب من شيء مرعب كألأسد ، وهذا امر بديهي يبرر الهرب منه.

2) وإما الهرب من شيء غير مفزع. كقولك عن أحد يهرب من خياله ! وهذا هو المقصود في النص القرآني الذي يشبّه إستنفار الهاربين من تذكرة القرآن بألحمير الهاربين ليس من نظيرهم فحسب ، بل ومن دابة هرمة هالكة ليس فيها ما يدفع إلى الهرب. ويقابل هذا التعبير بألعربية ألقاصر ألمثبت للاصل السرياني لفظا ومعنى (أنظر كتاب لوكسنبرغ ص 45 – 47).

ج) يشير لوكسنبرغ إلى أن المفسرين العرب فهموا كلمة قسورة بمعنى الأسد بينما المقصود منه الحمار الهرم بالسريانية ، وقرأوا الرسم القرآني (وأنظر إلى حمارك) (سورة البقرة ، ألآية 259) بمعنى ألحمار عربيا ، بينما المقصود منه سريانيا صفة لبني آدم. وتوضيحا لهذا التعبير نأخذ عن لوكسنبرغ (ص 176 – 183) الآية المذكورة كمثال عن المنهج رقم 2 و 4 (وموضوع الآية أن الله أمات إنسانا لا يؤمن بالقيامة ثم بعثه بعد مائة عام فقال له):

(وأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وأنظر إلى حمارك ولنجعاك آية للناس وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما).

قبل الوصول إلى كلمة (حمارك) يتساءل لوكسنبرغ عما عساه تعالى يقصده بالإشارة إلى هذا الإنسان الذي بعثه بعد ممات مائة عام إلى طعامه وشرابه ، مع أنه ليس هناك أي صلة بألطعام أو الشراب.

ولما لم يمكن فهم هذين التعبيرين عربيا بغير مفهوم الأكل وألشرب ، يرى الباحث شرحهما بمفهوم سرياني يوافق النص القرآني. ولما كانت الألف الوسطى مضافة غالبا في المصاحف اللاحقة ، يقرأ لوكسنبرغ سريانيا (طعما) بشرح المراجع السريانية التي تعطي :

1) معنى العقل والفهم ومشيرا إلى التعبير (السرياني الأصل) الشائع في الدارجة القائل (حكي بلا طعمه) بمعنى بلا فهم.

2) معنى الحال والشأن وألامر. ولما كان هذا المعنى مطابقا للتعبير السرياني التابع (شربا) (بغير معنى الشراب العربي) ، يرى لوكسنبرغ بأن هذين اللفظين مرادفان بدليل الفعل التابع لهما بصيغة المفرد المذكر (لم يتسنه) ، وناسبا هذا الفعل ايضا إلى أصله السرياني (إشتني) الذي يعني تغيّر طبقا لشرح ألطبري ، فيكون ألمفهوم:

3) (أنظر إلى حالك وأمرك ، لم يتغيّر).

ويشرح لوكسنبرغ بأنه علينا أن نفهم ألرسم (حمارك) بقراءة سريانية (جمارك) أي كمالك (ومنها بألعربية كلمة ألجمر أي إكتمال ألنار) ، فيقرأ لوكسنبرغ ألآية كألآتي:

(وأنظر إلى كمالك) ، مما يعطي معنى منطقيا إلى ما سبق بخلاف القراءة التي درجت منذ تنقيط القرآن بمعنى (الحمار) الذي ليس له اي مكان في هذا النص. ودليل ذلك أنّ تعالى يردف قائلا:

(ولنجعلك آية للناس) وليس (لنجعل حمارك آية للناس). ويشير لوكسنبرغ أخيرا إلى أن قراءة (ننشزها) خاطئة والمفروض قراءتها (ننشرها) داعما هذه القراءة العربية بدليل مرادفها السرياني (فشط) الذي يعني عدا ، نشر وبسط: أصلح وعدل ، فيكون معنى ألآية بقراءتها ألعربية وألسريانية :

(أنظر إلى حالك وأمرك لم يتغيّر وأنظر إلى كمالك ولنجعلك آية للناس أنظر إلى ألعظام كيف نصلحها ثم نكسوها لحما).

د) كمثال آخر عن المنهج رقم 4 نذكر عن كتاب لوكسنبرغ (ص102 – 121) تفسير للآية 24 من سورة مريم:

(فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربّك تحتك سريا).

يشير لوكسنبرغ في بداية شرحه إلى السيوطي (1445 – 1505 م) الذي يذكر عن أبي القاسم في كتابه "لغات ألقرآن" وعن الكرماني في كتابه "العجائب" بأنّ (تحت) كلمة نبطية (وهي لغة الأنباط السريانية أو مزيج من العربية والسريانية) تعني البطن (بمعناها السرياني جنين).

ولم يأبه المستشرقون لهذا الشرح معتبرين بأنّ تحت في اللغات الارامية والعبرية والسريانية والحبشية لا تختلف عن معناها العربي بشيء. ولم يرد في تفسير الطبري اي شك عن معنى تحت ما خلا التساؤل عمّا إذا كان الذي نادى مريم من تحتها جبريل أم عيسى (عليه السلام) ، بينما اختلف أهل التأويل في تفسير سريا ، فأعتبره الطبري جدول ماء ، داعما ذلك بقوله تعالى (فكلي وأشربي) (ألآية 26).

وأيد المفسرون الغربيون هذا المفهوم بالإشارة إلى مقطع من إنجيل منحول منسوب إلى متى ورد فيه بانّ عيسى (عليه السلام) لدى هربه مع أمه مريم إلى مصر طلب من النخلة ، حيث لجأ للإستراحة أثناء عبورهما الصحراء ، أن تفتح جذورها لتخرج ماءا وتروي ظمأ أمه.

وأعتبر المفسرون الغربيون هذه الرواية مطابقة لما ورد في القرآن إثباتا لكلمة سريا بمعنى الجدول. ويرى لوكسنبرغ بأنّ المفسرين شرقا وغربا قد أخفقوا في محاولاتهم لتوضيح هذه ألآية لإعتمادهم على مجرد اللغة العربية اللاحقة من ناحية ولإستشهادهم بنص بعيد عن مفهوم النص القرآني من ناحية اخرى.

وفي شرحه المفصّل لكلمة (تحت) يشير لوكسنبرغ إلى أنّ لا أصل لها في العربية وأنّها مشتقة من الفعل السرياني (نحت) (يلفظ نحث وبمعنى نزل وأنحدر) المشتق منه الفعل العربي نحت المفهوم منه نحت الحجر وغيره لتسويته أو صقله ، وألمراد منه سريانيا تنزيل ما زاد منه ، ومنه النحاتة أي مانزل من كسارة لدى النحت. وقد ورد هذا التعبير بالمعنى المجازي في بيت للشاعرة الخرنق ، أخت الشاعر طرفة (حوالي 538 – 564) ، ونصه:

الخالطين نحيتهم بنضارهم / وذوي الغنى منهم بذي الفقر.

يلاحظ لوكسنبرغ بأنّ لسان العرب أخطأ بشرحه معنى النحيت بالدخيل على قوم لعدم فهمه أصل فعل نحت السرياني بمعناه المجازي ، مع أنّ تعبير النضار (أي الاشراف) يوضح المعنى المناقض للنحيت الذي يعني بالسريانية الوضيع الاصل ، القليل الحسب والنسب ، كما يتضح هذا النقيض من خلط ذوي الغنى منهم بذوي الفقر.

وتمهيدا لقراءة الرسم القرآني (تحتها وتحتك) بمعنى البطن (أي الجنين) المنسوب إلى النبطية بحسب السيوطي نقلا عن أبي القاسم والكرماني ، ينفي لوكسنبرغ هذا المفهوم ، إلّا أنّه يرى له علاقة بالمقصود به إذا قرأنا بدلا من (تحتك) نحتك بلفظ نحاتك بمعنى وضعك أو توليدك بألسريانية.

وإثباتا لهذا المعنى يشرح لوكسنبرغ بأنّه علينا أن نفهم حرف (من) ليس بمعنى ظرف المكان العربي (من تحتها) بل بمفهوم ظرف الزمان السرياني (من نحاتها) أي حال وضعها.

ويثبت هذا المعنى السرياني لحرف(من) قولك في الدارجة: (من وصلتي قلتله) أي حال وصولي قلت له.

وتوضيحا لشرحه تعبير النحات بمعنى الوضع أو التوليد ، يلاحظ لوكسنبرغ بأنّ هذا المفهوم لم يرد في المراجع السريانية ، وإنّما ورد مرادف له وهو (نفل) أي هبط وسقط في مرجع آرامي آخر بمعنى الوضع أو التوليد غير الطبيعي أو ألفائق الطبيعة بخلاف الولادة الطبيعية.

ولمّا لم يرد في القرآن سوى ولد ووضع للتعبير عن التوليد أو الولادة الطبيعية ، ينبّه لوكسنبرغ إلى أهمية تعبير النحات الذي لم يرد في القرآن إلّا في هذه ألآية تعبيرا عن ولادة عيسى (عليه السلام) غير الطبيعية أو الفائقة الطبيعة مميزا إياه عن ولادة أي مخلوق آخر ، وألمعنى الحقيقي للنحات هو التنزيل ، وربما كان المراد به تنزيلا من ألعلا.

ويرى لوكسنبرغ في هذا المقطع من سورة مريم وبألاخص في هذا التعبير أصطلاحا لاهوتيا ذا أهمية قصوى بألنسبة إلى تاريخ الاديان.

إستنادا إلى ما سبق يكون مفهوم المقطع المذكور :

(فناداها حال وضعها ألّا تحزني قد جعل ربك وضعك سريا !).

لإيضاح معنى (سريا) المختلف عليه ، يباشر لوكسنبرغ بنقض ما حاول المفسرون شرقا وغربا فهمه بمعنى (جدول الماء) ، مشيرا إلى أنّ استناد الغربيين إلى المقطع المذكور من إنجيل منحول منسوب إلى متى لا يأخذ بعين الإعتبار النص القرآني.

فإنّ أمر الطفل عيسى (عليه السلام) النخلة بتفجير الماء لإرواء ظمأ أمه ، بحسب هذا الإنجيل ، فالسبب يعود إلى انقطاع الماء في الصحراء المجاورة.

أمّا في النص القرآني فالوضع يختلف تماما. فهتاف مريم (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (ألآية 23) لم يأت عن خوف منها من الموت عطشا ، بل بألأحرى عن يأسها لإتهامها بصورة غير مباشرة بألحمل الحرام كما يتضح ذلك من ألآية 28 : (ياأخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ، ولنبذها لهذا السبب من بيت أهلها وفقا للآية 16: (وأذكر في ألكتاب مريم إذ أنتبذت من أهلها مكانا شرقيا).

ويشرح لوكسنبرغ فعل أنتبذت بمعنى طردت من (قبل) أهلها بصيغة المجهول وفقا للنحو السرياني الذي يجيز إستعمال المجهول مع ذكر الفاعل بخلاف النحو العربي الذي وضعت قواعده فيما بعد على يد أعاجم لم يلمّوا بأصول لغة القرآن.

ويشير لوكسنبرغ إلى مقاطع أخرى في القرآن ورد فيها الفعل المجهول مع ذكر الفاعل بواسطة حرف (من) ، منبّها إلى أنّ ألقرآن لا يخضع لقواعد العربية اللاحقة وأنّه على الباحث أن يأخذ بعين الإعتبار قواعد السريانية التي تفتح لنا أبعادا جديدة لفهم لغة القرآن ومعانيه.

ثم يردف لوكسنبرغ في شرحه لما أتهمت به مريم بأنّه لا يعقل أن يكون أول كلام وجهه إليها أبنها حال ولادته للتخفيف عن يأسها عبارة عن (جدول ماء) جعله ربها (تحتها). إنما المنتظر أن يكون في كلامه لها عزاء يناقض إتهامها بألحرام لإزالة هذا العار عنها.

ولما كان نقيض أبن ألحرام (وفقا للكلام الذي مازال دارجا) أبن الحلال ، يثبت لوكسنبرغ بالمراجع السريانية بأنّ الرسم القرآني (سريا) يلفظ سريانيا (شريا) من فعل شرا (أي حلّ) وتعني ألحلال. وعليه وجب قراءة ألآية كما يلي :

((فناداها من نحاتها ألا تحزني قد جعل ربك نحاتك شريا)).

كما وجب فهمها وفقا للعربية ألمعاصرة كالتالي :

(((فناداها حال وضعها ألا تحزني قد جعل ربك وضعك حلالا))).

ألخلاصة :

لم يُعرض في ألمقالات ألسابقة إلّا نماذج يسيرة عما غمض في القرآن توضيحا للمنهج الذي أتبعه الباحث في دراسته التي تزيد عن 300 صفحة ، ويقول المؤلف في المقدمة بأنّ هذه الدراسة لا تشكل سوى جزءا من ابحاث واسعة حول لغة القرآن يأمل نشر نتائجها فيما بعد.

وبذكره الأبحاث اللغوية التي نشأت في الغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر يشير لوكسنبرغ إلى أنّ هذه الأبحاث أقتصرت على شرح إشتقاق عدد محدود من الألفاظ الغير العربية في القرآن دون تغيير معانيها ، بينما تبيّنت من هذه الدراسة مفاهيم جديدة بعيدة كل البعد عما سبق تفسيره لألفاظ ومقاطع غير يسيرة في نص القرآن.

ومن جملة هذه المفاهيم التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من العقائد الإسلامية بخصوص الجنة تفسير لوكسنبرغ الجديد لما أجمع التقليد ألإسلامي على تسميته ب " حوريات ألجنة ". وفي تحليل لغوي معمّق للآيات المنسوبة لها ، يشرح لوكسنبرغ على 40 صفحة (221 - 260) بأنّ أهل التفسير شرقا وغربا قد أخطأوا في فهمهم التعابير القرآنية إعتمادا على عربية ما بعد سيبويه.

ويبيّن لوكسنبرغ لغويا وموضوعيا بأنّ هذه التعابير ترجع إلى نصوص سريانية معروفة بأل " ميامر " ألفها أفرام السرياني (306 - 373 م) في القرن الرابع الميلادي عن ألجنة.

وخلاصة الشرح أنّ لفظة (حور) صفة سريانية (للعنب ألأبيض) وأنّ (عين) صفة إسمية تعبّر عن صفاء وبريق الحجارة الكريمة التي ينعت بها القرآن نصاعة العنب ألأبيض إذ يشبهه (بأللؤلؤ المكنون).

ولما نعت القرآن (الولدان المخلدون) بنفس التعبير ، تبيّن كذلك بأنّ المراد (بالولدان) وفقا للمرادف السرياني (يلدا) : (ألثمار) ، فتوجّب قراءة (مجلدون) بدلا من (مخلدون) ، أي أنّ ثمار الجنة تؤكل باردة (مجلّدة) بخلاف أهل الجحيم (ألآكلون من شجر من زقوم ... فشربون عليه من ألحميم) (سورة الواقعة ، ألآيات 52 ، 54).

وهناك تحليل لغوي جديد لسورة (ألكوثر) التي تشير من خلال مفهوم تعابيرها السريانية المعربة إلى رسالة بطرس ألأولى ، الإصحاح الخامس ، ألآية 8 - 9 (ص 269 - 276) (والواردة في مدخل صلاة المساء الأخيرة " Complies " في الطقس اللاتيني) ، وتحليل جديد آخر لسورة (العلق) (ص 277 - 298) التي يتجلى من آخر تعبير سرياني معرّب ورد فيها (أسجد وأقترب) صلتها الوثيقة برتبة القداس المسيحي ، إذ يدل تعبير (أقترب) سريانيا على ألإشتراك في الذبيحة ألإلهية وتناول (القربان) ، كما يثبت ذلك ما ذكره صاحب (كتاب ألأغاني) عن الشاعر المسيحي عدي بن زيد (المتوفي قرب 500 م) وهند بنت النعمان (المتوفية بعد 602 م) إذ دخلا كنيسة الحيرا يوم خميس ألأسرار " ليتقربا ".

ويستنتج لوكسنبرغ من تحليله اللغوي بأنّ السورتين المذكورتين تشكلان جزءا اساسيا من مجموعة نصوص منتسبة لل " قريان " المسيحي الأصل وألسابق عهدا لما أسمي فيما بعد ب " القرآن " عربيا.

ألخاتمة:

نستنتج من ملخص كتاب لوكسنبرغ أنّ ألقرآن وخاصة ألآيات المكية يحتوي على كلمات سريانية تمّ تفسيرها بغير معناها ألذي كتبت في ألمصحف المتداول حاليا وألمسمى بمصحف عثمان، وكذلك فإنّ إضافة ألتنقيط على ألنصوص ألتى لم تكن منقطة في عهد ألرسول تسبب في إشكالات عديدة في فهم معاني الكلمات.

ألقرآن برأيي مؤلف من إقتباسات من ألأديان العبرانية ألسابقة عليها (ألييهودية وألمسيحية) وخاصة من ألكتابات ألمنحولة وألغير القانونية ، كما أنّ ألنبي محمّد أضاف على ألقرآن ألآيات الغير ألمقتبسة من ألمصادر السابقة ويتجلى ذلك في معظم ألآيات ألمدنية.

بعد وفاة النبي محمّد تم كتابة وجمع ألقرآن في مصحف أعتمادا على ألنسخة ألمحتفظة عند حفصة زوجة ألرسول وتم حرق أو إتلاف بقية النسخ كألنسخ الموجودة عند أبن مسعود حسب ألتراث ألإسلامي.

نصوص ألأديان قاطبة (بضمنها أليهودية والمسيحية وألإسلام) تتعرض لتغييرات وإضافات وتراكمات بمرور ألزمن لأسباب سياسية وإجتماعية ، فهذه ألنصوص معرضة للتطور وألتغيير ، فألتطور هي سنة الحياة.

في عصر ألدولة ألعباسية أنقسم المسلمون إلى فريقين حول مسألة: هل ألقرآن مخلوق أم غير مخلوق ، ألمعتزلة تبنوا كون ألقرآن مخلوقا ورفضوا كون ألقرآن مكتوبا في ألوح ألمحفوظ وأولوا ألآيات ألتي وردت حول ذلك ، وأيدهم في رأيهم الخليفة ألعباسي ألمأمون ، أما الاشعرية فتبنوا كون ألقرآن غير مخلوق ونصه مكتوب في ألوح ألمحفوظ ، وأيدهم في ذلك ألخليفة ألعباسي ألمتوكل.

نتيجة لهذه الخلافات سُجن وقُتل ألعديد من ألمسلمين من كلا الطرفين ألمتنازعين.

ختاما نقول : جميع ألأديان مؤلفات بشرية نشأت مناسبة زمانيا ومكانيا للمجتمعات ألتي ظهرت فيها ولا يمكن تطبيقها في عصرنا ألحالي وألعصور أللاحقة ، ويتوجب نزع ألقداسة عن نصوصها وبذلك نقلل ألخلافات وألنزاعات بين ألبشر.

36

بدايات ألإسلام

" البحوث حول بدايات ألإسلام ذو أهمية قصوى لنزع ألغشاوة ألتي تحيط بهذه البدايات ألمعتمة فالبحوث العلمية هي أولا وأخيرا ألوسيلة ألناجعة لكشف ألسر المقدّس ".

لا وجود لنبي إسمه محمد:

" إنارة ما يحيط ببدايات الإسلام من غموض"، ذلك هو ما ينادي به كارل هاينز أوليش في المقدمة التي دبّج بها كتابا جديدا صادرا تحت إشرافه يقول المشاركون في تحريره أنهم اعتمدوا في بحوثهم على "مصادر معاصرة" مثل نقوش قبة الصخرة ومسكوكات العملة أو مدونات كتاب مسيحيين.

الإسلام المبكر" هو الكتاب الثالث الآن من ضمن سلسلة متلاحقة الصدور في ظرف زمني وجيز، تسعى إلى نقض الأفكار المتداولة حول نشأة الإسلام، وذلك بعد كتاب "القراءة السريانية الآرامية" للوكسنبرغ ثم المؤلف المشترك الذي يحمل عنوان "البدايات المعتمة"، وقد أشرف على إصدارهما أيضا كارل هاينس أوليش.

الكتّاب الذين أسهموا في صياغة هذا المؤلف الأخير يدافعون عن الرأي القائل بأن الإسلام قد جاء في بداياته كظاهرة هرطقة مسيحية تطورت في صفوف مسيحيين من شرق إيران ينتمون في الأصل إلى مبعدين من بلاد ما بين النهرين (من هاترا على وجه الخصوص).

وربما يكون هؤلاء قد استولوا على الحكم بعد انهيار مملكة الساسانيين في سنة 622 م، وبذلك استطاعوا أن ينقلوا تعاليم مسيحيتهم إلى دمشق والقدس (أورشليم)، حيث تم في أواخر القرن السابع (على عهد حكم عبد الملك) نقل هذه التعاليم المستجلبة من إيران من السريانية إلى خليط لغوي متكون من السريانية والآرامية والعربية.

الخلفاء الراشدون محض خيال:

هذا "القرآن" البدئي قد تم تطويره حسب هذه الرواية خلال القرن الثامن، وقد يكون خلال القرن التاسع أيضا، ولم يكن محمد في رأي أصحاب هذه الرواية إسم علَم في الأصل، بل "نعت صفة ليسوع المسيح". ولم يحدث تطور هذه التعاليم لتتحول إلى ديانة قائمة بذاتها إلا خلال القرنين الثامن والتاسع، ومعها تم تحويل نعت الصفة إلى إسم للنبي العربي.

واستنادا إلى هذه الرؤية يكون تاريخ الإسلام المبكر كما يعرف من خلال الكتابات التاريخية للقرن التاسع الميلادي مجرد إعادة تأويل للأحداث، والعديد من الخلفاء الأوائل محض ابتكار من الخيال لا يجد ما يثبت واقعيته في المخطوطات القديمة.

"إعادة الكتابة التاريخية النقدية" هذه تثير في العديد من الجوانب الانطباع بأنها استعادة لعمل التأريخ الجديد للحدث القرآني الذي ينزّله جون فانسبورو في أوائل القرن التاسع الميلادي، كما تذكّرنا بأطروحات باتريسيا كرون وميشائيل كوك، التي تفيد بأن الإسلام لم يظهر في الجزيرة العربية بل في فلسطين.

غير أن المتفق عليه في مجال العلوم الإسلامية يثبت عكس ذلك:

هنا يعتبر ما جاء في مدونات التاريخ الإسلامي مطابقا للوقائع التاريخية، ويؤكد على تاريخية وجود الشخصية المحمدية كشخص ولد سنة 570 م في الجزيرة العربية، وهناك أعلن نبؤته على إثر وحي أوحي إليه به في سنة 610، ثم اضطر على إثر الرفض الذي قوبل به من طرف أهل قبيلته قريش والملاحقات التي تعرض إليها، إلى الهجرة إلى المدينة حيث أسس النواة الأولى للدولة الإسلامية.

أما عن كونه قد تمكن من هناك وفي ظرف لا يتجاوز العشر سنوات من غزو، لا مكة فقط، بل مجمل مناطق شبه الجزيرة العربية، فذلك ما لا جدال فيه في نظر العلوم الإسلامية، مثله مثل وجود الخلفاء الأوائل (الراشدين) الذين تم في ظل حكمهم فتح بلاد الهلال الخصيب وشمال إفريقيا وإيران، وكذلك التدوين النهائي للقرآن في نسخة تحتوي على ما جمعه الخليفة الثالث عثمان من نصوص الوحي التي أنزلت على محمد.

مغالطات تحريفية:

وإليكم الآن جردا لبعض هذه الأطروحات التحريفية الأساسية.

يسوق كل من فولكر بوب في المداخلة الأولى تحت عنوان "من أوغاريت إلى سامراء" وأوليش في المداخلة الثانية بعنوان "معاينات في نشأة ديانة جديدة" الأطروحة القائلة بأن "بلاد العرب" تقع في الأصل في بلاد ما بين النهرين، وأن مصطلحي "العرب" و"عربي" كانا يطلقان في أصلهما الأولي على الآراميين. وفي زمن متأخر فقط تبنت القبائل القادمة من شبه الجزيرة هذين المصطلحين وراحت تطلقهما بمفعول رجعي على ما يعرف اليوم بالعرب وببلاد العرب (الجزيرة العربية).

لكن هذه الأطروحات تتغافل عن عدد من الوقائع التاريخية المهمة، فلم تكن الأسماء العربية بحسب معايير زمننا الحاضر(ومن بينها أسماء عدد من الآلهة) تدل فقط على وجود شعب يتكلم لسانا عربيا في هاترا خلال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، بل على وجود قبائل عربية (بمفهومنا الحالي) من بين قبائل البدو الرحل في الصحراء السورية، قبائل كان الأشوريون يطلقون عليها أسماء عربيي، وعرابايا وما شابهها من الأسماء، وذلك منذ القرن التاسع قبل الميلاد.

هذا المصطلح التسموي كان يطلق أيضا على قبائل رحل من تلك التي كانت تقيم وتتنقل فوق الأراضي الإيرانية، مع أنها لم تكن تنتمي إلى العرق السامي، مما يجعل المرء يستنتج بأن هذا المصطلح يطلق على كل الرحل دون أية إحالة على أصولهم الأثنية واللغوية.

إلا أن الجذر السامي للعبارة (عرب) كان يطلق خاصة في جنوب الجزيرة ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد على قبائل قادمة من شبه الجزيرة، بما يفيد بأن مصطلح "العرب" لم يطلق ابتداء من القرن السابع أو الثامن ميلادي فقط، على ما يعرف بالعرب لدينا اليوم.

القراءة المقلوبة:

على نفس الأديم من الأسس الواهية يقف واحد من البراهين الأساسية في أطروحة بوب المتقوّلة بوجود حركة مسيحية ألفانية في مرو، يضع الكاتب على أساسها أسطورة الشخصية البهلوية التي يذكرها على طريقته الخاصة بـ "APD'LMLIK-i-MARWânân"وذلك انطلاقا من نقش على مسكوكات نقدية ظل يُقرأ إلى حد الآن بإسم عبد الملك بن مروان، الذي يطابق إسم الخليفة الأموي المعروف، والذي يقرؤه بوب على نحو مغاير بـ"عبد الملك من أهل مرو"، وبالتالي يكون هذا دليلا بالنسبة إليه على أن مرو من أحد المراكز التي كانت مستقرا لواحدة من فرق المعتقد المسيحي القديم المبعدة من بلاد ما بين النهرين.

تعتبر قراءة "i- MARWânân" على أنها "من أهل مرو" لاغية وغير ممكنة ذلك أن اللاحقة اللغوية "أن (ân)"في اللغة الفارسية للعصر الوسيط لا تستعمل للتدليل على النَّسَب. وبالتالي فإن القراءة التي تثبت إسم "إبن مروان" ليست ممكنة فحسب، بل هي المسلك الوحيد الذي يقود إلى إثبات النسبة البهلوية.

وإضافة إلى ذلك فإنه سيكون على المرء أن يتساءل عن الدافع الذي يمكن أن يجعل امرئا يلجأ إلى إسم موطنه لإثبات نسبته، وكيف كان من الممكن لظاهرة "هرطقة" مسيحية أن تتواجد هناك دون أن تجلب الانتباه إليها؟ ألم تكن مرو، ومنذ القرن الرابع الميلادي، مقرّا لأسقف الكنيسة الحواريّة المشرقية، الذي ظل يُجمَع خطأ على اعتباره نسطوريا!

معنى أمير المؤمنين:

كما أنه لا يسع المرء إلا أن يتساءل عما جعل بوب ينتهي إلى القناعة بأن لقب "أمير المؤمنين" لا يعني حاكم المؤمنين وقائدهم، بل "وكيلا موكّلى على كل المسؤولين عن الأمن" يرى فيه نوعا من الوالي.

إن المعادل في اللغة الفارسية الوسيطة للعبارة المنقوشة على المسكوكة العربية الساسانية كما يرد لدى كارل بوب هي : "AMÎR-i-Wurroyishnikân"، والحال أن عبارة "Wurroyishnikân " لا يمكن أن تعني سوى "مؤمن"، وهي مشتقة من "Wurroyishn" التي تعني "الإيمان"، وهو مصطلح يرد كثيرا في نصوص الديانة الزرادشتية، ويعتقد بوب أنه يعثر بكثرة على التصور الذي يقابله في القرآن وفي الديانة الإسلامية عامة، و يثبت ذلك بصفة خاصة في الفصل السابع من الكتاب تحت عنوان "تأثيرات الخلفية الدينية الفارسية في التصورات القرآنية".

في المداخلة الرابعة التي تحمل عنوان "آثار الحروف السريانية الآرامية في المخطوطات القرآنية الأولية بالحرفين الكوفي والحجازي"، يحاول كريستوف لوكسنبرغ أن يثبت أن جملة من نسخ المخطوطات القرآنية الأولى ذات علاقة وثيقة بنماذج أصلية من الكتابة السريانية. أما الأدلة التي يقدمها للبرهنة على هذه الفرضية فتظل تفتقر إلى القدرة على الإقناع.

وهكذا فإن قراءته لكلمة "شيء" مثلا، على أنها "شأن" بحكم عملية قلب لفظي يجريه على حرف "الياء" بحيث يتمثل له أنها ليست شيئا آخر غير "نون" سريانية، لا يمكن إلا أن تدعو إلى الشك في مدى ما يمكن أن تنطوي عليه حقا من مصداقية. ذلك أن أخذ عبارة "شأن" على أنها "شيء" أو "شيء ما" يظل أمرا لا يسوّغه الفهم السليم، شأنه شأن جملة "لله القدرة في كل شأن" التي تؤدي معنى أقل شمولا بكثير من مقولة "ولله الأمر في كل شيء."

وليس من باب الصدفة المجانية أن نرى دائرة مدلولات عبارة "شيء" وقد اتسعت في العديد من اللهجات العربية المحلية لتتحول إلى صيغة للمجهول والتعميم و صيغة للاستفهام في عبارات: "شيء ما" و "أي شيء". كما أن بعض التخمينات العشوائية مثل اعتبار لام التوكيد (لَـ)، وكذلك لا النافية على ما يبدو، من المشتقات التي تعود إلى اللغة السريانية رغم ما تؤكده شتى فروع العلوم اللغوية من عكس ذلك، مثل هذه التخمينات تدعو إلى الشك بجدية في مقدرات لوكسنبرغ في مجال علوم اللغات الساميّة.

وفي أكثر من موقع يحصل للقارئ انطباع بأن ما يخلص إليه من ملاحظات لا تأتي في الحقيقة نتيجة قراءة جديدة، بل على العكس من ذلك، أن النص يُتأول على نحو يجعله ينقاد إلى الخلاصات المرغوبة. وأكثر ما يجلب الانتباه على نحو خاص في هذا كله هو العودة بهذه الطريقة إلى الاستناد على كتابات تقليدية آرامية، كما لو أن اللهجات الآرامية المختلفة متماثلة دون فوارق فيما بينها. وبالتالي فإن وجود قرآن بدئي باللغة السريانية يظل أمرا لا يمكن اعتباره قابلا للإثبات بهذه الطريقة.

وقائع لغوية:

شعور مشابه بأن الاستعمالات ذات النوايا المضمرة لوقائع لغوية بنفس الطريقة التي تجعلها تكون سندا يدعم رأيا جاهزا في ذهن الكاتب، هو ما يتكون لدى المرء عند قراءة المساهمة السابعة من هذا الكتاب ("سبل جديدة في البحوث القرآنية") لماركوس غروس.

يحاجج غروس بأن النصوص المتوارثة بطريقة التناقل الشفوي في اللغة العربية لا يمكن الرجوع بها إلى متن أصلي واحد، لكنه في ما يتعلق بالقرآن يؤكد على أن النصوص المتنوعة تعود في الحقيقة إلى تحريفات قرائية لأصل موحد لهيكل نصي (أو رسم بمعنى الأثر المتبقي من الشيء).

صحيح أن هناك عددا كبيرا من التنويعات النصية التي ترتكز بمختلف تصويتاتها وطرقها المتنوعة في نطق الحروف المصمتة، على أساس موحد، لكن هناك أيضا – وهذا ما يُسكت عنه في هذه الدراسة- تنويعات كثيرة تستدعي رسما مختلفا. وعلاوة على ذلك فإنه يصعب تحديد ما إذا لم يكن هناك عدد من القراءات المنحدرة عن رسم واحد، والتي لم تحقق ظهورها كوسائل ثانوية للتفسير إلا بعد تأسس نظام القواعد اللغوية.

تنوع الوسائل الأسلوبية في القرآن:

ويدعي غروس في موقع لاحق بأنه من المتعذر موضوعيا وجود متعة جمالية حقيقية في النصوص القرآنية، وفي المقابل يظل مدبرا عن الاستناد إلى عدد من الأعمال الجديدة في حقل العلوم الأدبية، والتي كشفت عن استراتيجيات تركيبية ثرية وكذلك عن الوظيفة السيمنطيقية لتنوع الوسائل الأسلوبية في القرآن (عمل نيل روبنسون "اكتشاف القرآن" على سبيل المثال).

أما عن فكرته القائلة بأن طريقة رسم الحروف القديمة في النصوص القرآنية تجعله بحكم الافتقار إلى الدقة ضربا من الكتابة السرية، فتبدو غريبة بالنظر إلى واقع الأمر الذي يتمثل في أن النصوص السابقة على ظهور الإسلام والمكتوبة بالحرف العربي، وبالرغم من طابعها الدنيوي المؤكد، تحمل نفس السمات من حيث افتقارها إلى الوضوح في ما يتعلق برسم الحروف.

المصطفى والمحمد:

كما أن الأطروحة المركزية التي تتكرر العديد من المرات في هذا الكتاب، و تفيد بأن محمدا ليس بإسم علم بل مُسنَدا (نعت صفة) داخل لغة المسيحولوجيا، تتضح بالنهاية كمقولة ليس لها ما يدعمها بجدية.

وهكذا يرى بوب في الإسم مجرد استعارة لغوية من الأوغاريتية بمعنى "المختار" و"المصطفى". وكبرهان على هذا المدلول الذي يمنحه للعبارة يستخدم ترجمة للجذر اللغوي الأوغاريتي (m.h.m.d م ح م د) بمعنى ,the best" "choicest(الأفضل، المنتقى) التي لا علاقة لها البتة بمفهوم "المصطفى"! بينما يرى أوهليش بديلا لذلك في كلمة من السريانية هي mahmed أي "المحمود" التي تمت قراءتها "محماد (mehmad) "في اللغة العربية حسب زعمه. لكن الواقع يثبت بأن هذا الجذر hmd لا دليل على وجوده البتة في اللغة السريانية؛ أي أن كلمة أوليش السريانية هذه لا وجود لها أصلا.

أما المعنى الذي ينطوي عليه هذا الجذر في اللغة الساميّة لمناطق الشمال الغربي: أي "يشتهي" فهو ما يذكره غروس، غير أنه يقدم هذا الجذر، وبطريقة مزورة، كعبارة موجودة في اللغة السريانية وذلك باعتماده اشتقاقا مزورا لإسم مفعول غير موجود. وهكذا فإن احتجاجه بوجود اشتقاق من السريانية لعبارة mahmad في اللغة العبرية، و ما معناه "موضوع للشهوة"، يظل بدوره دون أساس.

محمد قبل الإسلام:

في اللغات السامية الجنوبية فقط، أي في العربية وعربية المناطق الجنوبية، يكون للجذر اللفظي حمد معنى "الحمْد، والشكر". وفي هذه اللغات عرفت العبارة استعمالات اشتقاقية في عملية تركيب الأسماء. وإسم م. ح. م. د قد وجد في المدونات الصفائية والسبئية من عصور ما قبل الإسلام. وكإسم علم لا غبار عليه نعثر على إسم محمد مخطوطا على مسكوكات العملة العربية الساسانية من سنوات 686 و701 ميلادي، أي في فترة متزامنة مع نقوشات قبة الصخرة التي يزعم لوكسنبرغ، في قراءته الجديدة في كتاب آخر، بأنه وجد فيها الدليل على المُسند المسيحولوجي.

وعلى أية حال فإنه يتعذر العثور على موقع، سواء هنا أو في أي مكان آخر، ترد فيه أي مطابقة لعيسى المسيح (بنعت أو صفة) مع محمد، أو يرد فيه ذكر إسمه مع كلمة محمد في نفس الجملة. وبالتالي فإن قراءة لوكسنبرغ لا تقيم أي دليل على هذا الزعم. ومن ناحية أخرى نجد أن نص الشهادتين يرد مخطوطا بلغتين على برديّ يوناني. وفي هذه المخطوطة يظهر إسم mamet الذي يعرّف ك (apostolos theo حواريّ الله)، أي ما معناه رسول الله. وبالتالي فإنه من الصعب أن نرى في هذا شيئا آخر غير إسم علَم.

هكذا يكون هذا الكتاب الذي نحن بصدده قد أخفق في تحقيق المطمح الذي وضعه لنفسه في إنارة البدايات المعتمة للإسلام. وإن النقد الصائب الذي ظل يوجه إلى القراءات المحرفة، وعلى وجه الخصوص القراءات المحرفة للمصادر التي قام بها كتاب مسيحيون معاصرون إلى حد الآن وفقا لرؤية القراءة الإسلامية التقليدية ستبدو مثل المزحة مقارنة

بمقاربات هؤلاء الكتاب التي لا تقل انحيازا في طريقة استخدامها للمصادر وقراءتها المحرفة وفقا لما تقتضيه نظرياتهم الخاصة. وستظل فرضية عيسى المحمد بمعنى "المصطفى" أو "المحمود"، مؤقتا موضوعا ضالا تماما للشهوة التحريفية.

نصان يهوديان حول بدايات ألإسلام:

مقدّمة:

لاشك أنّ التعامل مع التقاليد ألإسلامية التي تتناول بدايات ألإسلام يتطلب الكثير من من الدقة والإرتياب، وهذا الأمر لا ينطبق على الإسلام على نحو محدد، بل يمكن تمديده ليطال كل الأديان والعقائد وربما التيارات الفكرية، عالمية كانت أم محلية.

تاريخية التقاليد الإسلامية تثير في وجه الباحث التاريخي ما لا طاقة له على تحمله من المشاكل، مهما كانت قدراته وعلومه ومواهبه، مع ذلك فإنّ مقارنة عقائدية تاريخية سريعة يمكن أن تظهر أنّ المشاكل عند الطرف الإسلامي اقل منها عند الطرف اليهودي والمسيحي - على سبيل المثال - أقلها أنّ الجدل البحثي مستقر على الحقيقة التاريخية لوجود محمّد، نبي الإسلام في القرنين السادس والسابع في غرب شبه جزيرة العرب (ماعدا بعض البحوث للمستشرقين الذين تطرقنا إلى بعض ألأمثلة من بحوثهم في الحلقة ألأولى والثانية من هذه السلسلة من المقالات)، في حين أنّ التفاصيل التاريخية لوجود موسى محط شكّ - وربما محل رفض كبير في الحقبة الأخيرة، وكذلك ايضا يسوع: وإن بحدّة أقل من موسى.

ما يتعلق ببدايات الإسلام، فسوف نجد الخبر ونقيضه، روايات متباينة - وربما متعارضة - للحدث الواحد إختلافات صارخة حول قيمة هذه الشخصية أو تلك، إختلاقا لشخوص وحوادث لم يكن له وجود قط، تدعم التوجه العقائدي للتيار المُختلق، وإخفاء لأمور مفصلية لا تتناسب مع ميول الكاتب وأهوائه.

إنّ تضافر روايات الحدث داخليا وخارجيا يدعم الحقيقة التاريخية لهذا الحدث. فعلى سبيل المثال، إنّ إشارة المصادر الخارجية - غير " العربية والإسلامية " - إلى حدث ظهور نبي في غرب شبه جزيرة العرب إسمه محمّد (وإن اختلفت التسميات) يدعم الحقيقة التاريخية لهذا الحدث التي تشير إليه المصادر الداخلية - أي " العربية والإسلامية ". وهذا ينطبق ايضا على الكثير من الأحداث المفصلية في التاريخ العربي - الإسلامي.

لقد كتب كثيرون، من غير المسلمين، حول بدايات الإسلام، في تلك البدايات بالذات : كتب ألارمن، الآشوريون، السريان، الموارنة واليهود. وللأسف الشديد، لم نر قط عند الباحثين التاريخيين المعاصرين العرب أدنى إشارة إلى تلك النصوص القديمة التي تناولها الكثير من الباحثين التاريخيين في الغرب بالفحص والتمحيص وألأرجح أنّهم لا يعرفونها، أو لم يسمعوا بها عدا بعض الإستثناءات.

في هذه المقالة نتناول بعض أجزاء من نصان يهوديان حول بدايات الإسلام، نعتقد أنّ لهما أهمية إستثنائية. ألنصان هما:

" صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي " وقصيدة " في ذلك اليوم " وهما منشوران، على الترتيب، في : (- جامعة لندن، المجلد 13، الجزء الثاني، 1950، ص ص 308 - 338، نشر مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، وفي عدد مهدى لذكرى أرمان أبيل، تحرير بيير سالمون، لايدن 1974 ، ص ص 197 - 200. وألنصان ترجمهما وعلق عليهما الباحث برنارد لويس.

ملاحظة:

حاخام شمعون بار يوحاي هو تانا من منتصف القرن الثاني، يدعى في الأدب التلمودي ح. شمعون دون أي شيء آخر. يُذكر في مواضع مختلفة. في المدراش الهالاخي، استخدم الطريقة الخاصة بعقيبا، وبإستخدامه لهذه الطريقة حرّر مجموعة مدراشيم هالاخية على الخروج والتي تعزا إليه وتحمل عنوان مخلتو د. ح. شمعون بار يوحاي، ما تزال بقايا منها موجودة حتى الآن. إليه تعزو التقاليد زوهار، وهو بالتالي شخصية مركزية في الأدب القبالي.

رؤيا ابوكالبتية للتاريخ ألإسلامي:

بقلم: برنارد لويس

خلال قرون الحكم ألإسلامي ألأربعة ألأولى، سرت بقوة الآمال المسيانية بين شعوب الخلافة، فالمسيحيون واليهود والزرداشتيون الخاضعون لحكم ديانة جديدة وغريبة عليهم تعلّقوا بتقاليدهم المتعلقة بمسيا أو ساوشيانت وزينوها: مسيّا من نسب مختار إلهيا، والذي يأتي أو يعود في زمن أله إلى ألعالم، ينهي عذابات المؤمنين وسيطرد ظالميهم، ويؤسس ملكوت أله في ألارض.

ولم يمض وقت طويل حتى تأثر بذلك ألإسلام ذاته، بداية في هرطقات ألذين أعتنقوا الدين حديثا، والذين لم يكونوا راضين بالمكانة المعطاة لهم في ما كان قد ظلّ مملكة عربية، الذين طعّموا الدين الجديد بإعتقاداتهم القديمة، ومن ثم في أرثودوكسية كلّ ألإسلام، حيث برز الإعتقاد بألمهدي وألذي هو بكلمات التقليد " يملأ الارض عدلا ومساواة بعدما ملئت ظلما وجورا ".

مع زوال الأمبراطوريات وإزدهار الآمال المتعلقة وخيبة املها، نما التقليد المتعلق بالقادم وتطور وراح ظالم بعد الآخر يضيف شيئا من ذاته إلى صور المسيح الدجّال، في حين كان العديد من المسحاء الكاذبين، بسبب فشلهم، يضيفون تفاصيل جديدة وعلامات جديدة إلى المسيّا الذي لم يأتي بعد.

كان لكلّ مجموعة تقاليدها الخاصة، مع ذلك فهم لم يكونوا منفصلين بأية حال، فالعديد من الأفكار والإعتقادات عبرت، عبر الذين كانوا يبدّلون ديانتهم وعبر قنوات اخرى من ديانة إلى أخرى.

كان اليهود حتما هم اقل صبرا في إنتظارهم للخلاص، فكلّما بدأ تقوض الأمبراطوريات تحت وطأة الثورات الداخلية والغزوات الخارجية وكأنّه ينذر بالنهاية التي انتُظرت طويلا، كانت عيون اليهود القلقة تتطلع إلى زمن الإضطرابات الذي كانوا يعيشون فيه كعلامة على قدوم المسيّا، وتحاول أن تجد في الأحداث التي تدور حولهم النبوءات والتقاليد الغامضة التي وصلت إليهم حول حروب المسيّا الأخيرة.

في تلك ألازمنة كُتبت الاسفار الأبوكاليبتية، كان لمؤلفيها أهداف عديدة - مواساة المضطهدين بآمال النصر القريب، وتبرير طرق الله للبشر بإظهار معاناتهم بأنّها لم تكن إعتباطية بل جزء من مخطط مرسوم إلهيا لأشياء تتأوج في تأسيس إرادة أله في الارض، وغالبا ما تكون، إضافة إلى ما سبق، دعم مزاعم مدّع فعلي للوظيفة المسيانية.

عادة ما تكون طريقتهم ذاتها:

كانوا يأخذون أو يتبنون كتابات أبوكاليبتية أكثر قدما ذات أصل متشابه، يضيفون إليها رواية لاحداث زمنهم، ليس كقصة تاريخية صرفة، بل على ألارجح كإعادة تحرير لنبوءاتهم وتقاليدهم القديمة المدققة والموسعة بحيث تناسب هذه الأحداث، ومن ثم يقدّمون بطريقة محببة الأسطورة المتنامية للكفاح والنصر ألأخيرين.

كان كلّ شيء يُسكب في قالب نبوءات ويُعزا إلى إحدى الشخصيات العظيمة من الماضي: إلى دانيال أو إيليا، إلى أخنوخ، إدريس أو موسى، إلى زربابل أو ألحاخام شمعون بن يوحاي.

إلى الشخص المذكور أخيرا، وهو واحد من أعظم الحاخامين في القرن الميلادي الثاني، تُعزا واحدة من أهم الابوكاليبتات اليهودية.

نشرت صلاة ألحاخام " شمعون بن يوحاي " للمرة الاولى على يد أدولف يلنك عام 1855 من مخطوطة نادرة كان يمتلكها ماركو مورتارا كبير الحاخاميين في مانتوا وبدا وكأنّها تعتمد جزئيا على عمل أقدم من نمط مشابه يحمل عنوان " أسرار ألحاخام شمعون بن يوحاي " كان " ألأسرار " قد نُشر للمرة الاولى ضمن مختارات سالونيك عام 1743، ثمّ أعاد يلنك طباعته بعد ذلك.

لقد عزا يلنك العمل إلى ألحقبة الصليبية، لكن المؤرخ هاينريش غريتس عن طريق فحص دقيق، كان قادرا على أن يُظهر أنّ الاحداث والحكاّم المُشار إليهم في النص إنّما يرجعون إلى الخلافة الراشدية وخلافة بني أميّة، وأنّ العمل، بإستثناء مقطع مضاف من تاريخ أكثر تأخرا، كتب أثناء الصراع الذي أنهى الخلافة ألاموية، ورغم إعتراضات شتاينشنايدر الذي ما يزال يفضّل الهوية الصليبية، قُبل هذا الرأي عموما أي إلى الخلافة الراشدية وخلافة بني أميّة.

العبارات التي وردت في صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي المتعلقة ببدايات ألإسلام:

- " وللحال أجاب ميتاترون (إسم رئيس الملائكة في ألأدب الحاخامي) أمير التأييد وقال: لاتخف يابن الإنسان لأنّ القدوس المبارك لا يأتي بمملكة اسمعيل (المسلمين) إلا كي يخلصكم من هذا الشر. إنّه يقيم عليهم نبيا بحسب (إرادة أللّه) وسوف يغزو الأرض لأجلهم وسوف يأتون ويستردونها بعظمة وسيكون هنالك رعب عظيم بينهم وبين أبناء عيسو(ألمسيحيون) ".

يقول برنارد لويس في تفسيره للفقرة أعلاه ما يلي:

" في نص سالونيك للأسرار، يظهر محمّد كنبي والذي يقيمه أللّه (عليهم بحسب إرادته). أما في الملوك ألعشرة فلا توجد إشارة لا لله ولا للنبي، وصورة محمّد ذاته تصبح مشوشة مع صور الخلفاء ألأوائل.

في الصلاة، يزداد إنزياح الوهم، وهكذا فقد أصبح (رجلا مجنونا تمتلكه روح).

- " ألملك الثاني الذي يقوم من اسمعيل سوف يكون حبيب إسرائيل، إنّه يرمم صدوعها وصدوع الهيكل إنّه يحفر جبل موريا ويجعله مستقيما بالكامل، ويبني مسجدا هناك على صخرة الهيكل ".

يقول برنارد لويس في تفسيره للفقرة أعلاه ما يلي:

يظل هنالك بعض الشك حول بداية المقطع حيث يبدو أنّ ثمة خلطا بين الخلفاء الراشدين وألأمويين. وحين نتذكر أنّ الكاتب كان على ألأرجح يهوديا فلسطينيا، والذي كان معاوية بالنسبة له الممثل المباشر منذ زمن طويل للحكم العربي، أولا كحاكم ومن ثم كخليفة، لا يعود ألأمر مفاجئا، وتقلبات الخلافة في شبه ألجزيرة والعراق لا يمكن ان تترك أي إنطباع عميق على شخص كهذا.

(فالملك الثاني) الذي يموت بسلام وشرف بعد عدة إنتصارات لا يمكن أن يكون سوى معاوية الذي تُعزى له خطأ بعض أفعال عمر في سورية خلال حكم معاوية، أما الملك الذي مات في هزرمفيت والذي أغتاله رجال بني قيدار الأقوياء فهو صدى بعيد لحكم علي بن أبي طالب وموته في العراق".

تفسير إضافي بقلم نبيل فياض:

لا داع لرمي أية صيغ تساؤلية حول المكانة البحثية لشخصية من مستوى برنارد لويس، فالرجل يحتل مكانة بارزة وسمعة عالمية في دنيا الإستشراق، لكن في اعتقادنا، لا يوجد بحث تاريخي متكامل - وكلّما ازداد التاريخ بعدا عن الحاضر، ازدادت أرجحية عدم تكاملية البحث.

بالمقابل فكلّما ازدادت الوثائق بين أيدي الباحث اقترب بحثه من الكمال، ونحن نعتقد أنّ ما بين أيدينا من الوثائق حول بدايات الإسلام، ربما يكون أكثر مما كان بين يدي برنارد لويس، لذلك فنحن لا نشاطره الرأي في بعض ما توصل إليه من نتائج، يدعمنا في ذلك آراء مشابهة مستقلة كتلك التي شكّلها بعض الباحثين المعاصرين من أمثال مايكل كوك، وتتركز إختلافاتنا في مسألتي الملك الأول وألملك الثاني المذكورين في صلاة الحاخام بار يوحاي.

ألملك ألأول: ألبشير وألنذير؟

إذا ما جمعنا شواهد من وثائق مختلفة فسوف نصل إلى نتيجة صريحة مفادها، في إعتقادنا، أنّ المقصود بالملك ألأول في " الصلاة " هو نبي الإسلام محمّد فهنالك نص هام للغاية يدعى عقيدة يعقوب وهو عبارة عن رسالة معادية لليهود سبّبها الإضطهاد الهرقلي، تأخذ شكل حوار بين اليهود عام 634 م وربما أنّها كتبت في فلسطين قبل ذلك الموعد أو بعده بقليل، وفي إحدى النقاط من ذلك النص يشار إلى حوادث كانت تجري آنذاك في فلسطين، على شكل رسالة من يهودي فلسطيني إسمه إبراهيم:

لقد ظهر نبي كاذب بين السرسنيين (ألمسلمين).

إنّهم يقولون إنّ ألنبي الذي ظهر مقبل مع ألسرسنيين، وهو يعلن عن قدوم الممسوح الذي يأتي وأخبرني أولئك الذين ألتقوه: " ليس ثمة حقيقة يمكن أن توجد عند النبي المزعوم سوى إراقة الدماء، إمّا ما يقوله حول إمتلاكه لمفاتيح ألجنة، فهو أمر غير قابل للتصديق ".

ثلاثة أمور جديرة بالإهتمام في ألنص السابق:

أولا: واقعة أنّ النبي كان على قيد الحياة حين غزا العرب المسلمون أرض فلسطين - واقعة تجد توثيقا آخر مستقلا في التقاليد التاريخية لليعاقبة والنساطرة والسامريين.

إنّ أقدم توثيق لذلك هو توثيق نص الذي يحفظ لنا في ترجمة لاتينية تاريخا سريانيا يرجع إلى زمن هشام بن عبدالملك، وربما يكون من اصل يعقوبي أو ملكاني وهذا المصدر يرى أنّ السرسنيين غزوا أقاليم سوريا وشبه جزيرة العرب وبلاد ما بين النهرين تحت قيادة (ماهمت).

من ألجانب اليعقوبي فإنّ اهم شهادة هي الرواية القديمة لأصول ألإسلام التي حفظها لنا ميخائيل السرياني، وإلى هذا يمكن أن نضيف مدوّنة سريانية مجهولة المؤلف تعود إلى القرن الثامن ويبدو هذا واضحا من الجانب النسطوري في شاهد متأخر من تاريخ سيئريد العربي (لكن تاريخا سريانيا مكتوبا على الأرجح في حوزستان في العقد السابع من القرن السابع يمرر على نحو إيحائي ذكر محمّد كحاكم للعرب في خضم رواية الفتوحات).

أمّا من الجانب السامري، فلدينا شهادة تحرير عربي للتقليد ترجع إلى القرون الوسطى.

ثانيا: واقعة أنّ النبي كان يبشّر بالممسوح أو المسيح الذي سيأتي، وفي هذا نلمح أحد اشكال المسيانية اليهودية.

ثالثا: حديث النص السابق حول إمتلاك النبي لمفاتيح الجنة يدعمه نصّ آخر متضمن في قسَم بيزنطي بالتنكر للإسلام يقول:

" إنّي ألعن عقيدة السرسنيين السرية ووعد موامد Moamed بأنّه سيكون حارس بوابة الجنة ".

كما سبق ورأينا، فإنّ سفر أسرار الحاخام شمعون بار يوحاي، يقدّم وثيقة تاريخية هامة أخرى حول إعتبار النبي بشير المسيّا، قد يبدو هذا غريبا بالطبع - أي أنّ يقبل اليهود بنبي عربي كبشير للمسيّا - لكن كانت ثمة سابقة يهودية معروفة حول قيام أحد العرب بمثل هذا الدور، إذاً فألأسرار يقدّم النبي العربي بإعتباره بشير المسيّا، ويدعم في ذلك وجهة نظر عقيدة يعقوب، الذي ياتي من خلفية عقائدية مختلفة.

هل كان الفاروق هو ألمسيّا؟

بادىء ذي بدء نذكر أننا نخالف برنارد لويس الرأي بشأن الملك الثاني المذكور في صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي والذي يحمل سمة مسيانية يهودية فعلية، والذي نعتقد أنّه كان الفاروق - عمر بن الخطاب - يشاركنا في هذا الرأي الباحثان مايكل كوك وباتريشيا كرونه إضافة إلى الموسوعة اليهودية.

وسنورد أولا النصوص المتعلقة بالمسألة في المصادر الداخلية ثمّ الخارجية، لنناقش أخيرا النصوص بالتفصيل - ونكتفي من المصادر الداخلية بالطبري، في ذكر فتح بيت المقدس يقول الطبري 607:3:

" لمّا دخل عمر الشام تلّقاه رجل من يهود دمشق، فقال السلام عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء (ألقدس) لا والله لا ترجع حتى يفتح أله إيلياء... وشهد ذلك اليهودي الصلح مع أهل القدس ".

وينسب الطبري إلى كعب الأحبار قوله لعمر:

" إنّ أله أرسل نبيا إلى القدس يقول لها أبشري أوري شلم! عليك الفاروق ينقيك مما فيك ".

من ناحية أخرى، يقول مرجع يهودي من القرن الحادي عشر، أنّه كان ثمة يهود مع الغزاة الأسماعيليين، وهم الذين أظهروا لهم الحرم وأقاموا معهم بعد ذلك.

ومن المراجع الحديثة، تذكر الموسوعة اليهودية، النسخة الإنكليزية، أنّ كعبا كان أحد أتباع عمر حين دخل الأخير القدس، وبناء على طلبه حدّد له كعب الموضع الذي كان الهيكل مبنيا عليه، وبحسب التقاليد فقد حاول المسيحيون إخفاءه عن الفاتحين... وعندما كشف هذا الموقع، حاول كعب حثّ عمر على بناء المسجد (مسجد عمر) شمال الصخرة، بحيث توجَّه القبلة إليها في الصلاة بدل مكّة، لكن عمر رفض هذا الإقتراح، معتبرا أنّه موحى بميول يهودية ، وتضيف ألموسوعة اليهودية في موقع آخر:

" صلّى الخليفة عمر بن الخطاب على جبل الهيكل بعد فتح القدس عام 638 م بصحبة اليهودي اليمني ألمرتد كعب الاحبار ".

وفي موضع ثالث تقول " يقال إنّ يهوديا أعتنق ألإسلام، هو كعب الأحبار، والذي كان أحد أفراد عمر وقت دخوله القدس، دلّ عمر على مكان الصخرة - ألأفن شتياه - على جبل الهيكل ".

وفي عام 700 م بنى عبدالملك بن مروان المسجد الأقصى في المكان حيث يُفترض أنّ عمر صلّى فيه.

إنّ التقليد اليهودي يعتبر عمر حاكما خيّراً، (والمدراش نستاروت - أسرار - دراف شمعون بار يوحاي) يشير إليه بصديق إسرائيل.

إنّ الموسوعة اليهودية تذكر أنّ عمر بن الخطاب أعاد الحضور اليهودي إلى القدس بعد خمسمئة سنة من الطرد.

لقد عرف سكان القدس المسيحيون المكانة المفرطة القداسة للصخرة عند اليهود، فجعلوها مكبّ نفاياتهم (كناسة)، ولمّا دخل عمر بن الخطاب القدس، جاء إليهم فأبرزوا بعضها وتركوا سائرها، لكن عمر أمر بتنظيف الصخرة وأستخدم المكان كموضع للصلاة، وبما أنّه لا يوجد في القرآن أدنى إشارة إلى ألصخرة أو إلى قداستها، فإعتقادنا أنّ كعب الأحبار- ربّما غيره أيضا - هو الذي أقنع عمر بن الخطاب بذلك وأدّى به إلى تلك التصرفات.

نلاحظ أيضا أنّ سالمون بن يهورام في تفسيره للمزمور 30:10 يقول: " إنّ عمر بن عبدالعزيز هو الذي أبعد اليهود عن الصلاة في جبل الهيكل " وهذا يعني إستخدامهم الديني لجبل الهيكل حقبة لا باس بها، وربّما يكون عمر بن الخطاب أوّل من سمح لهم بذلك.

لقد نظرت المصادر اليهودية ألاولى إلى اعمال البناء العربية على جبل الهيكل بإعتبارها ترميما لهيكل سليمان، وألأسرار يُشير، كما رأينا إلى ترميم صدوع إسرائيل وصدوع هيكلها. وهناك نبؤة تنسب إلى شنوتي حول مجيء بني إسرائيل وعيسو الذين ستبني بقية منهم الهيكل في ألقدس.

لكن ما هي حقيقة المسجد الذي بُني على جبل الهيكل؟ يخبرنا مدراش يهودي أنّ " معاوية بنى مسجدا خشبيا على جبل الهيكل " ونجد توثيقا مستقلا لهذا القول في نص مسيحي يُزعم فيه أنّ حاجاً إسمه أركولف رأى في موضع الهيكل عام 670 م مبنىً خشبيا، كذلك فألاسرار يقول أنّ الملك الثاني من اسمعيل " يبني مسجدا هناك على صخرة الأساس " مع ملاحظة أنّ هشتوحوايا العبرية تعني حرفيا " مسجدا " فكيف يُمكن حلُّ هذا اللغز؟

إنّ إعتقاد برنارد لويس أنّ المقصود بالملك الثاني من إسمعيل الواردة في (صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي) هو معاوية - أو خلط بين عمر ومعاوية - لا يخلو برأينا من بعض الإلتباس، فمعاوية من ناحية (وهو بالمناسبة شخصية وصولية لا علاقة لها بالعقائد أو المباديء) تقرّبَ من المسيحيين في محاولة لدعم حكمه المواجه بتحديات داخلية إسلامية كبيرة، فمن المعروف أنّ معاوية أُعلِن خليفة في القدس عام 660 م قبل مقتل الخليفة الشرعي عليّ بن أبي طالب عام 661 م، والقدس كانت آنذاك إحدى الحواضر المسيحية الهامة.

بل قبل إعلانه خليفة بعام، أي عام 659 م، يخبرنا تاريخ ماروني قديم أنّ معاوية ذهب إلى ألقدس، وبدأ فيها الصلاة في الجلجلة، فالجثمانية، وقبر العذراء وفي ذلك موافقة مسلكية على موت اليسوع الخلاصي.

من ناحية اخرى فالموسوعة اليهودية، كما لاحظنا وأشرنا، تقول دون أدنى تردد، أنّ المقصود بالملك الثاني من إسمعيل حبيب (أو صديق) إسرائيل، هو عمر بن الخطاب ، بل إنّ المصادر اليهودية القديمة تجعل عمر بن الخطاب يتزوج هو وأحد كبار رجالات يهود الشتات من أختين فارسيتين من السلالة الملكية، فيقال أنّ عمر بن الخطاب أقر ببستناي بن حنانيا (618 - 670 م) بعد دخول العرب العراق كجالوت لليهود في بابل، وأعطاه أزدونداد إحدى البنات الأسيرات للملك أحشورش الثاني، ملك فارس، في حين تزوج الخليفة ذاته من أختها، وأقر بالتالي واقعيا إعتبار بستناي كأحد خلفاء ملوك فارس.

إذا ففي إعتقادنا أنّ عمر بن الخطاب كان أمل اليهود - ألمسيّا - بالخلاص، وهو ألذي لن " يجعل إسرائيل بعد الآن بعيدة عن بيت الصلاة " كما تقول قصيدة في ذلك اليوم في متن (صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي).

ويبدو أنّ اليهود اعتقدوا أنّ المسلمين سيساعدونهم على إسترداد الهيكل، لكن كما يقول سيبيوس ألأرمني في تاريخه فإنّ هذه الخطة أُحبطت حين بنى العرب عوضا عن ذلك مصلّى خاصا بهم، ويدعم ذلك مصدر داخلي كالطبري حين يُشير إلى الجدل بين عمر وكعب الاحبار حول مسألة القبلة، حيث أراد اليهودي تحويلها ألى الصخرة، في حين أصرّ عمر على القبلة الإسلامية التقليدية، لكن هذا لا يمنع أنّ الخليفة خصص لليهود مكانا ما في مصلاه يؤدون فيه طقوسهم، وربّما يكون عمر بنى مصلّى وجاء بعده معاوية ليقيم مسجدا في الموقع ذاته خاصة وأنّ الإسم التقليدي المتداول حتى الآن للمكان هو " مسجد عمر ".

أخيرا، فإنّ عمر بن الخطاب الذي رأى فيه اليهود، وهو في طريقه لتخليص القدس من الروم، مسيّا منتظرا، أحبط آمالهم المسيانية بعد ذلك حين رفض إعادة الهيكل إلى وضعه السابق - فهل يُمكن لهذا أن يساعدنا في فهم عملية إغتيال الخليفة، خاصة وإنّ إصبع كعب الأحبار غير محط إلتباس في القضية؟!

ألخاتمة:

أستعرضنا في سلسلة المقالات هذه بدايات ألإسلام وكما وردت في بحوث المستشرقين وفي المصادر ألمختلفة ألغير العربية وألإسلامية، لاحظنا وجود رأيان متعاكسان في ألإتجاه، ألرأي ألأول تبنّاه بعض المستشرقين وخاصة ألألمان منهم يدّعون بأنّ الدين ألإسلامي قد جاء في بداياته كظاهرة هرطقة مسيحية تطورت في صفوف مسيحيين من شرق إيران ينتمون في الأصل إلى مبعدين من بلاد ما بين النهرين (من هاترا على وجه الخصوص).

وربما يكون هؤلاء قد استولوا على الحكم بعد انهيار مملكة الساسانيين في سنة 622 م، وبذلك استطاعوا أن ينقلوا تعاليم مسيحيتهم إلى دمشق والقدس (أورشليم)، حيث تم في أواخر القرن السابع (على عهد حكم عبد الملك) نقل هذه التعاليم المستجلبة من إيران من السريانية إلى خليط لغوي متكون من السريانية والآرامية والعربية.

أمّا ألرأي ألثاني فقد ورد في بحث من إعداد ألكاتب نبيل فياض ويُستنتج منه الإتجاه المعاكس للرأي ألأول وهو أنّ ألنبي محمّد شخصية تاريخية وحقيقية وكذلك ألخلفاء ألراشدون، ومن مستندات هذا ألرأي وثيقة تاريخية يهودية تحت عنوان (صلاة الحاخام شمعون بن يوحاي)، كما أستند ألكاتب نبيل فياض على مصادر أخرى، يهودية ومسيحية (مارونية وسريانية وأرمنية) وقارنها بالمصادر العربية ألإسلامية كالطبري.

من دراستي للقرآن واسباب نزول ألآيات ألقرآنية والناسخ والمنسوخ وخاصة ألآيات ألمتعلقة بالحياة ألخاصة للنبي محمّد أميل للرأي ألقائل بتاريخية ألنبي محمّد وكون موطن بداية ألإسلام هو ألجزيرة العربية فألدين ألإسلامي تفوح منه رائحة ألصحراء، وبإعتقادي أن مؤلف ألقرآن هو ألنبي محمّد مع ألعلم بأن كلّ دين يقتبس من ألأديان والمعتقدات ألسابقة ويضيف إليها، كما أنّ ألأديان تتطور بعد وفاة مؤلفها بمساهمات وإضافات ألمعتنقين وخاصة ألحكّام منهم لأسباب سياسية وإجتماعية وأقتصادية، كما أنّ ألقرآن يحتوي على ألعديد من الكلمات ألغير العربية كالسريانية والفارسية والحبشية وهذا دليل على بشريته.

في قاع الظاهرة الدينية، هنالك خبرة فردية يعانيها الانسان في اعماق نفسه وبمعزل عن تجارب الآخرين. فإذا كان لكل بناء سامق اساس يقوم عليه، فإنّ بناء الدين إنّما يقوم على هذا النوع من الخبرة الدينية الفردية، ويدخل الشامانية ضمن هذه المجموعة، وبإعتقادي أنّ صاحب هذه ألخبرة ألفردية في قاع ألدين ألإسلامي هو ألنبي محمّد.

تتخذ الظاهرة الدينية سمتها الجمعية عندما يأخذ الافراد بنقل خبراتهم المنعزلة الى بعضهم بعضا، في محاولة لتحقيق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة في تجربة عامة، وذلك باستخدام مجازات من واقع اللغة، وخلق رموز تستقطب الانفعالات الدينية المتفرقة في حالة انفعالية مشتركة، وهذا ما يقود الى تكوين المعتقد، وهو حجر الاساس الذي يقوم عليه الدين الجمعي (اضافة الى الطقس والاسطورة)، فهنا تتعاون عقول الجماعة، بل وعقول اجيال متلاحقة ضمن هذه الجماعة، على وضع صيغة مرشّدة لتجربتها.

إنّ هذه البحوث حول بدايات ألإسلام ذو أهمية قصوى لنزع ألغشاوة ألتي تحيط بهذه البدايات ألمعتمة فالبحوث العلمية هي أولا وأخيرا ألوسيلة ألناجعة لكشف ألسر المقدّس، كما أنّ هدف ألتنوير بإعتقادي هو نزع ألقداسة من جميع ألأديان ألتي هي من أهم أسباب ألنزاعات وألحروب بين ألبشر.

37

ألرواية ألسريانية للفتوحات ألإسلامية

" إنّ الوقائع التي تنقلها الرواية السريانية تسد بعض الثغرات في الروايات العربية المتشعبة والمتناقضة أحيانا".

إستكمالا لبحثنا "بدايات ألإسلام" سنستعرض في سلسلة من ألمقالات ألرواية ألسريانية للفتوحات ألإسلامية وما يهمنا في هذه البحوث إلقاء ألضوء على تاريخية ألنبي محمّد وألخلفاء ألراشدين، حيث برز في ألسنوات ألأخيرة إتّجاه بين بعض ألمستشرقين، الذين يدافعون عن الرأي القائل بأن الإسلام قد جاء في بداياته كظاهرة هرطقة مسيحية تطورت في صفوف مسيحيين من شرق إيران ينتمون في الأصل إلى مبعدين من بلاد ما بين النهرين (من هاترا على وجه الخصوص).

وربما يكون هؤلاء قد استولوا على الحكم بعد انهيار مملكة الساسانيين في سنة 622 م، وبذلك استطاعوا أن ينقلوا تعاليم مسيحيتهم إلى دمشق والقدس (أورشليم)، حيث تم في أواخر القرن السابع (على عهد حكم عبد الملك) نقل هذه التعاليم المستجلبة من إيران من السريانية إلى خليط لغوي متكون من السريانية والآرامية والعربية.

كما أنّ هذه ألمجموعة تدعي بأنّ ألنبي محمّد لا وجود له وكذلك فإنّ الخلفاء ألراشدين شخصيات وهمية.

ألرواية السريانية للفتوحات الإسلامية تتضمن رواية جديدة للفتوح الإسلامية لبيت المقدس وما حولها، هذه الرواية كانت طي الكتمان في صفحات التاريخ مئات السنين، ذلك أنّها لم تكتب بألللغة العربية أول مرة ولم تترجم إليها منذ كُتبت، وهذه الرواية ألمهمة الجديدة هي الرواية التي كتبها المؤرخون السريان الذين كانوا شهودا على الوقائع ورأوا الكثير منها.

وتتميز الرواية السريانية للفتوح الإسلامية عن الروايات العربية أنّها دُونت في فترات مبكرة مقارنة بالروايات العربية الإسلامية التي تأخر تدوينها نسبيا - بالرغم من إعتماد الأخيرة على الإسناد لضمان الدقة - وهو ما تسبب في تعدد الروايات العربية الإسلامية بل تناقض بعضها تبعا لقوة الراوي أو ضعفه.

أعتمد هذا البحث للروايات السريانية على عدة مصادر سريانية منها:

- تاريخ ميخائيل الكبير
- تاريخ التلمحري
- تاريخ يوحنا الآسيوي
- تاريخ الزوقنيني

ترد الكثير من الوقائع مؤرخة بالتاريخ اليوناني وهو الذي يعتمده السريان في التقويم. ويُسمى تقويم الأسكندر وتقويم السرياني أو التقويم اليوناني أو تاريخ ذي القرنين.

ويبدأ هذا التقويم يوم الإثنين ألأول من تشرين ألأول (أكتوبر) سنة 312 ق.م. فهو متقدم على التاريخ الميلادي 311 سنة وثلاثة أشهر، والسنة في هذا التقويم 12 شهرا مجموع أيامها 365 يوما للسنة البسيطة و 366 يوما للسنة الكبيسة.

تُعد المصادر التاريخية السريانية ثروة حقيقية لأي باحث يدرس تاريخ الفتوح العربية الإسلامية في أواسط القرن السابع الميلادي، فهذه المصادر توفر رواية حيادية إلى حد ما بين الروايتين الإسلامية بمختلف تشعباتها، وبين الرواية البيزنطية المقتضبة التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع.

ومع أنّ الرواية السريانية لأخبار هذه الفتوح تعاني من ثغرات علمية لا بأس بها، إلا أنّها بالنظر ألى الروايات الأخرى المتوفرة تُعد من أكثر المصادر تماسكا وإنسجاما، نظرا لأنّ السريان دونوا الأحداث في وقتها، وقد توفر لهم أكثر من مؤرخ معاصر زمن الفتوحات، فدوّن ما وصله عبر وسائل مختلفة، منها الأخبار التي كان الجنود السريان العاملون ضمن القوات البيزنطية يتناولونها، أو عبر التقارير والرسائل الكنسية التي كان يدونها الأساقفة ورجال الدين، أو عبر الإطلاع على الموقف العربي الإسلامي من خلال العرب المسيحيين والسريان الذين شاركوا العرب المسلمين في القتال ضد البيزنطيين.

وعليه فإنّ أهم الملاحظات التي يُمكن أن توجه للرواية السريانية المتعلقة بالفتوح الإسلامية تُلّخص في أنّ ناقليها لم يكونوا في مركز صنع القرار، وربما كانوا هامشيين بالنسبة لموقع القرار، إن كان على الجانب العربي الإسلامي أو على الجانب البيزنطي، بإستثناء شهادة القائد إيوانيس رصفيا (يوحنا الرصافي) التي استوعبها المؤرخ ديونيسيوس التلمحري.

ومع ذلك فإنّ الوقائع التي تنقلها الرواية السريانية تسد بعض الثغرات في الروايات العربية المتشعبة والمتناقضة أحيانا، وتقدم معلومات جديدة لم تنتبه لها باقي الروايات العربية والبيزنطية وخصوصا لجهة الوضع الداخلي على الجبهة الفارسية والإنقسامات التي حدثت فيها ومشاركة قادة من الفرس إلى جانب البيزنطيين في معركة اليرموك.

غير أنّ الروايات السريانية على صعيد آخر تعاني من مشكلة الطبوغرافيا، وخصوصا تلك المتعلقة بجنوب بلاد الشام، فالباحث المدقق يلحظ الخلط في هذا الجانب، مع أنّه من السهل تصويبه بالإعتماد على المصادر الأخرى، وهو خلط يُمكن تفهمه من رواة تبدو علاقتهم بجغرافية سورية الجنوبية ضحلة، مقارنة مع علاقتهم بجغرافية سورية الشمالية، التي هي موطن الرواة المتعددين، بألإضافة إلى التركيز على موضوع العقاب الإلهي الذي حلّ بالبيزنطيين والفرس مضطهدي السريان على حد سواء.

قيام دولة ألإسلام في يثرب:

ألنص ألتالي هي ترجمة معظم التقرير الكنسي الذي اعده رجال دين سريان عندما ظهرت الدعوة الإسلامية، ملخصين ما عرفوه عن هذا الدين الجديد، رغم ما في ذلك من بعض المغالطات التي أُضيفت في فترات لاحقة.

وقد ورد في تاريخ ميخائيل الكبير (ت خ،ج3 ص 298 - 300) وفي تاريخ الرهاوي المجهول بالنص نفسه (ص 139 - 141)، وكذلك في تاريخ ابن العبري بشيء من التصرف، وبكثير من الإختصار في تاريخ الزوقنيني المنحول (ص 52).

ترجمة ألنص:

((في سنة 933 يونانية، والثانية عشرة لهرقل، وال 32 لكسرى، بدأت دولة العرب (المسلمين) عندما جاء إلى منطقة يثرب محمّد من قبيلة قريش، وقال إنّه نبي، ودعى أتباعه "مسلمين" أو "إسماعيليين" أو "هاجريين" نسبة إلى هاجر وإسماعيل، وسرقيين نسبة إلى سارة (السراسين أو السراكين هي التسمية التي كان يطلقها الروم على العرب)، ومذيانيين أبناء قنطور.

ولكن ولأن تعددت تسميتهم، غير أنّ إسمهم العام هو "ألعرب" وهم يُطلقون على نفسهم هذه التسمية وهي مأخوذة من العربية الخصبة التي هي موطنهم، وهي المنطقة المحصورة بين نهر الفرات شمالا حتى البحر الجنوبي، ومن البحر الأحمر حتى خليج بحر فارس شرقا.

كان محمّد بن عبدالله يذهب إلى فلسطين للتجارة .. وإذا رأى أبناء شعبه يتعبدون للحجارة والخشب وغيرها من المخلوقات ... طرح عبادة أله على أبناء أمته فأطاعته قلة في باديء ألأمر، ثمّ أخذوا بالتزايد، وإذ قوي أخذ يأمرهم رسميا بإطاعة الخالق، مُرهبا حيناً ومُرغباً حينا آخر.

وحينما يمتدح أرض فلسطين بقوله: لقد أعطيت تلك الأرض الطيبة لأولئك الناس، نظرا إلى إيمانهم بأله الواحد، وقال لهم أيضا:

إذا أطعتموني ونبذتم هذه ألآلهة الباطلة وآمنتم بأله الواحد، فإنّ أله سيعطيكم تلك ألأرض الطيبة ..... ووضع للمسلمين شريعة قال إنّ أله أنزلها عليه.

فعلمهم أن يؤمنوا بإله واحد خالق الكل وأقنوم واحد لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفء أو شريك، وهو يقبل أسفار موسى وألأنبياء وقسما من ألإنجيل، لكنه ترك معظمه، ومال إلى ألأمور البسيطة.

أمّا نظرته إلى ألمسيح فهي: أنّ ألمسيح هو الذي تنبأ عن مجيئه الأنبياء، لكن كإنسان بار ونبي كسائر الأنبياء، وليس كإله أو أبن أله كما نؤمن نحن المسيحيين، غير أنّه أكبر من سائر ألأنبياء لأنّه لم يولد من زواج بل بكلمة أله نفخها في مريم كما نفخ في آدم فخُلق من ألتراب، ثمّ نفخ فيه الروح القدس فأستقام، لذا فهم يسمونه أحيانا كلمة أله وروحه على إعتبار أنّه عبد وخليقة كلمة أله، وهذا بدلا من عبارة (أبن أله) التي نتداولها نحن، لأنّه ولد منه دون ألم كولادة الكلمة من العقل.

إنّهم ينظرون إليه نظرة مادية، ويتهموننا بأننا نؤمن بأنّ الله أولده من امرأة وهي في نظرهم مريم أخت هارون وموسى.

أمّا عن صلب اليهود للمسيح فإنّ معظمهم لا يعترفون به، لكنهم يقولون، أنّ أله ألقى شبهه على أحد تلاميذه فصُلب ومات، أما المسيح فتوارى، حيث أنّ أله أخذه إلى الفردوس.

إنّهم يصلّون خمس مرات في اليوم، في كل صلاة يركعون أربع ركعات.

يؤمنون بقيامة الأموات والحساب والمجازاة، كل بحسب أعماله.

إنّهم مغرمون بمحبة العالم .. وألأكل والشرب وألللبس وتعدد ألزوجات، ولا مانع من أن يطلّق أحد زوجته ويتزوج بأخرى.

يصومون ثلاثين يوما طوال النهار ويأكلون طوال الليل حتى الفجر.

يتوضؤون بألماء قبل الصلاة ويغسلون أعضائهم وفي حالة إقترابهم من ألمرأة أو ألإحتلام يطهرون جسمهم كله ومن ثمّ يصلّون، وقبلتهم هي ألكعبة حيثما كانوا، وهم يُمارسون الختان ذكورا وإناثا، دون أن يتقيدوا بشريعة موسى التي تقضي بأن يتم الختان في اليوم الثامن، لكنهم يختتون في اية سن كانت)).

معركة داثن:

بعد قيام دولة المسلمين (في ألمدينة) بسبع سنوات توفي محمّد فخلفه أبو بكر لمدة سنتين وسبعة أشهر، عاد الرهاويون من بلاد فارس، والذين تخلفوا أعتبروا جالية. أمّا هرقل فسقط لتعديه الناموس بإتخاذه مرطينا أبنة أخيه زوجة، وأنجب منها أبنا غير شرعي هو هرقلون (ينسب المؤرخ ألتلمحري هذه المعلومات لكتاب تاريخي وضعه سرجي بن إيوانيس رصفيا، الذي كان أسيرا لدى الفرس وأُطلق سراحه في هذه الفترة).

أرسل أبو بكر أربعة قواد على رأس جيوش، أحدها إلى فلسطين وألآخر إلى مصر، وألثالث إلى فارس، والرابع ضد العرب المسيحيين وعاد جميعهم ظافرين (حسب التراث ألإسلامي فأبو بكر ألصديق أرسل أربعة قادة على أربعة أجناد إلى الشام، وأرسل جيشا بقيادة خالد بن الوليد إلى العراق لقتال ألفرس).

فالجيش ألأول أتجه ألى فلسطين، فجمع البطريق سرجي (قائد حامية قيصرية فلسطين) جيشا من الروم والسامريين مؤلفا من خمسة آلاف راجل وإستعد لمحاربة المسلمين، غير أنّ جانب ألمسلمين كان ألأقوى فسيطروا على الروم، وأبادوا أولا السامريين.

فلما رأى البطريق ذلك دار ظهره وهرب، فطاردهم المسلمون ودمروهم وحصدوهم حصد السنابل، وفجأة سقط البطريق من فرسه، فوضعوه على الفرس ثانية، ثمّ سقط للمرة الثانية، وعاد فركب الفرس، فطورد للمرة الثالثة، فقال لمن معه أتركوني وأنجوا بأنفسكم لئلا تشربوا أنتم ايضا معي كأس الموت ألذي قضاه أله على مملكتنا لغضب العدالة علينا فتركوه وهربوا، فادركه المطاردون وقتلوه بضربة سيف وأستمر المسلمون يطاردون الروم حتى المساء ولم ينج منهم سوى نزر يسير، فأذاعوا هذا في قيصرية.

وهكذا تكللت بالنجاح جهود المسلمين حيثما ذهبوا، فهابهم الملوك وجيوشهم (تشير المصادر البيزنطية وخصوصا ثيوفان إلى أنّ سرجي المذكور في النص السرياني أو سرجيوس أتى إلى داثن من قيصرية فلسطين " راجع بيزنطة والفتوحات ألإسلامية المبكرة ص 137" وهنا يخلط المؤرخون السريان في الجغرافيا فيجعلون معركة داثن هذه قرب قيصرية مع أنّها في جنوب فلسطين قرب غزة).

في هذه الفترة أصدر هرقل ملك الروم أوامر بوجوب إقتبال جميع اليهود الذين في مملكته العماد فتنصروا وهرب قسم منهم من مناطق الروم وجاءوا إلى الرها (مدينة أورفا الحالية) ولما ضيق عليهم ألخناق هربوا إلى فارس، في حين أنّ كثيرين منهم أقتبلوا المعمودية وتنصروا.

في عام 946 يونانية وأل 24 لهرقل (634 م) وأل (13 هجرية)، توفي أبو بكر بعد حكم دام سنتين، وخلفه عمر بن الخطاب، فأرسل جيشا إلى ولاية العربية وأحتل بصرى وفتح عدة مدن.

معركة أجنادين:

لدى سماع هرقل أنّ المسلمين قتلوا البطريق سرجي وتبدد جيشه، أوعز إلى أخيه ثاودريقي فعبأ جيشا لمحاربة المسلمين، فأنطلق بتجبّر وخيلاء متكلا على القوة البشرية، وسخروا وهزوا رؤوسهم قائلين:

من هم أولاد هاجر، ليسوا سوى كلاب مائتة.

ثمّ تقابل الطرفان، فهزم المسلمون الروم، وطاردوهم وداسوا عليهم كأغصان منبوذة. وبعد هزيمة الروم، دخل المسلمون معسكرهم وغنموا ما فيه من ذهب وفضة وعبيد وأموال طائلة، فأثرى المسلمون وتوسعوا على حساب ما أحتلوه من بلاد الروم (ألمصادر البيزنطية تتحدث أنّ شقيق هرقل ثيودور كان من قادة معركة أجنادين " بيزنطة والفتوح الإسلامية المبكرة _ ولتر كيغي ص 147).

سقوط كنيسة القيامة:

حدثت في هذه الفترة هزة هائلة، وفي الوقت ذاته أظلمت ألشمس، وعلى أثر الهزة سقطت كنيسة القيامة وكنيسة الجلجلة، وغيرها في أماكن أخرى، فأعاد بناءها الأسقف مادوسطس الخلقيدوني.

وفي هذه الفترة خرج الفرس على الروم، وطُرد أشعيا أسقف الرها وجميع الأساقفة ألأرثوذكسيين، ودخل الخلقيدونيين الكنائس. وبعد فترة سيطر المسلمون على بين النهرين وطرد الأسقف الخلقيدوني قورس من الرها، وعاد الأساقفة الأرثوذكسيون إلى كراسيهم في كافة أرجاء النفوذ ألإسلامي (إشارة إلى تعاطف العرب المسلمين مع السريان اليعاقبة).

وفي هذه الفترة تفشى وباء فتاك في سائر مناطق سورية وفينيقيا، وظهر نجم هائل على هيئة شخص رومي، وحدث زلزال في منطقة ارمينيا ودمر عدة أماكن.

فتح بلاد فارس:

وفي السنة التالية أرسل عمر جيشا إلى فارس، وكان الفرس منقسمين ومتقاتلين، إذ كان بعضهم يريدون يزدجرد بن كسرى، وألبعض ألآخر هورمزد، فدارت الحرب بينهم وأنتصر المسلمون، وقُتل الفرس وضعفت مملكتهم، كما قُتل هورمزد فيما بعد، فحكم يزدجرد، أما المسلمون فتفوقوا على كل من الفرس وألروم.

معركة اليرموك:

في السنة ال 4 لعمر بن الخطاب خليفة المسلمين، غزا المسلمون مناطق سورية حتى سواحل نهر الفرات. وفي السنة ال 5 لعمر أثار روم الولاية العربية حربا على العرب ومدينة جابيثا (الجابية) وتقع على النهر المعروف ب (اليرموك)، وهُزم الروم شر هزيمة وغادروا المنطقة، وكان قيام الحرب على النحو التالي:

لقد جمع القائدان بانيس (أو بانوس) وأبن شهربرز الفارسي (قائد أنشق عن الفرس وألتجأ إلى البيزنطيين) جيشا وأتجهوا صوب دمشق لحماية تلك المنطقة، فلاقاهم قائد المسلمين وقتل عددا كبيرا منهم، ولما وصلوا إلى دمشق عسكروا بالقرب

من نهر فرفر الذي يسميه المسلمون "كرون" (نهر فرر ونهر أبانة هما الرافدان القديمان اللذان يشكلان نهر بردى حسب التراث السرياني).

وفي السنة التالية جاء المسلمون إلى دمشق أيضا فخاف البطريق وأرسل إلى وكيل الملك (المالي) في الرها (إسمه ثيودور تريثوريوس حسب المصادر البيزنطية)، فجمع عشرة آلاف جندي، وألتقى بالبطريق في حمص ومعه ستون ألفا.

فأصطدموا مع المسلمين وهُزموا وقُتل في ذلك اليوم اربعون الفا من جيش الروم مع بانيس ووكيل الملك، وقد غرق معظمهم في نهر اليرموك.

أما أبن شهربرز فنجا وجاء إلى حمص وأستسلم للمسلمين، وكتب رسالة إلى ألخليفة عمر يقول فيها:

"أعطني القيادة وجيشا وسأنزل إلى فارس وأخضعها برمتها". فلما قرأ عمر الرسالة، أراد تنفيذ ما جاء فيها، غير أنّ بنات كسرى اللواتي أُسرن في حران قلن للخليفة لا تنخدع بكلامه الكاذب، وأخبرنه بما فعله شهربرز وأبنه بكسرى وأولاده. فألذي لم يحفظ القسم لملكه وأولاده فقتلهم غدرا، كيف يحفظ القسم لك؟ بل يريد أن يتمرد ويحكم. فأخذ عمر بكلامهن فأرسل وصلب أبن شهربرز على خشبة في حمص.

فتوحات المسلمين:

بعد إنتصارهم على الروم، جاء المسلمون إلى دمشق وأعطوا الأمان لأهلها، ثم أخضعوا غيرها من المدن، ومن هناك أرسل عمر خالد (أبن الوليد) على رأس جيش إلى منطقة حلب وأنطاكية وفتكوا بعدد كبير من الناس، بحيث لم يستطع أحد منهم النجاة. ومهما تحدثنا عن المآسي التي قاستها منطقة سورية، فسنظل عاجزين عن الحديث عن جميعها لكثرتها، لأنّ هذه الضربات كانت نتيجة غضب الله.

ألجبهة الفارسية:

في هذه الأثناء، غادر سعد (بن أبي وقاص) يثرب وعسكر بالقرب من عاقولا (مدينة الكوفة) وجمع يزدجرد ملك الفرس جيشا وأرسله لملاقاة جيش المسلمين، وعسكروا على ساحل الفرات بالقرب من عاقولا.

ولما ألتقى الجيشان هُزم الفرس فطاردهم المسلمون حتى قطسفون (المدائن) الواقعة على دجلة.

فتح المدائن:

للمرة الثانية يتجمع الفرس وملكهم على دجلة الذي كان الفاصل بينهم وبين المسلمين ويدمرون الجسر المقام على النهر بين المدينتين، وكان معسكر الفرس هادئا. أما المسلمون فركبوا رؤوسهم وقالوا: هلموا نعبر إلى الجانب الفارسي، فإنّ أله الذي عضدنا في البر سينصرنا ويؤازرنا في البحر أيضا.

فأجتازوا النهر وباغتوا الفرس وهم معسكرون وقتلوهم وفتحوا قطسفون (المدائن) وغنموا مالا وبشرا. ثم عبأ يزدجرد تجمعا ثالثا في عاقولا (الكوفة)، غير أنّهم هُزموا ودُمروا، فتجمعوا للمرة الرابعة في بلد مادي، وهناك أيضا هُزموا وفتك بهم المسلمون.

لقد تمت هذه التجمعات ألأربعة في سنة واحدة. فلما رأى يزدجرد آخر ملوك فارس أنّ بلاده دُمرت، وقد قُضي على جيشه، وهرب الشعب وتشتت، وتأكد من عجزه عن إيقاف تيار المسلمين، هرب إلى حدود ألأتراك، إلى منطقة مراغاتي (مراغة) المسماة سجستان.

وبعد إختفاء دام خمس سنوات قُتل، سواء على يد المسلمين أم ألأتراك، وبمقتله زالت مملكة فارس المعروفة بمملكة الساسانيين التي حكمت 418 سنة، وقد تأسست سنة 538 يونانية من قبل أردشير بن ساباق وزالت سنة 956 من نفس التقويم، ويزدجرد هو آخر ملك في أيام هرقل ملك الروم، وعمر بن ألخطاب كان خليفة ألمسلمين في تلك ألفترة.

فرار هرقل:

وإذ رأى هرقل ملك الروم أنّ الحرب أستفحلت غادر أنطاكية كئيبا إلى القسطنطينية، وقيل إنّه ودعهم كوداع مسافر حيث قال: "سوزا سورية" أي وداعا يا سورية (سوزا باليونانية تعني بالضبط إلى اللقاء أي لنا عودة)، وأطلق العنان لجيشه فنهب وسلب القرى والمدن كأنّما هي منطقة الأعداء، فأغتصبوا ونهبوا كل ما وجدوه، ودمروا تلك المناطق أكثر مما فعله المسلمون، وتركوها بيد المسلمين ليسيطروا عليها.

ووجّه هرقل رسائل إلى الروم الموجودين في ما بين النهرين ومصر وأرمينيا، حذرهم فيها من مقاومة المسلمين، ودعا من يستطيع الحفاظ على حاميته إلى أن يصمد في مكانه.

فتح مصر:

لدى دخول عمرو (أبن العاص) قائد المسلمين مصر، أستقبله قورا اسقف الأسكندرية وعرض عليه دفع مبلغ مئتي ألف دينار سنويا، لقاء عدم دخول المسلمين مصر، فوافق وعاد، غير أنّ بعضهم رفعوا شكوى إلى هرقل ضد الأسقف على إعتبار أنّه يُعطي اموال مصر للعرب دون أن يكون إكراه.

وحيث أنّ تفكير الروم كان قد سقم، لذا كتب هرقل إلى قورا أن يرفع يده عن الإدارة في مصر، وأرسل شخصا ارمنيا يُدعى مانوئيل ليدير شؤون مصر. فلما جاء وفد المسلمين لإستلام المال، وجدوا مانوئيل مع جيش الروم في باسلونه التي تُعرف اليوم بالفسطاط، فأعادهم فارغين قائلا:

أنا لست قورا، فذاك لم يرتدِ سلاحا بل قميصا، لذا سلّم إليكم مصر، أما أنا فمتقلد سلاحا كما ترون، فعاد الوفد وأخبر عَمْراً فدخل حينذاك مصر وهزم مانوئيل وهرب إلى الإسكندرية بصحبة القلة الذين نجوا، فسيطر المسلمون على مصر.

فكتب هرقل إلى الأسقف ليُخرج المسلمين من مصر إن أمكن بإعطائهم أضعاف ما اشترط معهم سابقا من المال، فجاء قورا إلى معسكر المسلمين، وبرر ساحته أمام عمرو، وألتمس منه قبول المال. فأجاب عمرو:

لا أنفذ رغبتك، فطالما سيطرنا على البلاد، فلن نتركها بعد، وبهذا يكون عمرو قد طرد قورا فعاد كئيبا.

وصول عمر إلى القدس:

في نهاية سنة 948 يونانية وهي السنة ال 26 لهرقل (15 للهجرة)، وصل الخليفة عمر إلى فلسطين فأستقبله صفرونيوس أسقف القدس وتحدث إليه عن البلاد، فكتب له عهدا على أن لايسكن يهودي في ألقدس.

فلما دخل عمر القدس، أمر ببناء مسجد في موقع الهيكل. وإذ رأى صفرونيوس ثيابا رثة على عمر، عرض عليه ثيابا ومئزرا، وألتمس منه قبولها فأبى، لأنّه أعتاد على أن لا يأخذ شيئا من أحد وكان يقول:

" لا ينبغي على المرء أن يأخذ شيئا من آخر لم يعطه أله إياه، لأنّ أله يُعطي لكل إنسان ما يُريده، وإذا طمع بما عند رفيقه يكون قد تصرف ضد مشيئة أله".

وكان عمر بن الخطاب موضع ثناء في مثل هذه التصرفات، فالمسلمون يروون عنه الكثير من هذا القبيل. والحق يُقال إنّه كان عادلا وغير جشع، بحيث أنّه لم يأخذ شيئا لنفسه مما غنم من أموال الفرس والروم وكنوزهم بعد السيطرة عليهم، حتى ولا ما يغير بساطة ثيابه.

وكان يضع عباءته تحته لدى ركوبه الجمل، وإذا ما جلس أو نام كانت ألأرض مقعده وسريره، ولما ألح عليه الاسقف، أجاب حيث أنّك ألتمست مني، ونظرا لكرامتك لدي، فسوف أستعير الثياب التي جلبتها لألبسها ريثما تغسل ثيابي، وسأعيد إليك ثيابك. وهكذا فعل.

فتوح ألجزيرة:

ومن فلسطين اجتاز المسلمون إلى المدن السورية واحتلوها. وألتقى ايوانيس (يوحنا الصافي) قائد جيش الروم بالمسلمين في قنسرين، وتم الإتفاق معهم على أن يدفع سنويا مئة ألف درهم شريطة أن لا يعبروا ألفرات نحو ألشرق، ولا يدخلوا بين النهرين، وسلّم إليهم جزية سنة واحدة.

فلما سمع هرقل السخيف غضب على إيوانيس ونفاه، ولأنّ أله نبذ مملكة ألروم، فقد أنتهى هرقل إلى التفكير الأعمى الذي به كان يُدير شؤون الدولة.

وفي سنة 951 يونانية، وال 27 لهرقل (وال 18 للهجرة)، وال 6 لعمر اجتاز المسلمون الفرات بسبب عدم دفع الجزية فخرج الروم واخذوا تعهدا لمدينتهم، وغادر جيش الروم المدن كافة بحسرة. أما تللاً (من مدن الجزيرة تقع في تركيا الحالية) ودارا (مدينة من مدن الجزيرة بُنيت ايام الأسكندر الكبير تخليدا لنصره على دارا الفارسي) فلم توافقا على الإستسلام للمسلمين، لذا احتلوهما حربا وقتلوا جميع من فيها من الروم.

وبعد أن سيطروا على بلاد ما بين النهرين بقيادة (عياض) أبن غنم عادوا إلى سوريا، وأمر عمر بفرض ألجزية على البلدان كافة التي احتلها، ففرضت الجزية على المسيحيين سنة 951 يونانية.

وفي سنة 952 يونانية، وال 19(للهجرة) وال 7 لعمر، مات هرقل بعد حكم دام 30 سنة وخمسة أشهر، فخلفه ابنه قسطنطين، ثم هرقل الصغير الملقب داود الجديد.

وقد سببت مرطينة زوجة هرقل، عمى لقسطنطين، وأقامت أبنها هرقل الصغير ملكا، فأستاء المستشارون من هذا العمل، فخلعوه ونصبوا قسطس بن قسطنطين.

ألقدس بعد الفتح:

تفشى في هذه الفترة وباء الطاعون (هذا ما سُمي في المصادر العربية بطاعون عمواس) فمات عدد كبير في سورية وما بين النهرين، وفيما كان المسلمون يبنون المسجد في القدس مكان ألهيكل (إشارة مهمة إلى أنّ البدء ببناء المسجد ألاقصى

تم يعد فتح بيت المقدس مباشرة)، سقط البناء، فقال اليهود: إن لم تنزلوا الصليب المرفوع فوق جبل الزيتون قبالة الهيكل، لن يُبنى المسجد.

ولما أنزلوا الصليب ثبت البناء، وبهذه الحجة أنزلوا صلبانا كثيرين، وسادت منذئذ في دولة المسلمين الكراهية للصليب وأخذوا يضطهدون المسيحيين لإكرامهم الصليب.

أمر عمر خليفة المسلمين بعدم ظهور الصلبان في الأعياد أو خلال التشييع فسر اليهود لهذا القرار، وأنزلوا الصلبان من الكنائس.

قُتل عمر خليفة المسلمين بعد حكم 12 سنة (أستمرت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام حسب ألرواية ألعربية ألإسلامية).

ألخليفة عثمان:

سنة 961 يونانية أرسل عثمان ابنه سعيد لمطاردة يزدجرد ملك الفرس فأختفى في سجستان مدة خمس سنوات، ثم جاء إلى الكوفة، أما سعيد فبعد أن أحتل كل المناطق جاء إلى مرو، فخاف يزدجرد أن يُسلم إليه فأختبأ في رحى، فقتله أحد ألأتراك هناك وأخذ رأسه إلى مزربان ألمدينة ألذي إذ رأى ملكه قُتل، سلم المدينة للمسلمين، فأرسلوا تاج الفرس إلى عثمان فأرسله بدوره إلى مكة، ولا يزال هناك.

ألخاتمة:

نستنتج مما سبق من ألروايات ألسريانية أنّ قرار فتح بيت ألمقدس ومعه بلاد ألشام برمتها كان قرارا نبويا، وقد تحدّث ألنص السرياني بصراحة ووضوح حول هذا الموضوع، وهذا ألقرار أصبح قدوة للخلفاء ألذين تتابعوا على حكم ألدولة ألأسلامية من ألخلفاء ألراشدين حتى سلاطين آل عثمان وخلفائه مرورا بألدولة ألأموية وألعباسية وما تبعها من ألدول وألدويلات.

عندما نقول بأنّ ألحروب ألتي شنّها ألمسلمون والتي سميت بألفتوحات ألأسلامية لنشر ألإسلام هي غزو كأي غزو إستعماري للأوطان ألأخرى يرد ألإسلاميون بأن جميع حروب ألمسلمين كانت دفاعية !

وألإجابة لهذا ألإدعاء يكون بطرح ألسؤال التالي:

هل هدد ألإسبان ألدولة ألإسلامية وألمسلمين لكي يغزوا أسبانيا (الأندلس)؟

إذا نزعنا ألقداسة من ألقرآن وعلمنا بأنّه مؤلف بشري إضافة ألى ألأخذ بنظر ألإعتبار خصائص تلك ألفترة ألتاريخية ألتي أتسمت بألحروب ألعدوانية وألغزو من أجل ألماء والكلأ وألأموال وألسبي وألجنس علمنا لماذا أعلن محمّد ألجهاد في قرآنه ألذي أصبح ألدستور لكل ألسلفيين وألتكفيريين والجهاديين كإخوان ألمسلمين والوهابيين ومنظمة ألقاعدة وداعش ومن لف لفهم في كل أرجاء ألعالم.

وخلاصة ألأمر أنّ محمّدا اراد أن يوحد عرب الجزيرة العربية ليكوّن منهم دولة تدين لها الفرس والروم، لقد صرّح محمّد بغايته هذا يوم الخندق ففي السيرة الحلبية وكذلك في سيرة ابن هشام عن سلمان الفارسي قال:

"ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ ورسول الله قريب منّي، فلمّا رآني اضرب وشدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برْقَة ثمّ ضرب به اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثمّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى، فقلت بابي انت وامّي يارسول الله ماهذا الذي يلمع تحت المعول وانت تضرب؟

قال: اوقد رأيت ذلك ياسلمان؟ قال قلت: نعم، قال: فأمّا الاولى فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها ألشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها المشرق.

38

قصّة إيمان أبو بكر ألصدّيق

"لم يترك أبوبكر ألصدّيق لأهله إلا كما قال: تركت لهم الله ورسوله".

صدر كتاب بألّلغة ألتركية تحت عنوان (ألأسم ألذروة في ألصدق حضرة أبوبكر) لمؤلفه بكر بوراق، أستند المؤلّف في تأليف كتابه على مصادر عديدة من كتب التراث ألإسلامي (كالرياض ألنادرة لأبو جعفر ألطبري) و (الخصائص ألكبرى لجلال الدين السيوطي) و (تذهيبات ألتذهيب لابن هاجر) و (السيرة ألحلبيّة للحلبي).

لِكونِ هذه القصّة تُلقي شعاعا من ألضوء على بداية ظهور ألدعوة الإسلامية وحسب ما ذُكِرَت في كتب ألتراث ألإسلامي وألّتي هي إحدى ألمصادر ألمتوفرة لتقييم تلك الفترة، لذا سأحاول سرد مُلّخص هذه ألقصّة وتحليلها واستنتاج بعض ايحائاتها.

أبوبكر ألصدّيق أو عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن كعب ألتيمي هو أحد تجّار مكّة ومن أعيانها وهو مِن أوائل ألّذين أسلموا عند ظهور ألدعوة ألإسلامية وأوّل خليفة للمسلمين.

قبل ظهور ألإسلام كانت في مكّة مجموعة من ألموحّدين، منهم ورقة بن نوفل وزيد أبن عمر وألشاعر قوس أبن سعيدة والشاعر أُميّة أبن أبي سلط وعامر أبن ربيعة، هذه ألمجموعة لَمْ تكن تستسيغ عبادة ألأصنام.

بعض من هذه ألمجموعة في أجتماعاتهم فيما بينهم ومع أهل مكّة كانوا يبثّون ألبشائر حول ظهور نبي ودين جديد وكانوا يخطبون في التجمعّات ألمكيّة ويُلقون أشعارهم ألّتي تُهيأ ألجو لظهور هذا ألنبي.

أبوبكر ألصدّيق كان مِن جُملة ألّذين تأثروا بأقوال وإدّعاءات هذه ألزمرة فبدأ يحضُر أجتماعاتهم ويستمع إلى أحاديثهم وفي ذهنه تساؤل عمّن سيكون ألنبي ألمنتظَر.

عندما تزوج محمّد زوجته ألأولى خديجة بنت خويلد وأنتقلَ للعيش في بيتها أصبح جارا لصديقه أبوبكر ألصدّيق وسافرا معا في قافلة تجارية متجهة إلى ألشام وكان بصحبتهم خادم خديجة ميسَرة.

في ألشام أستمعَ أبوبكر إلى بشارات ألراهب نسطورة ألّذي بشّر بظهور نبي آخر ألزمان ألمُنتظَر.

في سفرة تجارية أُخرى إلى ألشام لَمْ يكن بصحبته محمّد حلُمَ ابو بكر ألصدّيق حُلما عجيبا، فرأى في منامه أنَّ ألقمر قد تفتتَ قطعا ودخلت هذه ألقطع إالى داخل جميع بيوت مكّة ثمَّ تجمّعت هذه ألقطع على شكل بدر وأستقرَّت في بيت أبوبكر ألصدّيق.

لو أستخدمنا نظرية ألعقل ألباطن في تفسير هذا ألحُلم نستطيع أنْ نقول بأنَّ أبوبكر ألصدّيق ونتيجة لتأثير أحاديث ألموحدين كان يتمنّى في لاشعوره أن يكون مِنْ ألمؤمنين بألدين ألجديد ألّذي سيظهر في مكّة وأن يكون له دورا قياديا فيه ولهذا حلُم بهذا ألحلم ألّذي يُعبّر عن أمنيته.

في ألصباح ذهب أبوبكر ألصدّيق إلى راهب صالح وقصّ عليه ألحُلُم ألّذي رآه وأقلقه وطلب من ألراهب تفسيرا له.

قال ألراهب مُفسِّرا ألحُلم:

-سيظهر قريبا نبي آخر ألزمان وستكون أنت مِن أوائل ألمؤمنين به وستكون من ضمن ألرعيل ألاول ألّذين سيدعمونه في دعوته.

في طريق ألعودة عرج أبوبكر ألصدّيق إلى دير الراهب بحيرة للتأكّد من تفسير ألحُلُم وبعد شرحه للراهب محتويات ألحُلم أطرق ألراهب لفترة ثُمَّ بدأ حديثه قائلا:

-سيظهر قريبا نبي جديد في مكّة وستكون أنتَ وزيره في حياته وخليفته بعد مماته.

بعد مضي فترة على ألأحداث ألسابقة سافر أبوبكر ألصدّيق إلى أليمن، وأليمن كان ثاني بلد يتّجه إليه تُجّار قريش للتجارة ((لإيلاف قريش إيلافهم رحلة ألشتاء وألصيف*فليعبدوا ربّ هذا البيت ألّذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف*))....
سورة قريش. في أليمن تعرَّفَ أبوبكر ألصدّيق على أحد شيوخ قبيلة أزد ألّذي كان ذو عِلم وأطّلاع واسع على ألتوراة وألإنجيل، رؤية ألشيخ لأبي بكر ألصدّيق أثارت أهتمامه فسأله بلهفة:

- أعتقد أنّكَ من مكّة أليس كذلك؟

أبوبكر: نعم أنا مِن أهل مكة.

ألشيخ :

- آمِلُ أنَّك من قبيلة قريش.

أبوبكر:

- نعم أنا قريشي.

ألشيخ:

- يعلم ألله أنَّك مِن فخذ تيم أحد أفخاذ قريش.

أبوبكر متعجبا:

- نعم أنا مِن فخذ تيم، وإسمي عبدألله بن عثمان مِن أبناء كعب بن سعد.

ألشيخ:

- بقيَ تردد واحد بألنسبة لك في نفسي.

أبوبكر وقد زادت حيرته:

- ماهو؟

ألشيخ:

- أطلب منك أنْ تُريَني بطنك لأتأكد مِن أمر ما.

أبوبكر:

- لا أستطيع تنفيذ طلبك.

وهنا ظللَتْ وجهُ ألشيخ سحابة مِن ألحزن، وعندما لاحظ ابوبكر حزن ألشيخ أراد أنْ يستجيب لطلبه وقال في قرارة نفسه أنَّ هذا ألرجل يعلم شيئا فليس مِن ألمعقول أنْ يصر على أمر كهذا بدون سبب منطقي فأنبرى مخاطبا ألشيخ:

- حسنا ولكن لِمَ تطلبُ منّي هذا ألطلب ألغريب؟

ألشيخ:

- قرأتُ في أصلح وأصدق ألعلوم بأنَّ خاتم ألأنبياء سيظهر في مكّة، ومِن بداية دعوته سيكون شخصان مُعينان له: شابٌّ ورجُل وقور، أمّا ألشاب ألّذي سيقف بجانبه في دعوته فهو مقدام وصلب وذو أخلاق عالية وسيفدي نفسه لحماية هذا النبي، ويستطيع هذا ألفتى أنْ يحل بسهولة أعقد ألمعضلات وألّتي تبدو بأنَّها غير قابلة للحل (ألشاب ألمعني هو علي بن أبي طالب)، أمّا ألرجل ألوقور فهو رَجُل أبيض ألبشرة وليّن ألعريكة ونحيل وتوجد في بطنه شامة وعلامة على فخذه ألأيسر، فإذا أطّلعتني على هذه ألعلامات فإنَّ ألصفات ألمتعلقة بك وألّتي أعتقد أنَّها موجودة فيك سيزيد مِن يقيني بانَّك ألشخص ألمعني ويكتسب قناعتي صورته ألقطعية، أمّا إذا رفضتَ إطّلاعي على ألشامة والعلامة فإنَّ ألأمر سيبقى سرا بألنسبة لي ولن أكون متيقنا مِن قناعتي.

غاص أبوبكر في أفكاره، إنَّ هذا الشيخ يتنبأ بظهور خاتم ألأنبياء ألّذي طالما سمع أحاديث كثيرة في مكة حول ظهوره وهذا ألشيخ يتحدّث عن صفات ألنواة ألّتي ستتجمّع حول هذا ألنبي، ألنواة ألّتي ستُعين ألنبي ألجديد في دعوته، وهو يذكر بأنّي واحد من هذا ألكادر ألمتقدِّم.

لَمْ يكذّب أبوبكر ألصدّيق ألخبر، فكشف عن بطنه، وعندما رأى ألشيخ ألشامة ألسوداء فوق سُرّة أبوبكر ألصدّيق خاطبه قائلا:

- أقسم بربِّ ألكعبة إنّك ألشخص ألمقصود في ألكتب، وأردف بلهجة ناصحة:

- لا تتبع هواك وأتبع ألطريق ألصحيح وألأوسط وأتّقي ألله في شأن عطاياه وإحسانه لك.

بعد إنتهاء ألمقابلة ألمثيرة مع ألشيخ ودّع أبوبكر ألصدّيق ألشيخ ساهما ثمَّ أنشغل بأمور تجارته في أليمن، ولكنَّ عقله كان منشغلا بما سمعه من ألشيخ ألعالم وأحسّ برغبة شديدة لزيارة ألشيخ مرّة أخرى.

بعد إتمام أعماله ألتجارية قرر زيارة ألشيخ، في لقائه ألثاني مع ألشيخ خاطبه ألشيخ قائلا:

- إذا رغبتَ سأعطيك هذه ألابيات ألشعرية ومحتواها متعلّقة بألنبي القادم وبدأ ألشيخ بقراءة ألأبيات.

كانت محتوى ألأبيات ألشعرية واضحة وتُسنِد ما سمعه في مكّة ومن الراهبين في رحلته إلى ألشام فكلّها تشير إلى مكّة وإلى صديقه ألمُقرَّب محمّد بن عبدالله.

قفلَ أبوبكر ألصدّيق راجعا إلى مكّة وكان فكره مشغولا بما سمعه من ألشيخ أليمني، وقرر مقابلة ورقة بن نوفل وتقاسم هذه ألمعلومات ألجديدة والمثيرة معه.

في تلك ألأثناء نزل محمّد بن عبدألله من جبل ألنور بعد إعتكافه في غار حرّاء مُبشّرا بألوحي ألّذي نزل عليه ولكنّه جوبِه بعد إعلان دعوته بألدين ألجديد برد فعل عنيف من قبل قادة قريش.

أثناء دخول أبو بكر مكّة قابل في ألطريق مجموعة من قادة قريش كعقبة بن أبي مؤيّد وشيبة وربيعة وأبو جهل وكانوا جميعم في حالة وجوم فسألهم بلهفة:

- ماذا حدث في غيابي في مكّة؟ هل هناك جديد؟

أجابه أحد ألقوم:

- أحداث جسيمة، فيتيم أبو طالب يظنُّ نفسه نبيّا ولولا معرفتنا لصداقتك له لأنهينا أمره، وألآن وقد حضرتَ فعليك أنْ تحل هذه ألمشكلة لأنَّك أعلم ببواطن ألأمر وتستطيع أنْ تُثنيَه عن عزمه.

تجمّعت خيوط ألغز في ذهن أبو بكر ألصدّيق، ما سمعه من أقوال ورقة بن نوفل وزيد أبن عمر وألشاعر قوس أبن سعيدة والشاعر أُميّة أبن أبي سلط وعامر أبن ربيعة وألراهب نسطورة والراهب بحيرة وألشيخ أليمني من قبيلة أزد كانت كلّها كأنهار تصّب في بحر واحد، وقال في نفسه : لا يُمكنْ أن يكون محمّدا ألّذي أتّصف بالأمانة وألصدق خلال أربعين عاما كاذبا ويدّعي بمثل هذا ألأمر ألخطير، فإذن أللحظة ألمنتظَرة وساعة ألصفر قد حانَ.

لمْ يُضيّع وقته وتخلّى عن عزمه في مقابلة ورقة بن نوفل وأتجه صوب دار خديجة بن خويلد وطرق ألباب.

كان في ألباب ألإنسان ألّذي كان متشوقا للقائه..... محمّد بن عبدألله، قال أبوبكر بحذر مخاطبا صديقه:

- يامحمّد، هل صحيح ما سمعت بأنّك تركت دين آبائكَ وعُرف أهلك؟

أجابه محمّد:

- أنا رسول ألله يا أبابكر، لقد أرسلني ربّي لتبليغ رسالته لك وللناس أجمعين وإنّي أدعوك إلى ألإيمان، والله إنَّ ألله ألّذي أدعوك إليه حقٌّ وهو أحدٌ صمد ونحن لن نكون عبيدا لغيره.

مازال أبوبكر يتصرّف بحذر وليتيقن من ألأمر سأل محمّدا:

- حسنا، ما دليلك على ذلك؟

- ألشيخ ألّذي قابلتَه في أليمن.

طرق أبوبكر مُفكِّرا وقال في نفسه، قد يكون محمّد قد سمع برحلته إلى أليمن، ولكن كيف عَلِمَ بأمر ألشيخ أليمني، وهل هو مُطّلِعٌ على ما دار بينه وبين ألشيخ أليمني؟ إنَّ رجلا بهذا ألعلم يكون واثقا مِن وضعه وصادقا في دعوته، ولكنَّ أبوبكر لم يترك ألحذر جانبا فقال:

- لقد قابلت ألعديد مِن ألشيوخ في أليمن، عن أيِّ شيخ تتحدث؟

محمّد: ألشيخ ألّذي أعطاك ألأبيات ألشعرية.

أبوبكر ذاهلا:

- مَنْ أخبرك بذلك يا صديقي.

- ألمَلَك جبريل ألّذي نزلَ على ألأنبياء مِن قبلي.

أبوبكر بخشوع:

- مُدْ يدك يا محمّد سأبايعك منذ أللحظة، وأردف بصوت رقيق: أشهد أنْ لا إله إلّا أله وأشهد أنّكَ رسول أله.

هذه مُلخّص قصّة إيمان أبوبكر ألصديق أوّل خلفاء ألمسلمين حسب الروايات الإسلامية.

لنلقي نظرة متفّحصة على هذه ألقصّة، هنالك إحتمالين، إمّا أنْ تكون هذه ألقصّة مُلفَّقة وأُلِّفت بعد وفاة محمّد وأبوبكر ألصدّيق لأسباب سياسية نتيجة ألصراع ألمحتدم بين بني هاشم وبني أُميّة على ألخلافة لرفع مكانة أبوبكر ألصديق وألدفاع عن أحقيته للخلافة مقابل أبن عم محمّد علي بن أبي طالب ، وهذا ألإحتمال يجعلنا نستعبد مناقشته وتحليله، أو تكون ألقصّة قد حدثت فعلا بتفاصيلها وتحتاج إلى ألنظر فيها وتحليلها.

نستنتج من هذه ألقصّة (على فرض أنّها حقيقية) أنَّه قبل نزول ألوحي على محمّد في غراء حراء وتكليفه بمهام ألنبوّة كانت هناك مجموعة هيّأت ألرأي ألعام في مكّة لهذا ألحدث، وأنَّ هذه ألمجموعة ألّتي هيأت لظهور ألدين ألجديد أختارت مُحمدا لتبليغ ألرسالة كما أختارت عبدأله بن عثمان (أبوبكر ألصدّيق) ليكون ضمن ألرعيل ألأوّل مِن ألمسلمين لكونه غنيّا لأنَّ أية دعوة دينية سياسية تكون بحاجة إلى قوّة أقتصادية لنشرها، وهنالك أمثلة عديدة في ألتاريخ على ذلك، فألدين ألمسيحي أنتشر بعد دعم وتبنّي ألأمبراطور قسطنطين له، والدين ألزرداشتي أنتشر بعد تبنّي ألملك ألفارسي دار ألأوّل لهذا ألدين.

أمّا ألسبب ألثاني لإختيار أبوبكر ألصدّيق فهو كونه من عقلاء واعيان القوم وله صداقات عديدة مع قادة قريش وأعيانه ويستطيع إستخدام هذه ألصداقة في ضم بعض من هؤلاء إلى صفوف ألدعوة ألإسلامية.

هنالك في القصّة مثلث مكاني يجلب ألإنتباه ويحتاج إلى ألتوقف وألتمعّن فيه وهو مكّة والشام واليمن، في هذه ألأمكنة ألثلاث تواجدَ اعضاء من ألمجموعة ألّتي هيأت لظهور ألدين ألجديد، ففي مكّة تواجدَ ورقة بن نوفل وزيد أبن عمر وألشاعر قوس أبن سعيدة والشاعر أُميّة أبن أبي سلط وعامر أبن ربيعة وخديجة بنت خويلد، أمّا في ألشام فتواجدَ ألراهب نسطورة وألراهب بحيرة، وفي أليمن تواجدَ ألشيخ ألعالم مِن قبيلة أزد.

إنَّ هذه ألمجموعة أتفقت كما نستنتج مِن ألقصّة على تنفيذ خطّة مُحكمة لإقناع أبوبكرألصدّيق بصدق نبوّة محمّد بن عبدأله، وهذا واضح مِن تفسير ألراهبين لحلم أبوبكرألصدّيق في ألشام وأقوال ألشيخ ألعالم من قبيلة أزد في أليمن وأحاديث وأشعار تنظيم مكّة.

إنَّ أموال أبوبكر ألصدّيق ألّتي صرفها كلّها على ألدعوة ألإسلامية كانت لها دورا كبيرا في نجاح ألدعوة وكان إختياره ليكون ضمن ألرعيل ألأوّل مِن ألمسلمين إختيارا موفّقا لإنجاح ألدعوة ألإسلامية.

في موقع نصرة ألرسول ورد مايلي:

(لم يترك أبوبكر ألصدّيق لأهله إلا كما قال: تركت لهم الله ورسوله).

هذا الإنفاق العجيب، والنفس المعطاءة هو الذي دفع رسول الله أن يقول فيما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه: مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنَي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وفي

رواية الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ).

ختاما نتسائل: إذا كانت قصّة إيمان أبوبكر ألصدّيق صحيحة ألم يستعمل محمّد بن عبدألله وألمجموعة ألّتي هيأت لظهور ألدين ألإسلامي أسلوب ألسياسيين في ألخداع وبعبارة أخرى مقولة ميكافيللي في كتابه ألأمير (ألغاية تبرر ألوسيلة)؟.

39

هل كان بعض الصحابة والتابعين لمحمّد يعلمون أنّ القرآن من تأليف محمّد؟

" إنّ الصحابة عندما ستروا بعض معلوماتهم قالوا بانّ ذلك بسبب انّ حقائق الغيوب فوق مراتب بعض القلوب".

هل كان بعض الصحابة يعلمون بأنّ القرآن من تأليف محمّد وأنّ قسم من آياته مقتبسة من ألتوراة؟

وهل أنّ الصوفيين الاسلاميين ادركوا هذه الحقيقة؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة لنطرح تساؤلا أهم:

هل كان محمّد يعتقد ويدرك بأنّ الله أختاره نبيّا وأرسل أليه جبريل بألوحي أم لا؟

للإجابة على هذا التساؤل هنالك ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الاوّل هو أنّه كان يتوّهم بأنّه نبي والدليل على ذلك ما ورد في السيرة النبوية من احاديث حول الرئي الذي كان يتراءى له منذ صغره ومنها حادثة شقّ صدره وكان لا يتراءى له الّا وهو في حالة غير اعتيادية بأن تأخذه نوبة عصبية لا يغيب فيها عن الحس الخارجي غيبوبة تامّة رغم ما يأخذه فيها احيانا من الإغماء، وهذه الحالة كانت تنتابه أثناء نزول الوحي.

لقد بقي محمّد مدّة من الزمن لا يعلم ماهي هذه الرئي الذي يراه اهو ملك ام شيطان، حتّى لقد ظنّه تابعا من الجن كالتابع الذي يكون للكهّان ولكنّه صار اخيرا يعتقد مايراه ملكا لا شيطانا، ثمّ صار بعد هذا الاعتقاد يسمّيه بإسرافيل، واخيرا صار يسمّيه بجبريل، والفضل لحصول هذا الاعتقاد لمحمّد يرجع الى خديجة فإنّها هي التي ثبّتته وازالت خوفه وجعلته يوقن بانّ ما يراه ملك لا شيطان وزاد يقينه بعد تعرّفه على الملك جبريل عن طريق ورقة بن نوفل .

الاحتمال الثاني هو أنّه كان يدرك بأنّه ليس نبيّا وانّما اراد ان يوحّد عرب الجزيرة العربية ليكوّن منهم دولة تدين لها الفرس والروم، لقد صرّح محمّد بغايته هذا يوم الخندق ففي السيرة الحلبية وكذلك في سيرة ابن هشام عن سلمان الفارسي قال:

ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ ورسول الله قريب منّي، فلمّا رآني اضرب وشدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برْقَة ثمّ ضرب به اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثمّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى، فقلت بابي انت وامّي يارسول الله ماهذا الذي يلمع تحت المعول وانت تضرب؟

قال: اوقد رأيت ذلك ياسلمان؟ قال قلت: نعم، قال: فأمّا الاولى فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها ألشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها المشرق.

الاحتمال الثالث هو أنّه كان يتوّهم بأنّه نبي في بداية دعوته في مكّة، ولكن بعد هجرته الى المدينة ادرك عكس ذلك بدليل وجود فروقات جوهرية في اسلوب وتشريعات القرآن المدني عن المكّي، فالتأمل وحيدا في غار حراء مختلف عن واقع يثرب والصراعات الموجودة فيها مابين الاوس والخزرج وصراعاتهم مع يهود المدينة.

بأعتقادي الاحتمال الاوّل هو اقرب الاحتمالات الى المنطق.

وألآن نرجع الى الاسئلة التالية:

هل كان بعض الصحابة يعلمون بأنّ القرآن من تأليف محمّد وأنّ قسم من آياته مقتبسة من ألتوراة؟

وهل أنّ الصوفيين الاسلاميين ادركوا هذه الحقيقة؟

حسب ماورد في كتب التراث الاسلامي انّ محمّدا انزعج عندما لاحظ انّ عمر بن الخطّاب يطّلع على التوراة، وهنالك احاديث توميء بان بعض الصحابة كانوا يخفون بعض معلوماتهم، وهذه بعض الامثلة:

عن ابي هريرة انه قال: حفظت عن رسول الله (ص) وعائين من العلم، اما احدهما فقد بثثته فيكم اما الاخر فلو بثثته لقُطِع مني الحلقوم.

والتساؤل هنا: ما هو هذا العلم الذي لو بثّه ابي هريرة لقُطِع منه الحلقوم؟

يروى عن ابن عباس حين سئل عن قول الله في القرآن ((الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهنّ يتنزّل الامر بينهنّ))، لو ذكرت تفسيره لرجمتموني، او لقلتم انّي كافر. والتساؤل هنا: ما هو هذا التفسير الذي لو ذكره ابن عباس لاستحقّ الرجم او تهمة الكفر؟

ويُنسب هذا الاسلوب في الستر الى الامام علي بن ابي طالب، حيث قال: (إن هاهنا- وضرب على صدره- لعلوما جمّة لو وجدت لها حَمَلَة)، كما قال:

(القرآن حمّال أوجه). وبعبارة اخرى فإنّ الامام علي بن ابي طالب يوميء بعلمه بعلوم ولكنّه لا يصرّح بها لقناعته بأنّ الذين سيحملونها ليسوا بمستوى هذه العلوم عقليا أو بها ضرر على الدعوة الاسلامية، أمّا قوله: (القرآن حمّال أوجه.) فتعني أنّ محتويات القرآن غامضة وتحتمل عدة تفسيرات وتأويلات.

واخيرا الشعر الذي ينسب الى الرّضي حفيد علي بن ابي طالب:

يارُبّ جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا

ولأستحلّ رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا

ولا يخفى إنّ الصحابة عندما ستروا بعض معلوماتهم قالوا بانّ ذلك بسبب انّ حقائق الغيوب فوق مراتب بعض القلوب.

كما انّ المتصوفة لهم بعض الشطحات التي كانت سببا في قتلهم كمنصور الحلّاج ومحي الدين ابن عربي الذي قال:

لقد صار قلبي قابلا كلّ صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ما أحوج ألإنسانية إلى دين ألحب ألّذي نادى به محي الدين ابن عربي وبألأخص في عصرنا هذا ملىء بنبذ المخالف والاحقاد والضغائن وما تنتج عنه من تشريد وتقتيل.

40

حوار صحفي مع ألخالق

" ألشك ألطريق ألناجع للوصول إلى ألحقيقة وأليقين".

ألصحفي: إذا سمحت لي ياخالقي سأبدأ حواري معك بأهم ألأسئلة التي تشغل بالي، لماذا أنت معتكف منذ أكثر من 1400 سنة ولا تتدخل في شؤون عبيدك في ألأرض، ولا ترسل لهم رسلا وأنبياء لهدايتهم، لأنّي أعتقد أنّ تشريعات ألأديان ألإبراهيمية ألثلاث، أقصد أليهودية والمسيحية وألإسلام غير ملائمة لعبيدك في ألقرن ألواحد وألعشرين ؟

ألخالق: أنا لم أُرسل رسلا ولم أُوحي ألى نبي، وإنّما توهم بعضكم بأنّه رسول أو نبي، وحاول هؤلاء ألمتوهمين تعريفي وأنا غني عن التعريف. وبما أنّ ألعقل ألبشري قد وصل إلى مرحلة ألنضوج في عصركم فلن يظهر بينكم رسل وأنبياء بعد ألآن.

ألصحفي: هل تقصد بأنّ علينا إستعمال عقلنا للوصول إليك وألتعرّف على ماهيتك؟

ألخالق: هذا ما قصدته بألضبط.

ألصحفي: ولكن اكثرية ألبشر جاهلون ويتّبعون الآن ألأديان ألإبراهيمية، وقسم قليل من ألمعزولين في غابات أفريقيا وألأمازون يعبدون الاسلاف والطواطم وآلهة متعددة حتّى ألآن، وقسم من ألعقلاء لا يعترف بوجودك ويعتبرك وهم من الأوهام، وقسم آخر يعبد عقله، وبعضهم يؤمن بأنّ أمنا ألطبيعة هي ألتي خلقتنا نتيجة لصدفة حالفها ألحظ.

ألخالق: قراري لن أغيّره، ولن أتدّخل في شؤونكم فانتم احرار بما تعتقدون، وانصح ألعقلاء أنْ يبذلوا جهودا مكثّفة لتثقيف وتنوير أخوانهم في ألإنسانية ليعيشوا بسلام مع بعضهم البعض، ولا تسمحوا للمتوهمين أنْ يحكموكم من القبور.

ألصحفي: ولكن هذا سيستغرق وقتا طويلا، وعبيدك يقتتلون فيما بينهم بسبب إختلاف عقائدهم ومذاهبهم.

ألخالق: كلّ مخاض ولادة يكون عسيرا.

ألصحفي: هل تتفضل وتخبرنا ماهي ألروح؟

ألخالق: ألروح من أمري وما أوتيتم من ألعلم إلّا قليلا.

ألصحفي: هذا جواب لا يُشبِع ولا يُغني من جوع.

ألخالق: حسنا، ألروح هي طاقة.

ألصحفي: ألاتوضّح أكثر؟

ألخالق: تصوّر أنّ جسدك قطعة من ألخشب تحترق في ألنّار، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ قطعة الخشب ستتحول إلى رماد، وستنطفأ شعلة ألنار، قطعة الخشب هي جسدك وألنار هي الروح.

ألصحفي: هل تقصد أنّ ألروح طاقة ناتجة من حرق ألغذاء في أجسامنا، وبعبارة أخرى هي تفاعل كيمياوي.

ألخالق: أصبت كبد ألحقيقة.

ألصحفي: هل خلقت مخلوقات أخرى كالملائكة وألجن وألشياطين؟

الخالق: ما هذا ألهراء أنا لا أحتاج لكلّ هؤلاء فلِمَ أخلقهم؟

ألصحفي: ولكنّك لا تحتاج ألبشر أيضا، فلِمَ خلقتنا؟

ألخالق: لن أجيبك على هذا ألسؤال، وعليك أنْ تكتشف ذلك بنفسك.

ألصحفي: لِمَ؟

ألخالق:لأنّ هذا ألسؤال سيقودك إلى ألشك بوجودي، وألشك ألطريق ألناجع للوصول إلى ألحقيقة وأليقين.

41

حوار صحفي مع ألشيطان

" إنّ اعجب ما في قصّتي هو تمرّدي على الله، إنّ هذا التمرّد هو اغرب حكاية جالت في عقولكم واحسن مثل لما جال ويجول في ألفكر ألإنساني من تصوير ألمستحيل" .... ألشيطان.

ألصحفي: وددت إجراء حوار معك فهل يزعجك ذلك؟

ألشيطان: كلّا على ألعكس أنا سأكون سعيدا بذلك لأنّي أود توضيح ألأكاذيب وألأساطير ألتي تدور حولي، ولكن ما دفعك لتجشم مشاق ألسفر للقائي؟

ألصحفي: أمس كنت متمددا في ألسرير ومستغرقا في قراءة حديث ألنبي محمّد حول دورك في سهو ألمسلمين في ألصلاة، وجاء في ألحديث أنّ إسمك خنزب ثمّ أستغرقت في ألنوم ورأيتك تجثم على صدري ولم أستطع ألتنفس واستيقظت مذعورا، لذا قررت ملاقاتك للتعرّف على ماهيتك.

ألشيطان: حسنا فعلت، هات ما عندك وسأكون صريحا معك قدر ألمستطاع.

ألصحفي: سأبدأ بألحلم، لماذا حلمت بك؟

ألشيطان: بتأثير قراءتك للحديث ألنبوي، إنّ الحلم يتكوّن في العقل الباطن (اللاشعور) للانسان النائم باستخدام ارشيف المعلومات والذكريات الموجودة في دماغ الحالم وذلك بتأليف سيناريو مُبهم وبإستعمال رموز بدل الاحداث والشخصيّات الحقيقية.
انّ المؤثرات في تكوين الاحلام عديدة، فمثلا حدوث حادثة او إجراء حديث او مشاهدة فلم قبل النوم بفترة وجيزة او قبل عدّة ايام وكذلك رغبات الانسان المكبوتة كالرغبات الاقتصادية والجنسية والبيولوجية الاخرى، يضاف الى ذلك تاثيرات البيئة المحيطة بالنائم كسماع الاصوات والضوء الساقط على عين النائم والروائح التي يتنشقها مع الهواء.
ألصحفي: على ذكر ألرغبات ألبيولوجية، هل صحيح أنّك تضاجع ألناس أثناء نومهم؟
ألشيطان: لقد أضحكتني، أنت إذاً لم تفهم ماقلته لك حول ألأحلام، ألمضاجعة هي تنفيس للرغبة ألجنسية ألمكبوتة.
ألصحفي: هناك تشويش حول إنتمائك، فقسم من ألآيات ألقرآنية تذكر بأنّك تنتمي إلى ألملائكة وقسم آخر تذكر بأنّك تنتمي إلى ألجن، ألا توضح ألأمر؟
ألشيطان: لا هذا ولا ذاك، أنا لا منتمي.

ألصحفي: قسم من ألمسيحيين ألغنوصيين يؤمنون بأنّك خالق للكون أمّا بقية ألمسيحيين وجميع ألمسلمين فيقولون إنّك إحدى مخلوقات ألرب أو ألله، أرجو أن توضّح هذا ألتناقض.

ألشيطان: لا هذا ولا ذاك.

ألصحفي: أجوبتك غامضة.

ألشيطان: أنا أحب ألغموض.

ألصحفي: لماذا؟

ألشيطان: لولا ألغموض لما خاطرت بمقابلتي.

ألصحفي: هل تعتقد بأنّي أخاف منك؟

ألشيطان: نعم بدليل أنّك كدت تختنق عندما رأيتني في ألحلم.

ألصحفي: عندك حق وأعتقد بأنّك اشجع منّا بدليل أنّك لا تهرب عندما يرمونك ألمؤمنون بألحجارة أثناء ألحج.

ألشيطان: شكرا للمديح، ولكنّي لا أتواجد في مكّة.

ألصحفي: لماذا؟

ألشيطان: لأنّ ألملائكة يقومون بزيارات متواصلة لمكّة، ألم تسمع بمقولة: إذا حضرت ألملائكة، هربت ألشياطين.

الصحفي: هل حقا عصيت ألله ولم تقبل ألسجود لأبانا آدم؟

ألشيطان: كلّا وألف كلّا، إنّ هذه ألحكاية هي رمز للشرور الموجودة في نفوسكم، ألم يذكر ألنبي محمّد في ألقرآن (أنّ ألنفس لأمّارة بألسوء) وهذه أصح عبارة في ألقرآن وينفي جميع ألتهم ألتي ألصقتموها بي.

إنّ حكاية رفضي السجود لآدم وطلبي من الله إمهالي إلى يوم القيامة بعد قسمي بعزته لكي أغوي البشر وقبول الله هذا الطلب الغريب بتعيني للقيام بهذه الوظيفة ليست سوى حل لدرء التهمة عن الله بأنّه هو ألذي خلق الشر وزرعه في نفوسكم، لانّكم ستتسائلون:

إذا كان الله هو الذي خلق الشر في نفوسنا فلم يحاسبنا ويعاقبنا على ذنوبنا؟

إنّ اعجب ما في قصّتي هو تمرّدي على الله، إنّ هذا التمرّد هو اغرب حكاية جالت في عقولكم واحسن مثل لما جال ويجول في ألفكر ألإنساني من تصوير ألمستحيل.

ألصحفي: سؤال أخير، من أنت؟

ألشيطان: أنا شماعة تعلقون عليها ذنوبكم وأخطائكم.

ألصحفي: شكرا يا شماعتي.

42

حوار مع قاريء حول كتاب ثورة ألشك

" إنْ كنت أؤمن بلقاء ألله لن تجدني أكتب ما كتبت وكنت سأسرع إلى أقرب كهف أتعبد فيه وأعتزل ألنّاس".

تلقيت رسالة من أحد ألقرّاء ألذي قرأ كتابي ثورة ألشك يطرح فيها بعض ألتساؤلات حول الدين ألإسلامي، في هذه ألمقالة سأحاول ألإجابة على تلك ألتساؤلات.

يبدأ القاريء ألعزيز (ع. ألحلّي) رسالته بهذه ألمقدمة:

اما بعد
فلا اعرف بما احييك الا ان اقول مرحبا كيف حالك اخي العزيز انا المسلم (ع. الحلّي) من العراق انهيت لتوي قراءة كتابك (ثورة الشك) واعجبني ما فيه اعجابا هائلا لدرجة اني جلست لاقرأ كتابك صباح الجمعة وانهيته مساءها فقد ارجعَ لي شغف القراءة بعد ان فقدته لسنة كاملة بسبب ما شغلتني به الحياة من طلب الرزق و اهداف اخرى احمدُ الله انّ لدينا من المفكرين العرب ما يغنينا تعب البحث عن ترجمة المؤلفات الغربية احيي فيك هذه العلمية الجليلة في البحث و الاستنتاج و الله الموفق

ما اطلب منك الاجابة عليه هي الاسئله التالية، ثمّ يختتم ألقاريء رسالته بالعبارة ألتالية:

ارجو ان يصلني جوابك الفاضل يا اخي الكريم وان تقبلني صديقا لك لانّ ذلك يسعدني جدا و ارجوا الا تزعجك تساؤلاتي

.
المحب لكتاباتك
ع. الحلّي
العراق ------ بابل

ألأسئلة وإجاباتها:

ألأخ العزيز ع. ألحلّي:

أسعدتني رسالتك الرقيقة وأسعدني ألحماس ألذي تتمتع به للمعرفة، ساحاول ألإجابة على تساؤلاتك في أدناه:

ألقاريء: ما سيكون ردّك لو كان ما جاء من محمد (ص) صدقا حقا من الله تعالى و كيف سيكون الحال بعد نهاية المطاف و العودة الى الله؟

ك.ع : قضيت معظم عمري بعقوده ألستّة في ألدراسة والتفكير للاجابة على هذا السؤال وتوصلّت إلى ألقناعة بأنّ ألخالق لَمْ يوحِ إلى أحد ولم يكلّم أحدا، ولا أعتقد بوجود ألثواب وألعقاب بعد ألموت. فالموت هو ألنهاية لحياة كلّ ألأحياء، ولكن لو حدث ان اصبحت مخطئا في اعتقادي فسأتحمّل ألنتيجة بصدر رحب.

ألقاريء: رغم كل السلبيات التي بُحِثت ووجِدت، والثغرات الهائلة ارجو ان تضع نفسك مكان محمّد (ص) في ذلك الزمان وسط ذلك المجتمع الذي يرى تحقيق الغايات بالقوة، و ليس للضعيف مكان سوى الاستعباد الا ترى من العظمة ان يحقق هذا الرجل ويستحصل مكانا للمباديء و ينتصر لها؟

ك.ع: اتفق معك انّ محمّد بن عبدألله رجل عبقري وعظيم، فقد قاد حفنة من ألفقراء وألعبيد الى اكبر ثورة في تاريخ ألإنسانية، ولكنّه أخطأ عندما أدّعى بأنّه خاتم ألأنبياء فبهذا أغلق باب تطوّ ر ألأديان ألتي يتوجب أنّ تكون مواكبة لتطوّر ألعقل ألبشري.

ألأديان تكون مناسبة للاقوام الذين يظهر ألدين بين ظهرانيهم. ألمشكلة تطفو على ألسطح عندما نحاول تطبيق تشريعات ألدين في عصر مختلف ومكان مختلف عن مكان ظهور ألدين ألمعني.

أنّ إرغام ألآخر لإعتناق ألدين وأستعمال ألقوّة لنشره يتناقض مع طبيعة ألألوهة، لأنّ ألله ألوارد صفاته في ألقرآن لا يحتاج من يدافع عنه وينشر تعاليمه بين ألبشر بألقوّة. وأنا أتفق معك بأن ألحروب وأستعمال ألقوة كانت من مميزات ألمجتمع ألبدوي الذي ظهر فيه محمّد ولكن الهجوم لنشر ألدين لا يمكن تبريره أو ألقبول به ألبتّة.

صحيح أنّ ألدين ألأسلامي بدأ كثورة للعبيد، ولكن تشريعاته وتطبيقاته أدّت ألى أستعباد ألبشر ونهب ألأموال كغنائم في حروب ألجهاد وإلى إذلال أهل ألذمّة وأجبارهم على دفع ألجزية عن يد وهم صاغرون وكذلك أدّى إلى عزل ألنساء عن فعاليات ألمجتمع ألإسلامي وبألنتيجة شل نصف ألمجتمع .

ألقاريء: كيف تريد من القرآن انْ يخاطب قوما جاء هاديا لهم، انْ يذكر لهم ما توصّل اليه العلم حاليا من ادق الموجودات؟ اليس حريا به انْ يكتفي بهدايتهم في ذلك الوقت العصيب الذي كان يزخر بالظلم الاجتماعي؟ وقد فعل، فما فائدة ذكره للعلوم التكنلوجية و ما يحتاجه القوم في ذلك الزمان هو تصحيح المعتقدات و تحسين الاخلاق؟ ثم انّ التكنلوجيا آتية مع تطور العقل البشري فلا حاجة الى الاستعجال، انّما جاء في ذلك الوقت ليجد جوابا لكلّ سؤال و لا اعتقد انهم احتاجوا في ذلك الوقت الى سؤال من هذا القبيل ليرد له جوابا امّا بعد الثورة العلمية الحاصلة فالاخلاق لاعلاقة لها بذلك فهي ثابتة في كل الازمان.

ك.ع: في ألقرآن آيات تحاول تفسير ألظواهر ألكونية وتطرح نظرية خلق آدم، ومعظم هذه ألتفسيرات تتناقض مع ما توصل إليه ألعلوم، وبما أنّ ألقرآن يدّعي بأنّ ألدين ألإسلامي صالح لجميع ألمجتمعات وألعصور فألأحرى أن يخاطب انسان ألمستقبل ولو بآية واحدة، فمثلا لو ذكرَ بأنّ الله خلق مخلوقات صغيرة لا تُرى بالعين ألمجرّدة هي سبب ألإصابة بألأمراض لكان هذا دليلا على أنّه وحي من أله، ولا يخفى عليك بأنّ هناك ألعديد من ألآيات ألغامضة في ألقرآن تُسمّى بالمتشابهات ولا بأس ان تكون فيه آية واحدة تخاطب انسان عصرنا لنؤمن بأنّه وحي من أله، ألا تقرأ يوميا محاولات جماعات ألإعجاز ألعلمي وهم يحاولون تأويل بعض ألآيات بلي ذراعها بألقوّة لتصبح معجزة قرآنية؟

ثمّ من قال لك أنّ ألأخلاق ثابتة؟ لا يوجد شيء ثابت في ألكون وكلّ شيء يتطوّر ويتغيّر حسب ألزمان وألمكان، وكمثال فإنّ عيسى لم يحرّم ألخمر ولحم ألخنزير بينما محمّد حرّمهما، والدين أليهودي والدين ألإسلامي شرّعا بأنّ ألعين بألعين وألسن بألسن، بينما ألدين المسيحي يقول: من ضربك على خدّك ألايمن فأدر له خدّك ألأيسر، هذا بالنسبة لأديان سماوية تفصل بينهم مئات ألسنين، فكيف ألأمر بالنسبة للحدود ألأخلاقية ألوضعية ألتي تطوّرت عبر ألآف ألسنين؟

إنّ ألمجتمعات ألإنسانية توّصلت إلى ألتشريعات ألأخلاقية ليتمكن أفرادها من ألتعايش مع بعضهم ألبعض لأنّ ألإنسان كائن أجتماعي.

ألقاريء: وإنْ يكن محمد (ص) جاء بما جاء به قبله فليس في ذِكرِ ذلك نفع على ما اعتقد، المهم هو ما حققه من نصر للمباديء في ذلك الزمان هو ما يستحق الذكر.((لو يُعرَض عليّ الآن انْ اكون ما كان محمّد (ص) سأكون فخوراَ انْ اكون مثله)).

ك.ع: ألأديان تراكمات، وذِكرُ حقيقة ألأقتباس ألموجود في ألدين ألإسلامي من أليهودية وألمسيحية وأساطير ألحضارات ألمجاورة لشبه ألجزيرة ألعربية، توّضح بشرية هذه ألأديان، والنفع يتحقق عند ذِكرِ ذلك وإثباته عندما تقتنع ألمجتمعات ألإسلامية ببشرية ألدين، فتبدأ عملية غربلة للتشريعات ألدينية وذلك بأخذ ألصالح من ألدين وترك ألطالح منه بدون خشية من عذاب جهنّم.

صحيح بأنّ محمدا حقق نصرا لمبادئه ولكن ألسؤال، هل جميع مبادئه جيدّة وصالحة لكلّ زمان ومكان؟

من حقّك أنْ تكون فخورا بأنْ تكون ما كان محمّد ، ولكنّي لن أكون فخورا بمثل هذا ألعرض.

ألقاريء: عندما نكتشف شيئا سلبيا في ما نعتقد فليس من الضروري انْ نهاجم المعتقد بل اعتقد انّ من الضروري التعديل و التحسين ثم الدعوة بالموعظة الحسنة فانّها اطيب الى النفوس واقرب الى القلوب و افضل من ادخال الناس في متاهة اللادين والشك العقيم فقد مرت حياتي من صغري وانا مسلم و إنْ اكن افضّل الهداية الى الاسلام بدلا من الولادة عليها و لكني بعد الشكوك و التجارب اجد انّ الاسلام دين ينظم حياتك ويكفي ليقود مجتمعا وإنْ وجدتَ فيه خللا كان حكما صَلُحَ لاولئك القوم و لايصلح لنا في عصرنا فاعتقد انّ لديك جوابا تقدّمه بين يدي الله افضل مِن انْ تنكر اللقاء معه وما تجنيه من فوائد دنيوية.

ك.ع: عندما نعتقد بأنّ ألدين وحي من ألله لا يصح لنا انْ نعدّل ونصحح ألدين من سلبياته وأنا لا أهاجم ألدين بل أنتقده لأُثبت أنّه من مصدر أنساني ففي هذه ألحالة يمكننا من تحسين وتطوير ألدين بما يتناسب مع تطوّر ألعقل ألإنساني وبما يتناسب مع عصرنا زمانيا ومكانيا، وعكس ذلك يكون أشتغالا بالعبث.

أوافقك بأنّ ألدعوة يجب أنّ تكون بألحكمة وألموعظة ألحسنة، ولكن ماذا سنفعل بألكم ألهائل من ألآيات ألمدنية ألتي تدعو إلى نشر ألدين بألقوّة وتدعو إلى عدم موالاة ألغير ألمسلم حتى لو كانوا آباءنا وأولادنا؟ هل نشطبه من ألقرآن؟

صحيح أنّ ألدين بالرغم من سلبياته ساهم في تنظيم ألمجتمعات ألتي ظهر فيها, ولكن ظهور ألأخلاق وترسّخها في ألمجتمعات ألإنسانية سبقت ظهور ألأديان ألإبراهيمية(اليهودية، ألمسيحية والإسلام) وأحسن مثل على ذلك هو شريعة حمورابي وتعاليم بوذا وألفيلسوف ألصيني كونفشيوس.

إنْ كنت أؤمن بلقاء ألله لن تجدني أكتب ما كتبت وكنت سأسرع إلى أقرب كهف أتعبد فيه وأعتزل ألنّاس، لانّي وطوال عشر سنوات من شبابي (عندما كنت مؤمنا بألدين أيمانا راسخا) حاولت تطبيق جميع تعاليم ألإسلام في حياتي ولكن ذلك أنشأ صراعا في نفسي لإستحالة ملائمة ألدين ألإسلامي مع متطلبات ألعصر ألحديث، والسبب كونه من مصدر بشري، فلو كان من عند ألله لأمكن تطبيقه في كلّ ألأزمان وألأماكن.

43

مسنجر بين الجنّة وجهنّم

" ألحوار في الجنة وجهنم باللهجة العراقية المحلية".

متعوس ومحظوظ صديقان منذ الطفولة، قبض عزرائيل روحيهما اثر نسف انتحاري نفسه في بغداد.

في يوم الحساب عبر محظوظ الصراط بسهولة (عبالك بهلوان مال سيرك) ودخل الجنّة، امّا متعوس فسقط في اوّل خطوة خطاها على الصراط (عبالك تيغة مال البيتونة وجمالة مسوّين طسّة اصطناعية) ودخل جهنّم وبئس المصير.

بعد فترة اكتشفا وجود مقاهي للانترنت في الجنّة وجهنّم. في فترات الاستراحة كان يسمح للنزلاء بارتياد هذه المقاهي واستعمال الحاسبة الالكترونية. بالاستعانة باليّة البحث كَوكَل تمكن متعوس من اكتشاف ايميل محظوظ وبذلك تمّ الاتصال الالكتروني بينهما ودار بين الصديقين الحوار التالي في المسنجر:

متعوس: اشلونك خوية محظوظ، شكو ماكو يمكم؟

محظوظ: زين خوية، كلشي اهنا دهنو دبس، انت اشلونك، اشلون الوضع يمكم؟

متعوس: والله موزين، سلكَونه سلك، ماكو هيجي حر حتّى بالعراق من ينكَطع القوّة بتموز بصاية وزير الكهرباء والحكومة الخايسة والبرلمان الجايف.

محظوظ: لتدير بال يمعود احنه العراقيين متعودين عل الحر اكيد الحر يمكم زلاطة بالنسبة الك.

متعوس: خوية كَلّلي صدك اكو يمكم فَيْ وانهار من خمر ولبن وعسل؟

محظوظ: لعد اشلون، شتريد اكو، عرك زحلاوي ومستكي وويسكي وبراندي وفودكا.

متعوس: ايباخ، اشلون فاتتني هاي السالفة، غير حظ اغبر عندي، بالدنيه عذاب، بالقبر عذاب وهسّة عذاب، بس اشلون عذاب لو تدري؟

محظوظ: احجيلي بالله.

متعوس: شكَوللك خوية، اول ما جابوني اهنا ركَع دونكيات وتفلات، بعدين شدّوني بزنجيل طوله سبعون ذراعا، بعدين اجه واحد عتوي عبالك سعلوة ديسموه زبانية طوله يطلع فد خمس امتار شالني وذبني بنص النار، ردت انهزم اشوف هل عتوي لزمني من خوانيكَي وشمرني هلمرّة ثلاثميت متر بنص اللهب، فد كَووي هذا ولا عدنان القيسي واشلون عكسيات يضرب الله ليشوفه لحّد.

محظوظ: زين اشلون مامتت؟

متعوس: ياموت يابه هذي فد طركَاعة ماكو مثله، جلدي صار فحم، بعد اشويّة طلعلي جلد جديد ابيض مثل جلد مارلين مونرو، ودك حرك طول اليوم.

محظوظ: تعني دك عيني دك مو؟ زين اكل اشلون؟ مدتموتون من الجوع؟

متعوس: هاي هم حاليّها شعبالك، اكو اهنا فد شجرة ديسمّو شجرة الزقّوم وجماله دتثمر بس اشلون ثمر عبالك رؤوس الشياطين.

محظوظ: اشلون دتاكولوها مطبوخة لو هيجي؟

متعوس: لا يمعود بليّة طبخ ماتنجرع، لعلمك الطاقة الحرارية اهنا ببلاش كل مكان ديحترك، بارحة سوّينا باجة مال رؤوس الشياطين بس بدون ملح وليموندوزي.

محظوظ: زين الباجة متحتاج ماي اكو ماي يمكم؟

متعوس: لا يابا يا ماي، اكو فد شي مثل الماي ديسمّوه غسلين.

محظوظ: مدكَوللي شنو غسلين خوية؟

متعوس: هو مثل الماي بس اثخن شويّة،ولونه وطعمه مثل الجراحة اللي تطلع من الجرح وراماتلتهب.

محظوظ: هسّة افتهمت، كَلبي ويّاك متعوس احزنت عليك اهواية ولو يكَولون ماكو احد يحزن بالجنّة.

متعوس: اشو اخذتني حاصل فاصل،احجيلي شكوماكو يمكم؟ صدك اكو حوريّات وكواعب اترابا مثل ما كَللولنه، ولو لهسّة ماافتهمت شنو كواعب اترابا، مدكَوللي شنو معناها.

محظوظ: ضحّكتني متعوس، كواعب اترابا معناها انّو الحوريات مميات مالتهن كَويّة مثل جعب رجلك يعني مو مثل مالت صاحبتك العجوز والحوريات كلهن شابّات بنفس العمر.

متعوس: زين انت اتزوجت وحدة من ذوله؟

محظوظ: ها ها ها... يا وحدة يابا...لك اشكد متريد ماكو تحديد.

متعوس: كللي زوجتك متغار، ماسوّت مشكلة؟

محظوظ: المرة يمكم ما تدري؟

متعوس: محظوظ صدك وين تنام ويّة الحوريات، اقصد وين تمارس السكس؟

محظوظ: وين متريد، اهنا ماكو مستحه عبالك نادي العراة مال اوروبا، بس انطونا بيوت حيطان مالته كله جامخانة وتكَدر تشوف الحدايق اللي تجري من تحتها الانهار من غرفتك، والبيوت مو مبنية عل الكَاع، عالية شويّة .... فد خمسين متر.

متعوس: اشلون اتطب بالبيت، اكو درج لو مصعد؟

محظوظ: انت ظل بهلعقليّة، يادرج يامصعد يابطيخ، بابا احنه كلنه نكَدر نطير مثل سوبرمان.

متعوس: مامعقولة زين ميصير اصدام بالهوا، اكو ترافيك لايت؟

محظوظ: طبعا اكو، اهنا كلشي تكنولوجيك شعبالك.

متعوس: ها نسيت اسالك منتشربون العرك تسكرون لولا؟

محظوظ: لعدشلون شنو فايدة العرك اذا متسكر؟

متعوس: اكو عرك قجق.... اقصد عرك هبهب؟

محظوظ: ها ها ها متجوز من سوالفك العتيكَة، شتريد اكو، دتعال يمنه فد يوم خطّار وشوف بعينك اذا مدتصدك.

متعوس: اشلون اجي يابه وهل عتوي اربع وعشرين ساعة مكَابلني؟

محظوظ: ماالخاف عليك فد يوم تكَدر تدبرها، الكَيلك واحد قجقجي من ربعنه خلي يطلّعك، متتذكر اشلون طلعنا قجق من العراق بالقادسيّة الثانية.

متعوس: لتذكرني بلعراق وطركَاعة ومصايب العراق، لو هسّة يكَوللولي تكدر ترجع كما كنت والله ما اقبل وداعتك محظوظ.

محظوظ: ليش حبيبي؟ عراق ورا السقوط مو احسن من جهنم؟

متعوس: لا والله مو احسن، ذوله الامريكان وربعنا الاحزاب الدينية السنيّة والشيعيّة والكاكوات كَالبيبها كَلب لا ياعمّي لا اهنا اروح، اكو كهرباء اكو غسلين والحطب بلاش اخذ اشكد متريد ودنسوّي باجة وتكّة كل يوم. ليش متعرف الوضعيّة اهناك؟ جاك الواوي جاك الذيب، لا يابه لا اهنا احسن ولو ربعنا الحكّام كلهم اهنا بس اهنا غير شكل اللي يحجي زايد يشكّون حلكَه شك.

محظوظ: كَللي شفت جورج دبليو بوش اهناك؟

متعوس: زين ذكّرتني، هذا اول ما جابوه يمنه ربعنه العراقيين شبّعوه كفخات وكَام صاحبنا يصيّح : فوكَ ما جبتلكم ديموقراطية وخلّصتكم من صدّام هيجي تسوون بيّه، هاي مخالفة لحقوق الانسان.

محظوظ: دتجذّب هاي نكتة من تاليفك، بس خليتني اموت من الضحك،والله مرّات داضوج اهنا بالجنّة، لا نكات ولا هم يحزنون، يومية عرك وسكس، ضجت اريد اسمع فد اغنية مال داخل حسن لو اركص جوبيّة ماكو، مرّات اشتهي جكاير يكولون ممنوع لانها تلوّث الجو وتثقب طبقة الاوزون.

هاي الشغلة متنراد، راح اقدّم عريضة حتى يرجّعوني للعراق، صدك من كَال الشاعر:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

متعوس: والله انت بطران، هو بقى وطن، بقه صخام لو بقت اغاني، اشو كلله لطمية وزناجيل وانفجارات، دكّعد راحة، اذا رحت ويامن اسولف؟

محظوظ: صدكَ ما عرفت ليش ذبّوك جهنم؟

متعوس: علمود فد بزّونة، حسب ما سمعت من واحد من الزبانية ما ادري صدك لو جذب فد يوم اني لازم البزّونة اللي جانت تاكل الطيور مالتي بالسطح ودك عليها بالخيزران. زين انت اشلون دخّلوك للجنّة؟

محظوظ: اني هم علمود فد بزّونة طلّعتها من فد بير.

محظوظ: تتذكر متعوس فد يوم امام الجامع بالخطبة اش كَال؟

متعوس: لا والله،هو بقت ذاكرة اهنا، مو حركَوا دماغي الف مرّة.

محظوظ: كَال الامام انّو اكثرية اهل النّار من النسوان والزناكَين واكثرية اهل الجنّة من الفقراء والمكَاميع، كَللي هذا الحجي طلع صدك يمكم لو لا؟

متعوس: بالنسبة للنسوان صح اهنا داشوف اهواية نسوان، بس الزناكَين مو اهواية.

محظوظ: حجَيك صحيح يمنه بالجنّة اكو اهوايه زناكَين. مرّة سالت واحد زنكَين اعرفه كَتله اشلون دبّرتها؟ كَللي: جان عندي فلوس اهواية، من كثرت ذنوبي رحت للحج سبع مرّات وللعمرة سبع مرّات فرجعت كما ولدتني امّي بدون ذنوب.

متعوس: شنهي السالفة حتّى اهنا عندك عبّاسي انت على راسي، ماعندك عبّاسي روح لتدوّخ راسي.

محظوظ: شعبالك مسامع الفرس شيكَولون بلمثل مالهم؟

متعوس: شيكَولون؟ نوّرني.

محظوظ: بارة خدانيست، قاضي الحاجتست.

متعوس: كلشي ما افتهمت، شنهي معناها؟

محظوظ: الفلوس مو الله، لكن تقضي الحاجات مال انت.

ذيج اللحظة انكَطعت القوّة نتيجة احتراق القابلو الرئيسي وصرّح الناطق الرسمي باسم الزبانية بانّ تطاير الشرر من بعض اجزاء السعير سبّبَ انقطاع القوّة في جميع ارجاء جهنّم.

في اليوم التالي تمّ اصلاح الخلل في الشبكة الكهربائية بجهود الزبانية وبالاستعانة بالمهندسين اليابانيين. في فترة الاستراحة اتّصل متعوس بصديقه محظوظ ودار بينهما المحادثة الثانية في المسنجر:

متعوس: اشلونك خوية محظوظ، هم زين لكَيتك، البارحة انكَطع الاتصال لان الكيبل الكهربائي احترك.

محظوظ: زين اشلون صلّحوه؟

متعوس: والله لو مو ياجوج وماجوج ما جان دبرّوها.

محظوظ: منو ذوله؟

متعوس: ليش مسامع بيهم ذوله اليابانيون والصينيون، كَبل جم يوم سوو اضراب عن الاكل وكَالوا احنا منكَدر نكَعد عطّال بطّال، احنا اذا منشتغل نموت من القهر.المسؤول الجبير يمنه فتح شعبة للخدمات الهندسية وعيّنهم كلهم بس بدون راتب.

محظوظ: لعد هومّه هم ديشرفون عل الانترنيت مو؟

متعوس: اليابانيون ديشرفون عل الانترنيت من الناحية الفنيّة.

محظوظ: بالنسبة لكَطعة القوّة جانت مدبّرة لو صدفة؟

متعوس: لا صدفة، خوماراح تكّوللي همّين شغلة ابو ناجي؟

محظوظ: لا، آني عبالي الزبانية كَطعوا الخط لأن حجينه زايد البارحة مو؟

متعوس: ليش اكَو رقابة عل الإنترنيت أهنا؟

محظوظ: طبعا اكو. ليش متدري؟ كلشي اللي نكتبه يقرو وكلشي نحجيه يسمعوه خو مو خان جغان.

متعوس: خللي يقرون شي يسوون قابل، المبلل ميخاف من المطر.

محظوظ: هاي بالنسبة الك، بالنسبة الي يكَدرون يطردوني من الجنّة ويجيبوني يمّك.

متعوس: هاي ما فكرت بيها، خللي منروح زايد بالحجي، على الاقل واحد عراقي وصاحبي يبقى يتنعم بالجنّة.

محظوظ: صدك احجيلي عن القبر وعذاب القبر اشسوولك اهناك؟

متعوس: يابه هاي فد طلابه ليشوفه الله لحّد. خللي احجيلك، ورا مدفنوني، هجم عليّه النمل والدود وانواع الحشرات، ما خللوا بجسمي مجان صاغ سليم. بعد شهر من الوليمة اجه يمّي زوج من الملائكة، واحد اسمه منكر واللاخ اسمه نكير، وكَاموا يسئلوني اسئلة بلسان عربي فصيح: من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما كتابك؟ وما قبلتك؟

اني جنت اعرف راح يسألوني هل الاسئلة وجنت دارخ الاجوبة درخ، بس تدري اني بالامتحانات ارتبك وانسى المعلومات اللي درختها فمكَدرت اجاوب صح، بعدين مديت ايدي حتّى اطلّع وركَة مال القوبية اللي جنت موصّي اهلي يخبوها بجيب الكفن لكَيت الوركَة صايرة وصلة وصلة، اثاري النمل والدود ماكلين منها.

محظوظ: بعدين اشصار؟

متعوس: انلاصت عليَّ وما كَدرت اجاوب على كل الاسئلة، بس كَدرت اجاوب على السؤال الاول وكتللهم ربي هو الله سبحانه وتعالى. الملكان كَللولي انت رسبت بالامتحان لان لازم تجاوب على كل الاسئلة يللا تكَدر تنجح بالامتحان، كَتللهم زين ماكو ترك؟ احنه بلعراق منجاوب على كل الاسئلة، اكو دائما ترك بالاسئلة.

محظوظ: اي بعدين شصار؟

متعوس: ورا ما رسبت بالامتحان عذّبوني فد تعذيب ولا تعذيب جماعتنا الامن العامّة، بعدين عافوني وطاروا. ورا اشويّة اشوف الحيطان مال الكَبر تحركت وكَامت تعصرني مثل المنكَنة، بقيت على هلحال الى يوم المحاكمة، اقصد يوم الحساب.

محظوظ: والله وضعيتك متنراد، كَلبي عليك متعوس.

متعوس: كللي هم سئلوك نفس الاسئلة؟

محظوظ: طبعا، لكن اني جاوبت على الاسئلة مية بالمية، بعدين كَللولي: بارك الله فيك وطاروا.

متعوس: بعدين اشصار؟

محظوظ: ورا ماراحوا الجماعة الكَبر صار مثل النهار ضويّة والحيطان مال الكَبر كَامت تزحف ليغاد. على كل حايط شفت شاشة مثل شاشة التلفزيون وفرّجوني مناظر من الجنّة وافلام هنديّة مال شامي كابور وافلام اجنبية ومسلسلات اشكال ارناك وبقيت على هلحال الى يوم الحساب.

متعوس: والله فرحتلّك خوية محظوظ ولو يكَولون ماكو احد يفرح بالجحيم. خللي اضحكك اشويّة، ورا مدفننوني بجم يوم، دفنوا يم كَبري واحد كاكا، بعدين جوي هيكل جيكل...اقصد منكر ونكير، اني جنت اسمع حسهم من سالوا الاسئلة المعهودة وبلسان عربي فصيح وكلما يسالون الكاكا ميجاوب، بعدين ورا مالحّوا زايد الحاحا واصرّوا زايد اصرارا على كَولة عادل امام كَال الكاكة بالكردي: اني ميعرف عربي وكلشي ماافتهمت من هلحجي المفروض تجيبون ويّاكم فد مترجم تعرف لغات، اني دخت وزجت فلتدوّخوني زايد، روحي انتِ جيبي كلاشات مال آني، آني اريد اروح جهنم وبئس المصير.

محظوظ: ها...ها...ها هاي هم نكتة من تاليفك مو؟

متعوس: يانكتة، وداعتك صدك، الرجّال مو حقّه ميعرف عربي وخطيته بركَبة كاك مسعود ومام جلال لانّو سووا الدراسة كلله بالكردي في شمال العراق.

محظوظ: هاي مجنت مفكّر بيها، صدك ذوله اخواننا التركمان والاثوريون والقوميات الاخرى مثل الالمان والانكَليز اشلون يجاوبون على هل اسئلة؟

متعوس: والله ما ادري، خللي احجيلك اشصار يوم المحكمة.... اقصد يوم الحساب.

محظوظ: اي بالله احجيلي.

متعوس: يوم الحشر صارت هوسة، مليارات من البشر... لو اكَولك جان يطلعون فد ثلاثميت مليار مو جذب. الكل جانوا يتراكضون يمنه ويسره عبالك سكرانين ومرعوبين، بعدين جوي المسؤولين وكَفونه سرة، اشلون سرة، يطلع طوله فد مليون كيلومتر، اني ردت اضرب السرة واطلع ليكَدّام، بعدين خفت، كَلت خللي اشوف اشراح يصير للواكَفين بالمقدّمة بعدين قابل هيّ سرة مال اللحم لو مال بيض بالسوق المركزي لو سرة مال البان ايام المرحوم والحصار.

بعدين تذكّرت ذيج الايام الغبرة واشلون وكَفت سرة اربع ساعات في الجمعيّة التعاونية مال راغبة خاتون علمود كيلوين بيذنجان وكيلو فلفل من صارت دولة الكويت المحافظة التاسعة عشر، الله لا يرجّع ذيج الايام. بعدين تذكّرت ايام الدراسة من جان مدرّس النصوص ينطينا واجب حفظ قصيدة من عشرين بيت. اني جنت دوم ادعي لابويه لان اسمي يبدي

بحرف الكاف لان اول واحد يساله المدرّس جان اسمه يبدي بحرف الالف فجنت استغل الفرصة واراجع القصيدة الى ان يجيني السرة.

محظوظ: وبعدين؟

متعوس: اجاني السرة بعد جم سنة واحنه واكفين لان ممنوع واحد يكَعد بالسرة.

محظوظ: زين اكل اشلون ماجعت؟

متعوس: طبعا جعت، بس هاي هم حالّيها، اكو جماعة من الزبانية واكَفين يم السرة وجانوا يبيعون لقّات مال لبلبي ولفات مال عنبة وصمّون واشكال جرزات، خطيّة ذوله هم على باب الله وعدهم عوائل وكومة جهال.

محظوظ: زين ورا ماجاك السرة اشصار؟

متعوس: طببونا فد قاعة كلش جبيرة بيها قفص مال اتهام، بعدين اجه واحد من الملائكة بيده دريل، سوّه زرف بجتفي الايمن وزرف بجتفي الايسر، بعد شويّة طلع من الزرفين ملكان كل واحد لازم بيده فد سي دي (CD) مال كومبيوتر، من هاي اللي يسجّلون عليه معلومات وحسب ما سمعت من واحد بالقاعة انو يستوعب مليار جيكابايت من المعلومات والاعمال الحسنة اوالذنوب، بس اللي ما افتهمت ذوله الملائكة اللي جانوا خاتلين بجتفي وجانوا يكتبون تقارير سريّة اشلون عاشوا بهلمجان الصغيّر ستّين سنة، مو ذوله هم يحتاجولهم كومبيوتر وميز واكل مو؟

محظوظ: والله اني هم مادري بس خصم حجيك انو ماكو كتاب بيمينك او شمالك مثل ماكال الامام بالخطبة.

متعوس: لا يابا لا، هذا الحجي مال كَبل، هسّة كلشي تكنولوجيك.

محظوظ: وبعدين؟ داحجي مو شلعت كَلبي.

متعوس: اكو فد ميزان الكتروني حسّاس كلّش يم قفص الاتهام كل واحد من ذوله الملائكة خلّه (سي دي) اللي شايله بجفّة الميزان بعدين شفت انّو الجفّة مالت السيئات نزلت اشويّة ذيج اللحظة كَلبي وكَع فكَلت بنفسي: ثكلتك امّك يامتعوس.

محظوظ: اللي افتهمتَ من حجيك انّو حسناتك طلعت بكَد سيئاتك لكن الفرق قليل يعني تكَدر تكَول انّو جفّة الذنوب طلعت اثكَل بكَد مثقال حبّة خردل مو؟.

متعوس: مثل ما كَلت بالضبط وهاي الفرق البسيط بسبب البزّونة اللي عذبتها، متتذكر شحجيتلك البارحة؟

محظوظ: اي تذكرت.كَللي اكو شهود بالمحكمة؟

متعوس: طبعا اكو شهود بس مو بشر.

محظوظ: لعد شنو حيوانات؟

متعوس: ها ها ها....لا يابا لا، الشاهد الاول جان جلدي والثاني عيوني والثالث اذاني، خصم الحجي كل اعضاء جسمي شهدوا عليّ.

محظوظ: زين اكو محامي لو اشلون؟

متعوس: لا ماكو محامي بس اني خلوني ادافع عن نفسي.

محظوظ: اشكَلت بالدفاع مالتك؟

متعوس: كَلت اني ماعندي صوج لان كل ما سويّته بالدنيا جان مكتوب بكَصتي واني حاولت اهوايه اغيّر المكتوب ولكن عبثا.

محظوظ: حلوة مال عبثا، صاير مثقف خوية متعوس، زين بعدين اشصار؟

متعوس: بعدين كَادوني الملائكة وكَللولي اعبر عل الصراط، واني من ده اعبر ما انتبهت اثاري اكو طسّة اصطناعية تعثرت بيها ووكَعت الى اسفل السافلين.هسّة احجيلي اشصار يمكم؟

محظوظ: اني هم نفس الشي بس الدريل ما وجعني لانّو جان يزرف باستعمال اشعة الليزر .

متعوس: هسّة احجيلي عل الجنّة وريّح اعصابي شويّة لان سمعت فد اشاعة قويّة اهنا يكَولون راح يطلع عفو وراح يجيبون قسم من عدنه يمكم.

محظوظ: مثل ما حجيتلك البارحة، انطونا بيوت من جام، هلبيوت بيها غرفة مال خطّار وغرف مال نوم مؤثثة وحمّام وبوري يطلع منّه مي وبوري يطلع منّه عسل وبوري يطلع منّه لبن وبوري يطلع منّه عرك وانواع الخمور كل نوع إله دكَمه خاصّة.

متعوس: كَوللي اكو مراحيض لو لا؟

محظوظ: ها ها ها... غير دماغسز انت، اشلون يصير مراحيض بالجنّة؟

متعوس: لعد اشلون، منتحصر وين تروح؟

محظوظ: بابا اهنا ماكو هلسالفة لان الاكل اللي ناكله ينهضم كلله وميبقى فضلات، افتهمت؟

متعوس: زين هلبيوت ايجار لو مُلكْ، اقصد انطوك طابو؟

محظوظ: طبعا مُلكْ بس البيع والشره ممنوع.

متعوس: خويه متنطيني وصف مفصّل عن الجنّة؟

محظوظ: حسب ما سمعت من المسؤولين اهنا انّوالجنّة الها ثمان ابواب وكل باب مال الجنّة إله فد اسم، والجنة كلها مو سوة، يعني بيها درجات، اعلى درجة ديسموه الفردوس الاعلى ومنّاك تطلع اربع انهار، نهر مال ماي ونهر مال لبن ونهر مال عسل ونهر مال عرك.

متعوس: زين جم درجة اكو وانت شنو درجتك؟ مؤيّد لو نصير لو رفيق اشو تاهت عليّ الحسبة.

محظوظ: لتذكّرني بذيج الايّام فدوه اروحلك. الدرجات اهنا ميت درجة وانكَس واحد بينه عنده مُلكْ اكثر من مُلكْ مال اكبر زنكَين بالعالم بعشر قوط وهاي الدرجة اللي اني حصلّتها.

متعوس: زين نوعية الاكل اشلونه؟

محظوظ: الاكل كلش زين، اكو لحم مال هوش وغنم ولحم مال طيور اشكال ارناك، وطبعا لا تنسى الميوة اكو فد مليون شكل.

متعوس: زين احجيلي عل الاشجار اللي يمكم.

محظوظ: الاشجار مالتنه سيقان مالتها امن الذهب والوركَة امن الزمرّد الاخضر وكل شجرة الها اسم، مثلا اكو فد شجرة عجيبة اسمها طوبى وتشبه شجرة الجوز، هاي الشجرة جبيرة كلّش ومن الثمر مالتها تطلع ملابس من السندس والاستبرق.

متعوس: هم بديت تحجي الغاز، شنو سندس؟ شنو استبرق اشو كلشي مافتهمت.

محظوظ: شسويلك اذا معلوماتك قليلة، بابا السندس معناته الحرير الخفيف وهاي نلبسه بالصيف، والاستبرق معناته الحرير الثخين وهاي نلبسه بالشتا.

متعوس: ليش هم اكو اهناك صيف وعجاج؟

محظوظ: بابا اهنا الصيف غير شكل، بعدين منين يجي العجاج، اهنا ماكو شي اسمه تراب.

متعوس: لعد يم الشط...اقصد بالكورنيش شكو مد كَوللي؟

محظوظ: صبرك يا رب، بابا اهنا الكَيعان كلله لؤلؤ وزمرّد. ها نسيت اكَوللك هاي الشجرة الها فد وظيفة غريبة.

متعوس: نورني اخويه محظوظ.

محظوظ: من نجتمع يم الشجرة ونتذكّر الونسة مال الدنيا مثل اللعب والطرب والركَص ونتمناها هاي الشجرة تطلع منها هاي الشغلات.

متعوس: لعد اشلون كَتلي البارحة ماكو اغاني وماكو ركَص بالجنّة؟

محظوظ: مو اني هل يوم اكتشفت هلسالفة.

متعوس: كَوللي محظوظ انت من متت جان عمرك ستّين سنة، هسّة انت اشكَد عمرك؟

محظوظ: اني عمري بالجنّة ثلاث وثلاثين سنة وبجسمي ماكو ولا شعرة، اعني امرد وطولي ستون ذراعا وشكلي حلو مثل يوسف ابن يعقوب. اكو فد شغلة محجيتلك عليه،الغيم اهنا تمطر حوريات حسب متريد.

متعوس: خوش حجي، زين الولدان المخلّدون شنو؟ وشنو محلهم من الاعراب؟

محظوظ: ذوله خزمتجية بس صغار بالعمر، يجيبولنه اكل وشرب وشكلهم حلو عبالك لؤلؤ.

متعوس: صدك نسيت اسالك، من جنّا لازمين سرة بباب المحكمة، شفت جماعة من طلعوا من القاعة ما ودّوهم للجنّة ولا للنار شنو ذولة؟

محظوظ: ذوله ناس اعمالهم السيئة والحسنة طالع متساوي ميّة بالميّة وهاي حالة خاصّة.

متعوس: زين ذوله شنو مصيرهم؟

محظوظ: اكو فد منطقة عالية بين الجنّة وجهنّم ديسمّوا الاعراف، هل جوكَة ينتظرون اهناك ويباوعون على اللي يدخلون الجنّة والنار وينتظرون.

متعوس: شينتظرون مدكَوللي؟

محظوظ: ينتظرون الرحمة، فاللي يجيله رحمة يروح للجنّة، واللي ميجيله يجيبوه يمكم.

متعوس: صدك نسيت احجيلك، اكو واحد جان واگف گدّامي بالسرة گبل منطب بالمحكمة من اكلة لحوم البشر، من ذولة جماعة الامازون القدامى كلَش، سالته: اكو صلاة؟ اكو صوم؟ اكو زكاة؟ اكو حج؟ اكو جهاد؟ خطيّة باوع عليّة مثل الاطرش بالزفّة وگال: باندوكا لاندوكا تام توم. طبعا اني كلشي ما افتهمت.

محظوظ: النتيجة؟

متعوس: سالت واحد من الزبانية اللي يحرسون السرة وجان يعرف لغات ومبيّن عليه مثقّف، گتله اشگال صاحبنا؟ گللي ديگول كلشي ماافتهمت من حجيك.گتله للزبانية بداعتك حجّي انت اساله نفس السؤال وسوّي ترجمة، فمن ساله كايل الافندي: بزماننا مجان اكو هيجي عبادات.

محظوظ: خطيّة هذا لان مو صوجة اذا ماسامع هل شغلات.

متعوس: البارحة ورا ما انگطع الكهرباء يمنه، شفت جماعة من ربعنا الحكام مسّوين اجتماع، وسمعت يريدون تقسيم جهنّم الى دويلات.

محظوظ: حتّى اهناك؟ ذوله مايصير براسهم خير. زين الزبانية من سمعوا بالسالفة شسوولهم؟

متعوس: لزموهم وخلّوهم بالسجن الانفرادي، بعدين واحد عتوي من الزبانية بيده دريل سوّه زرف براس كل واحد من ذوله وجب بالزرف حديد مايع ديسمّوه اهنا الحميم، تدري اشصار بيهم؟

محظوظ: اشصار؟

متعوس: المصارين مالتهم طلعت من جوه وگاموا يصيّحون: توبة هلنوبة، احنه ويّه فكرة الجهنم الموحّد ونريد حكم مركزي.

محظوظ: متعوس گللي وين تنامون، عدكم بيوت مُلُكْ؟

متعوس: اهنا ماكو لا بيوت ولا مُلُكْ ولا قزلقرط، وين متريد تحترك انت حر.

ذيج اللحظة ساد الهرج والمرج في الانترنت كافيه لان أثنين من شقاوات بغداد تكاونوا وجوي الزبانية وطفوا الكهرباء حتّى ينهون العاركة، وطلّعوا الكل برّه بالجلاليق.

44

سبارتكوس

" إنَّ ألعبودية ألّتي ترسّخت في لاشعورنا بسبب ألأديان جعلت منّا خرافا في قطيع يسوقه ألحاكم وبألأخص ألحاكم ألديكتاتوري أينما يشاء وكيفما يشاء".

عرفَتْ ألبشرية ألعبودية وتجارة ألرقيق منذ فجر ألتاريخ.

أكبر عمليات أستعباد ألإنسان لأخيه ألأنسان كانت نتيجة للحروب، فألمنتصِر كان يستعبد أسرى ألمهزوم ويستخدم معظم ألرجال في انجاز ألأعمال ألشاقة ويُعاملهم معاملة ألحيوانات، أمّا النساء فكنَّ يُستغَلنَ لأشباع ألغرائز ألجنسية لأفراد ألجيش ألمُنتصِر وقادته.

في مجتمع ألجزيرة ألعربية قبل ظهور ألإسلام كان نظام ألعبيد ساري ألمفعول وكذلك في معظم ألمجتمعات ألأخرى في تلك ألحقبة.

ألدعوة ألأسلامية في بدايته في مكّة أستقطبت ألفقراء وألعبيد لأنّهم وجدوا في تعاليمها طوق ألنجاة ألّذي سينقذهم من مستنقع ألعبودية. ألدين ألإسلامي حقق خطوة إلى ألأمام بتشريعاته في تحرير ألعبيد حيث دعى إلى فك ألرقبة من أغلال ألعبودية ككفّارة من بعض ألذنوب كما أنّ تعاليمه في بداية ألدعوة دعت إلى ألمساواة بين ألمؤمنين (ألمؤمنون سواسية كأسنان ألمشط.... حديث نبوي) و (لا فرق بين عربي وأعجمي إلّا بألتقوى....حديث نبوي) و (كلّكم من آدم وآدم من تراب...حديث نبوي).

ولكنَّ ألدين ألإسلامي لَمْ يستطع مِن تجفيف مستنقع ألعبودية تماما لأنَّ ألآيات ألّتي جاءت في ألعهد ألمدني (في يثرب) ناقضت ألتشريعات ألسامية حول ألعبودية ورسّخت نظام ألعبودية في ألمجتمع ألإسلامي، فألسماح بممارسة ألجنس مع ما ملكت أيمانكم حسب ألآيات ألقرآنية وآيات ألقصاص (الحُرُّ بألحُر وألعبد بألعبد) ماهي إلّا إقرار صريح بنظام ألعبودية.

وما زاد ألطين بلّةً ألسماح بتملّك ألعبيد والسبايا مِن ألنساء بعد حروب ألفتح ألإسلامي، فمحمّد بعد أنْ قويت شوكته أغار على قبائل أليهود في يثرب وقتل رجالهم وسبى نسائهم، حتى أنّه دخل بصفيّة أليهودية بعد أنْ قتل زوجها وعائلتها وجعلها من ضمن مَلك يمينه في نفس ليلة أنتهاء ألمعركة.

ألخلفاء ألراشدون وألخلفاء ألأمويون وألعباسيون وسلاطين آل عثمان مرورا بكلّ بكلّ أمراء وحكّام ألدول وألأمبراطوريات ألإسلامية أختطّوا نفس ألنهج ورسّخوا نظام ألعبودية وألجواري في ألمجتمع.

إنَّ أوّل محك جابه محمّد حول موضوع ألأسرى هو أسرى معركة بدر ألّتي أنتصرَ فيها ألمسلمون على مُشركي قريش وبمساعدة ألملائكة ألمسوَّمين وكما مذكور في ألقرآن.

أسّر ألمسلمون في تلك ألمعركة سبعين من ألمقاتلين. لأقرار مصير هؤلاء ألأسرى أستشار محمّد صحابته فأقترح أبوبكر ألصدّيق إطلاق سراحهم مقابل فدية (تفكير ألتاجر)، أمّا عمر بن ألخطّاب فقد أقترح قتلهم جميعا وبرر ذلك بقتل هؤلاء عددا من ألمسلمين في ألمعركة (تفكير مُحارب) ولكنّ محمّدا أخذ بإقتراح أبوبكر ألصدّيق (السبب حاجة ألمسلمين إلى ألمال وإنقاذ عمّه عباس بن عبدألمطّلب)، فأطلق سراح ألّذين دفعوا ألفدية وطلب من ألّذين لَمْ يتمكّنوا من دفع الفدية تعليم عشرة من المسلمين ألقراءة والكتابة مقابل حريتهم وكما ورد في كتب ألسيرة ألنبوية وكتاب أسباب ألنزول للشيخ والمُفسِّر جلال ألدين ألسيوطي، وكان من بين ألّذين أُطلِق سراحهم مقابل ألفدية عم محمّد عبّاس بن عبدألمطّلب، وألجدير

بألذكر وكما ورد في كتاب ألشخصيّة ألمحمّدية للشاعر ألعراقي معروف ألرصافي وأستنتاجا مِن ألسيرة ألنبوية أنَّ عم محمّد عبّاس بن عبدالمطّلب كان قد اسلم في مكّة ولكنّ محمّدا طلب منه كتم إسلامه ليتمكن من تزويده بنوايا وخطط قادة قريش ضد الدعوة الاسلامية والدليل نجاة محمد من مكيدة قتله في مكّة قبل الهجرة الى يثرب.

بعد فترة ندِم محمّد على ألقرار ألّذي أتّخذه بأخذ ألفدية وألّف آية عتاب على لسان ألله (ما كان لنبي أنْ يكون له أسرى...ألآية ألقرآنية) وهذه ألآية ضربت عصفورين بحجر، ألعصفور ألأوّل تطييب خاطر عمر بن ألخطّاب وألعصفور ألثاني ألايحاء إلى ألمسلمين بأنَّ ألقرآن ليس مِن تأليفه وإنّما هو وحي مِن ألله بدليل أنَّ ألله عاتبه على خطأ قراره حول مصير ألأسرى.

ما حدث بعد ذلك وفي جميع ألحروب ألأسلامية حتى آخر تلك ألحروب في عهد سلاطين آل عثمان أنّ ألتطبيق للتشريعات ألأسلامية أدّى إلى تكريس ألعبودية والسبي للنساء وأستخدامهن كجواري لأشباع ألنزوات ألجنسية للمسلمين ونشطت أسواق ألنخاسة نشاطا لا مثيل لها.

إنَّ ألعبودية ترسخت في لاوعي ألبشرية منذ طفولة ألعقل ألبشري، فإذا تمعنّا في ألعلاقة بين ألإنسان وألله في معظم ألأديان نراه كعلاقة ألسيّد بألعبد ففي سورة ألذاريات ألآيات 55 و 56 و57 نقرأ ((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ* وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ*)) ولكن هل يحتاج ألله إلى عبادتنا أو عبوديتنا له؟ ألجواب طبعا لا، فحسب المنطق فإنَّ الله لو كان محتاجا الى شيء حتّى لو كان هذا ألشيء عبوديتنا له فسيفقد خاصيّة الغنى (الله غني عن العالمين.....حسب القرآن).

إنَّ ألعبودية ألّتي ترسّخت في لاشعورنا بسبب ألأديان جعلت منّا خرافا في قطيع يسوقه ألحاكم وبألأخص ألحاكم ألديكتاتوري أينما يشاء وكيفما يشاء (أطيعوا ألله والرسول وأُولي ألأمر منكم....ألآية ألقرآنية).

فالشعب ألعراقي ساقه صدّام حسين وقيادة حزب ألبعث لفترة خمس وثلاثون عاما إلى حتفه بمغامراته ألطائشة.

وأليوم ومنذ سبع سنوات يسوق ألمحتلّون ألأمريكان وصنائعهم من قادة ألأحزاب ألطائفية ألشيعية وألسنية وألأحزاب ألقومية ألعنصرية هذا ألشعب ألمُبتلى ألى ألهاوية ويسرقون خيراته في وضح النهار والفساد أستشرى في ألبلد حتّى أصبحنا في رأس قائمة الدول الفاسدة في ألعالم.

ألتساؤل ألّذي يلحّ على عقل ألإنسان لِمَ لا يثور ألشعب ألعراقي على مستعبديهم؟ ولِمَ يتحمّلون هذه ألنوائب وألفساد وسرقة ثرواتهم أمام أعينهم؟

حسب أعتقادي ألسبب ألرئيسي هو فقدان ألشعب للروحية وألعزم ألّذي كان يتحلّى به ألعبد سبارتكوس وزملائه عندما ثاروا على ديكتاتورية ألأمبراطورية ألرومانية، وبسبب ترسُّخ ألعبودية في لاشعور ألإنسان ألمَتدَيّن منذ أبتكار ألأديان مِن قبل ألسياسيين وألأنبياء ألسياسيين.

45

وظائف الملائكة

" لإن وعي الانسان هو الذي خلق ألآلهة فقد شبه الإله الكبير بالملك له كرسي وعرش يحمله العبيد او الحمالون اثناء تنقلاته".

في اساطير الحضارات القديمة (السومرية،البابلية،المصرية،الاوغارتية والاغريقية) كان للآلهة مجمع يرأسها كبير الآلهة وكانت الوظائف موزعة على بقية الآلهة فكان للرعد إله وللمطر وهكذا بقية ألآلهة.

لإن وعي الانسان هو الذي خلق ألآلهة فقد شبه الإله الكبير بالملك له عرش وكرسي وعرش يحمله العبيد او الحمالون اثناء تنقلاته.

فالملائكة يمثلون حاشية الملك وخدمه.

فجبرائيل هو سفير الملك او ساعي البريد وعزرائيل مسؤول الاغتيالات وميكائيل وزير الزراعة والموارد المائية واسرافيل الموسيقي او عازف الملك والملائكة حملة العرش هم العبيد او الحمالون اما المنكر ونكير فيمثلون رجال الامن المسؤولين عن التحقيق والتعذيب واخذ الاعترافات واخيرا فالملائكة الكرام الكاتبين يمثلون كتبة ومدونوا الملك (في عصرنا كتبة الصادرة والواردة).

46

اسألوا اهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون

" إنّ الزنا في المنام قد يؤدي إلى حمل المرأة سفاحاً خاصة إذا كان نومها عميقاً".... الشيخ ابن عثيمين.

هذه رسالة الكترونية وصلتني من صديق مغترب في سويسرا، ألرسالة أضحكتني وأحزنتني. بالرغم من قناعتي بأنّ معظمها من تأليف كاتبها ألساخر وألمجهول بألنسبة لي، ولكن لو زرنا ألمواقع ألألكترونية لهؤلاء ألشيوخ فسنجد ألأدهى وألأمَر.

ألعبرة ألمستقاة من أمثال هذه ألفتاوى لها وجهان، ألوجه ألأول يعكس أستغلال هؤلاء ألشيوخ ألماكرين لجهلاء ألشعوب ألإسلامية لتحقيق أهدافهم ألدنيئة في ألشهرة وألمال وربّما ألجنس.

ألوجه ألثاني يعكس ألمدى ألذي وصل إليه جهل بعض ألمسلمين، وأتّكالهم في كلّ صغيرة وكبيرة على هؤلاء ألشيوخ، ويالیتَ يكون أتّكالهم على مَنْ يفيدهم بمقدار حبّة خردل أو يؤدي إلى تقدّمهم قيد أنملة.

أتمنّى أنْ تعيد هذه ألمقتطفات ألبسمة إلى وجهوكم في خضم ألمحن ألتي تعصف بشعوبنا في تونس ومصر وأليمن وألعراق والسودان والصومال وأيران وأفغانستان وبقية شعوب ألعالم ألمبتلاة بالأديان ألأبراهيمية وشيوخها وقساوستها وحاخاماتها وحكّامها ألمتسلطين على رقاب شعوبها.

أترككم مع فتاوى شيوخ ألإسلام:

س: فضيلة الشيخ، أنا شاب ملتزم، وجاءتني فرصة للسفرعلى متن طائرة تحلق فوق بلاد الكفار، وتحتها بيوت يشرب أهلها الخمر ويمارسون الفحشاء، فهل أنا في هذه الحالة مذنب؟

ج: الشيخ الزنداني: عليك يابني أن تتحدث مع كابتن ألطائرة وتطلب منه أن يتجنب الطيران فوق بلاد الكفار، وإذا كان مُضطرا فعليه أن يحاول الطيران فوق تجمعات المسلمين وهذه طريقة سهلة، فمآذن المساجد مرتفعة، ويمكن أن تكون دليلا للطيران الشرعي الحلال.

س: أنا أعمل سكرتيرة واحيانا اكون مع مديري في غرفة واحدة مغلقة لوحدنا فما حكمها؟ وهل أكون مخطأة ؟وما الحل لتكون خلوتنا حلال؟

ج: الشيخ العبيكان: عليك أن تقومي بإرضاع مديرك من ثدييك ثلاث مرات بحضور زوجك عندها تكونين كوالدته وبحكم الام ويحق لكما شرعا الاختلاء دون أثم في مكان مغلق معا"!

س: أنا مسلم تقي، وأحب السباحة لكنني أخشى أن أسبح في مكان تكون قد سبحت فيه من قبل فتيات يرتدين المايوهات، فهل المياه التي أسبح فيها تكون نجسة لأنها اختلطت بعورات الفتيات؟

ج: الشيخ محسن العواجي عليك يا ولدي أن تكون متفهما للظروف، فإذا كانت المياه جارية فالسباحة فيها حلال، أما المياه الراكده التي تظن أن أجسادا عارية وبضّة وناعمة سبحت فيها من قبل، فالاقتراب منها حرام.

س: صديق لي يبلغ الثلاثين من عمره وقد أراد الزواج من فتاة قيل له بأنها في العشرين، فلما تزوجها اكتشف أنها في السابعة من عمرها، فهل يطلقها، أم يحتفظ بها حتى تحيض؟

ج: الشيخ القرضاوي: إذا كان قد رآها رؤي العين وظن أنها في العشرين ثم اكتشف أنها في السابعة من عمرها فالاثم يقع على ولي أمرها لأنه لم يجعلها ترتدي ملابس الأطفال، وإذا كانت منقّبة، ودخل عليها فعليه أن يسأل أهل العلم.

س: أنا أعمل في رقابة المطبوعات، وأحيانا أقرأ رواية فيها حديث عن امرأة سافرت دون محرم، فهل أنا آثم وينبغي عليَّ ترك العمل؟

ج: الشيخ سلمان العودة: عليك أن تتصل بكاتب الرواية، وتطلب منه تغيير الجملة إلى امرأة سافرت ومعها محرم، أو يضيف كلمة آثمة وتلعنها الملائكة، وإذا لم يستجب الكاتب فعليك أن تستقيل لأن أجرك حرام من هذا العمل المخالف للشرع!

س: لي زميل في الجامعة غير مسلم، وقد استعرت منه كراسة المحاضرات وسقطت فوق سجادة الصلاة، فماذا أفعل لكي لا يغضب الله عليَّ ويدخلني نار جهنم؟

ج: الشيخ الغامدي: لا إثم عليك إن شاء الله إذا سقطت كراسة محاضرات زميلك الكافر فوق الطرف الأيسر للسجادة، أما إذا سقطت في وسطها أو أيمنها فينبغي أن تغسلها سبع مرات، وإذا كانت صينية الصُنع فغسلها عشر مرات واجب، أما السجاد المصنوع بأيدي فتيات لا يرتدين القفاز فينبغي احراقه.

س: أنا فتاة ملتزمة وقد رأيت في منامي أن شابا وسيما احتضنني بقوة وابتسمت له، فكيف أقوم بالكفّارة عن ذنبي؟

ج: الشيخ ابن عثيمين: الذي احتضنك في المنام هو الشيطان نفسه، أما ابتسامتك فتعني رضاك عما حدث، لذا يجب التوقف تماما عن النوم لئلا يظهر الشيطان مرة أخرى، وتتطور الأحضان والقبلات إلى ما لا تحمد عقباه، وقد سمعت أحد مشايخنا الأفاضل يقول بأن الزنا في المنام قد يؤدي إلى حمل المرأة سفاحاً خاصة إذا كان نومها عميقاً!

س: الموسيقى هي مزامير الشيطان، وأنا كنت أطل من نافذة بيتنا فرأيت عرسا أمام المنزل تنبعث منه الأغاني والموسيقى والمعزوفات، فهل يجب أن أتوضأ مرة أخرى؟

ج: الشيخ آل الشيخ: إذا كانت مزامير الشيطان كماناً وعوداً وجيتاراً فمن الأفضل إعادة الوضوء، أما لو كانت الطبلة تشبه الدف، والعرس على مسافة خمسين مترا فلا حرج في الصلاة بنفس الوضوء السابق!

س: هل هناك جان يجيدون التعامل على الكمبيوتر، ولهم مواقع على الانترنيت، ويدخلون المنتديات باسماء خفية؟

ج: الشيخ الأحمد: الجان يعرفون كل ما يعرفه الإنس، وهناك عفاريت أكثر مهارة من بني البشر في التعامل مع الإنترنيت، وقد سمعت أن عفريتا قام ببرمجة الخطة الخمسية للحكومة، وبعض العفاريت يفضلون أجهزة الماكنتوش، لذا فعليك التأكد من بريدك الالكتروني لمعرفة إن كان المرسل جنا أم إنساً!

س: هل يستطيع زعيم طاغية أن يعتقل الشياطين ويضعهم في سجونه ومعتقلاته؟ وهل يكون سجانوهم من نار أم من طين؟

ج: الشيخ عايض القرني: بنو البشر فقط هم المسحوقون تحت أحذية الطاغية، أما الشياطين فتعيش في القصر وتأكل مع القائد المهيب..

س: شقيقي الأصغر التحق بكلية العلوم، وبدأ يتعلم أشياء غريبة عن الانفجار العظيم والمجرات وملايين النجوم، وفجأة قال لنا بأن الأرض التي نعيش عليها صغيرة جدا وأنها ذرة متناهية تحلق في الكون وتدور حول نفسها وحول الشمس، فماذا نفعل معه؟

ج: ابن باز: يجب اخراج شقيقك فورا من الكلية والحاقه بكلية الشريعة قبل أن يتورط في مزيد من الخرافات، فالأرض هي مركز الكون، وهي أكبر من كل الكواكب والنجوم، وتقف على قرني ثور، وتهتز عندما تعطس الشياطين، أما الشمس فتنزل في المساء إلى قاع البحر فتبتل، وعندما تشرق من الناحية الأخرى تبدأ ضعيفة حتى يجف البلل عنها.

س: أعرف شخصا يعيش في النرويج ويتحدث عن بلاد شمس منتصف الليل، ويقول بأنها لا تختفي في الصيف، ولا تظهر في الشتاء، فما حكم الشرع في هذا المجنون؟

ج: الشيخ البراك: على المسلم أن يكون حذرا من هؤلاء الجهلة، فكيف تصدق أن الشمس تظهر في منتصف الليل، ثم أين تختفي في فصل الشتاء إلا إذا انتقلت إلى كواكب أخرى تنير لأهلها، ثم تعود بعد انتهاء مهمتها!

س: أعرف شيخا يقول بأن المرأة التي تجلس قبالة التلفاز آثمة لأن المذيع يستطيع أن يراها وهي بملابس البيت، فهل هناك طريقة لتجنب الحرام في هذه الخلوة غير الشرعية؟

ج: الشيخ فالح الحربي: عليها أن تتدثر جيدا، وأن تجلس بزاوية 45 درجة حتى لا يلمحها المذيع أو أي ذَكَر عبر التلفاز، ومن الأفضل شراء جهاز تلفاز بغير صورة تجنبا للوقوع في شرك الكفر البواح.

س: أنا امرأة صالحة، أقرأ كثيرا لكل الشيوخ، ولا تبتعد عيناي عن شيوخ الفضائيات، لكن لم يجب أحد عن سؤالي الذي أرقني كثيرا: هل يستطيع عفريت ذكر أن يجامعني في حضور زوجي دون أن يلفت انتباهه؟
ثم إنني واقعة في مشكلة محرجة وهي أن ابني الصغير يشبه العفاريت، ويجري مثلهم، ويختفي من غرفة إلى أخرى، ويصرخ كأنّه منهم، فهل تظن، سيدنا الشيخ، أن عفريتا انزلق في فراشي، وحملتُ منه هذا الولد الشقي، خاصة أن جارتنا ألعجوز تقول لي دائما: ابنك عفريت؟

ج: الشيخ المنجد: إذا كان زوجك يغط في النوم ويصدر شخيرا ولا يشعر بأي حركة حوله فأغلب الظن أن ابنك من الجن وهو يحتاج إلى معاملة خاصة، ويجب أن لا تغضبيه حتى لا يستعين بأقرانه، ويسببون لك المتاعب.
أما إذا كان والده صالحا وطيبا فلا شك بأن ابنك العفريت من صلبه.

س: ما هو رأي الشرع في شرب الشاي في فناجين عليها رسومات؟

ج: الشيخ صالح النبهاني: إذا كانت ذات روح ولو كانت رسوما كاريكاتيرية، فالشاي هنا بكل أنواعه حرام باستثناء الشاي الأخضر لأنه يقاوم الروح الشريرة في الرسوم، ويجب عدم وضع الفناجين في غسالة الأطباق حتى لا تؤذي

الأرواح فتنتشر في الدار وتزعج أهلها.

أنا فتاة مسلمة ومحجبة والحمد لله وانا ماشية في الشارع شفت فيليبيني معه وردة حمراء للفالانتاين فهل أعتبر آثمة وما هي كفارة ذلك؟

الشيخ العريفي: طبعا يا بنتي هذا تشبه بالكفار ولا يجوز النظر لمشرك والعياذ بالله فتلك آفة الآفات وما عليك سوى طلب الاستغفار وحمل عود مسواك نكاية بذاك المشرك الكافر الذي كان يحمل وردة حمراء والعياذ بالله، وكان عليك أن تبلغي رجال الهيئة فوراً عنه، هذا والله أعلم.

47

ألإعجازات ألعلمية ألجديدة للقرآن وألسنة

" اخذ المسلمون في عهودهم المتأخرة يفهمون القران على غير حقيقته، فهم اعتبروه سجلا للعلوم والفنون على اختلاف انواعها".... علي ألوردي.

أستلمت رسالة ألكترونية من صديق متديّن تحت عنوان من معجزات الرسول الكريم ومرفق مع الرسالة صورة فوتوغرافية للجزء ألسفلي للهيكل ألعظمي للإنسان مضافا إليه بالفوتوشوب أصبع السبابة يشير إلى عظمة ألعصعص، هذه نصّها:

((من معجزات الرسول الكريم التي أكتشفها العلم الحديث بعد 1400 عام.
يقول حبيبنا صلى الله عليه و سلم:
(كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق و فيه يركّب)

الراوي : أبو هريرة
المحدث : مسلم
-المصدر : صحيح مسلم
-الصفحة أو الرقم : 2955
خلاصة حكم المحدث : صحيح

معنى الحديث ان كل خلايا جسم الانسان تبلى اي تموت و تتحلل إلاّ عجب الذنب منه خلقنا و منها سنبعث و المفاجأة.....
إنّ العلم الحديث اكتشف أنّه بعد الموت كلّ الجسد يتحلل الا ما يسمى بعجب الذنب، فما هو عجب الذنب؟ هو الخلية الاولى المكونة لجسم الانسان أي المرحلة الاولى فى تكوين الجنين و تسمى بالخيط الاولى.

فبعد خلق جميع اعضاء الجنين تستقر هذه الخلية فى العمود الفقري في آخره فى العصعص، وهى تقريبا فى حجم حبة العدس، وان هذه الخلية تظل حية لا تموت بعد موت الانسان لتكون البذرة التى سيبعث منها الانسان يوم القيامة.

وقد اجرى العلماء تجاربهم وحاولوا بعدة طرق قتل هذا الجزء ولكن المعجزة انه مازال حيا كما أنّهم ابدلوه بخلية من المخ ووضعوه هو(عجب ألذنب) مكان الخلية الاخرى فى المخ في احد التجارب فكانت المفاجأة ان يتحرك عجب الذنب من المخ متجها الى مكانه فى العصعص.
(و ما ينطق عن الهوى)
صلوات ربي و سلامه عليه)).....أنتهى ألإقتباس.

1- إنّ صورة أصبع السبابة ألتي تشير إلى عظمة ألعصعص تنسف إدعاء المعتقدات ألدينية بخلق آدم كأول ألبشر من صلصال كحمأ مسنون، لإن وجود عظمة ألعصعص ينسف نظرية التصميم ألذكي (خلقنا ألإنسان في أحسن تقويم..ألآية ألقرآنية) ويثبت نظرية تشارلس داروين في ألتطور لأنّ عظمة ألعصعص هي ألجزء ألضامر من ألذيل لأجداد ألإنسان من ألحيوانات ألثديية ألتي أنحدر منهم ألإنسان.
2- لم تذكر ألرسالة في أي مؤتمر أو بحث أو مجلّة علمية ذكر هذا ألأكتشاف ألمذهل وماهي أسماء ألعلماء ألذين أكتشفوه وأنهى ألموضوع بالعبارات ألمعتادة لمدّعي ألإعجاز ألعلمي: (إنّ العلم الحديث اكتشف أو وقد اجرى العلماء تجاربهم).
3- عبارة:(هذه ألخلية تقريبا فى حجم حبة العدس) تثير ألضحك لأنّ الخلية لا ترى إلّا بإستخدام المجهر.
4- عبارة: (وقد اجرى العلماء تجاربهم و حاولوا بعدة طرق قتل هذا الجزء ولكن المعجزة انه مازال حيا كما أنّهم ابدلوه بخلية من المخ ووضعوه هو(عجب ألذنب) مكان الخلية الاخرى فى المخ في احد التجارب فكانت المفاجأة ان يتحرك عجب الذنب من المخ متجها ألى مكانه فى العصعص) منافية للعلم وألمنطق، فكيف يتحرك عجب الذنب من المخ متجها الى مكانه فى العصعص؟ وكل خلية حية يمكن قتلها بالحوامض او بالنار.

يقول سيّد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) ما معناه: إنّ محاولة بعض المفسرين المعاصرين لربط الايات القرانية بالعلم الحديث له محاذير، فالعلم قد ينقض في المستقبل ما اثبته اليوم، ثمّ انَّ القرآن ليس كتابا علميا وانّما يدعوا الى عقيدة التوحيد وفيه تشريعات لتنظيم المجتمع.

قبل فترة صدر كتاب بعنوان (اسرار القران الكريم) للكاتب التركي عمر جل اكيل، يحاول الكاتب فيه انْ يُقنِع القاريء بانَّ القرآن قد تنبّأ بتواريخ بعض الاختراعات والمكتشفات الحديثة، وخلاصة طريقته في الاثبات هي انّه يقوم بجمع كلمات بعض السّور القرآنية مع الرقم الّذي يدل على تسلسل السورة ورقم الاية التي وردت فيها اشارة الى الاختراع او الاكتشاف للحصول على تواريخ بعض المخترعات والاكتشافات العلمية، كتاريخ اختراع التلفون والطائرة، كما يذكر الكاتب بانّ العدد الذّري لعنصر الحديد مذكور في سورة الحديد كما انّ عدد كروموسومات النحل مذكور في سورة النحل وباتبّاع نفس الاسلوب الّذي ذكرناه.

يقول الدكتور علي الوردي في مؤلفه (مهزلة العقل البشري) مايلي:

((اخذ المسلمون في عهودهم المتأخرة يفهمون القرآن على غير حقيقته، فهم اعتبروه سجلا للعلوم والفنون على اختلاف انواعها. ففيه اسرار الذرّة والفلك، وفيه الادوية والعقاقير، وفيه الجغرافية وعلم طبقات الارض، وهم يُناشدون كلَّ عالِم انْ يقتبس علومه من القران، واذا عَجِزَ العالِم عن العثور عمّا يطلبه فيه كان ذلك دليلا على قصور ذهنه، فهو لو صَبرَ على البحث لوجد في القرآن كلَّ ما يروم.

قد يصح ان نقول أنَّ هذه افكار سلطانية نشرها بين المسلمين اولئك الكهّان الّذين عاشوا على فضلات موائد المترفين، اِذْ هي افكار تُخدّر عقول المسلمين وتجعلهم يرضخون لجور حكامهم ويهملون ما جاء به القرآن من مباديء الحركة والتدافع الاجتماعي، ولو فهم المسلمون مقاصد القرآن حقَّ فهمها لما استطاع السلاطين انْ يستغلّوها باسم الدين او يتلذذوا بامر الله)).

ختاما أتسائل لم لا يكتشف مدعي ألإعجاز ألعلمي من ألقرآن وألسنة أختراعات تفيد ألبشرية ولم يأولون آيات ألقرآن وألأحاديث ألنبوية بعد أن يتم أكتشافها من قبل علماء ألغرب ألكافر؟

48

تأملات في آيات ألقرآن

" هنالك أحداث كثيرة مهمة لم يحدد ألقرآن تواريخها كالطوفان وتأريخ أول جريمة حدثت على الأرض عندما قتل قابيل أخاه هابيل".

أرسل ولدي لي عن طريق الواتساب فيديو لحفيدتي التي لم تتجاوز الثالثة من عمرها لاحظت فيها أنّها تقوم بحركات لا هي رياضة ولا هو رقص باليه أو أي نوع آخر من الرقصات التي شاهدتها، كتبت له، ما هذا لا هي رياضة ولا هو رقص باليه أو أي نوع آخر من الرقصات التي شاهدتها!

كتب لي: لا إسم لها!

كتبت، ولكن أللهُ كتب في ألقرآن: وعلّم آدم ألأسماء كلها.

بعد هذا الحديث القصير بدأت أتساءل هل صحيح أنّ أللهُ علم آدم ألأسماء كلها؟

هل علمه أسماء كالألكترون والبروتون والديناصور؟ وفي أي عصر حدث هذا ألأمر؟ ولِمَ لمْ يذكر ذلك في ألقرآن؟

ألمشكلة أنّ ألقرآن لم يحدد تأريخ هذا الحدث المهم، فلو حدده لعرفنا تأريخ بداية ظهور ألإنسان على وجه الكرة الأرضية.

هنالك أحداث كثيرة مهمة لم يحدد ألقرآن تواريخها كالطوفان وتأريخ أول جريمة حدثت على الأرض عندما قتل قابيل أخاه هابيل.

كما أنّ ألقرآن لا يذكر معلومات جغرافية حول الأحداث، كمثال أين عاش نوح؟ أو في أية بقعة من الأرض هبط آدم مع حواء بعد طردهما من ألجنة؟

حسب بعض الاحاديث ألمروية عن نبي الإسلام أنّ أدم هبط من ألسماء في ألهند:

" ثنا أحمد: ثنا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أُهبِطَ آدم بالهند، فقال : يا رب ما لي لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها في الجنة؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم، فأنطلقْ فابنِ لي بيتا فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون، فأنطلقَ حتى أتى مكة فبنى البيت، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهارا وعمارة، وما بين خطاه مفاوز، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة ".

بإعتقادي أنّ هذا ألحديث تم تلفيقه لملأ الفراغات والغموض ألتي هي إحدى مزايا ألقرآن.

49

لغة ألقرآن

"تذكر دائرة المعارف الإسلامية أن هناك نحو 275 كلمة بخلاف أسماء الأعلام اعتبرها العلماء كلمات أجنبية".

سألني صديقي التركي : ما هو مرادف كلمة هفيف (hafif) باللغة العربية؟

تبسمت وقلت له : لا يوجد مرادف لها لأنّها كلمة عربية وتنطق : خفيف.

هنالك العديد من الكلمات العربية والفارسية والإنكليزية مستعملة في اللغة التركية ليست في الكلام الدارج فقط بل حتى في اللغة المستعملة في الكتابة.

معظم اللغات تنطبق عليها ما حصل للغة التركية بتأثير القرآن والحضارة الفارسية المجاورة في عهد السلطنة العثمانية إضافة إلى تأثير اللغات الأوربية بعد تبديل الحروف العربية إلى حروف لاتينية نتيجة للثورة الثقافية التي قادها مصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

اللغة العربية في فترة تأليف القرآن حصل لها ما حصل للغة التركية، فالدارس المتمعن لآيات القرآن يجد فيها كلمات غير عربية عديدة نتيجة لتأثيرات الشعوب المجاورة لشبه الجزيرة العربية كالشعوب الفارسية والحبشية والرومية والشعوب التي كانت تستعمل اللغة السريانية في الكلام والكتابة.

تذكر دائرة المعارف الإسلامية أن هناك نحو 275 كلمة بخلاف أسماء الأعلام اعتبرها العلماء كلمات أجنبية.

في "تأريخ القرآن" للشيخ إبراهيم الابياري (طبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة سنة1981م ص 190) أورَد بعض الأمثلة للألفاظ الأعجمية في القرآن، وأشار إلى كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج 1 ص 288)، وكتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج1 ص139).

بعض الأمثلة على الكلمات الغير العربية الدخيلة في القرآن :

ـ الطور: سريانية، معناها: الجبل.

*البقرة 2: 63 وغيرها " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ".

ـ طفِقا: رومية، معناها: قصدا.

*الأعراف 7: 22 " وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ".

ـ الرقيم: رومية، معناها: اللوح.

*الكهف 18: 9 " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا".

ـ هدنا: عبرانية، معناها: تُبْنا.

*الأعراف7 : 156 " وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ."

ـ طه: عبرانية، معناها: طأْ يا رَجُل.

*سورة طه 20: 1 "طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى".

ـ سينين: عبرانية، معناها: حسن.

*التين 95: 2 " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ."

ـ السجل: فارسية، معناها: الكتاب.

*الأنبياء 21: 104 " يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ".

ـ الاستبرق: فارسية، معناها: الغليظ.

*الدخان 44: 53 " يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ".

ـ السندس: هندية، الرقيق من الستر.

*الدخان 44: 53 " يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ"

ـ السريّ: يونانية، معناها: النهر الصغير.

*مريم 19: 24 " فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا".

ـ المشكاة: حبشية، معناها: الكوة.

*النور 24: 35 " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ"

ـ الدري: حبشية، معناها: المضيء.

*النور24: 35 " الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ. الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ"

ـ ناشئة الليل: حبشية، معناها: قام من الليل.

*المزمل 73: 6 " إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا".

ـ كِفْلين: حبشية، معناها: ضعفين.

*الحديد 57: 28 " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِه" .

ـ القَسْوَرَة: حبشية، معناها: الأسد.

*المدثر 74: 51 " فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ".

ـ الملة الأخرى: قبطية، معناها: الأولى

*سورة ص 38: 7 " مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ".

ـ وراءهم: قبطية، معناها: أمامهم.

*الكهف 18: 79 "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الطبري وَكَانَ أَمَامهمْ مَلِك).

ـ بطائنها: قبطية، معناها: ظواهرها.

*الرحمن 55: 54 " مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ"

ـ أباريق: فارسية، معناها: أواني.

*الواقعة 56: 18.

ـ إنجيل: يونانية، معناها: بشارة.

*آل عمران 3: 48.

ـ تابوت: قبطية، معناها: صندوق.

*البقرة 2: 247.

ـ جهنم: عبرية، معناها: النار.

*الأنفال 8: 36.

ـ زكاة: عبرية، معناها: حصة من المال.

*البقرة 2: 110.

ـ زنجبيل: بهلوية، معناها: نبات.

*الإنسان 76: 17.

ـ سجَّيل: بهلوية، معناها: الطين المتحجر.

*الفيل 105: 4.

ـ سرادق: فارسية، معناها: الفسطاط.

*الكهف 18:29.

ـ سورة: سريانية، معناها: فصل.

*التوبة 9: 124.

ـ طاغوت: حبشية، معناها: الأنداد.

*البقرة 2: 257.

ـ فردوس: بهلوية، معناها: البستان.

*الكهف 18: 107.

ـ ماعون: عبرية، معناها: القدْر.

*الماعون 107: 7.

هناك آيات قرآنية عديدة تؤكد بأنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، منها:

ـ سورة يوسف 12: 2 "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون".

ـ سورة طه 20: 113 "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا" .

ـ سورة الزمر 39: 28 "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون".

ـ سورة فصلت 41: 3 "كتاب فصلت آياته، قرآنا عربيا لقوم يعلمون".

ـ سورة الشورى 42: 7 "أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها".

ـ سورة الزخرف 43: 3 "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون".

ـ سورة الأحقاف 46: 12 "وهذا كتاب مصدق [لكتاب موسى] لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا".

ـ سورة الشعراء 26: 193و195 "نزل به الروح الأمين.. بلسان عربي مبين".

ـ سورة النحل 16: 103 "وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ".

اختلف العلماء في كيفية إنزال القرآن على ثلاثة أقوال:

القول الأول: " نزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما على النبي صلّى الله عليه وسلّم في مكة قبل الهجرة والمدينة بعد الهجرة، في مدة عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين سنة، حسب الاختلاف في مدة إقامته في مكة بعد البعثة ".

القول الثاني: " نزل القرآن إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر، وقيل: خمس وعشرين ليلة قدر، ينزل في ليلة القدر في كل سنة ما يقدر الله إنزاله في تلك السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجما

في جميع السنة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي، نقلا عن بعض العلماء ".

القول الثالث: " ابتدأ نزول القرآن في ليلة القدر، ثم أخذ ينزل منجما بعد ذلك في أوقات مختلفة، وهذا قول الشعبي.

قال ابن حجر في شرح البخاري: والأول هو الصحيح المعتمد، وهناك رواية رابعة حكاها الماوردي، وهي " أن القرآن نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، ثم تولى الحفظة تنجيمه على جبريل، ثم تولى جبريل تنجيمه على الرسول صلّى الله عليه وسلّم ".

والتساؤل المنطقي هنا : إذا كان أله أنزل القرآن بكلام عربي مبين، فما هو موقع الكلمات الأجنبية الدخيلة فيه من الإعراب ؟

إنّ القول بكون القرآن كلام أله يعني أنّ أله يتكلم بلغة هجينة، او على أقل تقدير فإنّ القرآن مخلوق كما قالت المعتزلة.

جميع الدلائل من وجود كلمات اجنبية دخيلة ووجود أخطاء نحوية وإملائية وعلمية وتاريخية وركاكة بعض الآيات وغموض بعضها وتكرار بعض الآيات والتناقضات التشريعية بين الآيات المكية والمدنية التي حدثت نتيجة لتبدل وضعية الدعوة الإسلامية من الضعف في مكة إلى القوة في يثرب، وكذلك وجود آيات ناسخة لآيات أخرى في القرآن إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أن القرآن مؤلَف بشري.

50

بلاغة ألقرآن

" هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" .... سورة آل عمران - ألآية- 7.

آيات القرآن ككل مؤلف صادر من إنسان فيه ألغث وألسمين، فيه آيات بليغة وفيه آيات غير بليغة. فآيات القرآن ليست كلها في الذروة العليا من البلاغة، بل يقع بينها التفاضل، فمنها الأعلى ومنها الأوسط ومنها دون ذلك. وقد أصاب الشاعر الفارسي في إنكاره التسوية بين قوله: (تبت يدا أبي لهب)... سورة المسد، الآية -1، وبين قوله: (وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي) ... سورة هود، الآية-44، إذ قال: " كي بود تبت يدا مانند يا أرض أبلعي ماءك "، أي كيف تكون تبت يدا أبي لهب مثل يا أرض أبلعي ماءك، إشارة إلى ما جاء في سورة هود عند ذكر الطوفان.

لاشك أنّ البلاغة من التبليغ، كما ذكره الجاحظ في " البيان والتبيين " فالمقصود من جميع طرق البلاغة ومناحيها هو الوصول إلى إفهام المعنى للمخاطب على وجه يكون أحسن وقعا في سمعه وأشد تاثيرا في نفسه، فكل من أستطاع أن يُفهِم مخاطبه المعنى الذي حاك في صدره وجال في خاطره باسلوب من أساليب البلاغة فهو بليغ وفي كلامه بلاغة. فالإفهام هو المحور الذي يدور عليه فلك البلاغة، والكلام يبعد عن البلاغة قدر بعده عن فهم المخاطب ويقرب منها قدر قربه منه، ولا يماري في هذا إلا معاند.

إنّ آيات القرآن متفاوتة في بلاغتها، بل فيها ما لا يتماشى مع البلاغة، بل فيها ما لا يتماشى بظاهره مع المعقول. فمنها ما هو غير مفهوم، ومنها ما لا يبلغه الفهم إلا بتاويل وتقدير. وليس هذا القول ببدعة، فالقرآن نفسه قائل بذلك ومعترف به. ففي سورة آل عمران: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)... ألآية- 7.

والمحكمات هي التي أحكمت عبارتها فلا يتطرقها الإحتمال فيكون المعنى فيها مفهوما وصريحا، والمتشابهات هي ما ألتبست في معانيها فلا يكون المعنى فيها صريحا ولا مفهوما. والاصل في التشابه هو المشابهة، يقال: تشابه الرجلان إذا أشبه أحدهما الآخر حتى ألتبسا، لأنّ شدة المشابهة تؤدي إلى الإلتباس ولذلك أُستعمِل التشابه بمعنى الإلتباس.

وإليكم بعض ألأمثلة للآيات التي لا تتماشى مع البلاغة:

1- مثال على عدم معقولية ألآيات ومنافاتها للمنطق:

جاء في سورة ألإسراء، ألآية – 16 قوله: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا). إنّ ظاهر هذه الآية غير معقول، أولا: لأنّ ألله أمر المترفين بأن يفسقوا ففسقوا وذلك لا يجوز لأنّ فعل القبيح مستحيل على ألله، فقد جاء في ألقرآن قوله: (قل إنّ ألله لا يأمر بالفحشاء) ... سورة ألأعراف ألآية 28.

ثانيا: إذا كان هو الذي امرهم أن يفسقوا كان فسقهم طاعة له وإمتثالا لأمره، فكيف يستحقون الإهلاك؟

ثالثا: إنّ الإهلاك بالتدمير قد شمل أهل القرية كلهم، وإنّما المجرمون منهم هم المترفون الذين هم يمثلون الأقلية من الناس في كل زمان ومكان، وليس هذا من العدل والله يأمر بألعدل وألإحسان (إن ألله يأمر بالعدل وألإحسان وإيتاء ذي ألقربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلك تذكرون) ... سورة ألنحل ، ألآية- 90.

إنّ علماء ألتفسير قد أولوا الآية تفسيرات بعيدة فقالوا: إنّ الأمر هنا مجاز وإنّ معنى قوله (أمرنا مترفيها) أي أنعمنا عليهم نعما كثيرة فجعلوها ذريعة إلى المعاصي، فكأنّهم مأمورون بذلك. ولو كان هذا الكلام في غير القرآن لما تكلفوا له هذا التأويل البعيد بل رفضوه وما قبلوه.

ولو سلمنا صحة هذا التأويل فما ذنب غير المترفين؟.

إنّ في هذه الآية قراءة أخرى يستقيم بها المعنى من بعض الوجوه، وهي أمّرنا المترفين (بتشديد الميم) من الإمارة أي جعلناهم أمراء، ففي هذه القراءة إصلاح للعبارة وتصليح للمعنى، لأنّ أمراء الناس مسببوا هلاكهم في كل زمان، والظاهر أنّ الذي حمل القاريء على قراءته هو ما رآه في القراءة الأولى من أنّ المعنى غير معقول، فقرأ أمّرنا بتشديد الميم لأنّهم كانوا يقرأون القرآن بالمعنى، فكل ما صح به المعنى فهو قرآن عندهم وليس الذي قالوه في تعدد القراءات إنّها توفيقية بصحيح.

2- مثال آخر على عدم معقولية ألآيات ومنافاتها للمنطق:

جاء في سورة الفرقان قوله : (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا).... ألآية - 45، إنّ المعنى في قوله : (ولو شاء لجعله ساكنا) لا يتماشى مع المعقول، وبيان ذلك أنّ الشواخص الماثلة في سطح الأرض تحجب الشمس عمّا دونها من الأمكنة فيكون فيها الظل، فالظل إذن هو عدم نور الشمس لكونه محجوبا بالشخوص الماثلة.

وهذا الظل يختلف امتداده بإختلاف ارتفاع الشمس في الأفق، فعند الطلوع تأتي أشعة الشمس أفقية وحينئذ يحجبها كل شاخص في سطح الأرض ويكون الظل مديدا، وكلما أرتفعت الشمس تقلص الظل على قدر ارتفاعها حتى إذا كانت الشمس في سمت الرأس كان الظل من شاخص قالصا إلا قليلا.

فهذا هو إمتداد الظل وهذا هو قلوصه وانقباضه بإرتفاع الشمس.

ومعلوم أنّ طلوع الشمس وأرتفاعها في الأفق ناشيء من حركة الأرض ودورانها على محورها، فليس من المعقول جعل الظل ساكنا غير متقلص ولا منقبض إلا إذا وقفت الأرض عن حركتها المحورية والدورية، وذلك محال لأنّه مخالف لنواميس الطبيعة التي هي سنة أللهِ و (لن تجد لسنة أللهِ تبديلا).... سورة ألأحزاب-ألآية-62 وسورة الفتح- ألآية-23.

وعلماء الكلام مجمعون على أنّ قدرة أللهِ لاتتعلق بالمحال، على أنّ وقوف الأرض عن حركتها المحورية والدورية لا معنى له سوى زوالها وفنائها، وإذا فنيت الأرض لم يبق ظل ساكن ولا متحرك، فماذا يُراد إذن بقوله : (ولو شاء لجعله ساكنا)... سورة الفرقان- ألآية- 45؟

التفسير المنطقي لهذا التناقض بين ألآيتين، (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا) و (لن تجد لسنة أللهِ تبديلا) هو بشرية القرآن وأنّ محمداً لم يكن يعلم بألحقائق العلمية حول دوران ألأرض حول محورها وحول ألشمس ليستنتج أنّ إمتداد الظل وتقلصها هي نتيجة لهذه الحركة الدورانية ، ولم يخبره أللهِ بهذه الحقائق العلمية رغم كونه نبيا!!!!

3- مثال على عدم تماشي اللفظ مع البلاغة :

في سورة النمل قوله : (لقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين).... ألآية – 15.

نتكلم عن هذه الآية من جهة اللفظ دون المعنى لأنّ البلاغة تشمل اللفظ والمعنى معا، فنقول من ضروريات البلاغة أنّ المعطوف إذا كان مُسبَبا عن المعطوف عليه كان من حق المعنى وتمامه وصحته أن يُعطف بالفاء السببية كقولك : أعطيته فشكر لأنّ الشكر مسبب عن العطاء.

وكذلك حمد الله من داود وسليمان فإنّه مسبب عن إيتائهم العلم، فكان من مقتضى البلاغة أن يقول فقالا، ولكنه عطف بالواو وذلك مخالف للبلاغة لأنّ المعنى المقصود ليس هو مجرد الإخبار بحمدهما حتى يصح العطف بالواو، وإنّما المقصود الإخبار بحمدهما لأجل أنّ أللهِ أتاهما علما وفضلهما به على كثير من عباده المؤمنين.

يكون ألآية بعد التصحيح كما يلي:

(لقد آتينا داود وسليمان علما فقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين).

4 - الرازي ونقد بلاغة القرآن:

مقدمة:

أبا بكر محمد بن زكريا الرازي (250-311 هجرية) (864-923 م) شخصية من أكبر الشخصيات في الحياة الفكرية الإسلامية على مر عصورها، والرازي كان فيلسوفا وطبيبا وكيميائيا من الطراز الأول.

فلسفة الرازي الإلحادية عبّر عنها في كتابه "ألعلم الإلهي" ثم في كتاب "مخاريق الأنبياء". إنّ نظرية النبوة كانت الشغل الأكبر لنقد الرازي للأديان، فالرازي كان لا يؤمن بالنبوة، وكان نقده لها يقوم على أساس إعتبارات عقلية وتاريخية، ومن أقواله في أمر النبوة :

"من أين أوجبتم أنّ ألله أختص قوما بالنبوة دون قومٍ، وفضلهم على الناس، وجعلهم أدلة لهم، ومن اين أجزتم في حكمة الحكيم أن يختارهم لهم ذلك ويُسْلى بعضهم على بعض ويؤكد بينهم العداوات وكثر المحاربات ويهلك بذلك ألناس ".

تابع الرازي نقده للأديان المنزّلة كنتيجة لإبطاله النبوات، كيما يثبت فساد النتائج التي أنتهت إليها النبوات، مادام الاصل قد بين هو أنّه فاسد. وكأنّه إذاً يريد أن ينتهي إلى ألنتيجة عينها من بطلان النبوة، نظرا لفساد نتائجها وما تقول به. وهذا النقد كان للأديان كلها دون تمييز بينها، فبعد أنْ نقد أليهودية والمسيحية والمجوسية والمانية، نقد ألإسلام.

نقد بلاغة القرآن :

يقول الرازي في ألقرآن : "قد والله تعجبنا من قولكم : إنّ القرآن هو مُعجِز، وهو مملوء من التناقض، وهو اساطير ألأولين – وهي خرافات" وهو هنا يهاجم إعجاز القرآن على نحو مشابه لما فعله أبن الراوندي، فيهاجمه من ناحية النظم والتأليف، كما يهاجمه من ناحية المعنى.

أما من ناحية نظم القرآن وتأليفه فإنّه يقول : " إنّكم تدّعون أنّ المعجزة قائمة موجودة – وهي القرآن – وتقولون : " من أنكر ذلك فليأت بمثله".

ثم يقول الرازي : "إنْ أردتم بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام فعلينا أنْ نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء وما هو أطلق منه ألفاظا، وأشد أختصارا في المعاني، وأبلغ أداءً وعبارة وأشكل سجعا؛ فإنْ لم ترضوا بذلك فإنّا نطالبكم بالمثل الذي تطالبونا به".

وألشبه واضح بين هذا القول وبين قول أبن الراوندي : "إننا نجد في كلام أكثم بن صيفي أحسن من بعض سور ألقرآن".

هذا ألطعن في إعجاز ألقرآن من حيث ألنُظم ينقسم إلى أقسام : من حيث الألفاظ، ومن حيث التراكيب، ومن حيث القدرة على الأداء أي ألفصاحة، ومن حيث الموسيقى اللفظية، فيرى ألرازي أنّ في كتابات البلغاء ألفاظا أكثر طلاقة، ولعله يقصد بالطلاقة هنا السهولة وعدم التعقيد اللفظي، فلعله يقصد الألفاظ السهلة التي يستعملها خصوصا كاتبٌ مثل أبن المقفع.

ألرازي ينقد ألقرآن ثانيا من ناحية طريقة التركيب أي ألأسلوب بالمعنى المحدود، فيأخذ عليه إسهابه وتطويله وتكراره، وأخيراً يتطرق الرازي إلى الناحية الموسيقية في نظم القرآن فيقول : " إنّ في كلام البلغاء ما هو أشكل منه سجُعا، و "أشكل" هنا بمعنى "أنضج" أي شأنه أن يكون أكثر موسيقية.

وهذا إمّا أنْ تكون الكلمات المسجوعة أقرب في تشابه حروفها الأخيرة، ولعله لاحظ هنا إعتماد القرآن على الحروف المتقاربة دون المتساوية في بعض الأسجاع؛ وإمّا أنْ يكون السجع أقرب إلى العفو والطبيعة بحيث لا يشعر المرء بأنّه مقصود إليه أو متَعسف.

أما من حيث المعنى فقد هاجم القران من عدة نواحي في قوله : " قد والله تعجبنا من قولهم في حكاية أساطير الاولين، من غير أنْ تكون فيه فائدة أو بينة على شيء".

والناحية الثالثة هي التي يوجه الرازي كامل عنايته، فهو يريد أولا أنْ يرد على الخصم حجته، هذا الخصم يقول : "من أنكر إعجاز القرآن فليأت بمثله". فيقول الرازي :

ونحن نقول لكم كذلك ائتونا بمثل ما في كتاب أصول الهندسة والمجسطي وغيرهما. قال الرازي : "إنّا نطالبكم بالمِثل الذي تزعمون أنّا لا نقدر أنْ نأتي به" وهو بهذا التحدي يُشير إلى أنّ الحجة نفسها ترتد على الخصم، فليس في وسع إنسان أنْ يأتي تماما بما أتى به آخر".

يقول الشاعر معروف الرصافي في كتابه الشخصية المحمدية :

" إنّ إتيان المعارض بمثل ما عارضه من الكلام متعذر، وأنّ محمداً يعلم هذا حق العلم فلذا تراه بكل سكينة وإطمئنان وبكل جراءة وإستبسال يتحدى قومه قائلاً :

(فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون ألله إنْ كنتم صادقين)..... سورة البقرة، ألآية 53، ولم يبلغنا أنّ أحداً منهم قصد معارضة القرآن، وإن كان القرآن يحكي شيئاً كثيراً من كلامهم.

ولو أنّ أحدهم قصد ذلك لما كان إلا مغلوبا، لأنّ الذي يعارض القرآن (أي يحاول أن يأتي بمثله) يجب قبل كل شيء أن يكون ذا روحانية كروحانية محمد، وذا ذكاء كذكائه وخيال كخياله ومعرفة بالله كمعرفته، وعلم بأخبار الماضين من الأمم وأنبيائهم كعلمه، ويجب بعد هذا كله أن يكون ذا عارضة كعارضة محمد، ولم يكن فيهم من هو كذلك سوى محمد، فلا يستطيع أنْ يعارض القرآن ويأتي مثله إلا محمد نفسه.

زد على ذلك أنّ أسلوب القرآن مما لم تألفه العرب ولم تعرفه بل هو أول من أبتدعه".

51

ألسجع في ألقرآن

"القرآن يتميز بإستعماله الفواصل بمعنى أنّ آياته مفصلة فالفواصل هي من أهم مقومات أسلوب القرآن".... ألشاعر معروف ألرصافي.

مما اثار إستغرابي عند قراءة القرآن ورود بعض الأسماء الثنائية ألتي فيها سجع أو قافية موحدة كهاروت وماروت، وقد ذُكِرَ السحر والملكان هاروت وماروت في القرآن في الآية 102 من سورة البقرة : ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)).

أما الثنائي الآخر فهما يأجوج ومأجوج، وقد جاء ذكرهما في الآية – 93 من سورة الكهف : ((وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا))، وكذلك ألآية – 96 من سورة ألأنبياء : ((حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)).

إضافة إلى ذلك هنالك الملكان منكر ونكير ألمسؤولان عن إستجواب الموتى في القبر، فعندما كنت أحضر العديد من مراسيم الدفن لأقاربي وافراد عائلتي واصدقائي خلال سنين حياتي وأثناء مراسيم الدفن كنت الاحظ انّ الشيخ او رجل الدين يقرأ ويتمتم ببعض العبارات ويلقِّن المتوفي بعد سد القبر وانهيال التراب عليه بعبارات واسئلة واجاباتها ويبدأ تلقينه قائلا:

أعلم أنّه بعد قليل سيأتيك ملكان وسيسألونك بلسان عربي فصيح من ربّك؟ فقل الله سبحانه وتعالى. وما دينك؟ فقل الإسلام. ومن نبيّك؟ فقل محمّد. وما كتابك؟ فقل القرآن. ثمّ يتم الشيخ المراسيم بقراءة سورة ياسين.

حسب المعتقدات الاسلامية انّ الميّت اذا كان كافرا او مسلما ولم يطبّق تعاليم القرآن فسيعذّبه الله في القبر بواسطة الملكين منكر ونكير، عن ابن عباس في خبر الاسراء : ان النبي صلى الله عليه وسلم :

" قال يا جبريل وما ذاك ؟ قال : منكر ونكير يأتيان كل إنسان من البشر حين يوضع في قبره وحيدا، فقلت: يا جبريل، صفهما لي، قال: نعم من غير ان اذكر لك طولهما وعرضهما, ذكر ذلك منهما افظع من ذلك, غير ان اصواتهما كالرعد القاصف واعينهما كالبرق الخاطف وانيابهما كالصياصي، لهب النار في افواههما ومناخرهما ومسامعهما، ويكسحان الأرض باشعارهما ويحفران الأرض باظفارهما، مع كل واحد منهما عمود من حديد، لو اجتمع عليه من في الأرض ماحركوه، يأتيان الإنسان اذا وضع في قبره وترك وحيدا يسلكان روحه في جسده باذن الله تعالى "..... الى آخر الحديث.

هذه الأسماء ألتي وردت في القرآن وألأحاديث المنسوبة لمحمد، ذكّرتني بأسماء شخصيات أفلام ألرسوم المتحركة " أفلام الكارتون " كما كنا نسميها في طفولتنا، ومن هذه الأفلام كانت افلام "هيكل وجيكل" وبطلا هذه الأفلام غرابان مشاكسان يقومان بالإحتيال والأذية وعمل المقالب.

هذه المقدمة تجرنا للحديث عن السجع في القرآن، فالقرآن يتميز بإستعماله الفواصل بمعنى أنّ آياته مفصلة فالفواصل هي من أهم مقومات أسلوب القرآن، إنّ الفواصل تكون إما كلمة واحدة تنتهي بها الآية، ويكون الكلام في الآية مبنيا عليها وتكون هي ممتزجة به، وإما جملة تجيء في آخر الآية فتفصلها عمّا بعدها فصلا تاما في اللفظ والمعنى، أو فصلا في اللفظ فقط، وتبقى الآية مرتبطة في المعنى بما بعدها.

مثال النوع الأول (كلمة واحدة): ((إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وأنحر * إنّ شانئك هو الأبتر) سورة الكوثر، الآيات 1-3، وأكثر السور القصار على هذا النمط، ولا ريب أنّ هذا ضرب من السجع، وألسجع عند ألعرب في فترة الدعوة المحمدية كان من شأن الكهان.

مثال على النوع الثاني (جملة تجيء في آخر الآية) : ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده إن أنذروا أنّه لا إله إلا أنا فأتقون))...سورة النحل الآياتان 1-2، فتعالى عما يشركون فاصلة وكذلك فأتقون.

وأكثر السور لا تكون فواصلها من نوع واحد بل تكون من النوعين كما ترى في سورة الفرقان : ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنّه كان غفورا رحيما"))... سورة الفرقان، الآيتان 5-6. فالفاصلة الأولى من النوع الأول والثانية من النوع الثاني.

ألذي يظهر من الفروق بين القوافي في الشعر والفواصل في آيات القرآن، أنّ محمداً قد أطلق الفواصل وفك منها القيود التي كان الشعراء يتقيدون بها في كلامهم المنظوم والمسجوع، فلم يراع فيها الإعراب ولا حروف الروي ولا عيوب التكرار والتضمين، فأتسع بذلك لإسلوبه مجال الكلام، فجاء أسلوب القرآن متوسطا بين النظم والنثر، أو بين النثر المرسل والنثر المسجع، وذلك أسلوب مبتكر لم تكن العرب تعرفه.

إنّ مراعاة الفواصل في أسلوب القرآن نتج منها بعض العيوب، ولتوضيح ذلك إليكم بعض الامثلة:

- ألتقديم والتأخير كقوله : ((فلله الآخرة والاولى))..... سورة النجم ، الآية-25، فقدم ماهو متأخر في الزمان، ولولا مراعاة الفاصلة لقدمت الأولى كما قدمت في قوله : ((له الحمد في ألأولى وألآخرة))...سورة القصص، ألآية – 70.

- الحذف مراعاة للفاصلة كقوله : ((فكيف كان عذابي ونذر))... سورة القمر، الآية-18،وكذلك قوله : ((فكيف كان عقاب))... سورة غافر ،الآية-5، وألأصل فيه ونذري، وكيف كان عقابي فحذف ياء الإضافة مراعاة للفاصلة.

- زيادة ما هو غير لازم كقوله في سورة الأحزاب، الآية-10 : ((وأطعنا الرسولا))، فقد زاد الألف في اواخر هذه الفاصلة مراعاة للفاصلة، ولو كانت هذه الفاصلة نكرة لكان الوقف عليها بالألف، ولكنها معرفة فالالف فيها زائدة كألف الإطلاق في الشعر.

- إيثار أغرب اللفظتين كما في قوله ((تلك قسمة ضيزى))... سورة النجم، الآية-53، ولم يقل : قسمة جائرة مراعاة للفاصلة، وقوله : ((كلا لينبذن في الحطمة))... سورة الهمزة، الآية-4، ولم يقل : في جهنم أو في ألنار، وتفنن محمد في أسماء جهنم فقال :

((ساصليه سقر))...المدثر، الآية-26، وفي سورة المعارج، الآيتان-15-16: ((كلا إنّها لظى * لواحة للشوى))، وفي القارعة، ألآية-9 : ((فأمه هاوية))، وكل ذلك مراعاة للفواصل.

- الإستغناء بالإفراد عن التثنية كقوله : ((فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى))... سورة طه، الآية-117، ولم يقل : فتشقيا، والخطاب للأثنين وذلك مراعاة للفاصلة.

- تغيير بنية الكلمة لأجل الفاصلة، وهذه أغرب الأمثلة كقوله في سورة التين، الآيات، 1-3: ((والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين))، وألأصل طور سيني بالقصر أو سيناء بالمد، فغيرت بنيته من سينا إلى سينين لأجل ألفاصلة.

وهنلك في آيات القرآن أمثلة كثيرة لمراعاة الفاصلة يستطيع ألمتمعن في دراسة ألقرآن ملاحظتها، كما أنّ من ألأمور التي وقعت في سبيل الفاصلة ظهور فواصل قلقة في مكانها، غير مستقرة ولا مطمئنة ولو طرحتها لما أختل المعنى ولا يضطرب الفهم، واليكم مثال على الفواصل القلقة :

- جاء في سورة محمد، ألآية-31 قوله: ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم))، أي نسمع ما يحكى ويخبر به وما يقوله الناس عنكم. ولا يخفى أنّه بعد أنْ يبلوهم فيعلم المجاهدين منهم والصابرين، لم تبقَ حاجة إلى سماع أخبارهم وما يقوله الناس عنهم، ولكن الفاصلة هي التي أتت بالجملة الأخيرة، وهي كما تراها قلقة غير متمكنة في المعنى المراد، علما أنّ الآية كلها ليست مما يليق أنْ يقوله علام الغيوب.

ختاما نقول أين ألبلاغة في ألقرآن، وأين إعجازه؟

ألقرآن مؤلف بشري فيه آيات حسنة ألنظم وفيه آيات ركيكة، فلا داعي لإحاطته بهالة من ألقداسة ألتي تحجب عيوبه وسلبياته، فهو ككل فكر إنساني فيه ألغث وألسمين، وله أيجابياته وسلبياته، وكفى ألمؤمنين شر القتال.

52

ألتناقضات في ألقرآن

"حول أسلوب الدعوة نجد في القرآن العديد من الآيات المتناقضة".

ألتناقضات ألموجودة بين ألآيات وألتي تبرز على السطح للمتمعن الدارس للقرآن دليل على أنّ القرآن مؤلف بشري، فليس من ألمنطقي أنْ يناقض أله العليم الحكيم الخبير نفسه، ومن اسباب ألتناقضات إستغراق تأليف القرآن لفترة ثلاث وعشرون سنة حيث تبدلت خلالها ظروف الدعوة الإسلامية من حالة الضعف والمسكنة في الفترة المكية إلى القوة والطغيان في الفترة المدنية بعد أنْ أصبح لمحمد جيش قوي من قبليتي الأوس والخزرج إضافة للمسلمين المهاجرين من مكة.

ألسبب الآخر للتناقضات هو نسيان مؤلف القرآن بعض ما قاله في فترة سابقة، فهو ككل إنسان يتميز عقله بآفة النسيان، ومحمد يعترف بهذه الحقيقة في ألآية 106 من سورة ألبقرة: ((مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).

للتوضيح لنضرب بعض الأمثلة على ألتناقضات في ألقرآن :

- في سورة النحل، ألآية 56، يذكر ألقرآن عن يوم القيامة: ((تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ))، ويقول كذلك في سورة النحل ألآية 93: ((وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))، ولكن آيةً في سورة الرحمن تنفي حدوث السؤال للإنس والجن يوم القيامة ففي ألآية 39 من سورة الرحمن: ((فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ))، فهنا نلاحظ تناقضا واضحا في العقيدة، فكيف يُمكن الجمع بين هذه الآيات التي تثبت ألسؤال والحساب، والأخرى ألتي تنفيه؟

- حول أسلوب الدعوة نجد في القرآن العديد من الآيات المتناقضة، فمحمّد بدأ دعوته في مكّة بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن بعد هجرته الى يثرب واستناده على قوّة الانصار من قبيلتي الاوس والخزرج كوّن منهم جيشا وبدأ بالاغارة على قوافل قريش الّتي كان يتوجّب عليها المرور بالقرب من يثرب. ثمّ حارب محمّد قبائل اليهود الساكنين في يثرِب فاخضعهم واستولى على ديارهم واموالهم.

بعد فتح مكّة قويت شوكة المسلمين فعمدَ محمّد الى نشر الدين الاسلامي بقوة السلاح وسمّى حروبه بالجهاد، نتيجة لهذه الحروب زادت القوّة الاقتصاديّة للمسلمين عن طريق الغنائم الّتي غنموها في هذه الحروب، ولتوضيح التناقض في أسلوب الدعوة لنضرب بعض الأمثلة من القرآن:

((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) سورة ألنحل ،ألآية 125. هذه الآية كانت شعارا للدعوة في مكة.

في المدينة قرن محمد دعوته بالسيف ليقاتل خصوم دعوته من الكافرين، إلا أنّه جريا على ديدنه في جميع أمور الدعوة، تدرج قرار القتال تدرجا منطبقا على مقدار ما عنده من قوة حربية.

فأول آية نزلت ((الأصح صعدت من الأرض إلى ألسماء) في القتال بالمدينة هي : ((أذن للذين يقاتلون بأنّهم ظُلِموا وإنّ أله على نصرهم لقدير * ألذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنْ يقولوا ربنا أله)) .... سورة الحج، الآيتان 39

– 40، فهذه أول خطوة خطاها محمد في أمر القتال. ثم إنّه تقدم فيه خطوة أخرى، فجعله فرضا على المسلمين، ولكن لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، إذ قال :

((وقاتلوا في سبيل أللہ ألذين يقاتلونكم)) .... سورة البقرة، ألآية 190، وهذه هي الحرب الدفاعية. وأستمر الحال على ذلك إلى السنة الثامنة من الهجرة، حتى حصل لمحمد من القوة والشوكة ما أستطاع به أنْ يعلن الحرب الهجومية العامة، بأن فرض على المسلمين قتال المشركين كافة، من قاتلهم ومن لم يقاتلهم، وبذلك نزلت سورة براءة التي نبذ فيها إلى المشركين عهودهم وبريء منهم، وأمهلهم أربعة أشهر، وهي ألأشهر الحرم، وأعلمهم أنّه وإياهم في حالة حرب مستمرة فيما عدا هذه الأشهر ألأربعة. وكان ذلك سنة ثمان وقيل سنة تسع.

وأليكم آية ألسيف ألذي قال بعض ألمفسرين أنّها نسخت أكثر من مائة من آيات ألقرآن :

((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) .... ألآية - 5 من سورة ألتوبة.

ومما لا يستراب فيه أنّ الدعوة لما أقترنت بالسيف، أخذ عدد الداخلين في الإسلام يزداد مطردا بإزدياد سيوف الدعوة، فكلما قويت الشوكة زاد المسلمون زيادة مناسبة لها، وكثر المقاتلون في جيش الدعوة كثرة تناسب قوتها، ولو عاش محمد بعد غزوة تبوك ضد الروم بضع سنين أخر وألذي بلغ عدد المقاتلين فيه ثلاثين ألف مقاتل، وظل جيشه فيها يزداد لبلغ مائتي ألف مقاتل بلا ريب.

ومن هذا نستطيع أن نستنتج أنّ ألذين دخلوا في الإسلام مدة حياة محمد في المدينة كان أكثرهم يدخلون فيه خوفا من السيف وطمعا بالغنائم والسبي، وأنّ الذين أعتنقوه كمبدأ ذي غاية شريفة قليلون. ويؤيد هذه النتيجة إرتداد أكثرهم عقب وفاة محمد.

أما في عصرنا هذا فمعظم المسلمين مسلمون بالوراثة ماعدا داعش والسلفية والوهابية وجماعات التكفير فهم يمثلون ألإسلام ألحقيقي حسب ما جاء في القرآن.

53

ألأدلة على بشرية ألقرآن

" ألهدف من حملات ألتنوير نزع ألقداسة من جميع ألكتب ألدينية كالتوراة وألأناجيل وألقرآن، وبذلك نتمكن من فصل ألدين عن ألدولة ونضع ألأسس لدول عَلمانية ديموقراطية تراعي حقوق ألإنسان وتحقق ألحرية وألديموقراطية لجميع أطياف ألشعوب بدون ألتمميز بين ألبشر بسبب أديانهم أو مذاهبهم أو أعراقهم أو قومياتهم".

مقدمة:

هل ألقرآن وحي من أللہ، أم هو من تأليف إنسان؟

في هذه ألسلسلة من ألمقالات سنحاول ألإجابة على هذه ألتساؤلات ألمصيرية، وربّ سائل سيسأل لم هي مصيرية؟ فنقول لأنّ إثبات بشرية ألقرآن وكونه ليس وحيا من ألله سينزع ألقداسة منه وإذا جردناه من قداسته فلن نلزم أنفسنا بتطبيقه وسيتحول إلى مؤلف كأي مؤلف آخر له إيجابياته وسلبياته وبذلك نتمكن من تعديله وتجديده إنْ أردنا ألإستفادة منه في وضع ألقوانين وألدساتير، أو نتركه جانبا ونعتبره تراثا أكل ألزمان عليه وشرب.

ولكن لماذا نريد نزع ألقداسة من ألقرآن، ولماذا نحاول تعديل أو هدم أساس ألأديان وبلأخص ألدين ألإسلامي ؟ فالايمان يُعطي الانسان الجاهل او الغير الواعي الطمأنينة وراحة البال ومتانة للوقوف منتصبا أمام عاديات الزمن، كما انّ شريحة الجهلاء لا يمكن انْ تستقيم حالها بدون الايمان بوجود الثواب والعقاب في حياة اخرى بعد الموت.

هذا كلام لابأس به، ولكن الايمان بالاديان له سلبيات عديدة فهو سبب رئيسي للحروب وويلاتها، حروب بين الاديان المختلفة كحروب الفتح الاسلامي والحروب الصليبية والحروب بين اليهود والمسلمين في فلسطين والحروب الداخلية بين المذاهب المختلفة للدين الواحد كالحروب بين البروتستانت والكاثوليك في وبين الشيعة والسنّة وفي العراق بالذات.

حرب المذاهب بين الدول السنيّة والشيعية وقعت فعلا ففي طرفها ألسني ألمملكة ألعربية ألسعودية ألوهابية وقطر وتركيا حزب ألعدالة وألتنمية وجميع ألأحزاب وألجماعات ألدينية ألسياسية كألإخوان ألمسلمين وألقاعدة وألدولة ألإسلامية (ألدولة ألإسلامية في ألعراق وألشام- داعش سابقا) وجميع ألمجاميع ألسلفية وألتكفيرية، وفي طرفها ألشيعي إيران ألثورة ألإسلامية ومن تبعها من ألأحزاب ألشيعية ألدينية كحزب ألدعوة وحزب ألله وألمجلس ألإسلامي ألأعلى وألحوثيين في أليمن ومن لف لفهم من ألأحزاب ألدينية وألسياسية.

ولا ننسى العمليات الانتحارية الّتي يقوم بها المتطرفون الاسلاميون والّتي حصدت وتحصد وستحصد المئات من الارواح البريئة للاطفال والنساء والرجال اضافة الى الخسائر المادية، وكذلك المجازر الّتي نفذها المتطرفون الاسلاميون في الجزائر.

كانت الاديان سببا في ترسيخ الرق والسبي باشكالها واحتقار المرأة وهدر الاموال الطائلة والوقت في الطقوس الدينية كالصلاة وبناء الجوامع والكنائس والمعابد والاضرحة والحج والعمرة، فلو صُرِفت هذه الاموال لتخفيف معاناة الانسان، فكم يتيم سترجع البسمة الى شفاهه وكم مريض سينسى الآمه وكم من العجزة سيجد مأوى يرتاح فيها من غدر الزمن والاحبّة والقائمة تطول، فحسب المنطق والاديان فإنَّ الله موجود في كلّ مكان (اقرب اليكم من حبل الوريد.... الآية القرآنية) و (أينما تُولّوا وجوهكم فثمّة وجه الله.... الآية القرانية)، فالمؤمِن يستطيع انْ يتعبّد الله في ايِّ مكان مِن كرتنا الارضية، فما الحاجة الى هذا البذخ في بناء دور العبادة؟

ألهدف من حملات ألتنوير نزع ألقداسة من جميع ألكتب ألدينية كالتوراة وألأناجيل وألقرآن، وبذلك نتمكن من فصل ألدين عن ألدولة ونضع ألأسس لدول عَلمانية ديموقراطية تراعي حقوق ألإنسان وتحقق ألحرية وألديموقراطية لجميع أطياف ألشعوب بدون ألتمميز بين ألبشر بسبب أديانهم أو مذاهبهم أو أعراقهم أو قومياتهم.

في هذه ألسلسلة من ألمقالات سنتناول ألأدلة على بشرية ألقرآن، أما بألنسبة للعهد ألقديم وألجديد (ألتوراة وألأناجيل) فقد تم نزع ألقداسة عنهم من قبل ألمتنورين خلال عصر ألتنوير في أوربا وتم أيقاف تدخل ألكنيسة في شؤون ألدولة، ولكن بقيت شوكة واحدة في حلق ألتنوير وهي دولة إسرائيل ألتي تم تأسيسها على أسس دينية وبألرغم من إمتلاكها لدستور علماني فتُعتبر دولة دينية عنصرية تمارس ألتفرقة بين أليهود وألعرب وتغتصب أراضي وحقوق ألعرب .

الأدلة على بشرية ألقرآن:

1. أسباب نزول ألآيات ألقرآنية:

" إنّ نزول ألوحي أستنادا على روايات أسباب ألنزول شبيهة بكتابة دستور من قبل لجنة مشكلّة لهذا ألغرض فقسم يكتب مسوّدة وقسم آخر يقدّم أقتراحات لتعديل بعض ألمواد وقسم آخر يقترح أضافة بعض ألمواد وقسم آخر يقول بأستثناء بعض ألفئات من حكم بعض يقول بأستثناء بعض ألفئات من حكم بعض ألمواد".

يقول المفسّر جلال الدين ألسيوطي في كتابه لباب ألنقول في أسباب ألنزول مايلي:

لمعرفة أسباب ألنزول فوائد وأخطأ مَنْ قال لا فائدة له لجريانه مجرى ألتاريخ ومن فوائده ألوقوف على المعنى أو أزالة الإشكال. قال ألواحدي: لا يمكن معرفة تفسير ألآية دون ألوقوف على قصّتها وبيان سبب نزولها وقال أبن دقيق ألعيد: بيان سبب ألنزول طريق قوي في فهم معاني ألقرآن ويقول أبن تيمية:

معرفة سبب ألنزول يساعد في فهم ألآية وإنّ عِلْم ألسبب يورث ألعِلَم بألمسائل، وقد أشكلَ على جماعة مِنْ ألسلف معاني آيات حتّى وقفوا على أسباب نزولها فزالَ عنهم الإشكال، وقال ألحاكم في علوم ألحديث:

إذا أخبَرَ ألصحابي ألّذي شهد ألوحي وألتنزيل عن آية من ألقرآن أنّها نزلت في كذا فإنّه حديث مُسنَد ومشى على هذه أبن ألصلاح وغيره ومثلّوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت أليهود تقول: من أتى أمرأته مِن دبرها في قبلها، جاء ألولد أحوَل فأنزل ألله ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ * وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))...سورة ألبقرة،ألآية 223.

تنقسم ألآيات ألقرآنية إلى قسمين، ألقسم ألأول لا نجد له سبب للنزول كقصص ألأنبياء وكقوله تعالى ((وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا * وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا))...سورة ألنساء ألآية 125، أمّا ألقسم ألثاني فإنّ لكل آية فيه سبب للنزول، ومن هذه ألأسباب أسئلة وجّهَت إلى محمّد مِن قِبل ألمسلمين أو ألمسيحيين أو أليهود أو ألمشركين، (يسألونك عن ألروح قل ألروح من أمر ربي وما أوتيتم من ألعلم إلّا قليلا) وكذلك (ويسألونك عن ألأهلة قل هي مواقيت للناس وألحج) وكذلك (ويسألونك عن ألمحيض قل هي أذى فأعتزلوا ألنساء في ألمحيض).

هنالك أسباب أخرى لنزول بعض ألآيات منها ألأحداث ألّتي وقعت في فترة بعثة محمّد كالحروب وأحداث متعلّقة بسيرة محمّد كزيجاته وكذلك أحداث متعلّقة بألمسلمين وألمنافقين وألمشركين، كما أنّ بعض ألآيات نزلت نتيجة لإعتراض أو إقتراح بعض ألصحابة، إنّ ألدارس للقرآن لا يتمكّن من فهم بعض ألآيات بدون معرفة سبب نزولها.

أمثلة:

1.1. آلآيات ألمتعلقة بألحياة ألشخصية وزيجات محمّد:

- آيات نزلت لتطليق زينب بنت جحش من أبن محمّد بألتبني زيد بن حارثة وتزويجها لمحمّد:

" وإذ تقول للذي أنعم ألله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك وأتق ألله وتُخفي في نفسك ماألله مبديه وتخشى ألناس وألله أحق أن تخشاه فلّما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على ألمؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا

منهن وطرا وكان أمر أللّه مفعولا * ما كان على ألنبي من حرج فيما فرض أللّه له سنة أللّه في ألذين خلوا من قبل وكان أمر أللّه قدرا مقدورا (ألأحزاب 37-38).

- آيات نزلت في حجاب نساء ألنبي وإجتماع نساء ألنبي في ألغيرة وموافقة أللّه لأقوال عمر بن ألخطاب في حجاب نساء ألنبي، وإجتماع نساء ألنبي في ألغيرة، وكذلك في تغيير ألقبلة من بيت ألمقدس إلى ألكعبة:

روى ألبخاري وغيره عن عمر بن ألخطّاب قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت يارسول أللّه لو أتخذت من مقام إبراهيم مصلّى فنزلت ألآية ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) سورة ألبقرة، ألآية 125، وقلت يارسول أللّه إنّ نساءك يدخل عليهنّ ألبر وألفاجر فلو أمرتهنّ أنْ يحتجبن فنزلت آية ألحجاب، وأجتمع على رسول أللّه نساؤه في ألغيرة فقلت لهنّ عسى ربّه إنْ طلّقكنّ أنْ يبدلّه أزواجا خيرا منكنّ فنزلت كذلك.

لا نستطيع ألتحقق من صحّة هذه ألرواية بعد مرور أكثر من 1400 سنة عليها ولكن إذا كانت صحيحة فإنّ هذه تعني أنّ عمر بن ألخطّاب كان له تأثير مباشر في نزول بعض ألآيات ألقرآنية وأنّ بعض ألآيات ألقرآنية نزلت نتيجة أقتراح وتدخّل بعض ألصحابة، وهذا ألأمر يتعارض مع علم أللّه وحكمته وألقول بأنّ ألقرآن كان مكتوبا في ألّلوح ألمحفوظ قبل وحيهِ إلى محمّد.

- **آيات نزلت في أمرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي:**

" وأمرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي إن أراد ألنبي أن يستنكحها خالصة لك من دون ألمؤمنين قد علمنا ما فرض أللّه عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان أللّه غفورا رحيما. (ألأحزاب 50).

أخرج أبن سعد عن منير بن عبدأللّه ألدؤلي أنّ أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم ألدوسية عرضت نفسها على ألنبي وكانت جميلة فقبلها فقالت عائشة: ما في أمرأة تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك فأنا تلك فسماها أللّه مؤمنة.

فلما نزلت ألآية قالت عائشة: إنّ أللّه يسارع لك في هواك.

- آيات نزلت في أعتزال محمّد مارية ألقبطية بسبب حلفه لحفصة بعدم ألإقتراب منها بعد مضاجعته لمارية في فراش حفصة وفي يومها وكشف حفصة للسر لعائشة:

" يا أيها ألنبي لم تُحرم ما أحل أللّه لك تبتغي مرضات أزواجك وأللّه غفور رحيم قد فرض أللّه لكم تحلة أيمانكم (أي يتحلل من قسمه).. وإذا أسرَّ ألنبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره أللّه عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني ألعليم ألخبير " (ألتحريم 1-3).

- **آيات نزلت لتبرئة عائشة من ألفحشاء (حديث ألإفك):**

" إنّ ألذين جاؤوا بألإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم.. وتحسبونه هينا وهو عند أللّه عظيم.. ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم.. لهم عذاب أليم في ألدنيا وألآخرة.. ولولا فضل أللّه عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا .. (ألنور 11-21).

أله يتوعد في هذه ألآيات من مسَّ عائشة بسوء بعذاب عظيم ومن يعود إلى ألحديث عنها بسوء فهو غير مؤمن وكافر ويُقتل.

خلاصة ألقصة: توافقَ قضاء ألحاجة بين عائشة وصفوان بن ألمعطل حيث أنّ كلا منهما كان يقضي ألحاجة في وقت واحد. ضاع من عائشة عقدها بعد قضاء ألحاجة فتركت ألناس يرحلون ومكثت في ألصحراء وحدها في ظلمة ألليل ألموحش من أجل ألعقد. ثمّ وجد صفوان عائشة وحيدة فلحقا بقافلة ألنبي وألمسلمين بعد فترة.

ألذي تحدث بأنّ صفوان نكح عائشة هو حسان بن ثابت وحمنة بنت جحش أخت زوج محمّد زينب بنت جحش ومسطح أقرب أقارب عائشة وكان أبو بكر ينفق عليه لقرابته منه وفقره، ونزل في مسطح هذا آية في ألقرآن عندما قال أبو بكر بعد نزول آيات براءة عائشة: وأله لا أنفق عليه شيئا بعد ألذي قال لعائشة فأنزل أله:

" ولا يأتل (يحلف) أولوا ألفضل منكم وألسعة أن يؤتوا أولوا ألقربى وألمساكين وألمهاجرين في سبيل أله وليعفوا ويصفحوا ألا تحبون أن يغفر أله لكم وأله غفور رحيم " (ألنور 21-22).

" ألخبيثات للخبيثين وألخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم " ... نزلت في عائشة.

قالت أمرأة أبا أيوب ألأنصاري له: ألم تسمع بما يحدّث ألناس؟ قال وما يتحدثون؟

فأخبرته بقول أهل ألإفك، فقال مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك، هذا بهتان عظيم قالت فأنزل أله:

" ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (ألنور 16).

1.2. أعتراض ألنساء على آيات محمّد:

أخرج عبدألرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وأبن أبي حاتم عن أم سلمة أنّها قالت: يارسول أله لا أسمع أله ذكر ألنساء في ألهجرة بشيء فأنزل الله ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ * بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ * فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ * وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)) سورة آل عمران ألآية 195.

إذا كانت هذه الرواية غير ملفقّة فإنّ أم سلمة تُعتبر أول أمرأة تدافع عن حقوق بني جنسها في تاريخ ألإسلام.

1.3. مثال آخر، أعتراض ألشعراء على آيات محمّد:

أخرج أبن جرير وأبن أبي حاتم من طريق ألعوفي عن أبن عبّاس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول أله (ص) أحدهما من ألأنصار وألآخر من قوم آخرين، وكان مع كلّ واحد منهما غواة من قومه وهم ألسفهاء فأنزل أله : ((وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ))...سورة ألشعراء ألآية 224.

وأخرج أبن أبي حاتم نحوه، وأخرج عن عروة قال: لمّا نزلت ((وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)) إلى قوله ((وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ))...سورة ألشعراء ألآية 226 قال عبدأله بن رواحة: قد عَلِم أله أنّي مِنهم، فأنزل أله ((إلّا ألّذين آمنوا...)) إلى آخر ألسورة.

وأخرج أبن جرير وألحاكم عن أبي حسن ألبراد قال: لمّا نزلت ((وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ))، جاء عبدألله بن رواحة وكعب بن مالك وحسّان أبن ثابت فقالوا:

يا رسول ألله، وألله لقد أنزَلَ ألله هذه ألآية وهو يعلَم أنّا شعراء، هلَكْنا، فأنزلَ ألله ((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) ألآية 227، فدعاهم رسول ألله (ص) فتلاها عليهم. نستنتج من هذه ألرواية أنّ آية أستثناء ألشعراء ألمؤمنين مِن ألّذين يتبعهم الغاوون والّذين في كلّ واد يهيمون نزلت بعد أعتراض مجموعة من الشعراء ألمؤمنين على ألآية.

1.4. مثال على كون آيات محمّد صالحة لعصر مُعيَّن:

أخرج ألواحدي من طريق عطاء أبن عبّاس قال: لمّا نزلنا ألحديبية (عندما اراد محمّد والمسلمون ألحجّ قبل فتح مكّة فمنعهم قريش عن ذلك) جاء كعب بن ألهجرة تنثر هوام رأسه على وجهه فقال يارسول ألله هذا ألقمل أكلني فأنزلّ ألله في ذلك ألموقف ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))... سورة ألبقرة، ألآية 196.

ألتساؤل ألّذي يرد على ألبال، هل أنّ وجود ألقمل في رأس أحد ألمسلمين يستوجب نزول آية من قبل ألله؟ إنّ ألله وحسب ألمنطق لا يوحي الى نبّي لحالة خاصّة بأحد ألمسلمين، ثمّ أنّ وجود ألقمل في شعر كعب بن عجرة لا يستوجب آية من ألله لأنّ ألآيات ألقرآنية هي دستور لكل ألبشر ولجميع ألأزمان، إنّ ألطب وألعلم والصحّة ألوقائية في تقدّم مستمر بعد أختراع ألصابون والشامبو وألأدوية ألمختلفة فألقمل ألذي يعشعش في رؤوس ألبشر سينقرض في ألمستقبل، ثمّ أنّ وجود ألقمل في رأس هذا ألمسكين أليس ألسبب فيه شحّة ألماء في صحراء شبه ألجزيرة ألعربية حيث كان ألمسلمون يضطرّون للتيمم بدلا من أستعمال ألماء للوضوء؟

هنالك مئات من ألأمثلة كألّتي ذكرناها حول أسباب نزول ألآيات ألقرآنية وكلها تشير إالى أنّ بعض ألآيات نزلت لحالات خاصّة ولا تهمنّا أو تعني شيئا لنا نحن أناس ألقرن ألواحد وألعشرين فكيف بأناس ألقرن ألثاني وألعشرين أو ألثالث وألعشرين؟

إنّ نزول ألوحي أستنادا على روايات أسباب ألنزول شبيهة بكتابة دستور من قبل لجنة مشكلّة لهذا ألغرض فقسم يكتب مسوّدة وقسم آخر يقدّم أقتراحات لتعديل بعض ألمواد وقسم آخر يقترح أضافة بعض ألمواد وقسم آخر يقول بأستثناء بعض ألفئات من حكم بعض يقول بأستثناء بعض ألفئات من حكم بعض ألمواد.

2. ألناسخ وألمنسوخ في ألقرآن:

"مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"...سورة ألبقرة، ألآية 106.

مِنْ أهم ألأدلة على بشرية ألقرآن هو نَسخ بعض الايات القرآنية بآيات أُخرى نَزَلتْ بعد تلك الآيات، والنَسخ يعني ابطال شيء وأقامة آخر مكانه.

يقول المُفسِّر ابو عبدالله محمّد بن حزم في كتابه (معرفة الناسخ والمنسوخ) مايلي: أعلم أنّ هذا الفن مِن العلم مِن تتمات الاجتهاد، إذْ الركن الاعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل. ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ إذْ الخطب في ظواهر الاخبار يسير وتَحمُّل كُلفِها غير عسير، وإنّما الإشكال في كيفية إستنباط الأحكام مِن خفايا ألنصوص ومِن التحقيق فيها مَعرفة أوّل ألأمرين وآخرها إلى غير ذلك مِن المعاني، عن أبي عبدالرحمن قال: مرّ علي بن أبي طالب على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال لا، قال : هلكْتَ وأهلَكْتَ.

ويذكر أبن حزم أيضا مايلي:

أعلم أنَّ نزول المنسوخ بمكّة كثير، ونزول الناسخ في المدينة كثير وليس في أُم الكتاب (سورة الفاتحة) شيء منها، فأمّا سورة ألبقرة وهي مدنيّة ففيها ستّة وعشرون موضعا.

ورد في تفسير الجلالين للآية: ((مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))...سورة ألبقرة، ألآية 106 مايلي:

" وَلَمَّا طَعَنَ الْكُفَّار فِي النَّسْخ وَقَالُوا إنَّ مُحَمَّدًا يَأْمُر أَصْحَابه الْيَوْم بِأَمْرٍ وَيَنْهَى عَنْهُ غَدًا نَزَلَ : "مَا" شَرْطِيَّة : "نَنْسَخ مِنْ آيَة" أَيْ نَزَلَ حُكْمهَا : إمَّا مَعَ لَفْظهَا أَوْ لَا وَفِي قِرَاءَة بِضَمِّ النُّون مِنْ أَنْسَخ : أَيْ نَأْمُرك أَوْ جِبْرِيل بِنَسْخِهَا "أَوْ نُنْسِهَا" نُؤَخِّرهَا فَلَا نُنْزِل حُكْمهَا وَنَرْفَع تِلَاوَتهَا أَوْ نُؤَخِّرهَا فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ وَفِي قِرَاءَة بِلَا هَمْز مِنْ النِّسْيَان : أَيْ نُنْسِكهَا أَيْ نَمْحُهَا مِنْ قَلْبك وَجَوَاب الشَّرْط "نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا" أَنْفَع لِلْعِبَادِ فِي السُّهُولَة أَوْ كَثْرَة الْأَجْر "أَوْ مِثْلهَا" فِي التَّكْلِيف وَالثَّوَاب "أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير" وَمِنْهُ النَّسْخ وَالتَّبْدِيل وَالِاسْتِفْهَام لِلتَّقْرِير ".

جوهر ألمشكلة يكمن في تساؤلَيْن: هل مِن المنطق أنْ يُغيّر أله رأيه ويُفنِّد ما قاله بألأمس ويأتي بحكم أو تشريع جديد؟ ألا يتناقض هذا الامر مع علم أله وهو ألعلّام ألحكيم؟ ثمّ لِمَ ينسى محمّد بعض ألآيات وهو نبّي مدعوم بقدرة أله ؟

وألأدهى من ذلك (وحسب قول بعض ألمُفَسِّرين) أنَّ عملية تغيير ألرأي أو ألتشريع هذا يحدث في بعض الحالات نتيجة لأعتراض بعض ألصحابة أو نتيجة أقتراح منهم. إنَّ بعض أحكام وتشريعات ألقرآن تبدلّت نتيجة لتبدّل وضع الدعوة ألأسلامية أيضا، ولتوضيح ذلك لنضرب مثلا بآية ألسيف ((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))..سورة ألتوبة، ألآية 5.

فهذه ألآية نَسَخَتْ ألعديد من ألآيات ألقرآنية، وهي أخطر آية في ألقرآن وعليها وعلى مماثلاتها يستند ألمتطرفون وألإرهابيون ألإسلاميون في إرتكاب جرائمهم بحق ألإنسانية، وعليها أستند ألمسلمون ألأوائل أثناء غزواتهم من أجل ألغنائم وألسبي أو ما سُمي بألجهاد.

ففي بداية ألدعوة ألأسلامية وعندما كان المسلمون قلّة وضعفاء في مكّة نزلت آيات عديدة تأمر ألمسلمين بدعوة النّاس الى الايمان بالدين الجديد باللين والموعظة الحسنة ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) سورة ألنحل ،ألآية 125.

وبعد أنْ اصبح ساعد المؤمنين قويا في ألمدينة نزلت آية السيف ألّتي نَسخَت جميع ألآيات ألّتي نَزلتْ قبلها وألّتي كانت تأمر ألمسلمين بدعوة النّاس الى ألاسلام باللين والحكمة اي باتباع اسلوب الاقناع.

وهنا يتضح سبب كون نزول ألآيات المنسوخة بمكّة كثير، ونزول ألآيات الناسخة في المدينة كثير.

مثال آخر على الناسخ والمنسوخ في القرآن هو تحريم الخمر، فهناك عدّة آيات قرآنية نَزلت حول الخمر وبفترات زمنية مختلفة، يقول أبو عبدالله محمّد بن حزم في كتابه ما يلي:

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) سورة البقرة، الآية 189.

فلمّا نزلت هذه ألآية أمتنع قوم عن شربها وبقي قوم، ثمّ أنزل الله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ....)) سورة النساء، الآية 43.

وكانوا يشربون بعد العشاء ألآخرة ثمّ يرقدون، ثمّ يقومون من غد وقد صحوا، ثمّ يشربونها بعد الفجر إنْ شاؤا فاذا جاء وقت الظهر لا يشربونها ألبتّة، ثمّ أنزل أله تعالى ((فاجتنبوه))، اي فاتركوه واختلف العلماء، هل التحريم هو هنا او في قوله تعالى ((هل انتم منتهون)) لانّ المعنى انتهوا، كما قال في سورة الفرقان ((اتصبرون)) والمعنى أصبروا.

السؤال المطروح هنا: لماذا غيّر أله رأيه وبهذه الطريقة؟ ولم لمْ يحرّم الخمر بآية واحدة فقط؟

المدافعون عن هذا التسلسل في التحريم يدّعون بانّ المسلمين الاوائل كانوا مدمنين على الخمر الى درجة لا يمكنهم من ترك شربها بين ليلة وضحاها، لذلك أراد أله أنْ يعينهم على تركها بالتدريج، وهذا يعني أنّ ألآيات ألقرآنية كانت تنزل لأناس عاشوا في تلك الحقبة من الزمن فقط، ولتوضيح هذا الامر لنفترض أنّ أحد المشركين او احد من اهل الكتاب أسلَمَ في عصرنا هذا وكان هذا الشخص مدمنا على الخمر كما كان المسلمون الاوائل، التساؤل ألّذي يرد على الخاطر في هذه الحالة هو:

هل يجوز لهذا المسلم الجديد أنْ يشرب الخمر بعد الانتهاء من تأدية صلاة العشاء لفترة زمنية معينة ثمّ يترك الشرب تدريجيا بعد ذلك اسوة بالمؤمنين السابقين في بداية الرسالة المحمّدية وألّذين تركوا شرب الخمر بالتدريج؟

المفسّر جلال الدين السيوطي في كتابه (لباب النقول في اسباب النزول) يروي حكاية غريبة حول ألآية ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ.....)) سورة النساء، ألآية 43، حيث يذكر بأنّ المسلمين استمرّوا في شرب الخمر بعد نزول هذه ألآية بعد اكمالهم صلاة العشاء، وفي احدى أللياللي أجتمع حمزة بن عبدالمطلب مع جماعة من أصحابه في احدى بيوت الصحابة وشربوا الخمر حتّى سكروا وعندما جاعوا ولم يجدوا طعاما لديهم، خرج حمزة من البيت وجلب ناقة ابن عمّه علي بن ابي طالب وذبحها ثمّ اكلوها، في الصباح روى علي بن ابي طالب ما حدث للنّبي محمّد ولذلك نزلت آية تحريم الخمر:

((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) سورة المائدة، ألآية 91.

كما روى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار . حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله الدشتكي أبو جعفر . عن عطاء بن السائب , عن أبى عبد الرحمن السلمي , عن علي بن أبي طالب قال:

"صنعَ لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما , فدعانا , وسقانا مِن الخمر , فأخذتْ الخمر منّا , وحضرَتْ الصلاة , فقدّموا فلانا قال: فقرأ: قل يا أيها الكافرون . ما أعبد ما تعبدون . ونحن نعبد ما تعبدون ! فأنزَل الله: يا أيّها ألّذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون " .

هنالك امر آخر أثار دهشتي في موضوع الناسخ والمنسوخ حول ألآية ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) سورة البقرة، الآية 175 وسورة النحل، ألآية 115.

يقول المُفسِّر ابو عبدالله محمّد بن حزم بأنّ محمّدا نَسخَ ألآية المذكورة بحديث حيث أستثنى من تحريم الميتة الحوت والجراد ومن تحريم الدّم الكبد والطحال ويذكر الحديث الآتي:

(روى أَبُو عَبْد الله الشَّافِعِيّ عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ : فَالْحُوت وَالْجَرَاد وَأَمَّا الدَّمَانِ : فَالْكَبِد وَالطُّحَال" . وَرَوَاهُ أَحْمَد وَابْن مَاجَهْ وَالدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ وَلَهُ شَوَاهِد رُوِيَ مَوْقُوفًا وَاَللَّه أَعْلَم .).

انّ تحريم الميتة والدّم وحسب منطوق ألآية تحريم شامل لكل حيوان ميّت ولجميع الدماء ولايستثني ايّ حيوان أو ايّ نوع مِن ألدماء من هذا التحريم، فهل من المنطق انّ أله يغفل عن استثناء الحوت والجراد والكبد والطحال عن التحريم ثمّ يأمر محمّد ألمسلمين بجواز أكلهم؟

اذا قبلنا بصدق هذا الحديث فسنواجه مشكلة عويصة وهو أنّ الله لم يدرك أنَّ تحريم اكل الحوت الميّت للساكنين على البحار هو امر صعب التطبيق، وأنّ تحريم أكل الجراد الميّت للّذين يعيشون في اعماق الصحارى هو امر صعب التطبيق ايضا وهذا يتناقض مع قدرة أله وعلمه الواسع.

أمّا اذا قلنا أنّ هذا الحديث مُلَفَّق فيجب علينا كمسلمين أنْ نمتنع عن اكل الحوت والجراد والكبد والطحال.

أمّا ألأحتمال ألأخر ألّذي يرد على البال في هذا الصدد فسيؤدّي بنا الى انكار نزول الوحي على النّبي محمّد وبعبارة اخرى أنّ القرآن الكريم هو من تأليف محمّد وقد تراجع عن تحريم الحوت والجراد والكبد والطحال لاكتشافه صعوبة تطبيق التحريم او نتيجة اعتراض بعض الصحابة على ذلك.

إنَّ النَسْخَ في القرآن ثلاثة انواع: نَسْخُ الخط والحُكم، عن أنس بن مالك قال: كنّا نقرأ سورة تعدل سورة التوبة ما احفظ منها الّا هذه ألآية (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولو أنّ له ثالثا لأبتغى اليه رابعا ولا يملأ جوف أبن آدم الّا ألتراب ويتوب أله على من تاب).

وألثاني: نسخ الخط دون ألحُكم. عن عمر قال: كنّا نقرأ (لا ترغبوا الرغبة عنهما) بمعنى الاعراض عن ابائكم، ومن ذلك أيضا (الشيخ والشيخة اذا زنيا فأرجموهما ألبتّة نكالا من أله وأله عزيز حكيم) معناه المحصّن وألمحصّنة.

وألثالث: نَسْخُ الحُكم دون الخط أوله أمر القبلة بأنّ المصلّي يتوجه حيث شاء لقوله عزّ وجل ((فأينما تولّوا وجوهكم فثمة وجه أله)) فنُسِخَ ذلك بالتوجّه الى بيت المقدس، ثمّ نُسِخَ بقوله عزّ وجل ((فوّل وجهك شطر ألمسجد ألحرام)).

وهنا يدخل عقل الانسان في متاهة ويتسائل: لِمَ لَمْ يقرر أله مِن البداية جعل الكعبة قبلة للمسلمين؟ أليس هذا انتقاص من علم وقدرة أله ؟ ثمّ أنّ القرآن يذكر بأنّ أله أقرب اليكم من حبل الوريد، فما الحكمة من التوجه نحو الكعبة؟ واذا تَقَدّمَ العلم وسكنَ الانسان في ألقمر أو في كواكب اخرى او كان في محطة فضائية تدور حول الارض فكيف نتمكّن من تحقيق هذا الأمر؟

إنَّ السوَر الّتي لم يدخلها ناسخ ومنسوخ هي ثلاث واربعون سورة من مجموع سور ألقرآن البالغة مائة واربع عشر سورة. وانّ عدد السور ألّتي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ هيّ ستّ سور، أمّا السور ألّتي دخلها منسوخ ولم يدخلها ناسخ فعددها أربعون سورة وأخيرا ألسور ألّتي دخلها ألناسخ وألمنسوخ فعددها خمسون وعشرون سورة أولها سورة ألبقرة.

هنالك في ألقرآن العديد من الامثلة على الناسخ والمنسوخ وكلّها تثير الشكوك في عقل الانسان ولا نجد اجوبة شافية لها، وكل هذا يُثبت بشرية ألقرآن.

3. حديث ألغرانيق:

" أفرأيتم ألات وألعزى * ومناة ألثالثة ألأخرى * تلك ألغرانيق ألعلى * وإنّ شفاعتهن لترتجى*".

مِنْ أهم ألأدلة على بشرية ألقرآن هو حديث ألغرانيق في ألقرآن، وذلك أنّ محمدا كان حريصا على إسلام قومه لاسيما عشيرته ألأقربين، فقد كان متهالكا على إسلامهم، حريصا على إنقيادهم إليه أشد ألحرص، غير أنّهم كانوا يزدادون كل يوم إعراضا عنه، وشقاقا ومخالفة له، وكان أشد ما يُغيضهم عيبه لآلهتهم.

ففي يوم من ألأيام تغلبت عليه ألعاطفة ألنَسَبية حتى جعلته يفكر أن يقول ما يستميلهم إليه ولا ينفرهم عنه لعله يتخذ ذلك طريقا إلى إسلامهم وإنقيادهم إليه.

فبينما هو ذات يوم في نادي قومه، وهذه ألفكرة في نفسه، نزلت عليه سورة ألنجم فأخذ يقرأها حتى قرأ :

" أفرأيتم ألات وألعزى * ومناة ألثالثة ألأخرى * تلك ألغرانيق ألعلى * وإنّ شفاعتهن لترتجى* "، ففرح ألقوم أشد ألفرح حتى أنّه لمّا سجد في آخرها، سجد معه جميع من في ألنادي وطابت نفوسهم، ولكنه لم يلبث أن رأى أنّ ذلك مخالف لمبدئه، ومناف كل ألمنافاة للأساس ألذي وضعه للدعوة (ألتوحيد..... لاإله إلا أله)، فرجع عنه وأسقط مدح آلهتهم من ألقرآن، وجعله يُقرأ هكذا : " أفرأيتم ألات وألعزى * ومناة ألثالثة ألأخرى * ألكم ألذكر وله ألأنثى * تلك إذن قسمة ضيزى* " ..... (سورة ألنجم، ألآيات 19- 20، ألسيرة ألحلبية، 1/ 324-325 وأنظر تفسير أبن كثير وتفسير ألقرطبي للآية 52 من سورة ألحج).

ثم أنّ محمدا أعتذر عن ذلك في آية أخرى وردت في سورة ألحج وهي : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى ألشيطان في أُمنيته فينسخ أله ما يُلقي ألشيطان ثم يُحكم أله آياته وأله عليم حكيم * ليجعل ما يُلقي ألشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ".... سورة ألحج ألآيتان 52-53.

لنلقي نظرة على ألآيتين ألتبريريتين ألمذكورتين في سورة ألحج أعلاه، فألآية ألأولى تقول : أن ألرسل وألأنبياء من قبلك كانوا مثلك يتدخل ألشيطان في وحينا إليهم ويبدل ويضيف، وهذا لعمري تبرير غير منطقي لكبوة محمد،

أمّا ألتبرير ألثاني (ليجعل ما يُلقي ألشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) فألعذر أقبح من ألذنب، ومعناه أنّ ألغرض من هذه ألغلطة هو إمتحان وإبتلاء للذين في قلوبهم مرض**!!!**

ألا يدري أله ألعليم ألحكيم من هو ألمؤمن ألحقيقي ومن هو ألذي في قلبه مرض؟ ألا يتنافى هذا ألكلام مع صفات ألألوهية ألتي جاء بها محمد في ألقرآن؟

وخلاصة ألأعتذار ألوارد في قوله: تلك ألغرانيق ألعلى وإنّ شفاعتهن لترتجى، ليس من ألوحي، وإنّما قاله ألشيطان على لسان محمد فأسمعه ألناس.

أنّ وقوع محمد في هذه ألغلطة ألشنيعة، دلالة واضحة على أنّ ألوحي كله كلام محمد.

4. أساطير ألقرآن:

" ألأسطورة هي حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي".... فراس ألسواح.

للدين مكونات أساسية بدونها لا نستطيع ألتعرف على ألظاهرة ألدينية وآخرى ثانوية لا تلعب دورا حاسما في تكوين ألدين، أو في تعرفنا على ألظاهرة ألدينية.

ألمكونات ألأساسية للدين هي: ألمعتقد وألطقس وألأسطورة.

في هذه ألمقالة سنتناول ألأساطير (ألميثولوجيات) ألتي وردت في ألقرآن.

جاء في سورة ألفرقان، الآية 5 مايلي: " وقالوا أساطير ألأولين أكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا " وهنا إشارة إلى إتهام ألمشركين لمحمّد بإستلهامه قصص ألأولين ألمكتوبة.

يذكر فراس ألسواح في كتابه " دين ألإنسان " معرفا ألأسطورة : " ألأسطورة هي حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي "، وألسلطان ألذاتي للأسطورة هنا لا يأتي من أية عوامل خارجة عنها، بل من أسلوب صياغتها وطريقة مخاطبتها للجوانب ألإنفعالية وغير ألعقلانية في ألإنسان، وهذه هي ميزة ألأساطير في ألقرآن كما أنّ هذه ألأساطيرلا تستيغها ألمنطق وتتميز أيضا بتناقضاتها مع ألمكتشفات ألعلمية.

تنشأ ألأسطورة عن ألمعتقد ألديني، وتكون إمتدادا طبيعيا له، فهي تعمل على توضيحه وإغنائه، وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وتداوله بين ألأجيال، كما أنّها تزوده بذلك ألجانب ألخيالي ألذي يربطه إلى ألعواطف وألإنفعالات ألإنسانية.

معظم ألأساطير في ألقرآن هي إقتباسات من أساطير ألديانات وألمعتقدات ألسابقة على ألدين ألإسلامي، فمحمد أقتبس كثيرمنها من كتب أليهود كالتوراة وألتلمود وألكتب ألغير ألقانونية (ألمنحولة) للدين ألمسيحي وكذلك من ألدين ألزرداشتي، كما أنّ معظم أساطير ألتوراة مقتبسة من أساطير حضارات وادي ألرافدين كالحضارة ألسومرية وألبابلية،

وفيما يلي سنتناول واحدة من هذه ألأساطير ألتي وردت في ألقرآن بألتفصيل:

4.1. أساطير ألتكوين :

لم يدرك مؤلف ألقرآن أنّ ألآية – 7 من سورة هود ((وهو ألذي خلق ألسموات وألأرض في ستة أيام وكان عرشه على ألماء)) تتناقض مع ألمطلق ولا ألمحدود وألألوهية، فوجود ألعرش هي ميزة مترادفة مع ألملوك ووجود ألماء قبل خلق ألكون يتعارض مع ألخلق من ألعدم. كما أنّ ألخلق في ستة أيام يناقض قدرة ألله، فحسب ألقرآن فألله إذا أراد شيئا فإنّما " يقول له كن فيكون ".

إنّ محمّدا جرى في ألقرآن على ألنظرية ألقديمة ألتي كانت شائعة في زمانه، فأعتبر ألأرض مركزا للعالم، وإذا كانت مركزا فلابد أن تكون هي ألتي خُلقت أولا قبل ألسموات، ولذا قال في سورة ألبقرة ألآية 29 " هو ألذي خلق لكم ما في ألأرض جميعا ثم أستوى إلى ألسماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم ".

وفي سورة فصلت ألآيات : 9-12 قال:

" قل إنّكم لتكفرون بألذي خلق ألأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب ألعالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثمّ أستوى إلى ألسماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها .... "

إنّ هذه ألآية جاءت بألأعاجيب، إذ من ألمعلوم أنّ خلق ألأرض وألسموات في ستة أيام خرافة مذكورة في ألتوراة، ولكن محمدا أخذها وتصرف فيها تصرفا غريبا، فقسّم ألأيام ألستة إلى ثلاثة أقسام إذ جعل منها يومين لخلق ألأرض، ويومين لإكمالها بألبسط وألدحو، ويومين لخلق ألسماوات ألسبع.

ولو أنّه جرى على هذا ألترتيب لهان ألخطب، ولكنه لم يجرِ عليه بل عمدَ أولا إلى ألأرض قبل خلق ألسموات فخلقها ناقصة غير كاملة أي خلق جرمها فقط فلم يبسطها ولم يجعل فيها جبالها ولم يقدر فيها أقواتها وذلك في يومين، ثم أستوى إلى ألسماء وهي دخان أي توجه إليها يريد خلقها، فقضاهن سبع سموات في يومين، ثم رجع فأكمل ألأرض ببسطها وإرساء جبالها وتقدير أقواتها كما جاء ذلك مصرحا في سورة ألنازعات ...ألأيات 30-32 إذ قال:

" وألأرض بعد ذلك دحاها * (أي بعد خلق ألسموات) فأخرج منها ماءها ومرعاها * وألجبال أرساها "، وكان إكمال خلق ألأرض في يومين أيضا، فكان ألمجموع ستة أيام، ويظهر أنّ خلق ألأرض كان أشق على ألله من خلق ألسموات ألسبع.

فلذا نراه بعدما خلق جرم ألأرض في يومين ترك ألدوام على ألعمل لإكمالها لأنّه شاق ومتعب، فعمد إلى خلق ألسموات ألذي هو سهل لا مشقة فيه، فأشتغل بإكمال ألأرض حتى أكملها في يومين أيضا، فأستغرق خلق ألأرض وإكمالها أربعة أيام سواء للسائلين، أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول إنّ هذه ألآيات جاءت بألأعاجيب.

إنّ ألعبارة ألقرآنية ((وكان عرشه على ألماء)) مقتبسة من عبارة في ألتوراة ((وألظلمات تغطي ألغمر وروح ألله ترفرف على ألمياه))، وعبارة ألتوراة مقتبسة من أساطير ألخلق ألسومرية وألبابلية، فمن ألمعلوم أنّ ألتوراة دونت وأخذت شكلها ألنهائي من قبل ألكاهن أليهودي عزرا أثناء ألسبي ألبابلي.

أنّ ألإحدى عشر فصلا من ألتكوين تروي ألأحداث ألخرافية ألتي سبقت أختيار إبراهيم منذ ألخليقة حتى ألطوفان وبرج بابل.

في أسطورة بابلية نقرأ: ((في تلك ألأزمان ألأولى. لم يكن سوى المياه)). وحسب ألأسطورة يقوم الإله مردوخ بشطر جسد الإله تعامة (المياه الاولى) الى نصفين، فيرفع الاول سماء، ويبسط الثاني ارضا، وفي الأسطورة ألتوراتية، يقوم إله العبرانيين يهوه أيضا، بفصل ألمياه ألأولى إلى شطرين، رفع ألأول إلى ألسماء وبسط ألثاني ألذي تجمّع مياهه في جانب، وبرزت منه أليابسة في جانب آخر- سفر التكوين- الاصحاح الاول.

وفي ألقرآن نجد واقعة فصل السماء عن الارض (أو لم ير ألذين كفروا أنّ ألسموات وألأرض كانتا رتقا ففتقناهما)- سورة ألأنبياء- ألآية 30.

أمّا بألنسبة لخلق ألرجل ألأول من ألغضار(تُرابٌ طينيٌّ دقيق الحبيبات ، كثيرُ الاندماج والصلابة)، فإنّ ألفكرة كانت معلومة لمؤلفي ألتوراة منذ أساطير سومر:

أي بني، انهض من مضجعك انهض من (....)

واصنع امرا حكيما

اجعل للآلهة خدما، يصنعون (لهم معاشهم)

فتأمل انكي مليا في الامر، ثم دعا الصناع الاهليين المهرة وقال لامّه نمو:

إنّ الكائنات التي ارتأيت خلقها، ستظهر للوجود

ولسوف نعلق عليها صورة الآلهة

امزجي حفنة من الطين، من فوق مياه الاعماق

وسيقوم الصناع الالهيون المهرة بتكثيف الطين (وعجنه)

ثم كوّني انتِ له اعضائه

وستعمل معك ننماخ (آلهة الأمومة) يدا بيد

ولسوف تقدرين للمولود الجديد، يا اماه مصيره

وتعلّق ننماخ عليه صور الآلهة (....) في هيئة ألإنسان (....).

(تعليق صور الآلهة على ألإنسان يُعنى به جعل ألإنسان ألمخلوق على صورة ألآلهة).

وثمة أساطير مشابهة قد تأكدت تقريبا في أمكنة عديدة من ألعالم، بدءا من مصر ألقديمة وأليونان حتى ألشعوب ألبدائية. فألفكرة ألأساسية تبدو نفسها:

ألإنسان تشكّل من مادة أولية (أرض،خشب،عظم) وأنّه أعطي ألحياة بنفس ألخالق وفي ألعديد من ألحالات، أنّ شكله هو ذات شكل خالقه، كما جاء في ألأسطورة ألسومرية.

في ألقرآن أساطير عديدة أخرى منافية للعقل وألمنطق وألعلم ومعظمها أقتباسات من ألأديان ألسابقة على ألدين ألإسلامي ولها جذور في أساطير ألحضارات ألرافدينية كالسومرية وألبابلية وألفرعونية ألمصرية ألقديمة، وللتفاصيل يُمكن مراجعة كتابنا " ثورة ألشك ". نذكر منها على سبيل ألمثال لا ألحصرمايلي:

4.2. أسطورة أبليس ألملاك ألساقط.

4.3. أسطورة قابيل وهابيل.

4.4. أسطورة ألطوفان وسفينة نوح.

4.5. أسطورة ألنبي إبراهيم.

4.6. أسطورة ألملك سليمان وألهدهد وألملكان هاروت وماروت.

4.7. أسطورة أهل ألكهف.

4.8. أسطورة ألنبي يونس وألحوت.

4.9. أساطير ألنبي موسى.

4.10. أسطورة ذي ألقرنين وياجوج وماجوج.

4.11. اسطورة معجزات ألنبي عيسى بن مريم.

4.12. أسطورة ألنبي يوسف بن يعقوب.

4.13. أساطير ألجنة وجهنم.

4.14. أساطير ألجن وألملائكة وألسحر.

4.15. أسطورة ألإسراء وألمعراج.

أضافة إلى ما تم ذكره في حلقات هذا ألبحث من ألأدلة على بشرية ألقرآن، هنالك أدلة أخرى لم نتطرق إليها في هذا ألبحث كالأخطاء ألعلمية ألأخرى، وألأخطاء ألنحوية، وألركاكة ألبلاغية لبعض ألآيات، ووجود كلمات غير عربية في ألقرآن كالكلمات ألسريانية وألفارسية وألحبشية، وألأخطاء ألتاريخية، وألأخطاء ألجغرافية.

54

مقارنة بين مباديء حقوق الإنسان ومباديء الدين الإسلامي

" إنّ الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم".... من ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

مقدمة:

إنّ الانبياء والرسل هم بشر توهموا بأنهم يتلقون وحيا من السماء وتشريعاتهم سببت وتسبب وستسبب في نشوب الصراعات والحروب بين منتسبي الاديان المختلفة وبين الطوائف المختلفة للدين الواحد.

إن فكرة الثواب والعقاب في يوم القيامة ساهمت وتساهم وستساهم في بعض الحالات في ردع شريحة من النّاس وخاصة الجهلاء منهم من ارتكاب الجرائم والتجاوز على حقوق الآخرين، لكنّ بعض تعاليم الاديان السماوية لا تواكب تطوّر العقل الانساني وتطوّر المجتمعات الانسانية وحضارته، لذا يثار سؤال ملح وهو:

- إذا كان العقل الانساني وحاجاته في تطوّر مستمر عبر العصور وانّ هناك حاجة لتشريعات مستجدّة تواكب هذا التطوّر، هل اخطأ الأنبياء بحق الإنسانية بإدعائهم النبوة؟

- اليس من الافضل اعتماد دستور يشارك في وضعه عقلاء القوم المنتخبين من قبل الاكثرية لتنظيم العلاقات في المجتمع بدلا من اعتماد تشريعات تمّ وضعها من قبل شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص وفي مكان وزمان لا هي مكاننا ولا هي زماننا؟

- أليس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أفضل من التشريعات ألتي وردت في القرآن؟

للإجابة على الإستفسار الأخير سنحاول إجراء مقارنة بين بعض مباديء حقوق الإنسان ومباديء الدين الإسلامي الواردة في ألقرآن.

قبل التطرق لمقارنة مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مع الآيات القرآنية لنلقي نظرة على الديباجة التي وردت في مقدمة مواد حقوق الإنسان البالغة ثلاثون مادة:

الديباجة:

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كان من الجوهري تعزيز تنمية العلاقات الودية بين الدول.

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها.

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

1. العبودية :

" أن أكثر ما قدمه القرآن للعبيد كان التصدق عليهم، أو عتق رقبة في بعض الأحيان دون أن يعني ذلك عدم امتلاك المزيد من الرقاب، لا بل فرض الجهاد على المسلمين لامتلاك المزيد منها".

مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حول العبودية:

المادة-1: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة-4: لايجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.

الآيات القرءانية حول العبودية التي تناقض مباديء حقوق الإنسان الواردة أعلاه:

- { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء:3].
- {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [النحل:71] .
- {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } [النحل:75].
- {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:6] .
- {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج:30] .
- {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم:28] .
- {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ} [البقرة:177] .
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:178] .
- {وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة:221].
- {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ

يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب:50] .

- {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب:52] .

- {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} [الأحزاب:55].

- { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا{ [النساء:24] .

- {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ{ [النساء:25] .

- {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء:36] .

- {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء:92].

- {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31] .

- {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور:32] .

- {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النور:33] .

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:58] .

- {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:3] .
- {لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:89] .
- {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:60] .

الخلاصة:

ألقرآن ذكرَ العبيد والجواري في (6) آيات مكية، و(20) آية مدنية، والإجمالي (26)، وأنّ السور المتعلقة بالجواري وملكات اليمين في الآيات المكية هي ليست من بداية النزول، بل هي في نهايات الآيات المكية، إلا آية واحدة منها تدعو لفك الرقبة، ولا يوجد ذِكر لملكات اليمين إلا بعد وفاة خديجة، وبعد نزول الوحي بحوالي عشر سنوات، وحتى أنه بعض تلك الآيات الستة المكية مشكوك في مكيتها، ويدعي بعض علماء الإسلام أنها مدنية، 23% من ذكر العبيد في القرآن كان في المكي، و77% كان في المدني، وحتى النهاية كان القرآن يشرع ويسن القوانين لعالم العبيد وليس لعالم بلا عبيد.

أما عن معاني الآيات المذكورة أعلاه فإنها تتحدث عن عتق رقبة في بعض الحالات، وعن تكفير من يقول أن عيسى ابن الله، وتشبيه من يقول ذلك بمن يقول أن العبد مثل الحر، وحرية مضاجعة الجواري او ملكات اليمين، وفي القصاص من قتل عبدك تقتل عبده، والدعوة للتحجب كي تعرف الحرة من الجارية كي لا يتحرش بها أحد، وكأن ذلك موافقة على التحرش جنسياً بالجواري.

و[البقرة:22] كانت بداية تُشجِع بالزواج من الجواري، وبعدها نزلت [النساء:25] لتحرم الزواج منهن إلا بشروط وعند الضرورة، وحتى لو توافرت تلك الشروط فالصبر على عدم الزواج بهن أفضل، ولو قامت الجارية بفاحشة بعد الزواج فعليها نصف ما على المحصنات لأنها أبداً لن تصل لمستوى الحرائر، وفي حال القتل العمد الدعوة لعتق رقبة لكن بشرط ان تكون رقبة مؤمنة، ويمكن بدل ذلك صيام شهرين [النساء:92]، وفي مناسبة أخرى وتاريخ لاحق الدعوة لعتق رقبة أو بدل ذلك صيام ثلاثة أيام (فقط) [المائدة:89]، ودعوة على التصدق على العبيد، وتوبيخ موجه للنبي محمد كونه حرم على نفسه مضاجعة إحدى جواريه.

أن أكثر ما قدمه القرآن للعبيد كان التصدق عليهم، أو عتق رقبة في بعض الأحيان دون أن يعني ذلك عدم امتلاك المزيد من الرقاب، لا بل فرض الجهاد على المسلمين لامتلاك المزيد منها.

انتهى نزول المدني والذي كان هو الجزء الأخير من القرآن، وفيه سنت القوانين التي تنظم عالم العبودية، وأتم محمد رسالته ونزلت الآية لتقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة]، اتممها دون ان يذكر كلمة واحدة عن تحرير العبيد، ومن المعلوم أنه في الإسلام تحريم المحلل كتحليل المحرم، لذا لا أحد يمكنه تحريم العبودية التي أقرها الله في آياته، المفروض أن الله لا يستحى من الحق، فلو كانت هناك أية فكرة عن تحرير العبيد لنطق بها النبي محمد وذُكِرَت في القرآن.

يقول القرآن: {إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء:58]، فأين كانت تلك العدالة في آيات العبودية والعبيد، وماذا فعل محمد لرعاياه العبيد حين قال "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"، لماذا لم ينطق نبي الإسلام بتحريم العبودية

وهو الذي تحدى الأصنام المقدسة وحطمها بكل قوة، لماذا لم يواجه التمييز بين البشر لو كان مقتنعاً، ألا يعني ذلك أنها كانت بعيدة عن مدركاته، وقد قيل "كل ما سكت عنه فهو صالح" وبالنهاية التمييز بين البشر لا يتعارض مع الحكم العادل من وجهة نظر الشرع الإسلامي، والحديث عن التدرج في تحريم العبودية هو حالة نفسية تلبس بها البعض نتيجة الجهل المتوارث، ويدعيها بعضٌ آخر للنفاق والاسترزاق.

لو كانت حجة التدرج صحيحة لسنت بعض القوانين التي ربما كانت ستقلل مع مرور الزمن من أعداد العبيد، كمنع امتلاك المزيد من العبيد والاكتفاء بالعبيد الموجودين سابقاً في المجتمع، والتشريع لأن يكون أولاد العبيد أحراراً، أو على الأقل الأولاد المولودين لزوجين احدهما عبد أن يكونوا أحرارا.

لكن بعكس ذلك فرق الإسلام بين الأحرار والعبيد في شكل الحجاب والعورة، وطرق العبادة، والزواج، و حرمهم من المغانم في حالة (ما يسمى الجهاد في سبيل الله)، وجعل عدة الجارية نصف عدة الحرة، وجعل عقوبتها نصف الحرة في الحدود، وأعتبر العبيد أموالاً، ونزلت الآيات (المقدسة) حتى آخر لحظة لتثبت وتقر ما تم ذكره وتؤكد على دونيتهم.

ختاما نود أن نبين بأنّ ممارسات الدولة الأسلامية (داعش) وما شابهها، بسبيهم للأسرى من الرجال والنساء والأطفال وبيعهم في أسواق النخاسة وممارستهم الجنس مع النساء الأسيرات مستندة للآيات القرآنية المذكورة في هذا البحث، والحل هو عدم الإعتماد على نصوص القرآن في دساتيرنا بالقول: "الإسلام مصدر أساسي لتشريع الدستور".

5. العقوبات:

"وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".... [المائدة: 38].

المادة - 5 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

"لايُعرَض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة".

العقوبات في الإسلام عدة مراحل، أولها مرحلة العقوبات في الحياة الدنيا تليها العقوبات في القبر، أي عذاب القبر وأخيرا مرحلة العقوبات في الآخرة اي في يوم الحساب.

ألآيات التي وردت في القرآن حول تشريعات العقوبات:

- " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " [النور: 4].

- " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ " [النور: 2].

- " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [المائدة: 38].

- " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:178].

- " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [المائدة: 33].

- " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [المائدة: 45].

ألخلاصة:

- أن العقوبات الشرعية قديمة وجامدة وقد عفّى عليها الزمان ، وتجاوزتها الحضارة ، ولم تعد ملائمة لهذا العصر، عصر التقدم والمدنية ، والتحضر التقني والصناعي . فالأخذ بها تقهقر بالإنسانية الراقية ، ورجعة بها إلى عهود الظلام الدامس ، والقرون الوسطى.
- أن العقوبات الشرعية تتسم بالقسوة والهمجية التي تبعث على الاشمئزاز ولا تتناسب وروح هذا العصر ، وإنسانيته ، وحمايته لحقوق الإنسان وكرامته.
- أن العقوبات الشرعية تهمل شخصية المجرم وتأثير البيئة فيه، فهي لا تتفق مع النظرية الحديثة في تحليل نفسية المجرم ، وأنه مريض النفس ، منحرف المزاج ، متأثر بما حوله ، بل هو ضحية من ضحايا المجتمع ، والذي يعدّ مشتركاً معه لسبب أو لآخر فيما أقدم عليه ، فكان من العدالة أن يتقاسم معه المسؤولية ، وأن يعمل على علاجه لا عقابه.
- إن العقوبة بتقطيع الأطراف فيها إضرار بالمجتمع ، وذلك بإشاعة البطالة فيه ، وتعطيل بعض الطاقات البشرية التي كانت تسهم في العمل والإنتاج ، وتكثير المشوهين والمقطعين الذين أصبحوا عالة على المجتمع بسبب عجزهم عن الكسب والإنفاق ، فيجب أن يستعاض عن هذه العقوبة بالحبس مع التربية والتوجيه.
- إن القصاص عقوبة قاسية لا تراعي شخصية المجرم وظروفه ودوافعه ، كما أن جعل القصاص حقاً لأولياء القتيل ؛ فيه تغليب لجانب الانتقام ، واعتباره أساساً للعقاب ، وهذا من الهمجية الأولى ، ولا يتفق مع التحضر والمدنية ، واعتبار العقاب تهذيباً واستصلاحاً.
- أن تنفيذ حد السكر فيه انتهاك صارخ لحرية الإنسان الشخصية، وتدخّل في خصوصياته، فضلاً عن ما فيه من الغلظة والقسوة التي يأباها عالمنا المتحضر اليوم.
- أن حد القذف وهو الجلد ثمانين جلدة شديد وقاسي ولا يصلح لزماننا هذا.

لو تم تطبيق الحدود الشرعية الواردة في ألقرآن ستكون النتيجة مجتمع مليء بالمعقدين نفسيا والمشوهين والمعوقين والعاطلين عن العمل.

6. حقوق المرأة:

"للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله"..... المادة 16-1 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حول مساواة المرأة بالرجل في جميع الحقوق :

المادة 2

لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو ((الجنس)) أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر،((دون أية تفرقة بين الرجال والنساء)). وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة 16

(1) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

أ) ألآيات التي وردت في القرآن حول حقوق ألمرأة:

- " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا "... سورة ألنساء، الآية-11.
- " وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " سورة النساء، الآية -176.
- " وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى " سورة البقرة، الآية - 282.
- " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا " سورة النساء، ألآية - 34.
- " وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا " سورة ألنساء، ألآية - 43.
- " وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " سورة البقرة، ألآية -221.
- " فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ " سورة الممتحنة، ألآية 10 -.

- " وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " سورة المائدة، الآية - 5.
- " وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنّ " سورة النور، الآية - 31.

ألخلاصة :

المؤمنون بالاديان السماوية (اليهودية والمسيحية والاسلام) يعتقدون بأنّ عقل المرأة اقلّ كفاءة من عقل الرجل. السبب الرئيسي لهذا الاعتقاد هو التشريعات الّتي جاءت بها هذه الاديان. فالدين اليهودي والمسيحي استندا على ما ورد في ألكتاب المقدس حول خرافة خلق اوّل أمرأة (حوّاء) من ضلع اول رجل (آدم)، لذا فالجزء يكون اقلّ شأنا من الكل، والمسلمون تبنّوا هذه الخرافة في عقيدتهم.

انّ التشريعات الّتي جاءت في القرآن حول حقوق المرأة وواجباتها ثبّتت في لاوعي المسلمين الاعتقاد بانّ عقل المرأة اقلّ كفاءة من عقل الرجل، وأرسخت الاحاديث المنقولة عن محمّد هذا الاعتقاد.

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرَّ على النساء فقال: " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن : وبم يا رسول الله؟

قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير . ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل.

قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها.

أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟

قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها".

يقول المدافعون عن تشريع الشهادة في المحكمة " بأنّ الشهادة هي احتكاك بمجتمع لتشهد فيه وتعرف ما يحدث ، والمرأة بعيدة عن كل ذلك في الغالب، إن الأصل في المرأة ألا علاقة لها بمثل هذه الأعمال ، وليس لها شأن بهذه العمليات ، فإذا ما اضطرت الأمور إلى شهادة المرأة فلتكن الشهادة لرجل وامرأتين

لأن الأصل في فكرة المرأة أنها غير مشغولة بالمجتمع الاقتصادي الذي يحيط بها فهي أسمى من هذا ، فقد تُضل أو تنسى فتذكر إحداهما الأخرى ، وتتدارس كلتاهما هذا الموقف ، لأنه ليس من واجب المرأة الاحتكاك بجمهرة الناس وبخاصة ما يتصل بالأعمال إلا في الضرورة القصوى "، ولكن هذا الإدعاء ينطبق على المجتمع الصحراوي الذكوري ألذي ظهر الإسلام فيه ولا ينطبق على مجتمعاتنا ألحديثة.

أمّا المدافعون عن قوّامة الرجال وكون حقّه في الميراث ضعف حق المرأة فأنهم يقولون بأنّ الرجل هو الّذي كان يعمل من اجل توفير القوت للعائلة في المجتمع الجاهلي والمرأة لا تعمل ولكن ما بال المجتمعات الحديثة في القرن الواحد والعشرين؟ الا تعمل المرأة اليوم جنبا الى جنب مع الرجل في جميع المجالات؟ ايتوجب علينا حجر النساء في البيوت حتّى نبرر صحّة هذا التشريع ونثبت بأنّه منزّل من الله؟ الا يدلّ هذا التشريع انّ القرآن تشريع خرج من رحم مجتمع صحراوي ذكوري وملائم لذلك المجتمع فقط، ولا يمكن تطبيق معظم تشريعاته في عصرنا هذا وفي العصور المقبلة.

انّ المرأة المثقفة الواعية هي اساس ولبنة تغيير المجتمع نحو الافضل ومن اسباب تخلّف مجتمعاتنا الشرقية والاسلامية جعل المرأة اقل اعتبارا من الرجل وانّ التشريعات الاسلامية هي من اهم اسباب تخلّف مجتمعاتنا بسب نظرته الدونية للمرأة.

اعتقد انّ سبب اعتبار المرأة في الاسلام اقل شأنا من الرجل هو انّ المشرّع كان يعيش في مجتمع يسيطر عليه الرجال، فلو افترضنا انّ محمّدا صار نبيّا في القرن الواحد والعشرين لجعل حق المرأة في الميراث مساويا للرجل ولجعل شهادتها مساوية للرجل في المحكمة ولم يدعّي بانّ اكثر اهل النار من النساء.

أنّ وعود القرآن للنساء في الجنّة ليست متكافئة مع وعوده للرجال، فالرجال يوعدون بحوريات كواعب اترابا يستطيعون ممارسة الجنس معهنّ انّى يشاؤون، اما النساء فلا يوعدن بشروى نقير.

بعد هجرة المسلمين من مكّة الى المدينة امتدح القرآن تضحيات المؤمنين الذين هاجروا وتركوا اموالهم وديارهم ولم يذكر المؤمنات اللواتي هاجرن فأعترضت احدى النساء المؤمنات على هذا الغبن الّذي اصاب النساء عند محمّد وتمّ تصحيح الوضع بآية اخرى نزلت بعد ذلك. يذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه (لباب النقول في اسباب النزول) مايلي :

أخرج عبدألرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وأبن أبي حاتم عن أم سلمة أنّها قالت: يارسول أله لا أسمع أله ذكر ألنساء في ألهجرة بشيء فأنزل الله " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ " سورة آل عمران ألآية 195.

حسب هذه الرواية فإنّ أم سلمة تُعتبر أول أمرأة تدافع عن حقوق بني جنسها في تاريخ ألإسلام، وأنّ تشريعات ألقرآن يتم تأليفها بموجب إعتراضات وفي حالات أخرى بموجب أقتراحات من الصحابة، كما حدث في تشريع الحجاب بإقتراح من عمر بن الخطاب.

ألقرآن حقّر ألمرأة في سورة ألنساء، ألآية- 43 عندما ساواها بالغائط ألذي ينقض ألوضوء " وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ".

وأخيرا إنّ نظام تعدد الزوجات ونظام الجواري والسبايا ومامَلكت ايمانكم وحجاب ألمرأة فيه اجحاف شنيع بحقوق المرأة ودعوة مفضوحة الى العبودية.

55

ألتصوف وألنبوة

1. ألباطنية وألتصوف ألإسلامي:

" إنّ نتائج ألتجربة ألصوفية في نظر علماء ألدين والتفسيرات ألمقدمة من ألصوفية، كانت تهدد حتى أسس ألفقه ألأصولي"..... ميرسيا إلياد.

إنّ ألصوفية تمثّل ألبعد ألصوفي للإسلام وهي واحدة من أكثر ألتقاليد أهمية للباطنية ألإسلامية. إنّ ألإشتقاق ألللغوي للإسم ألعربي (صوفي) يبدو مشتقا من ألصوف، إشارة لرداء ألصوف ألذي يرتديه ألمتصوفون. وقد أنتشر هذا ألمصطلح بدءا من ألقرن ألثالث ألهجري (ألتاسع ميلادي).

حسب ألتقليد ألإسلامي ، فإنّ ألأسلاف ألروحانيين للصوفية كانوا من صحابة محمّد، وعلى سبيل ألمثال سلمان ألفارسي، ألحلّاق ألفارسي ألذي سكن منزل ألرسول وأصبح نموذج ألتبني ألروحي وألمسارة ألصوفية، ووايس ألكاراني ألذي أثنى ألنبي محمّد على ورعه.

لا يعرف سوى ألقليل عن ألإتجاهات ألتنسكية في ألإسلام (في ألقرن ألثالث للهجرة، كانت أغلبية ألصوفيين متزوجين وبعد قرنين أصبح ألمتزوجون قلّة)، ولكنّها تحققت على ألأرجح تحت حكم أسرة ألأمويين. ففي ألواقع أنّ عددا كبيرا من ألمؤمنين خاب أملهم بعدم ألمبالاة ألدينية للخلفاء ألذين شغلهم ألتوسع ألمستمر لإمبراطوريتهم فقط.

إنّ أول صوفي متنسك هو ألحسن ألبصري، ألمولود في سنة 110 هجرية (728 ميلادية) ألمشهور بتقواه وبحزنه ألعميق، لأنّه كان يفكر دائما بيوم ألدينونة، وهناك حالم آخر وهو إبراهيم بن أدهم ألمشهور بتعريفه لمظاهر ألزهد ألثلاثة:

1-ألتنازل عن ألدنيا.

2-سعادة معرفة ترك ألدنيا.

3-ألتحقيق ألتام لترك أهمية ألعالم.

ألصوفية ألمتنسكة ألأخرى هي رابعة ألعدوية، ألمولودة في سنة 185 هجرية (801 ميلادية) وهي أمة (عبدة) أعتقها سيدها، وأدخلت في ألصوفية ألحب ألمطلق لله وبدون مقابل، فألحبيب لا يجوز أن يفكّر لا في ألجنة ولا في ألنار.

رابعة ألعدوية هي ألأولى بين ألصوفيات ألتي تكلمت عن غيرة ألله: " يا أملي، يا راحتي، يا سعادتي، إنّ ألقلب لا يستطيع حب واحد آخر غيرك". لقد أصبحت ألصلاة بألنسبة لرابعة محادثة حب طويلة مع ألله.

وكذلك فإنّ ألإمام جعفر ألصادق واحد من كبار معلمي ألصوفية ألقديمة، عرّف ألتجربة ألصوفية بعبارات حب إلهي:

" نار إلاهية تفترس ألإنسان تماما" ألأمر ألذي يبرهن على ألتضامن بين ألشيعة وأول مظهر للصوفية.

وفي ألواقع، فأنّ ألبعد ألباطني ألإسلامي، ألمميز للشيعة، كان بدئيا متماهيا في ألسنّة مع ألصوفية. وحسب رأي أبن خلدون: " إنّ ألصوفيين أعتمدوا ألنظريات ألشيعية". كذلك فإنّ ألشيعة أعتبروا نظرياتهم كمصدر إلهام للصوفية، ويكفي أن يؤخذ في ألحسبان واقعة أنّه في ألقرون ألأولى للإسلام كان من ألصعب ألتدقيق فيما إذا كان ألكاتب سنيا أو شيعيا، وحصل ألإنقطاع بين ألشيعة وألصوفية عندما أدخل بعض معلمي ألصوفية تفسيرا جديدا للتلقين ألروحي وألحب ألإلهي.

إنّ ألتجارب ألصوفية وألغنوصيات ألتيوصوفية تسربت بصعوبة إلى ألإسلام ألأصولي، فألمسلم لم يجرؤ على إدراك علاقة صميمية وواقعة حب روحي مع أله. فقد كان يكفيه ألتسليم لله، وإطاعة ألشريعة، وإتمام تعليمات ألقرآن بواسطة ألسنة.

إنّ ألعلماء ألأقوياء بثقافتهم ألدينية ومهارتهم بألإجتهاد، كانوا يعتبرون وكأنّهم ألرؤساء ألدينيون للجماعة. وعليه فإنّ ألصوفيين كانوا بعناد كبير ضد ألعقلانيين، وبألنسبة لهم فإنّ ألمعرفة ألحقيقية ألدينية قد تمّ ألحصول عليها بتجربة شخصية، موصلة لإتحاد مؤقت مع أله.

إنّ نتائج ألتجربة ألصوفية في نظر علماء ألدين والتفسيرات ألمقدمة من ألصوفية، كانت تهدد حتى أسس ألفقه ألأصولي.

من جهة أخرى فإنّ طريق ألصوفية يقتضي بألضرورة تلامذة مع لزوم تكريسهم وطول تدريبهم من قبل معلّم. إنّ هذه ألعلاقة ألإستثنائية بين ألمعلّم وتلامذته وصلت سريعا لتمجيد ألشيخ وعبادة ألقديسين، وكما كتب ألهجويري: " إعلم أنّ مبدأ وأساس ألصوفية، ومعرفة أله، تعتمد على ألقداسة" (أنظر كتاب كشف ألمحجوب ترجمة نيكلسون).

إنّ هذا ألتجديد أقلق علماء ألدين، ولم يكن هذا فقط لإنّهم رأوا سلطتهم مهددة أو متجاهلة. وبألنسبة للفقهاء ألأصوليين، فإنّ ألصوفيين كانوا متهمين بألهرطقة. وعليه يمكن ألكشف في ألصوفية ألتأثيرات ألتي يمكن أعتبارها كأنّها (نجسة ومدنسة) من ألأفلاطونية ألمحدثة، وألغنوصية وألمانوية.

وبإتهامهم بألهرطقة، فإنّ بعض ألصوفيين- مثل ألمصري (ذي ألنون) ألمولود سنة 245 هجرية (859 ميلادية) وألنوري ألمولود سنة 295 هجرية (907 ميلادية) قد أتهموا أمام ألخليفة، وإنّ ألمعلمين ألكبار كألحلاج وألسهروردي أنتهيا بإضطهادهما وبقتلهما، ألأمر ألذي أكره ألصوفيين لإيصال تجاربهم ومفاهيمهم لتلامذة موثوقين فقط وضمن نطاق ضيق من ألمريدين.

ومع أنّ ألحركة أستمرت بالتصاعد، لأنّها أستجابت لإرضاء الغرائز ألدينية للشعب، غرائز هي في قسم منها مجمدة بألتعليمات ألمجردة وغير ألشخصية للأصوليين، هؤلاء ألشريحة من ألأمة ألإسلامية وجدوا عزاء لهم في ألتقريب ألديني ألأكثر شخصانية وألهيجاني للصوفيين.

في ألواقع وخارج ألتعليم ألتلقيني ألمساري ألمحتفظ به للتلامذة، فإنّ معلمي ألصوفية شجعوا (ألأنغام ألروحانية) ألعامة. فألأناشيد ألدينية، وألموسيقى ألألاتية (ناي ألقصب،صنوج، دفوف وطبول) والرقص ألمقدّس، والترديد ألمستمر لإسم أله (ذكر) كانت تؤثر في ألشعب أكثر من ألنخبة الروحية.

إنّ ألذكر يشابه صلاة ألمسيحيين ألشرقيين ألتي تحددت بترداد مستمر لإسم أله أو يسوع.

إنّ تقنية ألذكر معقدة جدا ومشابهة لطريقة من نموذج يوجي (أوضاع جسدية مميزة، وممارسة للشهيق ومظاهر صبغية ولونية وسمعية..... ألأمر الذي يجعل من ألمسلّم به وجود ألتأثيرات ألهندية.

خلال مجرى ألزمن، ومع بعض ألإستثناءات، فإنّ ألضغط ألممارس من قبل علماء ألدين على ألصوفيين قد زال نهائيا. وحتى ألأكثر عداوة بين ألذين مارسوا ألأضطهاد ضد ألصوفيين، أنتهوا إلى ألإعتراف بألمساهمة ألإستثنائية للصوفيين في ألإنتشار وفي ألتجديد ألروحي للإسلام.

2. ألشيعية وألتأويل ألباطني:

" بفضل ألتعليم ألسري للأئمة دخل ألعديد من ألمفاهيم ألغربية (خاصة، ألغنوصية وألإيرانية) ألإسلام ألشيعي".

إنّ وحدة ألجماعة ألإسلامية (ألأمة) فُقِدت على أثر ألأنفصال بين ألسنة وألشيعة، فالشيعة كانت تدّعي بأنّ ألخليفة ألحقيقي ألأول هوألإمام علي بن أبي طالب. وإضافة لذلك فمنذ وقت مبكر توزع ألإسلام إلى مذاهب متعددة جدا وإلى مدارس غالبا ما كانت تتصارع وحتى أنّها تُدين بعضها بألتناوب، وكل واحد منها يدّعي أنّه ألمالك ألمتميز للحقيقة ألعليا، وقد زال كثير منها عبر ألتاريخ، وفي ألإمكان زوال غيرها، ولكن كثير من هذه ألمذاهب " وغالبا ألأكثر قدما" قد أستمر حتى أيامنا بحيوية بارزة مصمما بجد على ألأستمرارية وعلى متابعة ألأغتناء بمعطيات جديدة، وبكمية من ألمعتقدات وألأفكار ألموهوبة من قبل ألأجداد.

إنّ ألجماعة ألسنية مثّلت وما زالت تمثّل غالبية ألإسلام، وهي تتميز بدئيا بألأهمية ألمعطاة للتفسير ألحرفي للقرآن وألسنة، وبألدور ألرئيسي للشريعة، ولكن نطاق ألشريعة أكثر أتساعا من ألأنظمة ألقانونية من ألنموذج ألغربي.

فمن جهة هي تنظم ليس علاقات ألمؤمن مع ألجماعة وألدولة فحسب، وإنّما أيضا مع ألله وضميره ألخاص. ومن جهة أخرى فإنّ ألشريعة تمثل ألتعبير عن ألإرادة ألإلهية، كما أوحي بها إلى نبي ألإسلام محمد.

وفي ألواقع بألنسبة للمذهب ألسني فإنّ ألشريعة وألفقه متضامنان ومصدرهما هو تفسير ألقرآن وألسنة ألمؤسَسة على نشاط وكلمات ألرسول، وألإجماع أو إتفاق شهادات صحابة ألنبي محمد أضافة فإنّ من بين مصادر ألشريعة ألقياس وأعتبر ألإجتهاد كألطريقة ألتي يتوصل بها لهذا ألقياس.

غير أنّ ألنصوص قابلة لتفسيرات شتى، مبتدئة بألأكثر وضوحا (ألتفسير ألحرفي).

وحسب قول صهرألنبي محمد، علي بن أبي طالب، ألإمام ألأول: " لا يوجد آية قرآنية إلّا ولها أربع معاني: ألظاهر وألباطن وألحد وألمشروع ألإلهي".

فألظاهر هو من أجل ألتلاوة ألشفهية، وألباطن هو من أجل ألعلم ألداخلي، وألحد هو ألتلاوة ألمقيّمة للحلال وألحرام، وألمشروع ألإلهي هو ما قصد ألله تحقيقه في ألإنسان بواسطة كل آية (نظرية ألمعاني في ألاهوت ألمسيحي للقرون ألوسطى هي : ألمعنى الحرفي، وألاهوتي، وألأخلاقي وألمشابه).

وهذا ألمفهوم هو خاص بالشيعة، ولكنه موزع بين عدد من ألمتصوفين وألإشراقيين ألمسلمين. وحسب حديث معتبر يعود للرسول ذاته " ألقرآن له ظاهر خارجي وعمق مخبأ، معنى ظاهري ومعنى باطني".

إنّ ألفكرة ألحقيقية تتطلب ألمعلمين ألملقنين والأدلاء ألروحانيين بإمتياز، وهم ألأئمة. وفي ألواقع، إنّ واحدا من أكثر ألتفاسير ألروحية قدما للقرآن يوجد في ألتعليم الباطني ألمعطى من قبل ألائمة لتلامذتهم، وهذا ألتعليم قد نقل بأمانة وبشكل مدونة ضخمة (خمسة وعشرون جزءا في طباعة ألمجلسي).

وألتفسير ألمقدم من ألأئمة والكتّاب ألشيعة مؤسس على تكاملية مصطلحين جوهريين: ألتنزيل وألتأويل. فألأول يدل على الدين الإيجابي أي حرفية ألوحي ألمتنزل من ألملأ ألأعلى بناء على إملاء ألملاك. وعلى ألعكس فإنّ ألتاويل يرجع للأصل أي للمعنى ألحقيقي وألأصلي للنص ألمقدس.

وخلافا لآراء ألأصوليين فإنّ ألشيعة يقدرون أنّه بعد ألنبي محمد بدأ دور جديد هو دور ألولاية "محبة،حماية". إنّ "محبة" أله تكشف للأنبياء وألأئمة ألدلالات ألسرية للكتاب وألسنة، ومن هنا، تجعلهم قادرين لتلقين ألمؤمنين في ألأسرار ألإلهية.

" تحت هذا ألمظهر، فإنّ ألشيعية هي عرفان (غنوص) ألإسلام. إنّ دور ألولاية هي إذن دور ألإمام ألوارث للرسول، أي ألباطن ألتابع للظاهر، وبعبارة أخرى ألحقيقة ألتابعة للشريعة". والحقيقة إنّ ألأئمة ألأوائل أرادوا ألحفاظ على ألتوازن بين ألدين ألإيجابي و"ألفكرة" دون حل ألباطن عن ألظاهر، ولكن ألظروف قد حالت دون الحفاظ على هذا ألتوازن، وبألنتيجة ألوحدة للشيعة.

ونشير إلى ألتأريخ ألمأساوي لهذه ألحركة. فزيادة عن ألإضطهاد ألسياسي للخلفاء ألأمويين وخصومة فقهاء ألشريعة، فإنّ ألشيعية تحملت كثيرا من إنقساماتها ألداخلية ألخاصة. مثيرة ألعديد من ألشيع وألمذاهب. فبما أنّ ألرئيس ألديني كان ألإمام، أي منحدر مباشرة من ألإمام علي، فإنّ أزمة أنفجرت عند موت ألإمام ألسادس جعفر ألصادق (148 هجرية-765 ميلادية). فإبنه إسماعيل ألذي سبق وقلّد من قبل والده، مات قبل ألأوان، وتجمع قسم من ألمؤمنين حول أبن هذا ألأخير محمد بن إسماعيل ألذي أعتبروه كإمام سابع، وهؤلاء هم ألإسماعيليون أو ألشيعة ألسبعية.

ومؤمنون آخرون أعترفوا بموسى ألكاظم كإمام سابع وهو شقيق إسماعيل، وهو أيضا قلد من قبل ألإمام جعفر ألصادق.

وأستمرت سلسلة نسبه حتى ألإمام ألثاني عشر محمد ألمهدي، ألمختفي سرا في عام (260هجرية - 874 ميلادية) وكان عمره عند إختفائه خمس سنوات، وفي أليوم نفسه ألذي مات فيه والده ألشاب ألإمام قبل ألأخير الإمام الحسن العسكري.

أما أسماء الأئمة الاثنا عشر فهي كالتالي:

1. الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
2. الإمام الحسن بن علي.
3. الإمام الحسين بن علي.
4. الإمام علي بن الحسين زين العابدين.
5. الإمام محمد بن علي الباقر.
6. الإمام جعفر بن محمد الصادق.
7. الإمام موسى بن جعفر الكاظم.
8. الإمام علي بن موسى الرضا.
9. الإمام محمد بن علي الجواد.
10. الإمام علي بن محمد الهادي.
11. الإمام الحسن بن علي العسكري.

12.الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر.

إنّ ألتجديدات للفرعين من ألشيعة بارزة وخاصة حول ألمخطط أللاهوتي، فقد شوهدت ألأهمية للباطنية وألغنوص (ألعرفان)، وحسب بعض علماء ألدين ألسنة وألكتّاب ألغربيين، أنّه فعلا بفضل ألتعليم ألسري للأئمة دخل ألعديد من ألمفاهيم ألغربية (خاصة، ألغنوصية وألإيرانية) ألإسلام ألشيعي، وعلى سبيل ألمثال، فكرة ألصدور أو ألإنبثاق ألإلهي، في مراحل متتابعة، وإندماج ألأئمة في هذه العملية، والتقمص، وبعض النظريات ألكونية وألأناسية (ألأنثروبولوجية).

وألجدير بالذكر أنّ ظواهر مشابهة تصادف في ألصوفية وألقبالة وفي تأريخ المسيحية. وإنّ ما يجب إبرازه في كل هذه الحالات ليس هو الفعل في ذاته، بخاصة ألأستعارة من ألأفكار وألطرائق ألروحية الاجنبية، وإنّما إعادة تفسيرها وإعادة تركيبها بواسطة ألأنظمة التي تمثلوها.

إنّ ألإمام بألنسبة للشيعة ألأثني عشرية، كما هو ألأمر بألنسبة للإسماعيليين، يصبح ألوسيط بين ألله وألمؤمنين، إنّه لا يقوم مقام ألنبي، ولكنه يكمل عمله ويشاطر إحترامه، وهذا مفهوم جريء وأصلي، لانّه يترك مستقبل ألتجربة الدينية مفتوحا، فبفضل ألولاية "محبة ألله" يستطيع ألإمام الكشف وألبيان للمؤمنين أبعادا مازالت غير مشكوك فيها من ألإسلام ألروحاني.

3. ألإسماعيلية، وتمجيد ألإمام، ألبعث الكبير، ألمهدي:

"حسب ألإسماعيلية ألمعدلّة، فإنّ شخص ألإمام له حق ألتقدم على شخص ألنبي".

بعد موت ألإمام إسماعيل، اعتبر ألتقليد وجود ثلاث أئمة مستورين وفي عام 187 هجرية (1094 ميلادية) أنقسمت الجماعة الإسماعيلية إلى فرعين: ألشرقيون (أي الفرس) ألذين كان مركزهم القيادي قلعة الموت (حصن في الجبال من الجنوب الغربي من بحر قزوين) والغربيون، اي سكان مصر واليمن.

من ألمناسب أن نذكر فرعا ثالثا من الشيعة وهم ألزيديون ألذين جرت تسميتهم تبعا للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أخو أبي جعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين، (ولد في عام 79 هجرية)/ وألزيديون قليلو ألعدد وقريبون جدا من ألسنيين، وفي ألواقع لا يُنيطون بالإمام فضائل مما فوق الطبيعة كما يفعل ألإسماعيليون خاصة.

أمّا النصيريون في سورية فهم فرع من ألإسماعيلية ويمجدون ألإمام علي بن ابي طالب، ولكن هذا ألمفهوم يختلف عن الشيعة.

إنّ هذا ألبحث ألمختصر لا يسمح بتحليل حتى ولو بشكل موجز للمجموعة المعقدة من علم ألكون وألاناسة (ألأنثروبلوجيا) وألأخروية ألأسماعيلية (يجري الكلام حول مبدأ أو تنظيم أولي لسر ألأسرار لإنبثاق الكائن بدءا من العقل الأول ومن آدم الروحي للمملكتين- السماوية والارضية- التي حسب ألمؤلف كوربان ترمزان "واحدا مع الآخر".

وحسب ألمؤلفين ألإسماعيليين فإنّ جسد ألإمام ليس جسدا من لحم، كما هو جسد زراداشت، إنّه نتيجة ندى من أصل سماوي ممتص بواسطة آبائه.

إنّ ألغنوص (ألعرفان) ألإسماعيلي يفهم بإلاهية ألإمام (ولادته ألروحية) ألتي حولته لدعم (معبد النور) وهو معبد روحي صرف، فإمامته هي ذلك ألمجموع الصوفي ألمشكّل من كل أشكال ألنور من مريديه.

وأكثر جرأة من كل ذلك، هي نظرية ألاسماعيلية في قلعة ألموت " قلعة الموت وألإسماعيلية ألمعدّلة اثارت في الغرب فولكلورا حول (الحشاشين) وهو مصطلح مشتق حسب المؤلف سلفستروي ساسي من الحشيش لانّه أفترض أنّ ألمؤمنين كانوا يتعاطون الحشيش ".

في 17 رمضان سنة 559 هجرية (8 نيسان سنة 1162 ميلادية) أعلن ألإمام أمام ألمؤمنين ألقيامة ألكبرى.

إنّ ما أنطوى عليه ألإعلان، لم يكن شيئا بأقل من مقدمة لإسلام نقي روحي، محرر من كل ذهنية شرعية، ومن كل عبودية للشريعة، دين شخصي، لأنّه كشف وعاش ألمعنى الروحي لكشوفات نبوية.

إنّ محاصرة وتخريب قلعة ألموت من قبل ألمونغول في (654 هجرية / 1251 ميلادية) لم يضع نهاية للحركة، فألإسلام ألروحي أستمر مغلّفا في الجمعيات ألصوفية.

وحسب ألإسماعيلية ألمعدلّة، فإنّ شخص ألإمام له حق ألتقدم على شخص ألنبي.

معتقدات ألشيعة ألأثني عشرية هي منظور أخروي، ولكن إسماعيلية جماعة قلعة الموت آمنت بتقدم ألأخروية ألتي هي بعث للروح ضد كل أنواع ألعبوديات.

فألإمام بصفته ألإنسان ألكامل أو "وجه ألله" فإنّ معرفته هي معرفة ألله ألوحيدة ألممكنة للإنسان.

إنّ ألإمام الخالد هو الذي يتكلم " ألأنبياء يعبرون ويتغيرون. ونحن ألرجال ألخالدون، فرجال ألله ليسوا ألله ذاته، مع ذلك فإنّهم غير مفارقين لله".

وبألنتيجة فإنّ ألإمام ألخالد كمظهر إلهي يجعل علم ألكائن (ألأنطولوجيا) ممكنا، إذ نظرا لأنّه ألموحي فهو عين ألوجود، إنّه ألشخص ألمطلق، وألوجه ألإلهي ألباقي وألصفة ألإلهية ألعظمى، ألتي هي ألأسم ألاعظم لله، وهو بصورته ألأرضية تجلّي، أو مظهر ألكلام ألأعظم.

إنّ باب ألحقيقة لكل زمان هو مظهر ألإنسان ألباقي ألذي يُظهر وجه ألله. كذلك فإنّ ألإعتقاد لدى ألإنسان تفترض لمعرفة ألنفس يتوجب معرفة ألإمام " ومعلوم أنّه يتعلق بمعرفة روحية للقاء في عوالم خيالية مع ألإمام ألمستور وألغير ألمرئي والغير ألممكن إدراكه بالحواس".

إنّ نصا إسماعيليا يؤكد:

" من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية".

إنّ ألفلسفة ألإسماعيلية تتلخص في ألسطور التالية (حسب راي كوربان في كتابه عن الإسماعيلية):

"لقد قال ألإمام: إنني مع محبيّ حيثما بحثوا عني، على ألجبل، في ألسهل، في الصحراء. إنّ من كشفت له جوهري أي المعرفة الصوفية لذاتي، فليس بحاجة لقربى طبيعية مني وتلك هي القيامة الكبرى".

إنّ ألإمام ألخفي لعب دورا حاسما في ألتجربة الصوفية للإسماعيلية وألفروع ألشيعية ألأخرى.

ويضاف إلى ذلك أنّ مفاهيم مشابهة تتعلق بألقداسة، لا بل (ألألوهية) للمعلمين ألروحيين، تصادف كذلك في تقاليد دينية أخرى (ألهند، ألمسيحية في ألقرون الوسطى، ألهاسيديسم).

إنّ ألصورة ألخرافية للإمام المستور قد اتصلت مرارا باسطورة أخروية للمهدي، وهي لغة القائد أو بمثابة ألدليل (أي الذي أهدي من قبل أللّه). وهذا التعبير لا يوجد في ألقرآن، وقد طبقه ألعديد من ألمؤلفين السنة على شخصيات تأريخية (انظر قصة ألمهدي في مقدمة أبن خلدون).

ومع ذلك فإنّ تقديره ألأخروي هو ألذي أثار الخيال، فبالنسبة لبعضهم، أنّ ألمهدي كان يسوع (عيسى) ولكن أكثرية رجال ألدين جعلوه منحدرا من اسرة ألنبي محمّد. وبالنسبة للسنيين، فإنّ ألمهدي، مع أنّه يطلق ألتجديد العالمي، فهو ليس القائد الذي لا يقهر كما أعلنه ألشيعة، وهؤلاء ألأخيرون وحدوا المهدي مع ألإمام. وحول إختفاء ألإمام ألثاني عشر ونتائجه (بصورة خاصة ألنظام الروحي) يقول هنري كوربان مايلي:

"هذه الغيبة (إختفاء ألقاصر) تميّز ألبداية، ألذي سيدوم عشر سنوات وأثنائها يتصل ألإمام ألغائب عدة مرات مع ألمبعوثين، ولأنّه لم يعيّن خليفة فقد بدأ ألغيبة الكبرى، أو ألتأريخ ألسري للإمام ألثاني عشر.

إنّ إختفاء ومعاودة ظهور ألمهدي في نهاية الزمان لعب دورا بارزا في ألتدين الشعبي وفي ألأزمات ألألفية. فعند بعض ألمذاهب (ألكيسانية) سيكون محمّد أبن ألحنفية، وهو أبن ألإمام علي بن أبي طالب من زوجته ألأخرى (غير فاطمة بنت ألنبي محمّد) وحسب معتقدهم هو دائما حي يرقد في قبره على قمّة رضوي حيث ينتظر ألمؤمنون عودته.

كما في ألتقاليد، فإنّ قرب نهاية ألزمان يتميّز بإنحطاط جذري للبشر وبعلامات مميّزة:

فالكعبة ستزول، وأجزاء ألقرآن ستصبح صفحات بيضاء، ومن سيلفظ إسم أللّه سيتم قتله .....إلى آخره من ألعلامات.

إنّ ظهور ألمهدي سيدشن، بألنسبة للمسلمين، عصرا من ألعدالة وألرخاء لا مثيل له حتى ذلك الحين على ألأرض. وسيدوم حكم ألمهدي خمس أو سبع أو تسع سنوات.

إنّ إنتظار ظهور ألمهدي يبلغ حدته أثناء عصور ألكوارث. لقد جرّب ألعديد من ألرؤساء ألسياسيين ألحصول على ألسلطة (وحصلوا عليها في كثير من ألمرات) بإعلانهم أنفسهم أنهم ألمهدي، وافضل مثال على ذلك مهدي السودان ألذي أنتصر عليه أللورد كيتشز سنة 1895 ميلادية.

خاتمة:

رجل الدين ومؤسسوا ألمذاهب والطرق الدينية يلعبون دورا مرسوما بدقة في دين الجماعة المؤسس منذ القدم على قواعد ثابتة، وما عليهم الّا السير على مسالك من ما سبقهم من رجال الدين، فطريقة مؤسس الديانة تغدو نمطا لكل الجماعة ولكل من يجيء بعده خليفة.

ولكن ألأفكار وألمعتقدات ألدينية محكومة بقانون ألتطور فكما تطور ألكائن الحي من خلية واحدة إلى أنواع عديدة من ألكائنات الحية التي يقف ألإنسان في قمة مراحل تطورها فألأفكار وألمعتقدات ألدينية تطورت وتشعبت بنفس ألصيغة بتأثير ألبيئة وتطور ألثقافة وألعلم ونتيجة ألاحتكاك بحضارات أخرى.

4. ألحلّاج- ألصوفي وألشهيد:

" ألقرآن، كما ألتوراة وألإنجيل، كلمات لم تكشف عن سر ألنبوة.. هذا إذا كانت في حقيقتها معنيَّة بموضوع ألكشف. ولذلك لا أليهود يعرفون، ولا ألمسيحيون ولا ألمسلمون، معنى ألنبوة، لو كان اليهود يعرفون معنى أنّ ألنبوة تشرّد، لما صلبوا يسوع ألمسيح. ولو عرف ألمسيحيون أنّ كون ألنبوات عظيمة لا تتعارض مع احتوائها على ألجريمة، لما أعرضوا عن نبوّة محمّد. ولو عرف ألمسلمون معنى أنّ النبوة باب لا يحق لأحد إغلاقه، لما كذَّبوا ألحلّاج ومن ثم صلبوه" .... سعدون محسن ضمد - من إعترافات آخر متصوفة بغداد.

ولد ألحلّاج (حسين بن منصور) في سنة 244 هجرية في ألجنوب ألغربي من إيران وتلّقى تعليمه من معلمين روحيين قبل أن يلتقي في بغداد، مع ألشيخ ألشهير ألجنيد ويصبح تلميذه في سنة 274 هجرية.

حجّ ألحلّاج إلى مكّة حيث مارس ألصوم وألصمت وعرف أنتشاءاته ألصوفية ألأولى:

"مزجت روحي بروحه مثل مزج ألمسك بألعنبر وألخمر مع ألماء ألزلال".

بعودته من ألحج، أُبعِد من قبل ألشيخ ألجنيد، وقَطَع ألعلاقات مع غالبية ألصوفيين في بغداد، وترك مدينة بغداد خلال تلك ألسنة.

عندما بدأ ألحلّاج تبشيره ألسياسي فيما بعد، لم يثر ألتقليديين فحسب، وإنّما أثار ألصوفيين أيضا وهؤلاء أتهموه بكشف (ألأسرار) لغير ألمتلقين، وقد أُتهم كذلك بصنع ألمعجزات كألأنبياء وذلك لمعارضة شيوخ آخرين لم يظهروا قدراتهم إلّا للمتلقين، وعندئذ طرح ألحلّاج ثياب ألتصوّف، لكي يختلط بحرية مع ألشعب.

أكمل ألحلّاج حجه ألثاني مصحوبا ب 400 من تلامذته في سنة 291 هجرية، وذهب بعدئذ في سفرة طويلة إلى ألهند وتركستان ووصل حتى حدود ألصين.

بعد ألحج ألثالث لمكّة، حيث بقي في مكّة سنتين، أستقر ألحلّاج نهائيا في بغداد وذلك في سنة 294 هجرية ونذر نفسه للتبشير ألعلني (أنظر كتاب عشق ألحلّاج .. للمؤلف ماسينون) وأعلن أنّ ألهدف ألكامل لكل كائن بشري هو ألإتحاد ألصوفي مع ألله، ألمنجز بألحب (ألعشق)، وفي هذا ألإتحاد يتم تقديس وتأليه أفعال ألمؤمنين.

في حالة وجد تلفظ ألحلّاج بألكلمات ألشهيرة "أنا ألحقيقة = (ألله) – وألتي سببت له ألإدانة. وهذه ألمرّة، أثار ألحلّاج فقهاء ألشريعة ووحدهم ضده وهؤلاء أتهموه بألإلحاد، وكذلك أثار ألسياسيين، ألذين أتهموه بإثارة ألأضطراب في ألمجتمع، وأثار ألصوفيين أيضا.

مما يدعو للدهشة هو رغبة ألحلّاج بأن يموت ملعونا (أراد ألحلّاج تحريض ألمؤمنين لإنهاء هذه ألفضيحة لإنسان يتجاسر بألقول أنّه توحد مع ألألوهية ليقتلوه، وهتف في ألمؤمنين في ألجامع ألمنصور:

"إنّ ألله أحلّ لكم دمي: فأقتلوني... لا يوجد واجب في ألكون بالنسبة للمسلمين أكثر من إماتتي".

إنّ هذا ألتصرف ألغريب من ألحلّاج يُذَكِر بألملاماتية (ألملاماتية هم ألذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بطونهم أثر ألبتة)، والملاماتية هم جماعة من ألحالمين ألذين من أجل عشقهم لله، بحثوا عن الملامة من رفاقهم، هم لم يرتدوا لباس التصوف، وتعلموا إخفاء تجاربهم ألصوفية، وما هو أكثر من ذلك، حرضوا ألمؤمنين ضدهم بسلوكهم ألمنحرف وألكافر

بشكل واضح (دفعت إزدراء بعض مجموعات ألملاماتية للمعايير إلى تطبيق ألتهتك)، وهذه ألظاهرة كانت من جهة أخرى معروفة عند بعض ألرهبان ألمسيحيين في الشرق بدءا من ألقرن السادس ألميلادي ولها مثيلاتها في ألهند ألشمالية.

في سنة 301 هجرية أُوقِف ألحلّاج وأُودِع ألسجن لمدة تسعة أعوام ثمّ أُعدِم في سنة 309 هجرية، وقد روى بعض ألشهود أنّهم سمعوا هذه الكلمات ألأخيرة من هذا ألمُعذَب:

"إنّ ما يحسب بألنسبة للإنتشائي هو أنّ ألواحد يُرجعه للوحدة".

إنّ أعمال ألحلّاج ألمكتوبة قد حفظ قسم منه فقط، كمقاطع من تفسير ألقرآن، وبعض ألرسائل، وعدد من ألحِكم وألقصائد، وكتاب صغير (كتاب ألطواسين) ويعالج ألحلّاج فيه ألوحدة ألإلهية وعلم ألنبوة، وألقصائد مشبعة بحنين حاد للإتحاد ألكامل بألله، ونصادف أحيانا عبارات مستعارة من ألعمل ألكيميائي أو ألرجوع للمعنى ألسري للأحرف ألهجائية ألعربية.

ومن كل هذه ألنصوص ومن بعض ألشهادات، ألتي أحصاها ونشرها وحللها بطريقة وافية لويس ماسينون، يستخلص سلامة إيمان ألحلّاج وتمجيده للرسول محمّد.

إنّ طريقة ألحلّاج لا ترمي لتحطيم ألشخصية ألبشرية، إلّا أنّه بحث عن ألمعاناة بهدف معرفة "ألحب ألمشبوب بألعاطفة" أي ألعشق وبألنتيجة معرفة جوهر ألله وسر ألخليقة.

إنّ عبارة ألحلّاج "أنا ألحقيقة" لا تقتضي ألإلحاد، مطلقا (كما أتهمه بعضهم بذلك)، لأنّ ألحلّاج أشار دوما لتصاعد ألله، وأنّه في تجارب وجدية نادرة فقط، تستطيع روح ألمخلوق أن تكون موحدة مع ألله (تيولوجيا ألحلّاج حُلِلت من قبل ماسينون بتولوجيا صوفية عقائدية).

إنّ مفهوم (ألإتحاد ألمتحوّل) ألمعلن من قبل ألحلّاج جرى تلخيصه بدقة من قبل لاهوتي خصم رغم تقديمه له بنية سيئة، فبحسب قول هذا ألللاهوتي:

"إنّ ألحلّاج قال: إنّ ألذي يروّض جسده بإطاعة ألشعائر يشغل قلبه بأعمال فارغة، ويعاني من ألحرمان من ألللذات ويمتلك روحه بألإمتناع عن ألرغبات- سيرتفع بنفسه هكذا حتى محطة (أولئك ألمقربين من ألله).

وتبعا لذلك لا يتوقف عن هبوط درجات ألمسافات، حتى تصبح طبيعته مطّهرة من كل ما هو جسدي، ومن ثمّ تنزل به هذه ألروح من ألله، ألتي منها ولد يسوع، أبن مريم، وعندئذ يصبح:

(ذلك ألذي يطيعه كل شيء، أي مطاع، إنّه لا يريد شيئا سوى ما يضعه أمر الله موضع ألتنفيذ، فكل تصرّف منه منذئذ هو تصرّف ألله، وكل أمر منه هو امر ألله".

بعد إستشهاد ألحلّاج، لم تكف قداسته عن ألتنامي في كل مكان من ألعالم ألإسلامي، كذلك فإنّ تأثيره على ألصوفيين وعلى بعض ألعلوم ألدينية ألصوفية كان مهما جدا.

5. بعض أعلام ألصوفية ألإسلامية من ذي ألنون حتى ألترمذي:

" النبوة تجربة تقوم على عقيدة تؤمن بقدرة الإنسان على تخطي ممكناته البشرية، ولأنها كذلك يعتقد النبي أنّ له الحق بأن (يتألهن) خارجاً من قيد الإنسانية إلى إطلاق الإلوهية. وهكذا يسعى بكل جهده لتحقيق هذا (التألهن)، لكن

حلم (الألهنة) لا يمكن تحقيقه، الأمر الذي يضطر النبي في النهاية إلى الإقرار بأن طوق البشرية محكم عليه بصورة مطلقة، شأنه شأن بقية البشر، وهكذا ينهار الإله فيه ويبقى الإنسان فقط. النبي يستخدم كلام الرب فقط، لكنه لا يستطيع استخدام سيفه ولا قوته ولا جبروته، هو يسعى لذلك، لكن سرعان ما يكتشف بأن الأمر مقتصر على الكلام، ما يدفعه بعد ذلك للتشكيك حتى بهذا الكلام، وربما الكفر به" .... سعدون محسن ضمد - من إعترافات آخر متصوفة بغداد.

إنّ ذو النون المصري، ثوبان بن إبراهيم، هو أحد أعلام التصوف فى القرن الثالث الهجرى، ومن المحدثين الفقهاء، ولد فى أخميم فى مصر **سنة** 179 هـ، وتوفى **سنة** 245 هـ.

لقد سبق ذو النون المصري أن أخفى تجاربه ألصوفية: " يا إلاهي علنا أدعوك سيدي، ولكن عندما أكون لوحدي أدعوك ياحبي". وحسب ألتقليد فإنّ ذا ألنون كان أول من صاغ ألتعارض بين ألمعرفة ألحدسية (ألتجربة) لله وألعلم ألإستدلالي (ألغير ألحدسي):

" مع كل ساعة تمضي يصبح ألعارف (ألغنوصي) أكثر تواضعا، لإنّ كل ساعة تقرّبه أيضا من ألله، إنّ ألعارفين ليسوا ذاتهم، وإنّما في ألمقياس ألذي يوجدون في ألله. إنّ حركاتهم مثارة من قبل ألله، وكلامهم هو ألكلمات ألتي نطقها ألله بلسانهم".

وتقتضي ألإشارة هنا إلى عبقرية ذي ألنون، حيث أنّ تراتيله ألممجدة لعظمة ألرب أفتتحت ألتقييم ألصوفي للشعر.

إنّ ألفارسي أبو يزيد ألبسطامي ألمولود سنة 188 هجرية في بسطام في بلاد خراسان ويلقب بسلطان العارفين وله اسم فارسي " بايزيد " وعرف باسم " طيفور " وكان جده مجوسياً ثم دخل الاسلام . ويعد ابو يزيد البسطامي من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري وقد روى البسطامي عن اسماعيل السدي وجعفر الصادق .

وهو واحد من ألصوفية ألذين كثر معارضوهم ومنتقدوهم في ألإسلام، لم يكتب كتابا ولكن تلامذته نقلوا ما هو أساسي في تعاليمه تحت شكل قصص صغيرة وحكم.

ألبسطامي بتنسكه ألقاسي وتأمله ألمركّز على جوهر ألله حصل على ألفناء وهو أول من صاغ إنعدام ألذات، كما كان أول من وصف تجاربه الصوفية في عبارات من ألمعراج (ألصعود أللّيلي للنبي محمّد إلى ألسماء)، ولقد حقق ألتوحد مع ألله مؤقتا. وكذلك أعتقد ألبسطامي بالوحدة ألمطلقة بين ألمحبوب وألمحب والحب.

في إنتشاء تلفّظ ألبسطامي (بتعابير طوباوية) ومتكلما كأنّه إله:

" كيف وصلت إلى هنا؟ إنني متجرد من ذاتي كحية تسلخ جلدها، ثمّ تأملت جوهري. وكنت أنا هو "

وأيضا : " إنّ ألله راقب كل ألضمائر في ألعالم ورأى أنّها فارغة منه، ماعدا ضميري حيث يرى نفسه في طوبى ".

لقد فسّر ألمستشرق زهنر، بعد مستشرقين آخرين تجربة ألبسطامي ألصوفية كمحصلة لتأثير هندي، وبصورة دقيقة تأثير ألفيدانتاشاتكريان.

مع رؤية ألأهمية ألمعطاة للتنسك ولتقنيات ألتأمل، يرد ألتفكير في اليوغا، ومهما يكن من أمر، فإنّ بعض معلمي الصوفية شككوا في أنّ ألبسطامي حقق ألأتحاد مع ألله. وحسب رأي ألجنيد البغدادي: " ألبسطامي بقي في ألبدء، إنّه لم يدرك حالة ألتمام أو ألمطلق وألنهاية ".

أمّا ألحلّاج فاعتقد بوصول ألبسطامي إلى عتبة الصيغة ألإلهية وظنّ أنّه من ألله أتته هذه ألكلمات. ولكن ألطريق كان مرصوفا بالعقبات من أناه:

" مسكين أبو يزيد لقد قال إنّه لا يعلم ألتعرف أين وكيف يجب توحيد ألروح مع ألله" .

إنّ أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من نهاوند في همدان (مدينة اذرية)، ومولده ومنشؤه ببغداد.

ولد سنة نيف وعشرين ومئتين للهجرة وتوفي سنة 297 هـ.
صحب جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة.

كان ألمعلم الحقيقي لصوفية بغداد. وقد ترك ألعديد من الرسائل في ألاهوت والتصوف ألثمينة وبخاصة من اجل تحليل ألتجارب الروحية ألمتوجبة لإمتصاص ألروح في ألله.

يشير ألجنيد في تعليمه لأهمية القناعة ألتي يضعها في مقابل ألسكر الروحي ألمطبّق من قبل ألبسطامي. فبعد التجربة الوجدية التي تعدم الفرد، يقتضي ألحصول على (الزهد ألثاني) عندما يرجع الإنسان واعيا لذاته وتعاد إليه صفاته، متحولا إلى روح في حضرة ألإله. إنّ الهدف الغائي للتصرف حسب ألجنيد ليس هو (ألفناء) وإنّما حياة جديدة في ألله (ألبقاء).... " وهو الذي يبقى ".

إنّ ألجنيد وهو مقتنع بأنّ التجربة ألصوفية لا يمكن صياغتها في لغة عقلية، حظّر على تلامذته ألكلام أمام غير ألمسارين (ألمتلقنين).

إنّ رسائل ألجنيد ومحرراته دونت في نوع من ألغة ألسرية ألغير ألمفهومة للقاريء ألغير متآلف مع تعليمه.

هنالك معلم إيراني آخر هو محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي (209 هـ - 279 هـ)، مصنّف كتاب الجامع المعروف بسنن الترمذي، حافظ للحديث، ولد في مدينة ترمذ، ثم ارتحل لطلب الحديث فذهب إلى خراسان، والعراق، والحجاز، ولم يرحل إلى مصر والشام، وحدّث عن جمع كبير من المحدثين، وتفقه في الحديث، لقّب بالحكيم (الفيلسوف) لأنّه ألأول بين ألصوفيين أستعمل ألفلسفة ألهيلنستية.

ألترمذي مؤلف غزير ألإنتاج (نحوا من تسعين كتيب)، وقد عرف ألترمذي بصورة خاصة في (خاتم ألولاية). وقد طوّر فيه لغة صوفية كما أستعملت منذئذ.

إنّ زعيم ألتراتبية ألصوفية هو(القطب) أو (الغوث)، ولا تشكل درجات القداسة ألتي وصفها ألترمذي تراتبية للحب، إنّها ترجع للعرفان وإشراقات القديس، ومع الترمذي يصبح ألتأكيد على ألعرفان أكثر وضوحا ومُهيئا الطريق إلى تعليمات دينية صوفية متاخرة.

لقد أكد ألترمذي على معنى ألولاية (الحب الإلهي) كمسارة روحية، وميز فيها بين درجتين:

ولاية عامة معطاة لكل ألمؤمنين، وولاية خاصة محفوظة لنخبة روحية (خلّص لله)، يتعاملون ويتواصلون معه، لانّهم معه في حالة إتحاد فعّال ومتصاعد. وعليه يلاحظ هنري كوربان " بأنّ ألمعنى للولاية ألمزدوجة هو في ألمحل الأول قد وضع وأقيم بواسطة ألنظرية الشيعية ".

بتحليل علاقات ألولاية وألنبوة يستخلص ألترمذي سيادة الولاية، لأنّها دائمة وليست مرتبطة بلحظة تأريخية كالنبوة.

وفي ألواقع، فإنّ دورة ألنبوة تكتمل مع ألنبي محمّد، بينما دورة ألولاية تتمدد لآخر الزمان، ويلاحظ تشابه هذه ألنظرية مع نظرية ألعلم ألنبوي ألشيعية.

6. جلال ألدين ألرومي – موسيقى - شعر ورقصات:

"بعد لقائه بشمس ألدين ألتبريزي أصبح ألقانوني وألالهوتي ألشهير واحدا من كبار ألصوفيين وربما ألشاعر ألأكثر عبقرية في ألإسلام".

ولد محمد جلال ألدين الرومي، ألمعروف خاصة بإسم ألرومي، في 30 أيلول سنة 1204 م في بلخ، وهي مدينة من خوارستان، وقد كان والده أللاهوتي وألمعلم ألصوفي قد ترك ألمدينة في 1219 م خوفا من غزو المغول وذهب حاجا إلى مكة، وأستقر أخيرا في قونية.

بعد موت والده، وكان عمر جلال الدين آنئذ 24 سنة، درس ألرومي في حلب ودمشق وبعد سبع سنوات عاد إلى قونية وخلال ألفترة بين 1240-1249 م علّم ألإجتهاد وألشريعة ألقانونية.

في 29 نوفمبر 1249 وصل إلى ألمدينة شمس ألدين ألتبريزي درويشا هائما وكان عند وصوله في ألستين من عمره.

تشير بضعة نصوص إلى لقائهما، وكل واحدة من هذه أللقاءات تروي بطريقة مأساوية، قلّت أو كثرت، قصة إهتداء ألرومي: وبذلك أصبح ألقانوني وألالهوتي ألشهير واحدا من كبار ألصوفيين وربما ألشاعر ألأكثر عبقرية في ألإسلام.

سافر شمس ألدين ألمضطهَد من قبل تلامذة ألرومي ألذين حسدوه لهيمنته على معلّمهم إلى دمشق ثم رضي بألرجوع، إلّا أنّه في 3 كانون أول سنة 1247 أختفى، مغتالا بشكل سري.

بقي الرومي لفترة طويلة حزينا وقد ألّف مجموعة من ألأناشيد ألصوفية ألتي تحمل إسم معلّمه (ديوان شمس التبريزي) وهي "اناشيد جديرة بألتقدير وألحب وألاسى" وهذا ألعمل ألثري مكرّس بكامله لهذا ألحب ألأرضي في ظاهره، ولكنه في حقيقته أقنوم للحب الإلهي، وإضافة إلى ذلك فإنّ ألرومي أسس ألنغم ألروحي (ألساما) على شرف شمس.

حسب قول ولده (سلطان ولد): " لم ينقطع لحظة عن ألإصغاء للموسيقى وعن الرقص،، ولم يسترح ليلا ولا نهارا، لقد كان عالما، فاصبح شاعرا، وكان ناسكا فاصبح منتشيا بالحب، "ليس من خمرة العنب فألروح ألمستنيرة لا تشرب إلّا من خمرة ألنور".

حوالي نهاية حياته، أختار ألرومي حسام ألدين شلبي لإدارة تلامذته وبفضل ألشلبي، ألّف ألمعلّم مؤلفه ألأساسي "ألمثنوي" وحتى موته في سنة 1273م أملى ألرومي على ألشلبي ألثنائيات (بيتان متكاملان في الشعر) أحيانا وهو ماشي في ألشوارع، أو حتى عندما يكون في حمامه.

ألثنائيات تتعلق بملحمة صوفية مكونة من خمسة وأربعين ألف بيت تقريبا محتذيا فيها نصوص ألقرآن وألسنة ألنبوية وكذلك خرافات وطرائف وأساطير وجمل من ألفولكلور ألشرقي وألمتوسطي.

لقد أسس الرومي أخوية صوفية (كونفريرية) وهي الطريقة المولوية، لأنّه كان يُدعى من قبل تلامذته ورفاقه بمولانا، وعرفت ألجماعة في ألغرب تحت إسم "ألدراويش ألدوارين" لأنّه أثناء حفلة ألساما يدور ألراقصون أكثر فأكثر سرعة على ذاتهم وحول ألقاعة.

يقول ألرومي:

"في إيقاعات ألموسيقى يختبيء سر، إذا كشفته فسيقلب ألدنيا". وفي ألواقع، إنّ ألموسيقى توقظ ألنفس جاعلا إياها تتذكر جزءها ألحقيقي وتُذكِرها بنهايتها ألأخيرة، وكلنا نشكل جزءا من جسد آدم- وأصغينا لهذه ألأنغام في ألجنة، ولكننا لم نعد نتذكر سوى ألقليل.

وكالموسيقى وألشعر ألمقدسين، فإنّ الرقص ألوجدي كان مطبقا منذ بدايات ألصوفية، وحسب بعض ألصوفيين فإنّ رقصهم ألوجدي كان يستنسخ رقص الملائكة.

في الطريقة ألمجددة من قبل الرومي (ولكن المنظمة بصورة خاصة من قبل أبنه سلطان ولد) فإنّ للرقص صفة كونية ولاهوتية معا.

في هذا الرقص يلبس الدراويش ألثياب ألبيضاء (ترمز للكفن) مغطاة بمعطف أسود (رمز القبر) ويكونون معممين بقبعة طويلة من أللباد (صورة حجر ألقبر) ويمثل الشيخ البرزخ (ألوسيط بين السماء وألأرض).

أثناء ألرقص يعزف ألموسيقيون على الناي ألمصنوع من ألقصب ويقرعون الطبول وألطبلات.

ترمز ألفرقة حيث يدور الدراويش إلى العالم، والدراويش إلى ألأجرام ألدائرة حول ألشمس وحول ذاتها، والطبول تذكّر بالناقورات في ألدينونة الأخيرة، وتكون دائرة الراقصين مقسمة إلى نصف دائرة، أحدهما يمثل قوس الهبوط أو إنغماس الروح في المادة، وألآخر قوس صعود ألأرواح نحو ألله.

عندما يصبح ألإيقاع سريعا جدا يدخل ألشيخ في ألرقص ويدور في وسط ألحلقة لأنّه يمثل ألشمس " وهذه في أللحظة العليا للإتحاد ألمحقق". يضاف إلى ذلك أنّ رقص ألدراويش لا يصل إلّا فيما ندر إلى رعدات عصابية وهذه قد تحدث في بعض ألأجزاء ألهامشية.

إنّ دور ألرومي في تجديد ألإسلام لا حد له، فمؤلفاته قُرئت وتُرجمت وفُسرت من طرف لآخر في ألعالم ألإسلامي، وهذه ألشعبية ألفريدة تثبت أيضا ألأهمية للإبداعية ألفنية وبخاصة ألشعر في تعميق ألحياة ألدينية وكما هو لدى كبار ألصوفية فألرومي مع حمية مؤلهة وقوة شعرية لا مثيل لها لم ينقطع عن تمجيد ألحب ألإلهي:

"بدون ألحب سيصبح ألعالم بدون حياة"...(ألمثنوي 7-38).

إنّ ألشعر ألصوفي للرومي مغرق في رمزيات مستعارة من اجواء ألرقص وألموسيقى، وبألرغم من بعض ألتأثيرات ألأفلاطونية ألمحدثة فإنّ لاهوته معقد إلى حد كبير، فهو في آن واحد شخص تقليدي وجريء.

يصر الرومي على ضرورة ألوصول أو إدراك غير ألكائن لكي يُستطاع ألوصول والكينونة وهذا ما يحمل ألعديد من إشارات ألحلّاج.

إنّ ألوجود البشري يتطور تبعا لإرادة ومخطط ألخالق. فألإنسان كان مكلفا من قبل ألله لأن يصبح وسيطا بينه وبين ألعالم.

"ليس من ألعبث أنّ ألإنسان قد "ذهب من ألبذرة حتى العقل" (مثنوي 3-975)

" من أللحظة ألتي تأتي فيها إلى هذا ألوجود، هناك سلّم وضِع أمامك لكي يسمح لك بألهرب". وفي ألواقع إنّ ألإنسان في ألبدء كان معدنيا، وبعد ذلك نباتيا، ثم حيوانيا.

" ثم تكونت إنسانا موهوبا بألمعرفة وألعقل وألدين" وفي ألنهاية سيصبح ألإنسان ملاكا، وستكون إقامته في ألسماء، ولكن ليست هذه هي المحطة ألأخيرة:

"تجاوز حتى ألشرط ألملائكي، أدخل في هذا ألمحيط (ألوحدة ألإلهية) من أجل أن تستطيع قطراتك من ألماء أن تصبح بحرا". وفي مقطع شهير من ألمثنوي (2-53) يوضح ألرومي ألطبيعة ألأصلية ألثيومورفية للإنسان ألمخلوق على صورة ألله:

" صورتي تبقى في قلب ألمليك: قلب ألمليك سيكون مريضا بدون صورتي. نور العقول يأتي من فكري، وألسماء خلقت بسبب طبيعتي الأصلية.... أملك ألعرش ألروحي..... لست أبدا ألمجانس للمليك..... ولكني أتلقى منه نوره في ظهوره.

7. ألغزالي وألتوفيق بين علم ألكلام وألصوفية:

"تجربة ألنبوّة هي تجربة ذوقية خاصَّة جداً ولا يمكن سردها، وبألنتيجة لا يمكن أن تَعْرِف معنى أن يكون إنسان ما نبياً، إلّا إذا صادف وكنت أنت نبياً.. كل ألكتابات وألدراسات وألبحوث ألتي حاولت أن تقترب من فكرة النبوّة وتوابعها لم تفلح، كل ألمقاربات ألنفسية وألإجتماعية وألأنثروبولجية، كانت بعيدة عن سر ألنبوّة ورحمها ألخافق بألسحر. ألنبوّة تجربة ذاتية يعجز صاحبها عن ألكشف عن كوامنها فكيف بغيره؟ وإذا أراد ألنبي أن يسرد نبوّته فإنه سينتهك براءة هذه ألنبوّة، ذلك أنّ إعلان سر ألنبوّة بمثابة قتل له في ألحقيقة، وليس أدل على ذلك مما أفعله أنا بهذه الاعترافات، فلست أفعل شيئاً أكثر من تعريض تجربة خاصَّة من تجارب ألنبوّة للتهكم وألسخرية وألإستخفاف.. ألنبوّة سر يجب كتمانه، ليس لأنها شأن يستحق ألكتمان، بل لأنها أمر لا سبيل لإعلانه.

ليست النبوّة نعمة، وهذا لا يعني بأنها نقمة بأي حال من ألأحوال، لكن من ألضروري ألإلتفات إلى أنّها دوامة وعي يغرق بها فكر الإنسان وقد لا يخرج منها إلا مُعاقاً. فألنبوة إذن هي تجربة وعي .... سعدون محسن ضمد - من إعترافات آخر متصوفة بغداد.

إنّ مقتل ألحلّاج، كان له نتائج من بينها نتيجة ألزمت ألصوفيين على ألبرهان أنّهم لا يناقضون في مظاهرهم ألعامة ألتعاليم ألأصولية، وقد موّه بعضهم تجاربه ألصوفية وأفكاره أللاهوتية في سلوك شاذ، وتلك كانت حالة الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس **الشبلي** ألذي ولد في سامراء عام 247 هـ وتوفي سنة 334 هجرية، وكان أبوه من رجال دار الخلافة في سامراء، وهو تركي الأصل من قرية شبلية من أعمال أشروسنة.

ألشبلي كان صديقا للحلّاج وعندما كان ألحلّاج معلقا على ألمشنقة سأله حول معنى ألوحدة ألصوفية، وقد عاش ألشبلي بعد ألحلّاج 23 سنة.

ألشبلي بتناقضاته وبوحه بعواطفه ألشاعرية، وفّر لنفسه " أمتياز ألحصانة " وقد قال:

" من يحب ألله من أجل أفعاله من ألنعمة فهو مشرك " وطلب ألشبلي مرّة من تلامذته أن يتركوه، لأنّهم أينما تواجِدوا، سيكون معهم وسيحميهم.

وهناك صوفي آخر وهو ألعراقي محمد بن عبد الجبار بن حسن النفري الملقب بالنفري، ولد ببلدة نفر في العراق وإليها ينسب وتوفي عام 354 هـ. كان من كبار الصوفية وتنقل كثيرا بين العراق ومصر، ومن أشهر كتبه كتاب المواقف والمخاطبات .ومن فرط تواضعه لم يكتب ما كان يقول، إنما كان يؤلف كتابه شفهيا لمريديه، ويكتفى بذلك. من أشهر ما ذكر عنه أنَّه قال:

"كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة". وألذي أستعمل كذلك ألتناقض ولكنّه تجنّب حذلقة ألشبلي، وعلى ألأرجح كان أول من أعلن أنّ ألصلاة هي عطاء إلهي. " إنني أنا ألذي أعطي، وإذا لم أجب على صلاتك، فلن أحضّك للبحث عنها ".

في ألقرن ألتالي بعد مقتل ألحلّاج، أظهر عدد من ألمؤلفين ألمذهب وألممارسات ألصوفية.

لنتناول ألآن ألنظرية ألتي أصبحت تقليدية للمقامات وألأحوال وألطريقة، ويمكن تمييز ثلاث مراحل أساسية فيها:

مرحلة ألمريد (ألمبتديء) ومرحلة ألمتقدم (ألصالح) ومرحلة (الكامل).

بناء على نصيحة شيخه يجب على ألمبتديء تطبيق تمارين تقشفية عديدة، مبتدئا بألتوبة، ومنتهيا بألقبول ألصادق لكل ما يحصل له. ويشكل التنسك والتعليم معركة داخلية مراقبة بعناية من قبل ألمعلّم. وفي حين أنّ ألمقامات (محطات) هي ألنتيجة لجهد شخصي فإنّ (ألأحوال) هي منحة مجانية من ألله (إنّ عدد ألأحوال مختلف، من بينها ألحب، ألخوف، ألأمل، ألرغبة، ألهدوء في ألسلام، ألتأمّل، أليقين).

في ألقرن ألثالث هجري، كان الصوفي ألمسلم يعرف ثلاث نظريات عن ألإتحاد ألإلهي:

1- ألإتحاد ألإلهي مفهوم كإتّصال أو وصال يستبعد فكرة وحدة الروح مع ألله.
2- ألإتحاد الإلهي مفهوم كإتحاد ألذي يكشف بذاته معنيين مختلفين: أحدهما، مرادف للوصال ألذي يستبعد فكرة وحدة ألروح مع ألله، وألثاني مثير لإتحاد في الطبيعة.
3- ألإتحاد الإلهي مفهوم كحلول: اي أنّ روح الله تسكن بدون إختلاط ألطبيعة، ألروح ألمطهرة للصوفي.

لم يقبل فقهاء ألإسلام ألرسمي سوى ألإتحاد بمعنى ألإتصال (أو مماثلة ألمعنى ألأول للإتحاد)، ولكنهم رفضوا بحماس، كل فكرة للحلول.

إنّ أللاهوتي ألشهير ألغزالي، هو ألذي بفضل إحترامه، نجح في أن يجعل ألصوفية مقبولة من ألاصوليين (ألارثودكس).

ولد أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (450 هـ - 505 هـ / 1058م - 1111م) ودرس علم ألكلام واصبح مدرسا في بغداد، واتقن فيما بعد طرائق ألفارابي وأبن سينا ألمستوحاة من الفلسفة أليونانية وذلك كي يستطيع نقدها ولطرحها في رفضه للفلسفات (تم رفض كتابه ألتهافت من قبل أبن رشد).

على أثر أزمة دينية ترك الغزالي ألتعليم في 1075 ميلادية وسافر إلى سورية، وزار ألقدس وجزءا من مصر، ودرس اليهودية وألمسيحية، وقد تعرّف ألباحثون في فكره ألديني على بعض التأثيرات ألمسيحية.

خلال سنتين من وجوده في سورية، أتّبع طريق الصوفية، وبعد غياب عشر سنوات رجع الغزالي إلى بغداد وإستعاد التعليم لوقت قصير، إلّا انّه أنتهى بألإنسحاب مع تلامذته إلى مسقط رأسه حيث أسس مدرسة وديرا للصوفيين، وقد جعلته مؤلفاته الكثيرة مشهورا منذ زمن طويل، ولكنه أستمر في الكتابة، وكان موضع إحترام مُجمَع عليه.

من غير المعروف من هو الذي كان الدليل الروحي للغزالي، وما هو ألنموذج للتلقين ألذي تلّقاه، ولكن مما لاشك فيه أنّه على أثر تجربة صوفية أكتشف عدم كفاية أللاهوت الرسمي (علم الكلام)، وكما كتب بدعابة:

" أولئك الذين هم علماء باحثون في بعض أشكال نادرة من الطلاق، لا يستطيعون أن يقولوا لك شيئا في موضوع ألأشياء الأكثر بساطة للحياة الروحية مثل معنى الإخلاص تجاه الله أو ألثقة به ".

بعد إهتدائه، كتب الغزالي سيرة ذاتية روحية – ألمنقذ من الظلال - ولكن بدون كشف تجاربه ألصحيحة، ولقد ألحّ بصورة خاصة على نقد ألفلاسفة.

بعد إعتناق ألغزالي للصوفية وتكريسه متصوفا، عرف ألغزالي أنّ تعليم ألصوفيين لا يجب أن يبقى سرا محصورا بنخبة روحية، ولكن يتوجب أن يصبح مقبولا من كل المؤمنين.

إنّ رسمية ونشاط تجربته ألصوفية أقرتا في كتابه ألأكثر أهمية (إحياء علوم ألدين) ألمؤلف من اربعين فصلا، درس فيه الغزالي تباعا المسائل ألشعائرية والعادات ورسائل ألنبي " الأشياء التي تقود للهلاك " والاشياء ألتي تقود للخلاص، وفي هذا القسم الأخير نوقشت بعض مظاهر ألحياة الصوفية، ومع ذلك جهد الغزالي للحفاظ دائما على الوسط الصحيح مكمّلا الشريعة والسنة بتعليم الصوفية، ولكن بدون ان يعطي الافضلية للتجربة الصوفية.

وبفضل هذه الوضعية تبنّى علماء أللاهوت الاصوليون إحياء علوم الدين فحصل على سلطة لا مثيل لها.

إنّ ألغزالي كمؤلف موسوعي غزير ألمادة، كان ايضا مجادلا كبيرا، وقد هاجم ألإسماعيلية بدون إنقطاع كما هاجم ألإتجاهات ألغنوصية (ألعرفانية)، ومع ذلك فإنّه في ألبعض من كتاباته، يستوحي تعاليمه الصوفية حول ألنور بُنيّة غنوصية.

حسب رأي عدد من ألعلماء، فإنّ ألغزالي قد خاب في قصده (إعادة إحياء) ألفكر الديني للإسلام. " مهما كان متالقا لم يفلح ابدا بمنع تصلّب ألمفاصل ألذي سيجُمِد إلى قرنين أو ثلاثة تالية الفكر ألإسلامي (النقد العنيف للغزالي كان من قبل – زهبر- ولكن – كوربان أظهر أنّ ألإبداعية ألفلسفية لم تنقطع مع موت أبن رشد سنة 1198 ميلادية وقد استمرت الفلسفة بالتطور في الشرق وبصورة خاصة في إيران في ألتقاليد لمختلف المدارس إضافة للسهروردي).

8. ألنبوة وألولاية:

" إنّ إحتجاج أبن سبعين على حديث لانبي بعدي يشف عن نفس تواقة للنبوة".

ألنبوة في ألفتوحات ألمكية لمحي ألدين أبن عربي (ألباب 73) نبوتان: نبوة ولاية ونبوة تشريع. فألولي نبي ولكنه بلا شريعة. وألإستثناء لازم لئلا يصل الولي إلى نسخ ألشريعة. وأبن عربي ضد ألنسخ. لكن نبي ألشريعة يتعلم من نبي ألولاية، فألولي معلم ألنبي. وأستند فيها إلى قصة موسى مع ألخضر. وموسى نبي وألخضر ولي. وألقرآن ينص صراحة على أنّ علم ألخضر أعلى من علم موسى (مالم تحط به خبرا).....ألآية 68 - سورة ألكهف.

وفي ألفصوص إختراق عجيب من مسألة ألخلافة. ألمعروف عند غير ألشيعة أنّ ألنبي لم ينص بألخلافة إلى أحد. ويأخذ أبن عربي من ذلك تفسيرا لإستمرار ألنبوة. يقول في ألفص ألداوودي :

" مات رسول ألله وما نص بخلافة عنه إلى أحد ولا عينّه، لعلمه أنّ في أمته من يأخذ ألخلافة عن ربّه فيكون خليفة عن ألله مع ألموافقة في ألحكم ألمشروع. فلما علم ذلك صلى ألله عليه وسلم لم يحجر ألأمر ".

على أنّ ألخلافة عن ألله قد لا تكون هي ألنبوة بألمرادفة، لأنّه في مكان آخر يذكر حديث: " لا نبي بعدي " فيقول: هذا ألحديث قصم ظهور أولياء ألله (ألفص ألعُزيري) لأنّه قطع عليهم طريق ألنبوة.

وسيحتج أبن سبعين فيما بعد على ألحديث لنفس ألإعتبار: " لقد تحجر ابن آمنة عندما قال: لا نبي بعدي ".

إنّ إحتجاج أبن سبعين على حديث لانبي بعدي يشف عن نفس تواقة للنبوة. إلّا أنّها نبوة المثقف لا نبوة ألنبي. فأبن سبعين ونظراؤه في ألتصوف يجدون في أنفسهم من طاقات ألفكر وعمقه وتوغله في ألأبعاد ما يستصغرون معه ألكتب ألمنزلة وليس من شك أنّ ثقافتهم ألواسعة لا تقاس بها ألثقافة ألمتواضعة للأنبياء.

فألأنبياء ليسوا فلاسفة ولا علماء ولا حتى مثقفين بالشرط ألذي يكونه ألمثقف بألمعنى ألأصطلاحي بل هم بين مناضل أجتماعي كالمسيح ومؤسس دولة وحضارة كموسى ومحمد وحامل رسالة أخلاقية كبوذا.

وهذه الصفات لا تصح على المتصوفة فهم مثقفون حصرا، وألمثقف لا ينهض بمهام ألنبي. أما ألنبوة ألتي يتوقون إليها فتتقوم بألتجاوز ألفكري للعقائد ألتي جاء بها ألأنبياء لأنّ مقاسات عقولهم تجعل من ألعسير عليه تقبّل مصادارات العقائد، وهذه نقطة يشتركون بها مع ألفلاسفة.

لكن ألفلاسفة لم يفكروا بألنبوة، لأنّ ألنبوة تطلع وجداني – غيبي يصدر عن نفس متروحنة تتماهى بالحدس وألإلهام لا بالعقل ألخالص وترتهن عادة برسالة يحملها النبي إلى بلده أو قومه تنقلهم من حال إلى حال في حياتهم الأجتماعية وألسياسية وألأديولوجية.

وألنبوة بهذا ألمعنى أقرب إلى مجال حركة المتصوف لإشتمالها على عنصر إجتماعي إصلاحي، مما لا شأن به للفيلسوف ألمعني أساسا بقضايا ألفكر.

وبناءا على ذلك يمكننا ألنظر إلى متصوفة كالحلاج أو ألبسطامي أو ألجيلي أو أبن عربي او أبن سبعين على أنّهم أنبياء. وهكذا ايضا بخصوص فلاسفة ألتاو الكبار. وأيضا لبعض فلاسفة العصر الحديث مثل كارل ماركس ولينين. وهذا من جهة كونهم حملة رسالات – أجتماعية أكثر منها ثقافية.

على أنّ أبن عربي يحاول فتح ألطريق بتفريقه بين نبوة ألولاية ونبوة ألتشريع. ثم أدركه ألطمع في هذا ألموضع فقال:

" إنّ ألله لطف بعباده فأبقى لهم ألنبوة ألتي لا تشريع فيها وأبقى لهم ألتشريع في ألإجتهاد في ثبوت ألاحكام وأبقى لهم ألوراثة في ألتشريع، فقال " ألعلماء ورثة ألأنبياء " . وما ثم ميراث إلّا فيما أجتهدوا فيه من ألأحكام فشرعوه ".

فألولي قد يرث نبوة ألتشريع. وألمستفاد بوجه عام أنّ ألمتصوفة أرادوا النبوة ألتي يخرجون بها من قيد ألعقيدة. ولم يلتفتوا كبير إلتفات إلى مسألة ألشريعة، فهذه كانت شغل ألإسماعيلية ألذين قالوا بنسخ ألشريعة فنسخوها في معاقلهم في دولة ألإحساء وقلاع ألشام وإيران.

وحقيقة ألحال في ألنسخ أنّ ألشريعة كانت لازمة لضبط سلوك ألحكام وردعهم عن ألظلم من نهب للأموال وقتل كيفي وركوب ألهوى وألفساد كما يلزم تقييد ألدول ألمعاصرة بألدستور وتقنين سياساتها وفقا لأحكامه.

فإذا أريد المضي إلى مدى أبعد في ألتحرر الإجتماعي وحل المشكلات المعيشية للجماهير فإنّ نسخ ألشريعة لازم للتمكين من ذلك. وهذا ما جرى في دولة ألقرامطة شرقي ألعربيا حين تجاوزوا حكم ألزكاة ألمقرر في ألشريعة وأستولوا على ألثروات ألعامة والخاصة لإعادة تنظيم ألإقتصاد بطريقة تضمن حصول ألناس على حقوق متكافئة فيه.

ومع هذا التنظيم الجديد للإقتصاد نسخوا أحكاما أخرى غير ملائمة لمعشرهم منها ألزواج ألضرائري (تعدد ألزوجات) لإقامة نظام العائلة ألأحادي مع عدم ألتسري (إتخاذ ألجواري).

وألمتصوفة نسخوا من ألشريعة بعض ألأحكام عملا لا أدلجة بأمتناعهم عن ألزواج بأكثر من واحدة وعدم ألتسري وعدم إتخاذ العبيد من جهة أكثريتهم. وكذلك خروجهم من حد ألأكتناز ألمباح في ألشرع (لأنّ حكم ألزكاة نسخت آية ألإكتناز فألمتصوفة يرون بأنّ ألزكاة لاتكفي لمنع اكتناز ألثروات لدى قلة من ألأغنياء وحرمان ألأكثرية الفقيرة منها) . وقد ينظرون لإبطال حكم ويمارسونه كألحج فهم متفقون تقريبا على بطلانه كما في ترجمان ألأشواق لأبت عربي:

تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة بوجد وتبريح وتلثم أركاني

كما طاف خير ألرسل بألكعبة التي يقول دليل ألعقل بنقصان

وقبّل أحجارا بها وهو ناطق وأين مقام ألبيت من قدر إنسان

لكنه حجّ مرتين. على أنّ ألمتصوفة وقعوا في ألنسخ ألأكبر بدعوتهم إلى " إطعام ألدنيا للجياع " ففيه إبطال لحكم ألزكاة وتوسيع لحكم تحريم ألإكتناز بإشاعة ألأموال مما يعني إجراء تعديلات جوهرية على فقه ألمكاسب كما فعل القرامطة. ولو أنّهم لم يحكموا لنرى ماذا كانوا سيفعلون لتحقيق دعوتهم في دولتهم.

9. شطحات صوفية:

" وددت لو أن رزقي حصاة أمصها.... فقد مللت من كثرة ألتردد على ألخلاء " .... ألمتصوف مالك بن دينار.

- يرى بعض اهل الباطن ان الاولياء اقل كلفة من الانبياء. وقد يتحدثون عن جهات الارض التي لم تختصها السماء بالنزول فيقولون إنها بإستغنائها عن الوحي استغنت عن كثير من التعب والعناء. وعن هذا يقول احد مشايخنا " ان الرسل طولت الطريق الى الله ". يريد بذلك تكاليف الظاهر التي فرضت على المؤمنين لكي يصلوا الى الله وهي الاعباء الي يتحملها ذو الدين لتكون شرطا لدخوله ملكوت السماء ((أو ألجنة)). على ان فينا نبيا واحدا انتبه الى هذه المفارقة فاوقفها. وهذا هو عيسى.
- " وددت لو أن رزقي حصاة أمصها.... فقد مللت من كثرة ألتردد على ألخلاء " .... ألمتصوف مالك بن دينار.

((نقد للتصميم الذكي، لو كان الامر بيد المتصوفة لأنشأوا خلقا آخر)).

- " كنت اطوف حول البيت اطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولي " .....أبو يزيد ألبسطامي.

((الانسان ارقى من الجماد وعبثية الطواف حول البيت- الكعبة -)).

- " خرجت الى الحج فاستقبلني رجل في المتاهات فقال: ابا يزيد الى اين؟ فقلت الى الحج فقال: كم معك من الدراهم ؟ قلت معي مئتا درهم فقال: فطف حولي سبع مرات وناولني المئتي درهم فإن لي عيالا فطفت حوله وناولته المئتي درهم " .... ابو يزيد ألبسطامي.

((الحكاية تتضمن حكما بإيفاء حقوق الفقراء بدلا من إنفاق المال على الحج)).

- " اللهم إن كان في سابق علمك أنك تعذب احدا من خلقك في النار فعظّم خلقي (جسمي) حتى لا تسع (جهنم) معي غيري ".... ابو يزيد ألبسطامي.

((اشفق ألبسطامي على الكفار ايضا لانه لم يقل لأدفع عن المؤمنين بل قال معي غيري)).

- " إن لله عبادا لو بزقوا (بصقوا) على جهنم لاطفأوها " ... ألشبلي.

((إستخفاف بنار جهنم فالشبلي والبسطامي يهدفان الى إنقاذ البشر من الفقر والذل في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة، كما انهما يضعان صورة للعدل مغايرة لما وضعته الاديان، فالتفاوت في الرزق بين الناس في الدنيا غير عادل ولا معقول، وتعذيبهم في الآخرة خارج ايضا عن مقتضى العدل والعقل، ونجد هنا سرا من اسرار تفضيل الولي على النبي. ان الولي يعدّل حقائق الوحي لينفي من الباري- مطلق الصوفية- صفة الجلاد والتاجر، الجلاد الذي يعذب الناس يوم القيامة والتاجر الذي يقسمهم الى مالك ومحروم في الدنيا)).

" لون الماء لون إنائه "... الجنيد البغدادي.

((الإله هو عين الحق الذي يخلقه العبد في قلبه بنظره الفكري او بتقليده وهذا الإله يتنوع حسب الإستعداد الذاتي للمحل اي لصاحب الإعتقاد)).

في هذا الصدد يقول محي الدين ابن عربي:

- " لكن هذا الإله ليس هو نفسه " الإله المطلق " الذي لا يسعه شيء لأنه عين الاشياء وعين نفسه (وحدة الوجود) وهو لعدم محدوديته لا يدخل في قلب المؤمن لان اللامحدود لا يدخل في المحدود وهو بالتالي غير معروف لاهل الدين إذ انه غير متحدد وغير متشخص وغير مصنوع.

ونخلص من ذلك وجود إلهين، إله الاديان المصنوع المحدود الذي يدخل قلوب المؤمنين به. والإله المطلق الذي اوجد الموجودات بالتجلي لها اي بالإندماج فيها، وليس لهذا الإله دين ولا مؤمنون يعبدونه. وفيما يبدو ان إله الاديان ليس هو الخالق الحقيقي للعالم ".

- " لقد تحجر ابن آمنة عندما قال: لا نبي بعدي "... عبدألحق بن سبعين.
- " في حديث: لا نبي بعدي، قصم ابن آمنة ظهر الاولياء " محي الدين أبن عربي.

((لأنه منعهم من إعلان نبوتهم)).

10. ألتصوف وألنبوة:

" إنّ التصوف أعم من النبوة، والنبوة لا تحدث خارج إطار آليات التصوف في تحصيل المعرفة." .... هتك الأسرار - تحولات فكرية في العلاقة بالدين والمقدس - سعدون محسن ضمد.

هل كان محمّد يعتقد ويدرك بأنّ الله أختاره نبيّا وأرسل إليه جبريل بألوحي أم لا؟

في مقالة سابقة (ألمقالة 39 من هذا الكتاب) تحت عنوان " هل كان بعض الصحابة والتابعين لمحمّد يعلمون أنّ القرآن من تأليف محمّد؟ " ذكرت هذا التساؤل والإجابات المحتملة عليه وسأدرج الإحتمالات كمقدمة لحلقات بحث " ألتصوف وألنبوة ".

للإجابة على هذا التساؤل هنالك ثلاثة احتمالات :

الاحتمال الاوّل هو أنّه كان يتوّهم بأنّه نبي والدليل على ذلك ما ورد في السيرة النبوية من احاديث حول الرئي الذي كان يتراءى له منذ صغره ومنها حادثة شقّ صدره وكان لا يتراءى له الّا وهو في حالة غير اعتيادية بأن تأخذه نوبة عصبية لا يغيب فيها عن الحس الخارجي غيبوبة تامّة رغم ما يأخذه فيها احيانا من الإغماء، وهذه الحالة كانت تنتابه أثناء نزول الوحي.

لقد بقي محمّد مدّة من الزمن لا يعلم ماهي هذه الرئي الذي يراه أهو ملك ام شيطان، حتّى لقد ظنّه تابعا من الجن كالتابع الذي يكون للكهّان ولكنّه صار اخيرا يعتقد مايراه ملكا لا شيطانا، ثمّ صار بعد هذا الاعتقاد يسمّيه بإسرافيل، واخيرا صار يسمّيه بجبريل، والفضل لحصول هذا الاعتقاد لمحمّد يرجع إلى خديجة فإنّها هي التي ثبّتته وازالت خوفه وجعلته يوقن بانّ ما يراه ملك لا شيطان وزاد يقينه بعد تعرّفه على الملك جبريل عن طريق ألراهب ورقة بن نوفل.

الاحتمال الثاني هو أنّه كان يدرك بأنّه ليس نبيّا وإنّما أراد أن يوحّد عرب الجزيرة العربية ليكوّن منهم دولة تدين لها الفرس والروم، لقد صرّح محمّد بغايته هذا يوم الخندق ففي السيرة الحلبية وكذلك في سيرة ابن هشام عن سلمان الفارسي قال :

ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ ورسول الله قريب منّي، فلمّا رآني اضرب وشدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برْقَة ثمّ ضرب به اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثمّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى، فقلت بابي انت وامّي يا رسول الله ماهذا الذي يلمع تحت المعول وانت تضرب؟

قال: اوقد رأيت ذلك ياسلمان؟ قال قلت: نعم، قال: فأمّا الاولى فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها ألشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله تعالى فتح عليّ بها المشرق.

الاحتمال الثالث هو أنّه كان يتوّهم بأنّه نبي في بداية دعوته في مكّة، ولكن بعد هجرته الى المدينة ادرك عكس ذلك بدليل وجود فروقات جوهرية في اسلوب وتشريعات القرآن المدني عن المكي، فالتأمل وحيدا في غار حراء مختلف عن واقع يثرب والصراعات الموجودة فيها مابين الاوس والخزرج وصراعاتهم مع يهود المدينة.

وفي تلك المقالة ذكرت ما يلي :

" بأعتقادي بأنّ اقرب الاحتمالات الى المنطق هي ألإحتمال الأول ، أي أنّه كان يتوّهم بأنّه نبي من البداية حتى النهاية ".

بعد إطلاعي على كتاب " هتك الأسرار – تحولات فكرية في العلاقة بالدين والمقدس " للكاتب المبدع سعدون محسن ضمد، الذي يتناول فيه إعترافاته بعد رحلته التصوفية والعلاقة بين التصوف والنبوة، توصلت إلى قناعة بأنّ محمدا كان يتوّهم بأنّه نبي بعد فترة تأمله وإنعزاله في غار حراء ولكنه أدرك بعد رحلته التصوفية عدم أمكانية الفناء في المطلق وتراجع عنه إلى مرحلة البقاء.

النبوة – بل التصوف كله - أشبه ما تكون بصحراء قاحلة جدا لا يمكن قطع مجاهيلها بغير إستخدام آلية التوهم في الوعي، فتجارب الوعي تعمل على تشكيل صورة ذهنية عن موضوع لا تتوفر عنه أية معطيات واقعية (خارج الذات).

كتبت إحدى ألقارئات تعليقا على مقالة نشرتها، ولعلاقتها بموضوع توهم الأنبياء أنقلها بألنّص، تقول ألقارئة في رسالتها:

" إنَّ العائلة الابراهيمية مُصابة بنوع مِن الفصام يُصاب به نسلها وتظهر عليهم اعراض النبوَّة حين تكون الحاجة ماسة الى وجود حل لمشاكل بدو لا يعرفون سوى الإغارة على بعضهم، وقد وجد في الدراسات النفسية عند اخضاع المصابين بالهلوسة الى أجهزة خاصة يُظهرون نشاطا في منطقة السمع في دماغ الانسان وكأنهم يسمعون صوتا حقيقيا،وهناك حقيقة علمية اخرى تقول أنَّ ألهلوسة يُصاب بها مَنْ ينقطع عن الناس لفترة طويلة لدرجة ان دماغه يقترح الاصوات كنوع من الدفاع عن آلية عمل الدماغ القائم على وجود الانسان كحيوان اجتماعي، وهذا ما حدث للرسول محمد حين انقطاعه في الجبل ".

النبوة تعني الإخبار عن الله، بمعنى أنّ النبي يعتقد بأنّه يسمع كلام الله بطريقة أو باخرى، وبأنّه مسؤول عن إيصاله إلى الناس. وليس هناك من سبيل يجعل الإنسان قادرا على مثل هذا الإدعاء إلا سبيل الفناء بالله الذي هو حال يختبر فيه الصوفية شعورا طاغيا بفناء ذواتهم بذات المطلق وذلك بعد تجاوزهم مراحل التوحيد الثلاث (توحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات).

إنّ الإنتقال من حال الفناء بالله إلى حال البقاء به لا يتم دون أن يكتشف الفاني بأن فناءه عبارة عن فكرة غير واقعية، خاصة بعد أن تضطره حاجاته الإنسانية إلى الإقرار بأن الالوهية شأن لا يمكن بلوغه. ومن هنا يعترف بحجم الوهم الذي أوقعه بالفناء الذي أوصله لإدعاء الألوهية.

وهكذا يخرج من فكرة فناءه بالله، ولكنه لا يستطيع أن ينكر بقاءه به. بعبارة اخرى لا يبقى بحال الفناء إلا وعي غير سليم ويعاني من خلل كبير.

إنّ التصوف أعم من النبوة، والنبوة لا تحدث خارج إطار آليات التصوف في تحصيل المعرفة.

لا يختبر الصوفي مقامات الحب الإلهي إلا بعد أن يقطع رحلة طويلة ومكلفة من رحلات تطويع البدن على الخضوع لإشتراطات التأمل في (الحقيقة) والإنقطاع للبحث في أسرارها، مارا بمرحلتين من مراحل التطويع، مرحلة تطويع الجسد، وتبدأ هذه المرحلة بمقامات التوبة وتنتهي بمقامات الزهد.

ومرحلة تطويع الوعي حيث يعبر المريد – خلال هذه المرحلة من مراحل الترويض – مقامات : (التوكل، التسليم، التفويض، واخيرا الفناء).

إنّ حال الفناء وإن كانت قصيرة جدا فإنّها تفتح الباب على رحلة خطيرة جدا من رحلات الوعي، إذ يشعر الإنسان خلالها بنحو من أنحاء التألهن، ويطغى عليه شعور غريب بأنّه أقرب إلى الله منه إلى الإنسان.. وهنا أيضا تتأسس القاعدة التي يمكن أن تكون منطلقا لإدعاء النبوة فيما بعد.

ومن خلال هذه الحال وتحت وطأة ضغطها الشعوري على الصوفية فضحوا أنفسهم من خلال ما سميت (شطحات الصوفية) والتي تكشف أغلبها عن التحقق بالربوبية ومنها هذه الحادثة المروية عن أبي يزيد البسطامي :

" دق رجل على أبي يزيد البسطامي باب داره فقال له : من تطلبه؟ فقال : أطلب ابا يزيد. فقال مر ! ويحك ! فليس في الدار غير الله ".

أنسنة ألله :

عندما يبلغ الصوفي ذروة فنائه تحدث محنته، محنة جميع (الصوفية / الأنبياء)، فبعد هذه الذروة تنعطف رحلة التصوف إنعطافتها الأخطر وذلك يوم يسأل الصوفي نفسه عن إستحقاقات حال الفناء، بالاحرى يسال نفسه عن مدى واقعية الجملة السحرية التي يرددها بينه وبين نفسه : (إنني أنا الله)؟

إنّ اليقين بتحقق الفناء يوجب إختبار هذا الفناء، فيسعى الصوفي أو النبي لتحقيق إلوهيته، أو التحقق من واقعية شعوره بها، لكن كيف يمكن التحقق من الألوهية؟

لكن الإستغراق بحال الفناء التام لا يدوم طويلا، ومهما كانت سكرة الصوفي ونشوته قوية فإنّها لا تستطيع أن تلغي شعوره بإستقلاله وحضور أناه المستقلة عن المطلق إلى النهاية. وهنا تبدأ الازمة، أزمة الخوف من الإنفصال، فلا شيء يخيف الصوفي أكثر من خسارته هذه الحال وتلك النشوة، وعودته لإنسانيته.

لكن الخوف على حال الفناء لا يتأتى فقط من عودة الإحساس بالذات، بل من محاولات الإختبار التي يُعرّض فيها الصوفي إلوهيته للإختبار.

إنّ طبيعة القلق المركوزة بالإنسان تجعل الصوفي يتجنب إختبار إلوهيته إختبارات قوية ومباشرة بل هو يتجه أول الامر نحو البحث عما يؤكد حال الفناء لديه، فيبحث عن أية إشارة تؤكد هذه الحال كالأحلام الصادقة التي يعاملها معاملة النبوءات، أو الرغبات والأماني التي صادف أنّها تحققت.

وإذا تحدّثنا عن علاقة النبي محمد مع عالم الأحلام والرؤى فقد بدأت في وقتٍ مبكّر من عمره ، فقد كانت أولى علامات صدق نبوّته ومبعثه ، كما قالت عائشة : (أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)، متفق عليه.

وكذلك قول النبي : (الرؤيا الصادقة من الله) رواه البخاري.

إنّ التطمينات التي يحصل عليها المتصوف من تجميعه لبعض الأحداث والمصادفات ستجعله على يقين تام من إلوهيته، ما يدفعه تجاه قبول بتعريض هذه الألوهية للإختبارات المباشرة، وهنا تقع الأزمة، فهذه الألوهية ولأنّها وهمية غير قابلة للإختبار وخاصة الإختبارات غير الممكنة، كما هو الحال عندما يسعى الصوفي (المتألهن) إلى خرق نواميس الطبيعة فلا يفلح، وهنا تتصدع الإلوهية شيئا فشيئا، ويعود الإنسان لإدراك حقيقة ضعفه ومقدار الوهم الذي وقع فيه وهو يعتقد بأنّه ألله، ما يوقعه بحزن كبير، وقلق عارم.

وحتى لو أنّ الصوفي (ألمتألهن) لم يُعرض إلوهيته للإختبار فإنّ حال (التألهن) هذا لا يمكن له أن يستمر إلى ما لا نهاية، ولابد من أن ينتهي، لأنّ ضغط الواقع يمنع أي إنسان صحيح الذهن من أن يعيش داخل خياله ومهما كان هذا الخيال جامحا.

فيخرج الصوفي من غيبته في ألله التي لا يرى فيها لا الوجود ولا نفسه، إلى بقائه في ألله حيث يرى كل الأشياء ولكنه يراها في ألله وهو ما يُسمى بوحدة الوجود.

وأغلب الظن أنّ حال وحدة الوجود تحصل للصوفي عندما يبدأ يصحو من غيبته عن العالم، وقبل أن يعود إلى أرض الواقع تماما. وفي هذه الحالة لا يكون الصوفي (باقيا) في شهوده ألله وحده، ولا في شهود العالم وحده، بل في شهودهما معا، فيرى ألله في كل شيء، ويرى كل شيء في ألله، ثم ما يلبث أن تتلاشى رؤيته لله تدريجيا بمقدار ما تزيد رؤيته للعالم، حتى يحط على أرض الواقع تماما ويعود إلى حياته اليومية.

بعد التحقق بحال البقاء، يعود الصوفي إلى الإيمان بأهمية فعالياته، ولذلك يتحول الكثير من الصوفية تجاه الإصلاح الإجتماعي، ومحاولة التأثير بالناس مستخدمين المعارف التي حصلوا عليها والتي تكشف لهم مقدارا كثيرا من الأوهام الدينية التي يقع بها الناس بسبب أخطاء الفقهاء بفهم الأديان.

مرحلة العودة إلى الفعاليات الإصلاحية، هي التي دفعت الأنبياء إلى التبشير برسالاتهم، بإعتبار أنّ الرسالات جميعها محاولات لإصلاح ما فسد من الأديان السابقة.

لكن يبقى هنالك سؤال يحتاج إلى إجابة شافية، هذا السؤال يقول :

ما سر إنقلاب النبي على دين التصوف الذي هو دين مقاطعة الناس وإنتقاله إلى دين النبوة الذي هو دين الإتصال بهم؟ ما الذي يجعل الصوفي ينزل من كونه إلهاً إلى كونه نبيا؟ أليس في إدعاء الألوهية نحو من أنحاء الرفعة على النبوة؟ فما الذي يجعل الصوفي إذن ينزل من كونه إلهاً إلى كونه نبياً؟

إرتداد الوعي :

لا يتخيل الصوفي أنّ طريقه الذي هو سائر عليه سيقوده رغما عنه إلى النبوة. وأنّ تلك النبوة ستقتل جميع أسئلته الصاخبة. فالصوفي لا يعرف مغزى النبوة إلا بعد أن يتوحد مع الحقيقة وينطق بإسمها، متدرجا بأحوال التوحيد الثلاثة، توحيد الأفعال، توحيد الصفات، توحيد الذات.

وعندها سيؤمن بأنّ الحقيقة واحدة، وأن ليست هناك مشاهد عدَّة، بل مشهد واحد وفاعل واحد وذات واحدة. هذه المعرفة خطيرة ومتعبة وصادمة بنفس الآن.

لذلك لا يسمع الصوفي ومهما تكاثرت من حوله الأصوات إلا صوت الحقيقة التي سيجد بأنها تكلمه من خلال جميع الموجودات، البشر الحيوانات الجمادات .. كلها تتكلم بكلام واحد، كلام أله، الكلام المنطلق من ذات تجاوزت الإختلافات لتقع على سر التشابه الذي يؤدي إلى الوحدة الكاملة.

وهكذا تنطلق النبوة أول ما تنطلق.

بعبارة أخرى : للتوحيد مغزى آخر، فعندما يسقط الصوفي بحال التوحيد وتتحد أمامه الموجودات، فهنا سيتعين عليه أن لا يفرق بين موجود وموجود، لا تعود هناك مستويات في الوجود ولا أجزاء، بل كلٌ متحد يظهر بمظاهر مختلفة، فإذا حدث وأن سمع هذا الصوفي وهو مستغرق بأحد مستويات الفناء خطابا ما فإنّه سيعتبره خطابا من أله، فليس ثمة أمامه غير أله يقول ويفعل ويريد.

" فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" ... الانفال 17.

هذه أولى عتبات النبوة، فإذا تحقق هذا المستوى سيتبعه ولا شك مستوى آخر وهو مستوى الإنتقال من الخطاب الخارجي إلى الخطاب الداخلي. بعبارة أخرى : إذا آمن الصوفي بأنّ أحاديث الآخرين هي أحاديث أله، فمن باب أولى أن يؤمن بأنّ أحاديثه هو نفسه تجل لأحاديث أله.

وهكذا يتدرج بالإنطواء على ذاته والإستماع لصدى تأملاته والتعامل مع هذه التأملات بإعتبارها إلهامات أو إيحاءات ربانية.

"وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" .... النجم : 3-4.

ألمصادر:

- هذا ألكون ما ضميره .... عبدألله ألقصيمي.
- مهزلة ألعقل ألبشري .... علي ألوردي.
- الطوطم والحرام .... سيجموند فرويد.
- ألغصن الذهبي (دراسة في ألسحر وألدين) .... جيمس جورج فريزر.
- دين الإنسان .... فراس السواح.
- القرآن.
- ألأحاديث النبوية.
- الشخصية المحمدية او حل اللغز المقدّس..... الشاعر العراقي معروف الرصافي.
- قصة الحضارة ..... ول ديورانت.
- ويكيبيديا.... الموسوعة الحرة.
- الجينة الأنانية ..... ريتشارد داوكينز.
- العلم والحقيقة.... تأملات عن الأمل والأكاذيب والعلم والحب.... ريتشارد داوكينز.
- عشر أساطير حول التطوّر.... إصدار.Skeptics Societ
- ألأساطير وألأحلام وألأسرار.... ميرسيا إلياد.
- نشأة ألإنسان وألأنتقاء الجنسي.... تشارلس داروين- ترجمة وتقديم مجدي محمود ألمليجي.
- ألمقدّس وألمدّنس..... ميرسيا إلياد – ألمترجم / ألمحامي: عبدألهادي عباس.
- تأريخ ألمعتقدات وألأفكار ألدينية.... ميرسيا إلياد - ألمترجم / ألمحامي: عبدألهادي عباس.
- مغامرة العقل الأولى.... فراس السوّاح.
- لغز عشتار- ألألوهة ألمؤنثة وأصل الدين وألاسطورة.... فراس السوّاح.
- ألحب والحرب والحضارة والموت... سيجموند فرويد.
- ألتوراة.
- ألإنجيل.
- ميلاد ألشيطان.... فراس السوّاح.
- كتاب ألأحلام.... مصطفى محمود.
- السيرة النبوية .... لأبن إسحاق.
- تفسير ألجلالين ..... للامامين الجليلين العلاّمة جلال الدين محمد بن احمد المحلّي والعلاّمة جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي.
- ا لرائيلية محاولة للتزاوج بين ألدين وألعلم .... كامل علي.
- ثورة الشك .... كامل علي.
- الإسلام المبكر .... دار نشر شيلر برلين 2007 - مقالة بقلم دانيل بيرنشتيل - ترجمة علي مصباح.
- نصان يهوديان حول بدايات ألإسلام .... إعداد نبيل فياض.
- رؤيا أبوكاليبتية للتاريخ ألإسلامي .... بقلم برنارد لويس.
- ألرواية السريانية للفتوحات ألإسلامية .... ألكاتب تيسير خلف.
- بيزنطة والفتوح ألإسلامية - لولتر كيغي - تعريب نقولا زيادة - دار قدمس - دمشق 2002 م.

- تاريخ الرهاوي المجهول - الجزء الثاني - تعريب ألبير أبونا – بغداد.
- تاريخ الرهاوي المجهول - بالسريانية - طبعة دير مار أفرام السرياني في هولندا 2004 م.
- تاريخ الزمان لأبن العبري - تعريب أسحق أرملة - دار المشرق - بيروت 1986 م.
- تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري - سهيل قاشا - منشورات المكتبة البولسية - بيروت 2006 م.
- تاريخ الكنيسة - يوحنا الآسيوي - تعريب صلاح عبد العزيز محجوب إدريس - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة 2000 م.
- تاريخ ميخائيل الكبير - الجزء الثاني - تعريب مار غريغوريوس صليبا شمعون - دار ماردين - حلب 1966 م.
- بحوث تاريخية لاهوتية روحية - للبطريريك أغناطيوس زكا الأول عيواص 3 أجزاء - دير مار يعقوب. البرادعي - لبنان 1988 م - 1999 م - 2000 م.
- هكذا تكلّم ابن عربي .... للدكتور نصر حامد ابوزيد.
- من تاريخ الإلحاد في ألإسلام .... عبدالحمن بدوي.
- لباب ألنقول في أسباب ألنزول .... جلال ألدين ألسيوطي.
- أسباب ألنزول .... ألواحدي.
- معرفة الناسخ والمنسوخ .... ابو عبدالله محمّد بن حزم.
- مغامرة العقل ألأولى .... فراس السوّاح.
- أساطير ألأولين .... كامل علي.
- موقع الامم المتحدة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
- مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي.
- أعترافات آخر متصوفة بغداد .... سعدون محسن ضمد.
- مدارات صوفية .... هادي العلوي.
- هتك الأسرار – تحولات فكرية في العلاقة بالدين والمقدس .... سعدون محسن ضمد.
- ألأحلام .... مصطفى محمود.

المؤلف:

مهندس معماري

باحث في ألمعتقدات وألأديان يؤمن بالعلمانية والديموقراطية وحقوق ألإنسان.

<u>مؤلفاته:</u>

ثورة ألشك

أساطير ألأولين

ألرائيلية محاولة للتزاوج بين ألدين والعلم

لعنة ألذهب ألأسود

تأملات في ألوجود وألدين

كامل علي

2018 .01.04